
معارك
غيرت وجه العالم
صراعات خلقت تاريخًا.. وصنعت خرائط..
إيهاب محمد كمال

معـــــارك

غيرت وجه العالم

اسم الكتاب : معارك غيرت وجه العالم

تاليف : ايهاب كمال

الإشراف العام/ ممدوح على ٠١٠١٥٣٢١٤٥

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2011/3179

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977- 6038 - 82 - 4

الطبعة الأولى

٢٠١١

دار الحرم للتراث:

خلف الجامع الأزهر ش الشيخ محمد عبده ت: ٢٥١٠٤٨٨١

٤٥ سوق الكتاب الجديد ت: ٢٥٩١٦٠٢١

موبايل: ٠١٠١٥٣٢١٤٥ ـ ٠١٠٥٦٢٤٥٨١



معارك غيرت وجه العالم

ايهاب كمال

دار الحرم للتراث
٤٥ سوق الكتاب الجديد بالعتبة ـ القاهرة
ت : ٢٥٩١٦٠٢١

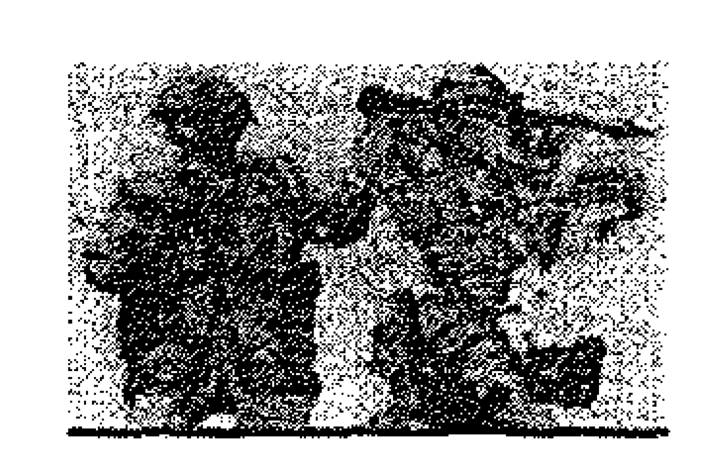


المقدمة

الحرب هي نزاع مسلح تبادلي بين دولتين أو أكثر من الكيانات الغير منسجمة، حيث الهدف منها هو اعادة تنظيم الجغرافية السياسية للحصول على نتائج مرجوة ومصممة بشكل ذاتي. في كتابه عن الحرب، قال المنظر العسكري البروسي كارل فون كلاوزفيتز على الحرب أنها "عمليات مستمرة من العلاقات السياسية، ولكنها تقوم على وسائل مختلفة." وتعد الحرب هي عبارة عن تفاعل بين اثنين أو أكثر من القوى المتعارضة والتي لديها "صراع في الرغبات" ويستخدم هذا المصطلح أيضا كرمز للصراع الغير عسكري، مثل الحرب الطبقية.

لا تعد الحرب بالضرورة أن تكون احتلال أو قتل أو إبادة جماعية بسبب طبيعة المعاملة بالمثل كنتيجة للعنف، أو الطبيعة المنظمة للوحدات المتورطة.

الحرب الأهلية هي حرب بين الفصائل لمواطني بلد واحد (كما هو الحال في الحرب الأهلية الأمريكية)، أو بشكل آخر هي نزاع بين دولتين تم إنشاؤهم من أصل واحد ومتحد سابقا. الحرب بالوكالة هي حرب تنتج عندما تستعين قوتين بأطراف ثالثة كبدائل لقتال بعضهم البعض بشكل مباشر.
وللحرب كيانها الثقافي، وممارستها ليست مرتبطة بنوع وحيد من التنظيم السياسي أو المجتمعي. بدلا من ذلك، كما تمت مناقشته من قبل جون كيغان في تأريخه للحرب، فإن الحرب هي ظاهرة عالمية، وشكلها ونطاقها يحددهاالمجتمع الذي يقوم بها. تمتد سير الحرب على طول سلسلة متصلة من الحروب القبلية شبه العالمية والتي بدأت قبل التاريخ المسجل الإنسان، ثم إلى حروب بين المدن أو الأمم أو الإمبراطوريات.
بالمعنى العسكري المنظم، فإن المجموعة من المقاتلين ودعمهم يسمى الجيش على الأرض، ويسمى القوات البحرية في البحر، والقوات الجوية في الهواء. قد تجرى



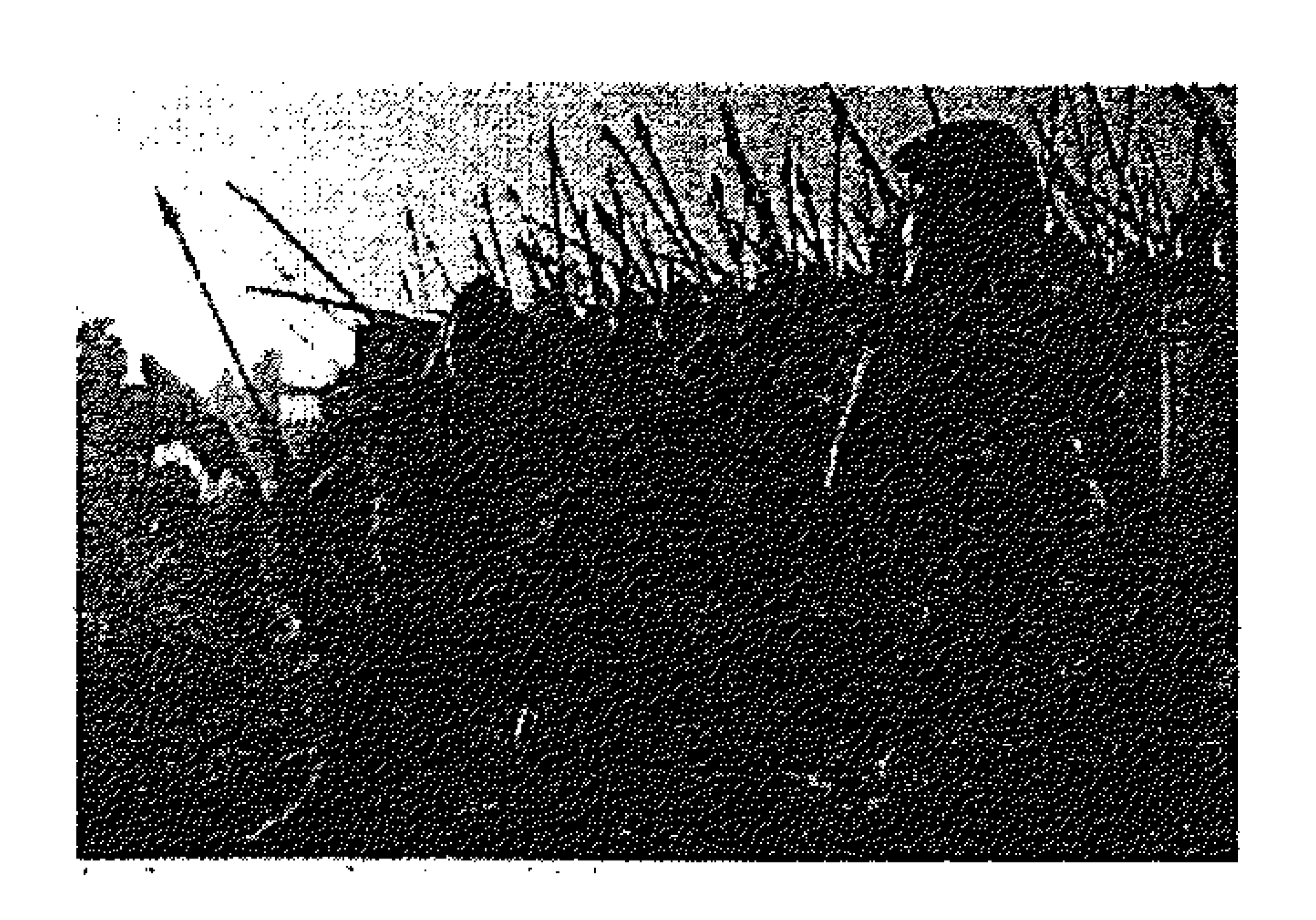
الحروب في وقت واحد على واحد أو أكثر من المسارح المختلفة. داخل كل مسرح، قد يكون هناك واحد أو أكثر من الحملات العسكرية المتوالية. وتشمل الحملة العسكرية ليس فقط القتال، بل أيضا الاستخبارات، وتحركات القوات والامدادات والدعاية، وغيرها من العناصر. وهناك فترة من الصراع الضاري المستمر تسمى تقليديا المعركة، على الرغم من أن هذه المصطلحات لا تطبق على النزاعات التي تشمل الطائرات والصواريخ والقنابل وحدها، في ظل غياب القوات البرية أو البحرية. أيضا يوجد هناك العديد من الأفعال الأخرى التي يمكن اتخاذها من قبل القوات العسكرية أثناء الحرب، ويمكن أن تشمل هذه الأفعال بحوث الأسلحة، والاعتقالات والاغتيالات والاحتلال، وقد تحدث الإبادة الجماعية في بعض الحالات.

وبما أن الجوانب الاستراتيجية والتكتيكية للحرب تتبدل دائما فإن النظريات والمذاهب المتعلقة بالحرب غالبا ما تصاغ قبل، أثناء، وبعد كل حرب كبرى. كارل فون كلاوزفيتس قال : 'إن لكل عصر نوعه الخاص من الحروب، والظروف الخاصة، والتحيزات المميزة.'

وفي هذا الكتاب أوردنا العديد من نماذج الحروب والمعارك الفاصلة والتي كانت سببا في تغيير وجه التاريخ ، بل وكذلك غيرت الكثير من المعالم الجغرافية وخرائط ودول .

***

حرب طروادة



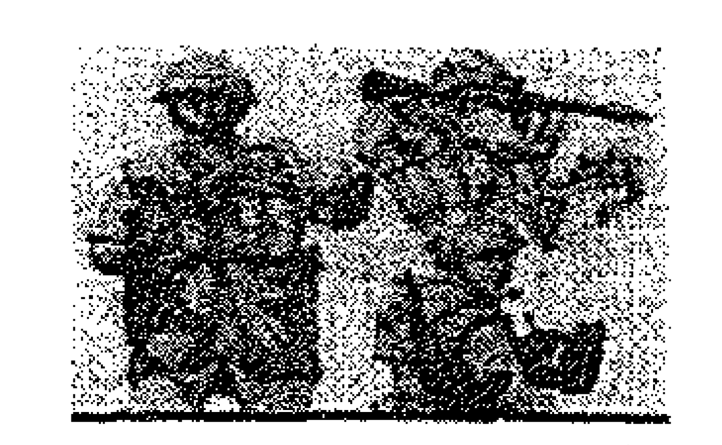
حرب طروادة أو حصار طروداة، التي كانت بين الإغريق الذين حاصروا مدينة طروادة و أهلها ودامت عشر سنين، واحدة من أشهر الحروب في التاريخ وذلك لخلودها في ملحمتي هوميروس الإلياذة و الأوديسة اللتان تحدثتا عن بعض أحداث حرب طروادة، ففي الإلياذة رويت أحداث السنة التاسعة من الحرب وهي سنة غضب أخيل، و في الأوديسة حُكيت الكثير من الأحداث السابقة للحرب إبان رواية حكاية عودة أوديسيوس ملك إيثاكا وأحد القادة في حرب طروادة.

مدينة طروادة



تقع مدينة طروادة Troy في آسيا الصغرى، وهي مدينة بحرية غنية تحكي الأسطورة أن بوسايدن إله البحر بناها برفقة أبولو إله الشعر و الفنون، فكانت مدينة منيعة وقوية

تُعيد الأساطير أسباب حرب طروادة إلى مشاحنة إلهية بين آلهة الأوليمب الاثني عشر، و خلاف بين الربات الثلاث هيرا و أفروديت و أثينا حول الأجمل منهن،



و قيام باريس بخطف هيلين ملكة إسبارطة، و زوجة منيلاوس شقيق أغـاممنون بـن أتريوس

البدايات الأسطورية لحرب طروادة:

في إلياذة هوميروس و بعض الأساطير الأخرى، تتنبأ العرافات للملك طروادة بريام بأنه سيولد له ابن يكون سبباً في دمار طروادة، ويولد هـذا الابـن الـذي يُـسمى باريس فيأمر أبوه أحد خدمه بالتخلص منه، ويضعه هذا الأخير في جبل لينـشأ راعيـاً للأغنام.

و في جبل الأوليمب يكون الآلهة الاثني عـشر مختلفـين متنـاحرين لأسـباب متعددة، ويزيد الخلاف فيما بينهم بسبب غنى طروادة، ثم تأتي حادثة التفاحـة الناجمـة عن مشادة بين الربات الثلاث هيرا و أفروديت و أثينا، حيث رأت كل ربة منهن أنهـا الأجمل، واتفقن على الإحتكام إلى أول غريب يرينه، وقد كان الراعي الشاب بـاريس، فسردن عليه أمرهن وطلبن إليه أن يحكم بينهن بإعطاء تفاحة للأجمل مـنهن، وأغرتـه هيرا بالسلطة إن هو وهبها إياها، و أثينا بالحكمة و المجد، وقالـت لـه آفروديـت أنهـا ستهبه أجمل نساء الأرض، ففضلها عليهن وأعطاها التفاحة ليغـضب بـذلك الـربتين الأخريين.

حققت أفروديت وعدها لباريس، فأخذته إلى طروادة من جديد، وقدمته إلى أهله الذين ابتهجوا بعودته أميراً بينهم، ولم تفلح نبوءات أخته كاساندرا في ثنيهم عـن عزمهم قبوله بينهم من جديد، لأن الإله أبولـو أحبهـا ذات مـرة فلـما صـدته وهبهـا البصيرة وحرمها من أن يصدقها أحد، فظل الجميع يتعاملون معها على أنها مجنونة.

عاد باريس أميراً ولما تزل أفروديت تدين بوعدها له، ولتفك دينها أرسلته إلى إسبارطة، فاستغل غيبة منيلاوس وأغوى زوجته هيلين التي فاقـت كـل نـساء الـدنيا جمالاً، وجاءها كل ملوك الإغريق خاطبين، فاختارت منهم منيلاوس ملك إسبارطة،

و طلب أبوها إليهم جميعاً أن يقسموا على حماية شرفها. وهرب بها إلى طروادة، فثار الإغريق لشرفهم، بينما لم يستطع الطرواديون تسليمها.

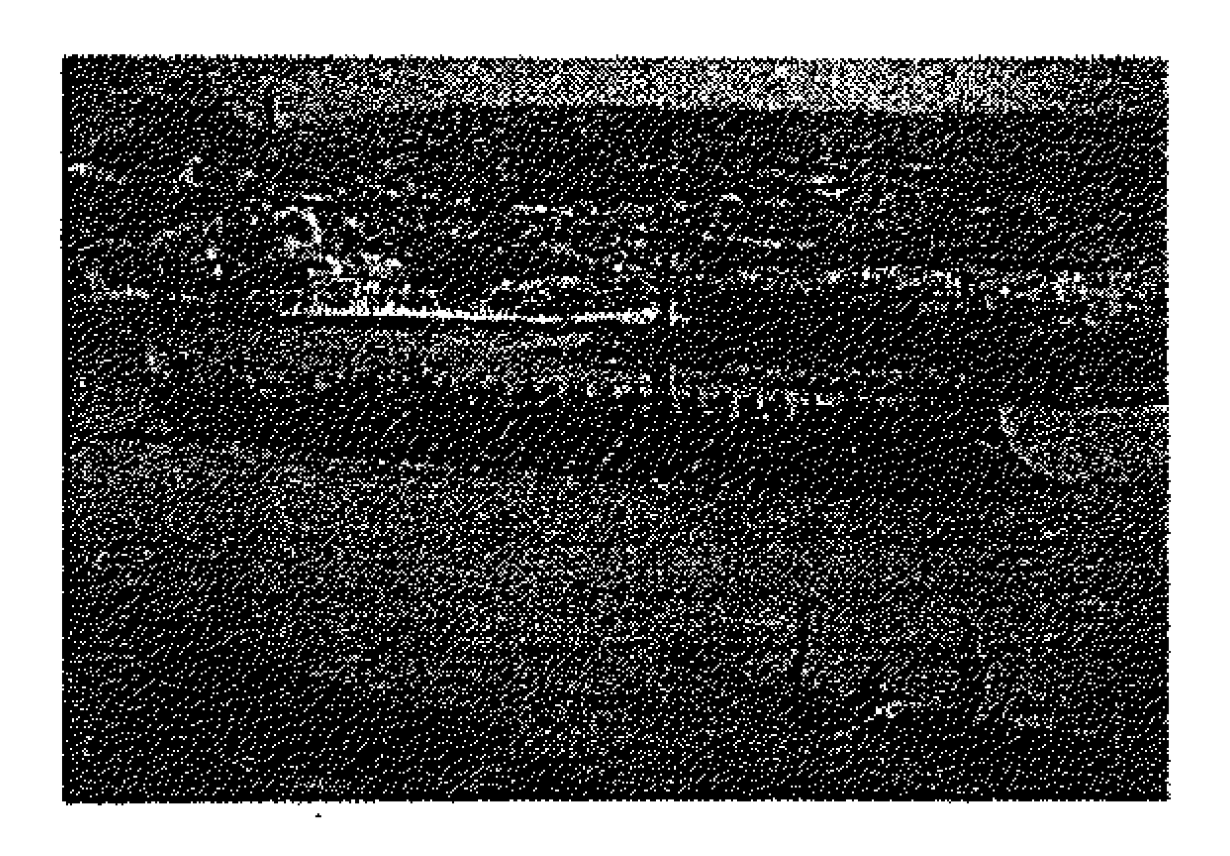
أسباب الحرب:

يتفق الفرس الأقدمون والفينيقيون مع اليونان في قولهم أن تلك الحرب العظمى استعرت نارها لأن أربعة من النساء الحسان قد اختطفن من بلادهن .... فالمصريون اختطفوا (ايو io) من (أرجوس). واليونان اختطفوا (أوربا europa) من فينيقيا، و(ميديا media) من (كلكيز). و باريس الطروادى اختطف (هيلين helen) ملكة (اسبارطة).

يتسائل هيرودوت "هل من الناس من يصدق أن الطرواديين يحاربون عشر سنوات من أجل امرأة واحدة؟! "

استعدادات الحرب:

جهز الاغريق 1000 سفينة مليئة بالمقاتلين الاشداء من جميع ارجاء ممالك اليونان



سنوات الحرب

استمرت الحرب عشر سنوات

غضب أخيل و الإلياذة :

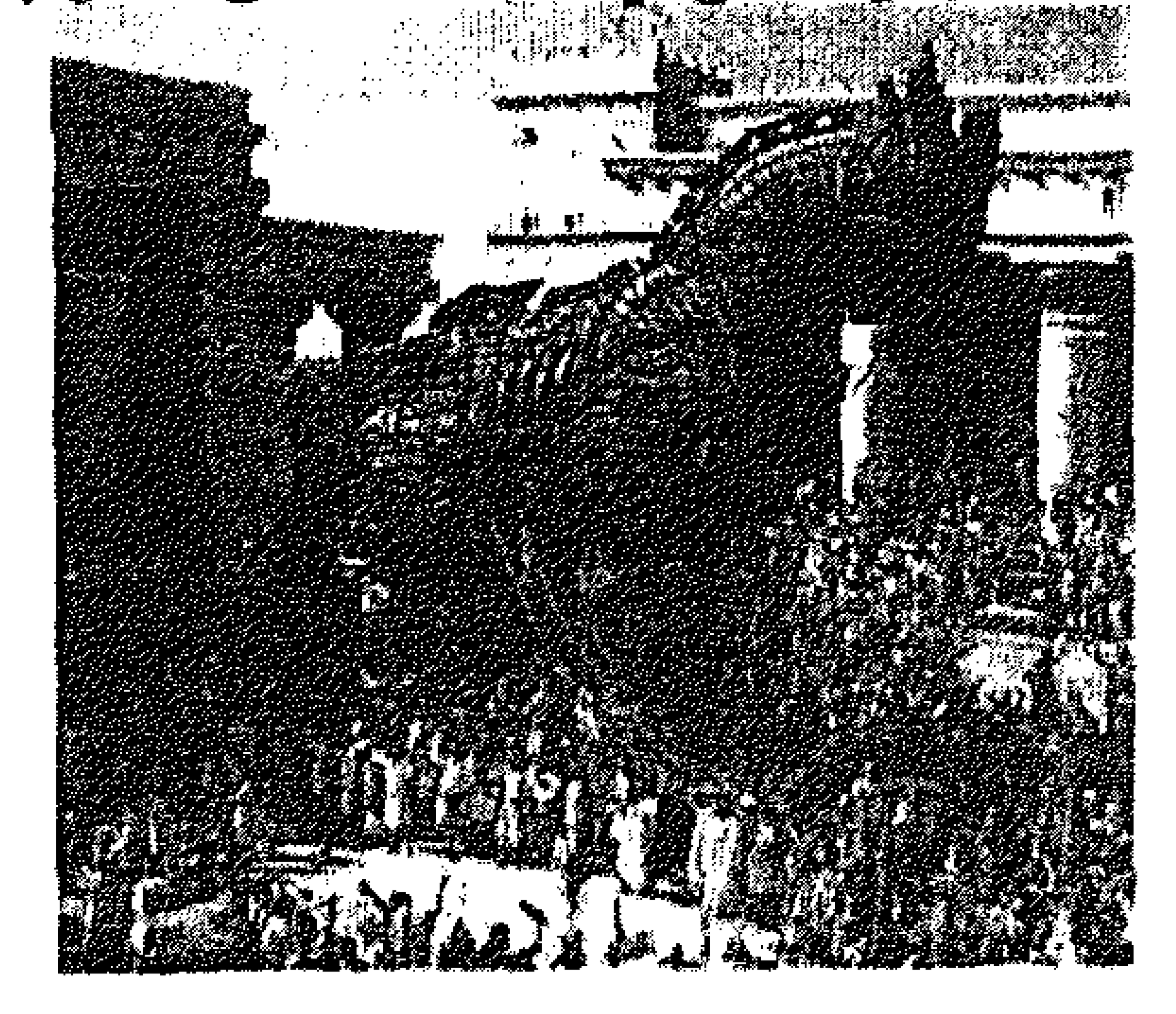
قاد اخيل معركه طروادة لمده عشر سنوات حدثت خلالها واقعة بينه و بين اغاممنون حيث وضع اغاممنون يده علي بيرسيس بنت اخ ملك طروادة و رفض ان يعيدها الي والدها فغضب اخيل و اعتزل الحرب و بداءت الهزائم تتوالي علي الاغريق .راي باتروكلس صديق الوفي ماحل بالجيش من هزائم حاول ان يجعل اخيل يعود الي القتال و عندما رفض اخيل ان يعود الي القتال طلب باتروكلس من اخيل ان يعطيه درعه و عربته كي يجعل الجنود الاغريق متحمسين بعودته و دفعهم للقتال .و نجح باتروكلس في ذلك لكن الحماسه جرفته و تقاتل مع هكتور الذي قتله معتقدا انه قتل اخيل و عندما علم اخيل اقسم علي قتله و الثار لصديقه و بالفعل قتله و ربط جثته بحبل و ربطه في عربته و مضي بجثته امام جيشه و هزم الطروادين هزيمه نكراء.و في النهايه استطاع باريس ان يقتل اخيل بتسديد سهم الي وتر كعبه

تدخلات الآلهة

بعث زيوس كبير آلالهه مع مساعدة الصغير إلى اخيل درع جديد من عمل فولكان الحداد

حصان طروادة

حصان طروادة جزء من أساطير حرب طروادة، إلا أنها لا تظهر في الجزء الذي يرويه هوميروس في الإلياذه عن الحرب.



و تروي الأسطورة ان حصار الإغريق لطروادة دام عشرة سنوات. فابتدع الإغريق حيلة جديدة ، حصانا خشبيا ضخما و أجوفا. بناه إبيوس و ملئ بالمحاربين



الإغريق بقيادة أوديسيوس. أما بقية الجيش فظهر كأنه رحل بينما في الواقع كان يختبئ وراء "تيندوس" ، و قبل الطرواديون الحصان على أنه عرض سلام.

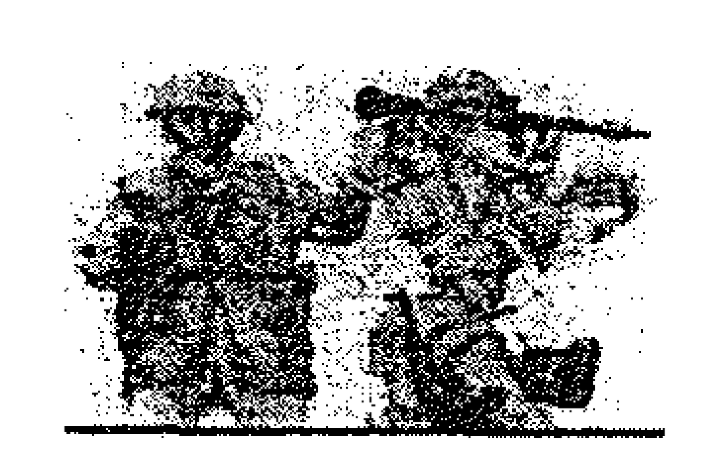
جاسوس إغريقي، إسمه سينون ، أقنع الطرواديين بأن الحصان كان هدية ، بالرغم من تحذيرات لاكون و كاساندرا.حتى أن هيلين و ديفوبوس فحصا الحصان. احتفل الطرواديون برفع الحصار و ابتهجوا. و عندما خرج الإغريق من الحصان داخل المدينة ، كان السكان في حالة سكر. ففتح المحاربون الإغريق بوابات المدينة للسماح لبقية الجيش بدخولها، فنهبت المدينة بلا رحمة، فقتل كل الرجال ، و أخذ كل النساء و الاطفال كعبيد.

كانت مدينة طروادة تحت إمرة الأمير هيكتور و الأمير "باريس"، يحكى ان الأمير باريس كان سببا في دمار طروادة و خيانتها بسبب امرأة احبها من العدو.(قتل هيكتور على يد أخيل قبل حادثة الحصان).

كانت الأميرة كساندرا تتنبأ بالمستقبل . قبل ولادة الأمير باريس تنبأت بأن المولود الجديد سيكون سببا في دمار طروادة فأمر الملك بقتل المولود بعد ولادته ، لكن الحاجب الذي أمر بقتل الأمير الصغير تركه في العراء و ذهب حيث نشأ باريس هناك كراعي غنم مجهول إلى ان التقا الآلهة الثلاث.

نهاية طروادة:

دخل الإغريق طروادة.. وأحرقوها.. وقتلوا رجالها.. وسبوا نسائها.. واخذوا ممن تبقى منهن سبايا.. ولكن.. قبل النهاية بلحظات.. وجد أخيل.. يبحث عن برسيس ابنة عم هيكتور وباريس .. التى كانت في معبد أبوللو على الشاطئ عند بدء الهجوم منذ عشرة أعوام.. حجزت برسيس لدي الإغريق من وقتها.. وهى كانت السبب في الواقعة بين أخيل وأجامنون.. ولكن بعد موت هيكتور .. وذهاب والده



لإستلام جثته من أخيل.. أطلق أخيل سراح برسيس.. وعندما فتح حصان طروادة بالمساء.. أنطلق أخيل إلى القصر من فوره ليبحث عن برسيس وينجيها من طروادة.. كان يعلم انها النهاية.. وربما كان يبحث عن الهرب معها.. لكن كان قدره الموت في طروادة كان باريس يبحث عن ابنة عمه برسيس.. ولم يكن يريد ان يتركها في مدينة ستحرق عن بكرة أبيها.. و وجدها.. ولم يفهم ما رآه في ذات اللحظة كل ماراه هو أخيل يرفع برسيس من على الأرض.. وكأي طروادى حازم.. عزم على أنقاذ برسيس من قاتل اخيه.. وضرب السهم.. السهم الأول و الفاصل.. الذي أخترق كعب أخيل.. الكعب الأيسر.. المكان الوحيد الذي يخترقه السيف او السهم في جسده.. وكان أخيل مصرا على الموت بطلا.. ورفع سيفه ليلقيه على باريس

لكن عشر سنوات من التدريب لدى باريس.. جعلته يتعلم جيدا ان لا يخطئ الهدف.. وأخذ يطلق السهم على قلب أخيل.. وماراه كانت بعي الاخ الذي ينتقم لأخيه وينقذ ابنة عمه منه.. لكن الحقيقة كون أخيل وبرسيس كانا بالفعل قد وقعا في الحب.. أخبرها باريس وهى في أحضان أخيل.. بأنه يوجد ممر سرى بالقصر يؤدى إلى بر الأمان.. خارج المدينة تماما.. ويجب اللحاق بالطروادين.. للذهاب إلى مكان آمن.. ليجدوا لأنفسهم مقرا أخر آمن .. وليحافظوا على سيف طروادة.. السيف الذي طالما ظل في أيدي طروادين..فسيظل لهم مستقبل..

تأكيد أو نفي وقوع الحرب:

أعتقد قدماء اليونان بصحة الأحداث المروية عن الحرب، وعن وقوعها، وقد تم تقدير وقت حدوثها بأنه القرن الثالث عشر أو الثاني عشر قبل الميلاد. إلا أن العلماء في الوقت الحالي يشككون بصحة هذه الأسطورة رغم أنه في العام 1870 قام المنقب والمستكشف الألماني هنريك شيلمان بإكتشاف أثار مدينة في الموقع الذي كان يعتقد بوجود طروادة فيه، ويتفق معه بعض علماء الآثار بصحة إكتشافه، إلا أنه لم يتم تأكيد أو نفي صحة الأسطورة ووجود الحرب. لكن أحد العلماء وجد ان تلك المدينة التي وجدها العالم الالماني صغيرة بالنسبة إلى الملحمة فقام عن طريق الأقمار الصناعية

بتصوير طبقي فوجد مدينة أكبر من السابقة ويحيطها خندق ومن هنا بدا البحث عن أدلة تبرهن أنها هي طروادة.وباستخدام المخطوطات القديمة توصل العلماء إلى ان حربا حصلت في عهد الحيثين الذين كانوا من حلفائهم بدليل أنهم ذكروا وجود نفق كانو يقدمون عن طريقه الإمدادات ،أما بالنسبة للسبب وراء تلك الحرب فيظن العلماء انه الطمع في كنوز طروادة

***

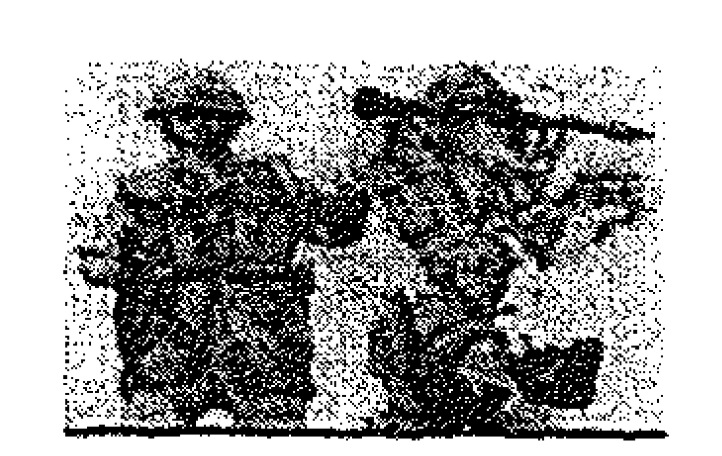


حرب البسوس

وقعت هذه الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل ، وقد مكثت أربعين سنة ، وقعت فيها هذه الأيام : يوم النهى ، ويوم الذنائب ، ويوم واردات ، ويوم عنيزة ، ويوم القصيبات ، ويوم تحلاق اللمم ، وجميعها أسماء مواضع تمت فيها الحروب ، ماعدا تحلاق اللمم لأن بني بكر حلقوا فيه جميعاً رؤوسهم فسمي بذلك. وانتصرت تغلب في أربع حروب، وبكر في واحدة، وتكافأت القبيلتان في حرب واحدة.

وهذه هي قصة هذه الحروب:

لما فض كليب بن ربيعة – اسمه وائل وكليب لقبه ، ولد سنة 440م ، ونشأ في حجر أبيه ، ودرب على الحرب ، ثم تولى رئاسة الجيش : بكر وتغلب زمناً حتى قتله جساس بن مرة سنة 494 م – جموع اليمن في خزا زى وهزمهم اجتمعت عليه معد كلها ، وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته ، وغبر بذلك حيناً من دهره ، ثم دخله زهو شديد ، وبغى على قومه لما هو فيه من عزة وانقياد معدّ له ، حتى بلغ من بغيه ، أنه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ، وإذا جلس لا يمر أحد بين يديه إجلالاً له ، لا يختبىء أحد في مجلسه غيره ، ولا يغير إلا بإذنه ، ولا تورد إبل أحد ، ولا توقد مع ناره ، ولم يكن بكرى ولا تغلبي يجير رجلا ولا بعيراً أو يحمى إلا بأمره ، وكان يجبر على الدهر فلا تخفر ذمته ، وكان يقول : وحش أرض في جواري ، فلا يهاج ! وكان هو الذي ينزل القوم منازلهم ويرحلهم ، ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره، وقد بلغ من عزته وبغيه أنه اتخذ جرو كلب ، فكان إذا نزل به كلأ قذف ذلك الجرو فيه فيعوى ، فلا يرعى أحد ذلك الكلأ إلا بإذنه ، وكان يفعل هذا بحياض الماء فلا يردها أحد إلا بإذنه أو من آذن بحرب ، فضرب به المثل في العز فقيل : أعز من كليب وائل ، وكان يحمى الصيد فيقول : صيد ناحية كذا وكذا في جواري فلا يصيد أحد منه شيئاً.



وتزوج كليب جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان، وكان لمرة عشرين بنين جساس أصغرهم ، وكانت بنو جشم ، وبنو شيبان تقيم في دار واحدة إرادة الجماعة ومخافة الفرقة.

وحدث أن كليباً دخل على امرأته جليلة يوماً فقال لها: هل تعلمين على الأرض أمنع مني ذمة ؟ فسكتت، ثم أعاد عليها الثانية فسكتت، ثم أعاد عليها الثالثة فقالت: نعم، أخي جساس – وهو جساس بن مرة ، كان فارساً شهماً أبياً ، وكان يلقب الحامي الجار ، المانع الذمار ، وهو الذي قتل كليباً ، مات سنة 534 م – وندمانه، ابن عمه عمرة المزدلف بن أبى ربيعة بن ذهل ابن شيبان. فسكت كليب ، ومضت مدة ، وبينما هي تغسل رأسه وتسرحه ذات يوم إذ قال لها : من أعز وائل ؟ قالت: أخواي جساس وهمام. فنزع رأسه من يدها وخرج.

وكانت لجساس خالة اسمها البسوس بنت منقذ، جاءت ونزلت على ابن أختها جساس، فكانت جارة لبنى مرة، ولها ناقة خوارة، ومعها فصيل لها، فلما خرج كليب غاضباً من قول زوجه جليلة رأى فصيل الناقة فرماه بقوسه فقتله. وعلمت بنو مرة بذلك، فأغمضوا على ما فيه وسكتوا، ثم لقي كليب ابن البسوس فقال له: ما فعل فصيل ناقتكم ؟ فقال: قتلته وأخليت لنا لبن أمه، وأغمضت بنو مرة على هذا أيضاً.

ثم أن كليباً أعاد القول على امرأته فقال: من أعز وائل ؟ فقالت: أخواي ! فأضمرها في نفسه وأسرها وسكت، حتى مرت به إبل جساس وفيها ناقة البسوس، فأنكر الناقة، ثم قال: ما هذه الناقة ؟ قالوا: لخالة جساس. فقال: أو بلغ من أمر ابن السعدية – أي جساس – أن يجير عليّ بغير إذني ؟ ارم ضرعها يا غلام، فأخذ القوس ورمى ضرع الناقة، فاختلط دمها بلبنها.

وراحت الرعاة على جساس فأخبروه بالأمر، وولت الناقة ولها عجيج حتى بركت بفناء البسوس، فلما رأتها صاحت: واذلاه ! فقال لها جساس: اسكتي فلك بناقتك ناقة أعظم منها، فأبت أن ترضى حتى صاروا لها إلى عشر، فلما كان الليل أنشأت تقول – بخطاب سعداً أخا جساس وترفع صوتها تسمع جساساً:



يا أبا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل... فإني في قوم عن الجار أموات
ودونك أذوادي إليك فإنني... محاذرة أن يغدروا ببنياتي
لعمرك لو أصبحت في دار منقذ... لما ضم سعد وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دار معشر... متى يعد فيها الذئب يعدو وعلى شاتي

فلما سمعها جساس قال لها: اسكتي لا تراعي: إني سأقتل جملاً أعظم من هذه الناقة، سأقتل غلالاً - وهو فحل إبل كليب لم ير في زمانه مثله، وإنما أراد جساس بمقالته كليباً -.

ثم ظعن ابنا وائل بعد ذلك، فمرت بكر على نهى - أي غدير - يقال له شبيث ، فنفاه، كليب عنه وقال : لا يذوقون منه قطرة ، ثم مروا على نهى آخر يقال له الأحص ، فنفاهم عنه وقال : لا يذوقون منه قطرة ، ثم مروا على بطن الجريب - واد عظيم - فمنعهم إياه ، فمضوا حتى نزلوا الذنائب ، واتّبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليه ، فمر عليه جساس ومعه ابن عمه عمرو بن الحارث بن ذهل ، وهو واقف على غدير الذنائب ، فقال له : طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشا ! فقال كليب : ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون. فقال له : هذا كفعلك بناقة خالتي ، فقال له : أوقد ذكرتها أما إني لو وجدتها في غير إبل مرة لا ستحللت تلك الإبل بها ، أتراك مانعي أن أذب عن حماي ، فعطف عليه جساس فرسه فطعنه برمح فأنفذ حضني - الحضن مادون الإبط إلى الكشح.

فلما تداءمه الموت قال: يا جساس ، اسقني من الماء. فقال : ما علقت استسقاءك الماء منذ ولدتك أمك إلا ساعتك هذه. فالتفت إلى عمرو وقال له: يا عمرو ، أغثني بشربة ماء ، فنزل إليه وأجهز عليه .

وأمال جساس يده بالفرس حتى انتهى إلى أهله على فرسه يركضه ، وقد بدت ركبتاه ، ولما رأته أخته قالت لأبيها : إن ذا لجساس آتى كاشفاً ركبتاه ، فقال : والله ما خرجت ركبتاه إلا لأمر عظيم.



فلما جاء جساس قال له : ما وراءك يا بني ؟ قال : ورائي أني قد طعنت طعنة لتشغلن بها شيوخ وائل زمنا. قال: وماهي ؟ لأمك الويل أقتلت كليبا؟ فقال : نعم، فقال أبوه : إذن نسلمك بجريرتك ، ونريق دمك في صلاح العشيرة ، والله لبئس ما فعلت ! فرقت جماعتك، وأطلت حربها ، وقتلت سيدها في شارف من الإبل ، والله لا تجتمع وائل بعدها ، ولا يقوم لها عماد في العرب ، ولقد وددت أنك وإخوتك كنتم متم قبل هذا ، ما بي إلا أن تتشاءم بي أبناء وائل ، فأقبل قوم مرة عليه وقالوا : لا تقل هذا ولا نفعل فيخذلوه وإياك ، فأمسك مرة .

ولما قتل كليب اجتمع نساء الحي للمأتم، فقلن لأخت كليب: رحلي جليلة من مأتمك ، فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب ، فقالت لها : يا هذه ، اخرجي عن مأتمنا ، فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا ، فخرجت وهي تجر أعطافها ، فقالت لها أخت كليب : رحلة المعتدي وفراق الشامت ، ويل غداً لآل مرة، من السكرة بعد السكرة، فبلغ قولها جليلة فقالت : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها ،أسعد الله جد أختي ، أفلا قالت : نفر الحياء ، وخوف الاعتداء .

ولما ذهبت إلى أبيها مرة قال لها: ما وراءك يا جليلة ؟ فقالت: ثكل العدد وحزن الأبد ، وفقد حليل ، وقتل أخ عن قليل ، وبين ذين غرس الأحقاد ، وتفتت الأكباد، فقال لها : أو يكف ذلك كرم الصفح وإغلاء الديات ؟ فقالت: أمنية مخدوع ورب الكعبة أبا لبدن تدع لك تغلب دم ربها.

وكان همام بن مرة ينادم المهلهل أخا كليب وعاقده ألا يكتمه شيئاً. فلما ظعن مره بأهله أرسل إلى ابنه همام فرسه مع جارية ، وأمره أن يظعن ويلحق بقومه. وكانا جالسين، فمر جساس يركض به فرسه مخرجاً فخذيه، فقال همام : إن له لأمراً ، والله ما رأيته كاشفاً فخذيه قط في ركض ، ولم يلبث إلا قليلاً حتى انتهت الجارية إليهما ، وهما معتزلان في جانب الحي. فوثب همام إليها، فسارته أن جساساً قتل كليباً، وأن أباه



قد طعن مع قومه، فأخذ همام الفرس وربطه إلى خيمته ورجع ، فقال له المهلهل : ما شأن الجارية والفرس ؟ وما بالك ؟ فقال: اشرب ودع عنك الباطل، قال: وما ذاك ؟ فقال: زعمت أن جساساً قتل كليباً، فضحك المهلهل، وقال: همة أخيك أضعف من ذلك، فسكت. ثم أقبلا على شرابهما ، فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن ، وهمام يشرب شرف الخائف ، ولم تلبث الخمر أن صرعت مهلهلا ، فانسل همام وأتى قومه من بني شيبان ، وقد قوضوا الخيام ، وجمعوا الخيل والنعم ، ورحلوا حتى نزلوا بما يقال له النهى.

ورجع المهلهل إلى الحيي سكران ، فرآهم يعقرون خيولهم ، ويكسرون رماحهم وسيوفهم ، فقال : ويحكم ما الذي دهاكم ؟ فلما أخبروه الخبر قال : لقد ذهبتم شر مذهب ، أتعقرون خيولكم حين احتجتم إليها ؟ وتكسرون سلاحكم حين افتقرتم إليه. فانتهوا عن ذلك، ورجع إلى النساء فنهاهن عن البكاء وقال: استبقين للبكاء عيوناً تبكى إلى آخر الأبد.

ولما أصبح غدا إلى أخيه فدفنه، وقام على قبره يرثيه ، وما زال المهلهل يبكي أخاه ويندبه ، ويرثيه بالأشعار ، وهو يجتزئ بالوعيد لبني مرة، حتى يئس قومه ، وقالوا : إنه زير نساء ، وسخرت منه بكر ، وهمت بنو مرة بالرجوع إلى الحمى ، وبلغ ذلك المهلهل فانتبه للحرب ، وشمر ذراعيه ، وجمع أطراف قومه ، ثم جز شعره ، وقصر ثوبه ، وآلى على نفسه ألا يهتم بلهو ولا يشم طيباً ، ولا يشرب خمراً، ولا يدهن بدهن حتى يقتل بكل عضو من كليب رجلاً من بنى بكر بن وائل.

وحث بني تغلب على الأخذ بالثأر ، فقال له أكابر قومه : إننا نرى ألا تعجل بالحرب حتى نعذر إلى إخواننا ، فبالله ما تجدع بحرب قومك إلا أنفك ، ولا تقطع إلا كفك ! فقال: جدعه الله أنفاً ، وقطعها كفاً ، والله لا تحدثت نساء تغلب أني أكلت لكليب ثمناً ولا أخذت له دية ، فقالوا : لا بد أن تغض طرفك وتخفض جناحك لنا ولهم ، فكره المهلهل أن يخالفهم فينفضوا من حوله ، فقال: دونكم ما أردتم.



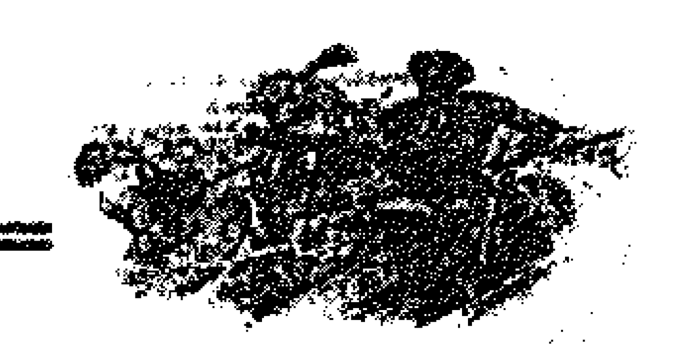
وانطلق رهط من أشرافهم وذوي أسنانهم حتى أتوا مرة بن ذهل فعظموا ما بينهم وبينه، وقالوا له: إنكم أتيتم أمراً عظيماً بقتلكم كليباً بناب من الإبل، وقطعتم الرحم، ونحن نكره العجلة عليكم دون الإعذار، وإننا نعرض عليكم إحدى ثلاث، لكم فيها مخرج ولنا مرضاة.

إما أن تدفعوا إلينا جساساً فنقتله بصاحبنا، فلم يظلم من قتل قاتله ، وإما أن تدفعوا إلينا هماماً فإنه ند لكليب ، وإما أن تقيدنا من نفسك يا مرة ، فإن فيك رضا القوم.

فسكت وقد حضرته وجوه بنى بكر بن وائل فقالوا: تكلم غير مخذول ، فقال: أما جساس فغلام حديث السن ركب رأسه، فهرب حين خاف ، فوالله ما أدري أي البلاد انطوت عليه . وأما همام فأبو عشرة وأخو عشرة، ولو دفعته إليكم لصيح بنوه في وجهي وقالوا: دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره. وأما أنا فلا أتعجل الموت ، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ! لكن هل لكم في غير ذلك ؟ هؤلاء بنيّ فدونكم أحدهم فاقتلوه ، وإن شئتم فلكم ألف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل. فغضبوا وقالوا : إنا لم نأتك لترذل لنا بنيك ، ولا لتسومنا اللبن. ورجعوا فأخبروا المهلهل، فقال: والله ما كان كليب بجزور نأكل له ثمناً.

واعتزلت قبائل من بكر الحرب ، وكرهوا مساعدة بني شيبان ومجامعتهم على قتال إخوتهم ، وأعظموا قتل جساس كليباً بناب من الإبل ، فظعنت عجل عنهم ، وكفت يشكر على نصرتهم ، ودعت تغلب النمر من قاسط فانضمت إليها ، وصاروا يداً معهم على بكر ، ولحقت بهم عقيل بنت ساقط.

وكان الحارث بن عباد بن ضبيعة من قيس بن ثعلبة من حكام بكر وفرسانها المعدودين، فلما علم بمقتل كليب أعظمه ، واعتزل بأهله وولد إخوته وأقاربه ، وحل وتر قوسه ، ونزع سنان رمحه.



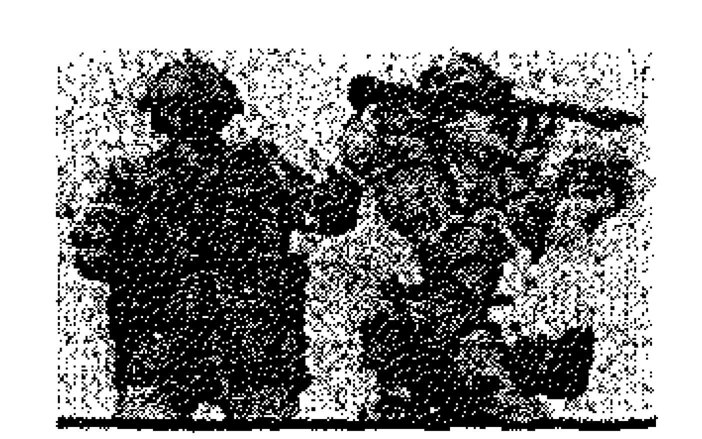
ووقعت الحرب بين الحيين، وكانت وقعات مزاحفات يتخللها مغاورات، وكان الرجل يلقى الرجل والرجلان والرجلين هكذا ، وأول وقعة كانت على ماء لهم يقال له النهى كان بنو شيبان نازلين عليه ، ورئيس تغلب المهلهل ورئيس شيبان الحارث بن مرة فكانت الدائرة لتغلب ، وكانت الشوكة في شيبان ، واستحر القتال فيهم ، إلا أنه لم يقتل ذلك اليوم أحد من بني مرة.

ثم التقوا بالذنائب فظفرت بنو تغلب ، وقتلت بكر مقتلة عظيمة ، ثم التقوا بواردات فظفرت بنو تغلب ، وكان جساس بن مرة وغيره طلائع قومهم وأبو نويرة التغلبي طلائع قومهم أيضاً ، فالتقوا بعض الليالي فقال له أبو نويرة : إختر إما الصراع أو الطعان ، أو المسايفة – أي التضارب بالسيوف- ، فاختار جساس الصراع فاصطرعا ، وأبطأ كل واحد منهما على أصحاب حيه ، وطلبوهما فأصابوهما وهما يصطرعان ، وقد كاد جساس يصرعه ففرقوا بينهما.

ثم التقوا بعنيزة فتكافأ الحيان، ثم التقوا بالقصيبيات وكانت الدائرة على بكر ، وقتل في ذلك اليوم همام بن مرة أخو جساس ، فمر به مهلهل مقتولاً فقال له : والله ما قتل بعد كليب قتيل أعز عليّ فقداً منك.

ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة، كل ذلك كانت الدائرة فيها لبني تغلب، ثم إن تغلب جعلت جساساً أشد الطلب، فقال له أبوه مرة: الحق بأخوالك بالشام، فامتنع، فألح عليه أبوه فسيره سراً في خمسة نفر ، وبلغ الخبر مهلهل ، فندب أبا نويرة ومعه ثلاثون رجلاً من شجعان أصحابه ، فساروا مجدين، فأدركوا جساساً فقاتلهم ، فقتل أبو نويرة وأصحابه ولم يبق منهم غير رجلين ، وجرح جساس جرحاً شديداً مات منه ، وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضاً، فعاد كل واحد من السالمين إلى أصحابه.

فلما سمع مرة بقتل ابنه جساس قال: إنما يحزنني أن كان لم يقتل منهم أحداً، فقيل له: إنه قتل بيده أبا نويرة رئيس القوم، وقتل معه خمسة عشر رجلاً ما شركه أحد منا في قتلهم، وقتلنا نحن الباقين، فقال: ذلك مما يسكن قلبي عن جساس.



فلما قتل جساس أرسل أبوه مرة إلى مهلهل: إنك قد أدركت ثأرك وقتلت جساساً فاكفف عن الحرب، ودع اللجاج والإسراف، فهو أصلح للحيين وأنكأ لعدوهم، فلم يجب إلى ذلك.

ثم إن بني بكر اجتمعوا إلى الحارث بن عباد، وقالوا له: قد فني قومك ! فأرسل بجيراً ابن أخيه إلى مهلهل وقال له: قل له: إني قد اعتزلت قومي لأنهم ظلموك، وخليتك وإياهم ، وقد أدركت ثأرك وقتلت قومك. فأتاه بجبر فهمّ المهلهل بقتله ، فقال له امرؤ القيس بن أبان – وكان من أشراف بنى تغلب وكان على مقدمتهم زمناً – : لا تفعل ، فوالله لئن قتله ليقتلن به منكم كبش ، لا يسأل عن خاله من هو ؟ وإياك أن تحقر البغي ، فإن عاقبته وخيمة ، وقد اعتزلنا عمه وأبوه وأهل بيته. فأبى مهلهل إلا قتله، فطعنه بالرمح وقتله وقال له: (بؤ بشسع نعل كليب)! فلما بلغ قتله الحارث – وكان من أحلم أهل زمانه وأشدهم بأساً– قال: نعم القتيل قتيل أصلح بين ابني وائل ! فقيل له: إنما قتله بشسع نعل كليب، فلم يقبل ذلك.

وأرسل الحارث إلى مهلهل: إن كنت قتلت بجير بكليب، وانقطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسي بذلك. فأرسل إليه مهلهل: إنما قتلته بشسع نعل كليب ! فغضب الحارث ودعا بفرسه – وكانت تسمى النعامة – فجز ناصيتها وهلب ذنبها– الهلب: الشعر كله وقيل في الذنب وحده

ثم ارتحل الحارث مع قومه، حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل، وعليهم يومئذ الحارث بن همام، فقال الحارث بن عباد له : إن القوم مستقلون قومك ، وذلك زادهم جرأة عليكم ، فقاتلهم بالنساء ، قال له الحارث بن همام : وكيف قتال النساء ؟ فقال : قلد كل امرأة إداوة من ماء ، وأعطها هراوة ، واجعل جمعهن من ورائكم ، فإن ذلكم يزيدكم اجتهاداً ، وعلموا قومكم بعلامات يعرفنها ، فإذا مرت امرأة على صريع منكم



عرفته بعلامته فسقته من الماء ونعشته ، وإذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته ، وأتت عليه.

فأطاعوه، وحلقت بنو بكر يومئذ رؤوسها، استبسالاً للموت ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسائهم ، وقال جحدر بن ضبيعة- وإنما سمي جحدراً لقصره - : لا تحلقوا رأسي ، فإني رجل قصير ، ولا تشينوني ، ولكن أشتريه منكم بأول فارس. يطلع عليكم من القوم، فطلع ابن عناق فشد عليه فقتله.

واقتتل الفرسان قتالا شديداً، وانهزمت بنو ثغلب ، ولحقت بالظعن بقية يومها وليلتها ، واتبعهم سرعان بكر بن وائل، وتخلف الحارث بن عباد ، فقال لسعد بن مالك : أتراني ممن وضعته الحرب ! فقال : لا، ولكن لا مخبأ لعطر بعد عروس.

وأسر الحارث مهلهلاً بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه، فقال له: دلني على المهلهل. قال: ولي دمي ؟ فقال: ولك دمك، قال: ولى ذمتك وذمة أبيك ؟ قال: نعم ، ذلك لك. قال المهلهل- وكان ذا رأي ومكيدة- : فأنا مهلهل خدعتك عن نفسي ، والحرب خدعة، فقال : كافئني بما صنعت لك بعد جرمك ودلني على كفء لبجير ، فقال : لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان ، هذاك علمه. فجز ناصيته وأطلقه ، وقصد امرئ القيس فشد عليه فقتله .

فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والأسر إلى أهله جعل النساء والولدان يستخبرونه: تسأل المرأة عن زوجها وابنها وأخيها، والغلام عن أبيه وأخيه ،ثم إن مهلهلاً قال لقومه : قد رأيت أن تبقوا على قومكم ، فإنهم يحبون صلاحكم ، وقد أتت على حربكم أربعون سنة ، وما لمتكم على ما كان من طلبكم ، فلو مرت هذه السنون في رفاهية عيش لكانت تمل من طولها ، فكيف وقد فني الحيان وثكلت الأمهات ويتم الأولاد ، ورب نائحة لا تزال تصرخ في النواحي ، ودموع لا ترقأ ، وأجساد لا تدفن ،

وسيوف مشهورة ، ورماح مشرعة ، وإن القوم سيرجعون إليكم غداً بمودتهم ومواصلتهم ، وتتعطف الأرحام حتى تتواصوا ، أما أنا فما تطيب نفسي أن أقيم فيكم، ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل كليب، وأخاف أن أحملكم على الاستئصال ، وأنا سائر عنكم إلى اليمن.

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن، فخطب إليه أحدهم ابنته فأبى أن يفعل، فأكرهوه وساقوا إليه أدَماً في صداقها فأنكحها إياه ، وكان قد بلغ قبائل بكر وتغلب زواج سليمى في مذحج ، وكان بين القومين منافسة ونفور، فغضبوا وأنفوا، وقصدوا بلاد القوم فأخذوا المرأة وأرجعوها إلى أبيها بعد أن أسروا زوجها.

وملت جموع تغلب الحرب فصالحوا بكراً، ورجعوا إلى بلادهم ، وتركوا الفتنة ، ولم يحضر المهلهل صلحهم ، ثم اشتاق إلى أهله وقومه ، ولجت عليه ابنته سليمي بالمسير إلى الديار ، فأجابها إلى ذلك ، ورجع نحو قومه ، حتى قرب من قبر أخيه كليب ، وكانت عليه قبة رفيعة ، فلما رآه خنقته العبرة ، وكان تحت بغل نجيب، فلما رأى البغل القبر في غلس الصبح نفر منه هارباً ، فوثب عنه المهلهل ، وضرب عرقوبيه بالسيف ، وسار بعد ذلك حتى نزل في قومه زماناً ، وما وكده – أي قصده – إلا الحرب ، ولا يهم بصلح ، ولا يشرب خمراً ، ولا يلهو بلهو ، ولا يحل لأمته ، ولا يغتسل بماء ، حتى كان جليسه يتأذى منه من رائحة صدأ الحديد.

فلما كان ذات يوم دخل عليه رجل من تغلب اسمه ربيعة بن الطفيل، وكان له نديماً، فلما رأى ما به قال : أقسمت عليك أيها الرجل لتغتسلن بالماء البارد ، ولتبلن ذوائبك بالطيب ! فقال المهلهل: هيهات ! هيهات ! يا بن الطفيل ، هبلتني إذا يميني ، وكيف باليمين التي آليت ! كلاً أو أقضي من بكر أربى ، ثم تأوه وزفر .

ونقض الصلح، وعادت الحرب، ثم إن المهلهل أغار غارة على بني بكر، فظفر به عمرو بن مالك أحد بني قيس بن ثعلبة، فأسره وأحسن إساره، فمر عليه تاجر يبيع الخمر - وكان صديقاً للمهلهل - فأهدى إليه وهو أسير زقاً من خمر، فاجتمع شبان من قيس بن ثعلبة ونحروا عنده بكراً، وشربوا عند مهلهل في بيته الذي أفرد له ، فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بشعر ناح فيه على أخيه.

فلما سمع عوف ذلك غاظه وقال: لا جرم إن الله على نذراً، إن شرب عندي قطرة ماء ولا خمر حتى يورد الخضير - أي لا يشرب شيئاً قبل خمسة أيام -، فقال له أناس من قومه: بئس ما حلفت ! فبعثوا الخيول في طلب البعير فأتوا به بعد ثلاث أيام، وكان المهلهل مات عطشاً

***

حرب داحس و الغبراء

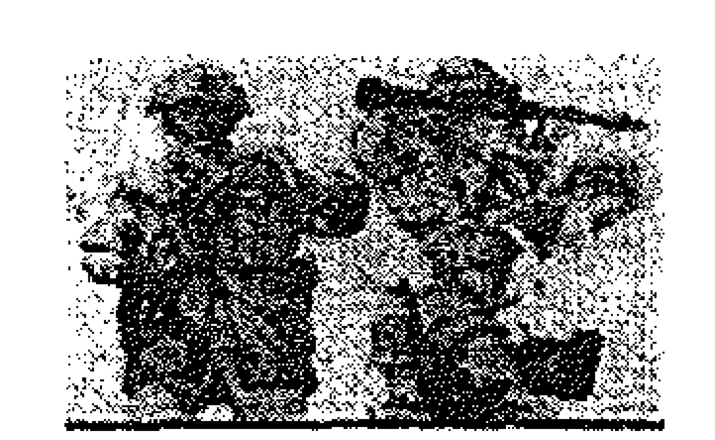
وكانت بين عبس وذبيان، وكانت الحرب بينهما سجالاً وانتهت بصلح، وداحس والغبراء: اسما فرسين لقيس بن زهير، وتشتمل هذه الحرب أيام المريقب وذي حساء واليعمرية والهباء وفروق وقطن .

سار قيس بن زهير بن جذيمة العبسي إلى المدينة ليتجهز لقتال بني عامر، ويأخذ بثأر أبيه زهير بن جذيمة الذي قتله خالد بن جعفر الكلابي العامري، فأتى أحيحة بن الجلاح يشتري منه درعاً موصوفة، فقال له: لولا أن تذمني بنو عامر لوهبتها لك، ولكن اشترها بابن لبون. ففعل ذلك، وأخذ الدرع وكانت تسمى ذات الحواشي ووهبه أحيحة أدراعاً أخرى، وعاد إلى قومه، وقد فرغ من جهازه.

واجتاز بالربيع بن زياد العبسي، ودعاه إلى مساعدته على الأخذ بثأر أبيه، فأجابه إلى ذلك. ولما أراد فراقه نظر الربيع إلى عيبته وقال له: ما في حقيبتك ؟ فقال: متاع عجيب، لو أبصرته لراعك. وأناخ راحلته، وأخرج الدرع من الحقيبة، فأبصرها الربيع فأعجبته، ولبسها فكانت في طوله، فمنعها من قيس ولم يعطه إياها، وترددت الرسل بينهما في ذلك، ولج قيس في طلبها، ولج الربيع في منعها.

فلما طالت الأيام على ذلك سير قيس أهله إلى مكة، وأقام ينتظر غرة الربيع، ثم إن الربيع سير إبله وأمواله إلى مرعى كثير الكلأ، وأمر أهله فظعنوا، وركب فرسه وسار إلى المنزل.

ولما بلغ الخبر قيساً سار إلى أهله وإخوته، فعارض ظعائن الربيع ، فوجد فيها أم الربيع فاطمة بنت الخرشب الأنمارية ، فاقتاد جملها ، يريد أن يرتهنها بالدرع حتى ترد إليه ، فقالت له : ما تريد يا قيس ؟ فقال : أذهب بكن إلى مكة ، فأبيعكن بها بدرعي ؟ فقالت : ما رأيت كاليوم فعل رجل ! أي قيس، ضل حلمك، أترجو أن



تصطلح أنت وبنو زياد، وقد أخذت أمهم، فذهبت بها يميناً وشمالاً، فقال الناس في ذلك ما شاءوا، وحسبك من شر سماعه.

فعرف قيس ما قالت له، فخلى سبيلها، وأطرد الإبل، وسار بها إلى مكة، فباعها من عبد الله بن جدعان القرشي، واشترى بها خيلاً، وتبعه الربيع فلم يلحقه، فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء.

ثم إن قيس بن زهير أقام بمكة، فكان أهلها يفاخرونه - وكان فخوراً- ، فقال لهم: نحوا كعبتكم عنا وحرمكم، وهاتوا ما شئتم، فقال له عبد الله بن جدعان: إذا لم نفاخرك بالبيت المعمور ، والحرم الآمن فبم نفاخرك ؟ فمل قيس مفاخرتهم وعزم على الرحلة ، وسر ذلك قريشاً ، لأنهم قد كانوا كرهوا مفاخرته ،فقال لإخوته : ارحلوا بنا من عندهم أولاً وإلا تفاقم الشر بيننا وبينهم ، والحقوا ببني بدر بن فزارة ، فإنهم أكفاؤنا في الحسب ، وبنو عمنا في النسب ، وأشراف قومنا في الكرم ، ومن لا يستطيع الربيع أن يتناولنا معهم ، ثم لحق ببني بدر.

وأجاره حذيفة بن بدر، وأخوه حَمَل بن بدر، فأقام فيهم ، وكان معه أفراس له ولإخوته لم يكن في العرب مثلها، وكان حذيفة يغدو ويروح إلى قيس ، فينظر إلى خيله ، فيحسده عليها ، ويكتم ذلك في نفسه.

وأقام قيس فيهم زماناً يكرمونه وإخوته، ولما علم بذلك الربيع بن زياد غضب ونقم منهم ذلك، ولكن بنى بدر لم يتغيروا عن جوار قيس، فغضب الربيع، وغضبت بنو زياد لغضبه.

ثم إن حذيفة كره قيساً، وأراد إخراجه عنهم فلم يجد حجة، وعزم قيس على العمرة، فقال لأصحابه: إني قد عزمت على العمرة، فإياكم أن تلابسوا حذيفة بشيء، واحتملوا كل ما يكون منه حتى أرجع، فإني قد عرفت الشر في وجهه، وليس يقدر

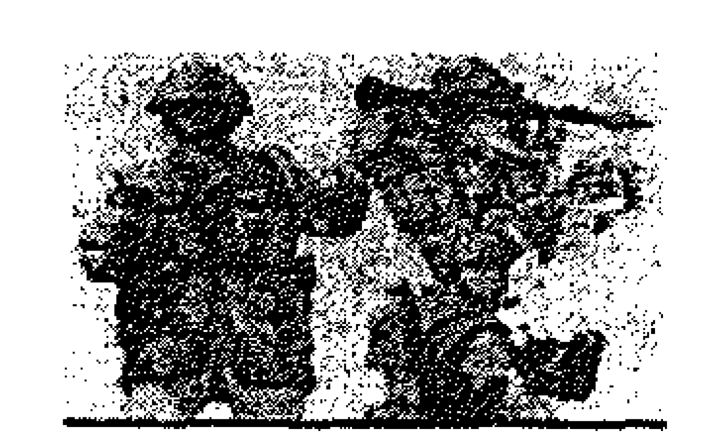


على حاجته منكم إلا أن تراهنوه على الخيل ، وكان قيس ذا رأى لا يخطئ فيما يريده، ثم صار يريد مكة.

زار الورد العبسى حذيفة بن بدر فعرض عليه حذيفة خيله، فقال: ما أرى فيها جواداً مبِرّاً فقال له حذيفة: فعند من الجواد المبر ؟ فقال: عند قيس بن زهير، فقال له : هل لك أن تراهنني عليه ؟ قال : نعم ، قد فعلت. فراهنه على ذكر من خيله وأنثى. ثم إن ورداً العبسى أتى قيس بن زهير وقال: إني قد راهنت على فرسين من خيلك ذكر وأنثى، وأوجبت الرهان، فقال: ما أبالي من راهنت غير حذيفة، فقال: ما راهنت غيره ! فقال قيس: إنك ما علمت لأنكد !

ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة فوقف عليه، فقال له حذيفة: ما غدا بك ؟ فقال: غدوت لأواضعك الرهان، فقال حذيفة: بل غدوت لتغلقه، فقال قيس: ما أردت ذلك، فأبى حذيفة إلا الرهان، فقال قيس: أخيرك ثلاث خلال، فإن بدأت واخترت قبلي، فلي خلتان ولك الأولى، وإن بدأت فاخترت قبلك، فلك خلتان ولي الأولى. قال حذيفة: فابدأ، قال قيس: الغاية من مائة غلوة -[الغلوة: الرمية بالنشابة]، قال حذيفة: فالمضمار أبعون ليلة، والمجرى من ذات الإصاد [ذات الإصاد: ردهة بين أجبل في ديار عبس، والردهة: نقير في حجر يجتمع فيها الماء]. ففعلا ووضعا السبق على يدي أحد بنى ثعلبة بن سعد.

ثم ضمروا الخيل، فلما فرغوا استقبل الذي ذرع الغاية بينهما من ذات الإصاد وهي ردهة وسط هضب القليب فانتهي الذرع إلى مكان ليس له اسم. فقادوا الخيل إلى الغابة وجعلوا السابق الذي يرد ذات الإصاد، وأجرى قيس داحساً والغبراء، وحذيفة الخطّار والحنفاء. وملئوا البركة ماء، وجعلوا السابق أول الخيل يكرع فيها. وأقام حذيفة رجلاً من بنى أسد في الطريق، وأمره أن يلقى داحساً في الطريق فإن جاء سابقاً ردوا وجهه عن الغابة.



ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى ينظران إلى الخيل كيف خروجها منه، فلما أرسلت عارضاها، فقال حذيفة: خدعتك يا قيس، فقال قيس: ترك الخداع من أجرى من مائة. ثم ركضا ساعة، فجعلت خيل حذيفة تسبق خيل قيس، فقال حذيفة: سبقت يا قيس. فقال قيس: جرى المَذَكّيات غلاب.

فلما أرسلت الخيل سبقها داحس سبقاً بيناً والناس ينظرون، فلما هبط داحس في الوادي عارضه الأسدي فلطم وجهه فألقاه في الماء، فكاد يغرق هو وراكبه ولم يخرج إلا وقد فاتته الخيل. وأما راكب الغبراء فإنه خالف طريق داحس لما رآه قد أبطأ، ثم عاد إلى الطريق، واجتمع مع فرسي حذيفة ، ثم سقطت الحنفاء وبقي الخطار والغبراء.

ثم إن الغبراء جاءت سابقة، وتبعها الخطار، ثم الحنفاء، ثم جاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رسله، وأخبر الغلام قيساً بما صنع بفرسه. فأنكر حذيفة ذلك، وادعى السبق ظلماً، وقال: جاء فرساي متتاليين.

ومضى قيس وأصحابه حتى نظروا إلى القوم الذين ضربوا داحساً، وجاءه الأسدي نادماً على ضرب داحس، واعترف لقيس بما صنع، وبما أمره به حذيفة. فرجع قيس وأصحابه إلى حذيفة وأصحابه وقال: يا قوم إنه لا يأتي قوم إلى قومهم شراً من الظلم، فأعطونا حقنا، فأبت بنو فزارة أن يعطوهم شيئاً، وكان الخطر[أي السباق يتراهن عليه] عشرين من الإبل، فقالت بنو عبس: أعطونا بعض سبقنا فأبوا، فقالوا: أعطونا جزوراً ننحرها ونطعمها أهل الماء، فإن نكره القالة في العرب، فقال رجل من فزارة: مائة جزور وجزور واحدة سواء، والله ما كنا لنقر لكم بالسبق علينا، ولم نُسبق.
فقام رجل من بني مازن بن فزارة فقال: يا قوم، إن قيساً كان كارهاً لأول هذا الرهان وقد أحسن في آخره ، وإن الظلم لا ينتهي إلا إلى شر ، فأعطوه جزوراً من نعمكم ، فأبوا ، فقام إلى جزور من إبله ، فعقلها ليعطيها قيساً ويرضيه ، فقام ابنه فقال : إنك لكثير الخطأ ، أتريد أن تخالف قومك، وتلحق بهم خزية بما ليس عليهم ، وأطلق



الغلاء عقالها ، فلحقت بالنعم. فلما رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم ومـن معـه من بني عبس.

ثم إن حذيفة لج في ظلمه، وأرسل إلى قيس ابنه ندبـة يطالبـه بالـسبق، فلـم يصادفه، فقالت له امرأته: ما أحب أنك صـادفت قيـساً. فرجـع إلى أبيـه فـأخبره بـما قالت. فقال: والله لتعودن إليه. ورجع قـيس فأخبرتـه امرأتـه الخبر، فأخـذت قـيس زفرات. ولم ينشب ندبة أن رجع إلى قيس، فقال: يقـول أبي: أعطنـي سـبقي ، فتنـاول قيس الرمح فطعنه فدق صلبه ، وعادت فرسه إلى أبيه عاثرة ، ونـادى قـيس : يـا بنـى عبس ، الرحيل ! فرحلوا كلهم.

ولما أتت الفرس حذيفة علم أن ولده قتل، فصاح في النـاس، وركـب فـيمن معه، وأتى منازل بنى عبس فرآها خالية، ورأى ابنه قتيلاً، فنزل إليه، وقبله بـين عينيـه ودفنوه. واجتمع الناس، فاحتملوا دية ندبـة مائـة عـشراء، فقبـضها حذيفـة وسـكن الناس.

وكان مالك بن زهير أخو قيس متزوجاً في فزارة وهو نازل فيهم، فأرسل إليه قيس: إني قد قتلت ندبة بن حذيفة ورحلت، فالحق بنا وإلا قتلت، فلم يجبه وقال: إنما ذنب قيس عليه.

ثم إن قيساً أرسل إلى الربيع بن زياد يطلب منه العود وإليه والمقام معه، إذ هم عشيرة وأهل، فلم يجبه ولم يمنعه، وظل مفكراً في ذلك.

وعاد حذيفة بن بدر فدس لمالك بن زهير فرساناً على أفراس من مسان خيله وقال: لا تنتظروا مالكاً إن وجدتموه أن تقتلوه، فانطلق القوم وقتلوه.

ولما بلغ عبساً مقتل مالك بن زهير جزعت عليه، وأتت بنـو جذيمـة حذيفـة فقال بنو مالك بن زهير لمالك بن حذيفة: ردوا علينا ما لنا. فأشار سنان بن أبي حارثـة على حذيفة ألا يرد أولادها معها، وأن يـرد المائـة بأعيانهـا، فقـال حذيفـة: أرد الإبـل بأعيانها ولا أرد النسل، فأبوا أن يقبلوا ذلك.



وعلم الربيع بن زياد بمقتل مالك بن زهير، فجزع عليه، وأرسل إلى قيس عيناً بأتيه بالخبر، فرجع العين إلى الربيع فأخبره بما قال قيس، فبكى الربيع على مالك.

ولما علم قيس بجزع الربيع ركب هو وأهله، وقصدوا الربيع بن زياد، وهو يصلح سلاحه، فنزل إليه قيس، وقام الربيع فاعتنقا وبكيا، وأظهرا الجزع لمصاب مالك، ولقي القوم بعضهم بعضاً فنزلوا، فقال قيس للربيع:إنه لم يهرب منك من لجأ إليك ، ولم يستغن عنك من استعان بك ، وقد كان لك شر يومي ، فليكن لي خير يوميك ، وإنما أنا بقومي وقومي بي ، وقد أصاب القوم مالكاً ، ولست أهم بسوء ، لأني إن حاربت بنى بدر نصرتهم بنو ذبيان ، وإن حاربتني خذلتني بنو عبس ، إلا أن تجمعهم عليّ ، وأنا والقوم في الدماء سواء ، قتلت ابنهم وقتلوا أخي ، فإن نصرتني طمعت فيهم ، وإن خذلتني طمعوا فيّ.

فقال الربيع: يا قيس، إنه لا ينفعني أن أرى لك من الفضل مالا أراه لي ، ولا ينفعك أن ترى لي مالا أراه لك ، وأنت ظالم ومظلوم ، ظلموك في جوادك ، وظلمتهم في دمائهم ، وقتلوا أخاك بابنهم ، فإن يبؤ الدم بالدم ، فعسى أن تلقح الحرب.

وبعث قيس إلى أهله وأصحابه، فجاءوا ونزلوا مع الربيع، وبلغ حذيفة أن الربيع وقيسًا اتفقا، فشق ذلك عليه واستعد للبلاء.

ثم تلاقت جموع بنى ذبيان وعبس واقتتلوا قتالا شديداً، وكانت الشوكة في ذبيان، وقتل منهم عوف بن بدر، وقتل عنترة ضمضم أبو الحصين المري، والحارث بن بدر، وأسر الربيع حذيفة بن بدر، وكان حر بن الحارث العبسى قد نذر إن قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف ، وله سيف قاطع يسمى الأصرم ، فأراد ضربه بالسيف لما أسر وفاء بنذره ، فنهوه عن قتله ، وحذروه عاقبة ذلك ، فأبى إلا ضربه ، فوضعوا عليه الرجال ، فضربه فلم يصنع السيف شيئاً ، وبقى حذيفة أسيراً.



فاجتمعت غطفان وسعوا في الصلح، واصطلحوا على أن يهدروا دم بدر بن حذيفة بدم مالك بن زهير، ويعقلوا عوف بن بدر [أي يؤدوا ديته]، ويعطوا حذيفة عن ضربته التي ضربه حر مائتين من الإبل، وأن يجعلوها عشاراً كلها وأربعة أعبد، وأهدر حذيفة دماء من قُتِل من قومه ذيبان في الوقعة، وأطلق من الأسر.

فلما رجع إلى قومه ندم على ذلك، فساءت مقالته في بنى عبس، وركب قيس بن زهير وعمارة بن زياد فمضيا إلى حذيفة وتحدثا معه، فأجابهما إلى الاتفاق، وأن يرد عليهما الإبل التي أخذ منهما – وكانت توالدت عنده – وبينما هم في ذلك إذ جاءهم سنان بن أبي حارثة المري ، فقبح رأي حذيفة في الصلح ، وقال : إن كنت لا بد فاعلاً فأعطهم إبلا عجافاً مكان إبلهم ، واحبس أولادها ، فوافق ذلك رأى حذيفة ، وأبى قيس وعمارة ذلك.

ثم إن مالك بن بدر – أخو حذيفة – خرج يطلب إبلاً له ، فرماه جندب أحد بنى رواحة بسهم فقتله ، ومن ثم أخذ الشر يعظم بين عبس – ويرأسهم الربيع بن ذبيان – وذيبان – ويرأسهم حذيفة بن بدر – ، وهزمت بنوعبس واتبعتهم بنو ذيبان.

فأشار قيس على الربيع بن زياد أن يماكرهم، وخاف إن قاتلوهم ألا يقوموا لهم، وقال: إنهم ليسوا في كل حين يجتمعون، وحذيفة لا يستنفر أحداً لاقتداره وغلوه، ولكن نعطيهم رهائن من أبنائنا فندفع حدهم عنا، فإنهم لن يقتلوا الولدان ولن يصلوا إلى ذلك منهم مع الذين نضعهم على أيديهم، وإن هم قتلوا الصبيان فهو أهون من قتل الآباء، وكان رأي الربيع مناجزتهم فقال: يا قيس، أملأ جمعهم صدرك ؟

وقال قيس: يا بنى ذيبان، خذوا منا رهائن إلى أن تنظروا، فقد ادعيتم ما تعلم وما لا نعلم ، ودعونا حتى نتبين دعواكم ، ولا تعجلوا إلى الحرب ، فليس كل كثير غالباً ، وضعوا الرهائن عند من ترضون به ونرضاه ، فقبلوا ذلك ، وتراضوا أن تكون



الرهائن عند سبيع بن عمرو (من بنى ثعلبة بن زيد بن ذيبان) ، فمات سبيع وهم عنده ، فلما حضرته الوفاة قال لا بنه مالك : إن عندك مكرمة لا تبيد إن أنت احتفظت بهؤلاء الأغيلمة ، وكأني بك لو قد مت أتاك حذيفة خالك ، فعصر عينيه وقال : هلك سيدنا ، ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه ، فقتلهم ، فلا شرف بعدها ، فإن خفت ذلك فاذهب بهم إلى قومهم.

فلما ثقل سبيع جعل حذيفة يبكى ويقول: هلك سيدنا، فوقع ذلك في قلب مالك، فلما هلك سبيع أطاف حذيفة بابنه مالك فأعظمه، ثم قال له: يا مالك، إني خالك، وإني أسن منك، فادفع إليّ هؤلاء الصبيان ليكونوا عندي إلى أن ننظر في أمرنا فإنه قبيح أن تملك شيئاً، ثم لم يزل به حتى دفعهم إليه باليعمرية.

وأحضر أهل الذين قتلوا فجعل كل يوم يبرز غلاماً فينصبه غرضاً ويرمى بالنبل ثم يقول: ناد أباك، فينادي أباه، حتى يمزقه النبل، ويقول لواقد بن جندب: ناد أباك. فجعل ينادى يا عماه – خلافاً عليهم – ويكره أن يأبس – الأبس : القهر والحمل على المكروه– أباه بذلك ، وقال لابن جنيدب بن عمرو بن عبدالأسلع : ناد جنيبة – وهو لقب أبيه – ، فجعل ينادي : يا عمراه ! باسم أبيه حتى قتل، وقتل أيضاً عتبة بن شهاب بن قيس بن زهير. و لما بلغ ذلك بني عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الديات ، فحملوا عليه الرجال واشتروا السلاح.

ثم خرج قيس في جماعة ، فلقوا ابناً لحذيفة ، ومعه فوارس من ذبيان فقتلوهم ، فجمع حذيفة قومه وسار إلى عبس وهو على ماء يقال له عراعر ، فاقتتلوا وكان الظفر لذبيان ، ورجعت سالمة.

ثم جد حذيفة في الحرب ، وكرهها أخوه حمل بن حذيفة ، وندم على ما كان ، وقال لأخيه في الصلح فلم يجب إلى ذلك ، وجمع الجموع من أسد وذيبان وسائر بطون غطفان وسار نحو بني عبس.



ولما بلغ بني عبس أنهم قد ساروا إليهم تشاوروا بينهم، فقال قيس: أطيعوني فوالله لئن لم تفعلوا لأتكئن على سيفي حتى يخرج من ظهري. قالوا: فإنا نطيعك. فأمرهم فسرحوا السوام والضعاف بليل ، وهو يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك ، ثم ارتحلوا في الصبح وقد مضى سوامهم وضعافهم.

فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيل، فقال قيس: خذوا غير طريق المال – أي غير طريق الإبل–، فإنه لا حاجة للقوم أن يقعوا في شوكتكم، ولا يريدون بكم في أنفسكم شراً من ذهاب أموالكم، فأخذوا غير طريق المال. ولما رأى حذيفة الأثر قال: أبعدهم الله ! وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم ؟ ثم اتبع المال وسارت ظعن بنى عبس والمقاتلة من ورائهم، وتبع حذيفة وبنو ذيبان المال، فلما أدركوه ردّوا أوله على آخره، ولم يفلت منه شيء، وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الإبل، فيذهب بها، ثم تفرقوا واشتد الحر.

فقال قيس بن زهير: يا قوم ، إن القوم قد فرق بينهم المغنم ، فاعطفوا الخيل في آثارهم ، فلم تشعر بنو ذيبان إلا والخيل دوائس – أي يتبع بعضها بعضاً – ، فلم يقاتلهم كبير أحد ، إذ أن همة الرجال من بني ذيبان كانت أن يحرر غنيمته ويمضي بها ، ووضعت بنو عبس فيهم السلاح ، وقتلوا منهم مالك بن سبيع التغلبي سيد غطفان وكثيراً غيره حتى ناشدتهم بنو ذيبان البقية ، وانهزمت ذيبان وحذيفة معهم.

ولم يكن لعبس هم غير حذيفة، فأرسلوا خيلهم مجتهدين في أثره، ثم تبعه قيس بن زهير والربيع بن زياد، وقرواش بن عمرو، وريان بن الأسلع، وشداد بن معاوية وغيرهم، وقال لهم قيس: كأني بالقوم وردوا جفر الهباء ونزلوا فيه، وأنا أعلم أن حذيفة بن بدر إذا احتدمت الوديقة مستنقع في الماء – الوديقة: شدة الحر–.

وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه، فنزل عنه ووضع رجله على حجر مخافة أن يقتص أثره، وعرفوا فرسه فاتبعوه، ومضى حتى استغاث بجفر الهباء وقد اشتد الحر، فرمى بنفسه ومعه حمل بن بدر وجماعة من أصحابه، وقد نزعوا سروجهم وطرحوا سلاحهم، ووقعوا في الماء، وتمعكت دوابهم – أي تمرغت –.

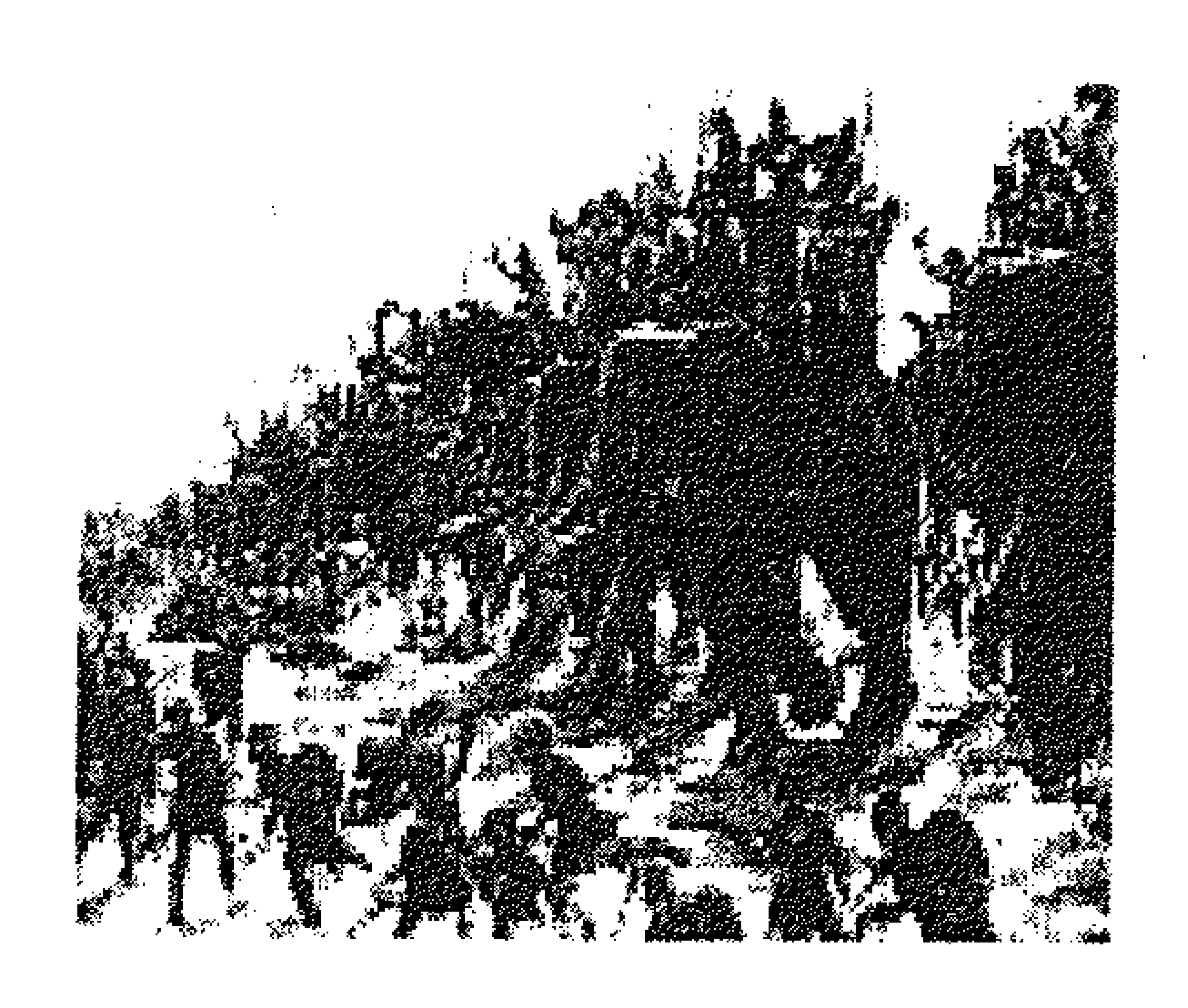
ولما اقترب منهم قيس بن زهير وأصحابه أبصرهم حمل بن بدر فقال لهم: من أبغض الناس أن يقف على رؤوسكم ؟ فقالوا : قيس بن زهير والربيع بن زياد، فقال : هذا قيس بن زهير قد أتاكم ، ولم ينقض كلامه حتى وقف قيس وأصحابه وحالوا بينهم وبين الخيل ، وحمل جنيدب على خيلهم فاطّردها ، واقتحم عمرو بن الأسلع وشداد عليهم في الجند ، وهم ينادون : لبيكم لبيكم ، وقال لهم قيس : كيف رأيتم عاقبة البغي ؟ فقال حذيفة: يا بني عبس: فأين العقول والأحلام ؟ ناشدتك الله والرحم يا قيس: فضربه أخوه حمل بين كتفيه وقال: (اتق مأثور الكلام).

ثم قال حذيفة لقيس: بنو مالك بمالك، وبنو حمل بذي الصبية ونرد السبق، قال قيس: لبيكم لبيكم، قال حذيفة: لئن قتلتني لا تصلح غطفان بعدها أبداً. فقال قيس: أبعدهم الله ولا أصلحها. ثم إن قرواش بن هني جاء من خلف حذيفة، فقال له بعض أصحابه: احذروا قرواشاً وكان قد رباه، فظن أنه سيشكر ذلك له، قال: خلوا بين قرواش وظهري، فنزع له قرواش بمعلبه – وهو نصل طويل عريض – فقصم به صلبه ، وابتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الأسلع فضرباه بسيفهما حتى أجهزا عليه.

وقتل الحارث بن زهير حمل بن بدر، واستبقوا حصن بن حذيفة لصباه

***

معركة القادسية



معركة القادسية هي معركة وقعت في 13 شعبان 15هـ 635م - بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص والفرس بقيادة رستم فرّخزاد في القادسية انتهت بانتصار المسلمين ومقتل رستم.

أسباب المعركة

في عام 15 هـ جمع يزدجرد طاقاته ضد المسلمين، فبلغ ذلك المثنى بن حارثة الشيباني فكتب إلى عمر بن الخطاب فأعلن النفير العام للمسلمين أن يدركوا المسلمين في العراق واجتمع الناس بالمدينة المنورة فخرج عمر معهم إلى مكان يبعد عن المدينة ثلاثة أميال على طريق العراق والناس لايدرون مايريد أن يصنع عمر، واستشار عمر الصحابة في قيادته للجيش بنفسه فقرروا أن يبعث على رأس الجيش رجلاً من أصحاب الرسول ويقيم هو ولا يخرج واستشارهم في من يقود الجيش فأشير إلية بسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

المسير إلى القادسية

أستدعى عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص وكان على صدقات هوازن فولاه الجيش وأمره بالسير ومعه أربعة آلاف ثم أمده بألفي يماني وألفي نجديّ وكان



مع المثنى ثمانية آلاف ومات المثنى قبل وصول سعد وتتابعت الإمدادات حتى صار مع سعد سته وثلاثون ألفاً.

كان منهم تسعة وتسعون بدرياً وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كان له صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك وثلاثمائة ممن شهد الفتح وسبعمائة من أبناء الصحابة فنظم الجيش وجعل على الميمنة عبد الله بن المعتم وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط الكندي وجعل خليفته إذا استشهد خالد بن عرفطة وجعل عاصم بن عمرو التميمي وسواد بن مالك على الطلائع وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة وعلى الرجالة حمال بن مالك الأسدي وعلى الركبان عبد الله بن ذي السهمي وجعل داعيتهم سلمان الفارسي والكاتب زياد بن أبيه وعلى القضاء بينهم عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي.

أما الفرس فقد أجبر يزدجرد رستم على قيادة الجيش الفارسي بنفسه وأرسل سعد وفداً إلى رستم فيهم: النعمان بن مقرن المزني وبسر بن أبي رهم والمغيرة بن شعبة والمغيرة بن زرارة.

وسار رستم وفي مقدمته (الجالينوس) وجعل في ميمنته (الهرمزان) وعلى الميسرة (مهران بن بهرام) ثم سار رستم حتى وصل الحيرة ثم النجف حتى وصل القادسية ومعه سبعون فيلاً.

القتال

وعبر الفرس النهر في الصباح ونظموا جيشهم، ونظم سعد جيشه وحثهم على السمع والطاعة لنائبه خالد بن عرفطة لأن سعداً أصابته دمامل في فخذيه وإليتيه فكان ينام على وجهه وفي صدره وسادة، ويقود المعركة من فوق قصره، وصلى



المسلمون الظهر وكبر سعد التكبيرة الأولى فاستعدوا، وكبر الثانية فلبسوا عدتهم، وكبر الثالثة فنشط الفرسان، وكبر الرابعة فزحف الجميع، وبدأ القتال والتلاحم.

ولما رأت خيل المسلمين الفيلة نفرت وركز الفرس ب (17) فيلاً على قبيلة بجيلة فكادت تهلك، فأرسل سعد إلى بني أسد أن دافعوا عن بجيلة فأبلوا بلاء حسناً وردوا عنهم هجمة الفيلة، ولكن الفيلة عادت للفتك بقبيلة أسد، فنادى سعد عاصم بن عمرو التميمي ليصنع شيئاً بالفيلة، فأخذ رجالاً من قومه فقطعوا حبال التوابيت التي توضع على الفيلة فارتفع عواؤها فما بقي لهم فيل إلا أعري وقتل أصحابه ونفّس عن قبيلة أسد، واقتتل الفريقان حتى الغروب وأصيب من أسد تلك العشية خمسمائة كانوا رِدء للناس وهذا هو اليوم الأول من المعركة ويسمى أرماث وهو الرابع عشر من المحرم.

وفي اليوم الثاني أصبح القوم فوكل سعد بالقتلى والجرحى من ينقلهم وسلم الجرحى إلى النساء ليقمن عليهم، وفي أثناء ذلك طلعت نواصي الخيل قادمة من الشام وكان في مقدمتها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص والقعقاع بن عمرو التميمي، وقسم القعقاع جيشه إلى أعشار وهم ألف فارس وانطلق أول عشرة ومعهم القعقاع فلما وصلوا تبعتهم العشرة الثانية وهكذا حتى تكامل وصولهم في المساء، فألقى بهذا الرعب في قلوب الفرس فقد ظنوا أن مائة ألف قد وصلوا من الشام فهبطت هممهم ونازل القعقاع (بهمن جاذويه) أول وصوله فقتله ولم ير أهل فارس في هذا اليوم شيئاً يعجبهم فقد أكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتل الفرس بالفيلة في هذا اليوم لأن توابيتها قد تكسرت بالأمس فاشتغلوا هذا اليوم بإصلاحها وألبس بعض المسلمين إبلهم فهي مجللة مبرقعة وأمرهم القعقاع أن يحملوا على خيل الفرس يتشبهون بها بالفيلة ففعلوا بهم هذا اليوم وهو يوم أغواث كما فعلت فارس يوم أرماث فجعلت خيل الفرس تفر منها وقاتلت الفرس حتى انتصف النهار فلما اعتدل النهار تزاحفوا

من جديد حتى انتصف الليل فكانت ليلة أرماث تدعى الهدأة وليلة أغواث تدعى السواد.

أصبح القوم لليوم الثالث وبين الصفين من قتلى المسلمين ألفان ومن جريح وميت من الفرس عشرة آلاف، فنقل المسلمون قتلاهم إلى المقابر والجرحى إلى النساء، وأما قتلى الفرس فبين الصفين لم ينقلوا.

وبات القعقاع لاينام فجعل يسرب أصحابه إلى المكان الذي فارقهم فيه بالأمس وقال: إذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة، ففعلوا ذلك في الصباح فزاد ذلك في هبوط معنويات الفرس.

وابتدأ القتال في الصباح في هذا اليوم الثالث وسمي يوم عمواس، والفرس قد أصلحوا التوابيت فأقبلت الفيلة يحميها الرجالة فنفرت الخيل، ورأى سعد الفيلة عادت لفعلها يوم أرماث فقال لعاصم بن عمرو والقعقاع: اكفياني الفيل الأبيض وقال لحمال والربيل: اكفياني الفيل الأجرب، فأخذ الأولان رمحين وتقدما نحو الفيل الأبيض فوضعا رمحيهما في عينيه فنفض رأسه وطرح ساسته ودلى مشفره فضربه القعقاع فوقع لجنبه، وحمل الآخران على الفيل الأجرب فطعنه حمال في عينه فجلس ثم استوى وضربه الربيل فأبان مشفره فأفلت الأجرب جريحاً وولى وألقى نفسه في النهر واتبعته الفيلة وعدت حتى وصلت المدائن، ثم تزاحف الجيشان فاجتلدوا وسميت هذه الليلة ليلة الهرير، وفي هذه الليلة حمل القعقاع وأخوه عاصم والجيش على الفرس بعد صلاة العشاء فكان القتال حتى الصباح، وانقطعت الأخبار عن سعد ورستم فلم ينم الناس تلك الليلة وكان القعقاع محور المعركة.

فلما جاءت الظهيرة كان أول من زال عن مكانه الفيرزان والهرمزان فانفرج القلب وأرسل الله ريحاً هوت بسرير رستم وعلاه الغبار ووصل القعقاع إلى السرير فلم يجد رستم الذي هرب واستظل تحت بغل فوقه حمله فضرب هلال بن علفة التيمي

من بني الرباب الحمل الذي تحته رستم وهو لايعرف بوجوده فهرب رستم إلى النهر فرمى نفسه ورآه هلال فتبعه وارتمى عليه فأخرجه من النهر ثم قتله ثم صعد طرف السرير وقال: قتلت رستم ورب الكعبة إلي إلي.

فانهارت حينئذ معنويات الفرس فانهزموا وعبروا النهر فتبعهم المسلمون يخزونهم برماحهم فسقط من الفرس في النهر ألوفا.

وقتل من المسلمين ليلة الهرير ويوم القادسية ألفان وخمسمائة، ومن الفرس في الليلة نفسها عشرة آلآف ولحق زهرة بن الحوية التميمي الجالينوس فقتله.

***



معركة ذات السلاسل

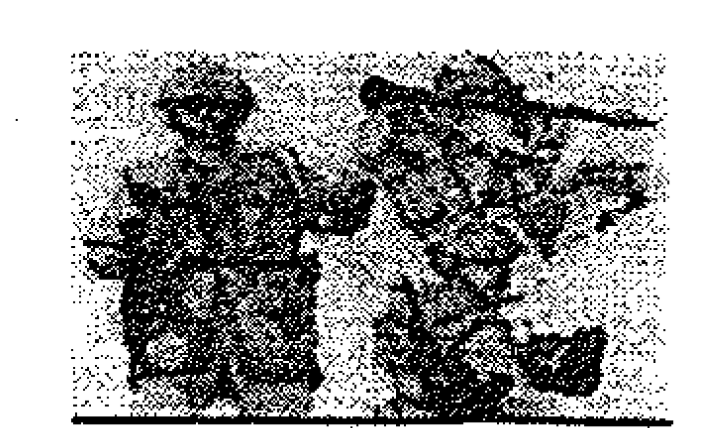
معركة ذات السلاسل هي معركة وقعت في 12هـ بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والفرس بقيادة هرمز انتهت بانتصار المسلمين

الخليفة أبو بكر وأرض العراق

بعد أن انتهى الخليفة 'أبو بكر' من القضاء على حركة الردة التي نجمت بأرض العرب، قرر أن يتفرغ للمهمة الأكبر وهى نشر دين الله بعد أن مهد الجبهة الداخلية، وقضى على هذه الفتنة، وكان 'أبو بكر' يفكر في الجبهة المقترحة لبداية الحملات الجهادية عملاً بقوله عز وجل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [123] سورة التوبة وكانت الدولة الإسلامية تقع بين فكي أقوى دولتين في العالم وقتها، دولة 'الفرس' المجوسية من ناحية الشرق بأرض العراق وإيران، ودولة'الروم' الصليبية من ناحية الشمال بأرض الشام والجزيرة، وكان 'أبو بكر' يفضل الجبهة الشامية على الجبهة العراقية، ولكنه فضل البدء بدولة 'الفرس' لقوتها وشدة بأسها، وأيضاً لكفرها الأصلي، فهي أشد كفراً من دولة 'الروم' الذين هم أهل كتاب، وأخيراً استقر رأى الخليفة على البدء بالجبهة العراقية .

بعد أن انتهى خالد بن الوليد والمسلمين معه من حربه على المرتدين من 'بني حنيفة' أتباع 'مسيلمة الكذاب' جائته الأوامر من الخليفة أبى بكر بالتوجه إلى الأراضي العراقية، مع عدم إكراه أحد من المسلمين على مواصلة السير معه إلى العراق، ومن أحب الرجوع بعد قتال المرتدين فليرجع ،فانفض كثير من الجند، وعادوا إلى ديارهم، ليس خوفاً ولا فراراً من لقاء 'الفرس' ولكن تعباً وإرهاقاً من حرب الردة، فلم يبقى مع 'خالد' سوى ألفين من المسلمين .

[وما قام به 'أبو بكر' هو عين الصواب والبصيرة الثاقبة فإنه لن ينصر دين الله إلا من كان عنده الدافع الذاتي، والرغبة التامة في ذلك، مع الاستعداد البدني والنفسي



لذلك، فمن تعلق بشواغل الدنيا، أو كان خاطره وقلبه مع بيته وأهله لا يصمد أبداً في القتال، كما أن هذا الجهاد جهاد طلب، وهو فرض كفاية كما قال أهل العلم] .

العبقرية العسكرية

وضع الخليفة 'أبو بكر' خطة عسكرية هجومية، تجلت فيها عبقرية 'الصديق' الفذة، حيث أمر قائده 'خالد بن الوليد' أن يهجم على العراق من ناحية الجنوب، وفي نفس الوقت أمر قائداً آخر لا يقل خبرة عن 'خالد بن الوليد' وهو 'عياض بن غنم الفهرى' أن يهجم من ناحية الشمال، في شبه كماشة على العدو، ثم قال لهما : {من وصل منكما أولاً إلى 'الحيرة' واحتلها فهو الأمير على كل الجيوش بالعراق، فأوجد بذلك نوعاً من التنافس الشريف والمشروع بين القائدين، يكون الرابح فيه هو الإسلام } .

كانت أول مدينة قصدها 'خالد بن الوليد' هي مدينة 'الأبلة'، وكانت ذات أهمية استراتيجية كبيرة، حيث أنها ميناء 'الفرس' الوحيد على الخليج العربي، ومنها تأتى كل الإمدادات للحاميات الفارسية المنتشرة بالعراق، وكانت هذه المدينة تحت قيادة أمير فارسي كبير الرتبة اسمه 'هرمز'، وقد اشتق من اسمه اسم المضيق القائم حالياً عند الخليج العربي، وكان رجلاً شريراً متكبراً، شديد البغض للإسلام والمسلمين، وللجنس العربي بأسره، وكان العرب بالعراق يكرهونه بشدة، ويضربون به الأمثال فيقولون : {أكفر من هرمز ، اخبث من هرمز}، فلما وصل 'خالد' بالجيوش الإسلامية هناك، وكان تعداد هذه الجيوش قد بلغ ثمانية عشر ألفاً بعد أن طلب الإمدادات من الخليفة، أرسل برسالة للقائد 'هرمز' تبين حقيقة الجهاد الإسلامي، وفيها أصدق وصف لجند الإسلام، حيث جاء في الرسالة :-

{أما بعد فأسلم تسلم، أو اعتقد لنفسك ولقومك الذمة، وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فلقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة} .

[وهذا أصدق وصف لجند الإسلام، وهو الوصف الذي جعل أعداء الإسلام يهابون المسلمين، وهو النفحة الغالية التي خرجت من قلوب المسلمين، وحل



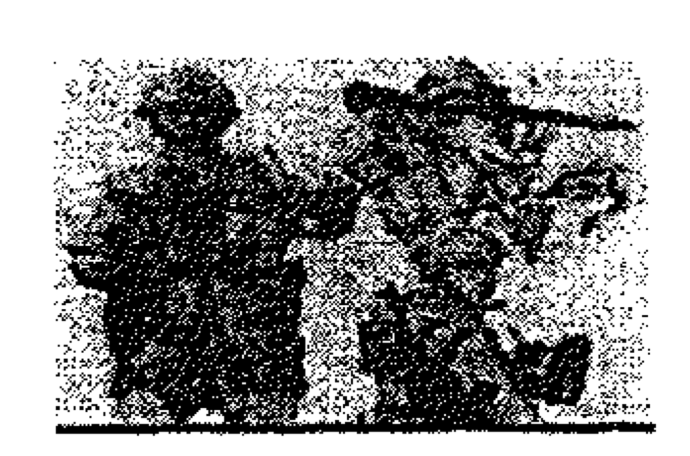
محلها 'الوهن' الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سبب تكالب الأمم علينا، وهو كما عرفه الرسول صلى الله عليه وسلم {حب الدنيا وكراهية الموت}] .

حرب الاستنزاف

'هرمز' يرفض الرسالة الإسلامية التي تدعوه إلى الإسلام أو الجزية، ويختار بيده مصيره المحتوم، ويرسل إلى كسرى يطلب الإمدادات، وبالفعل يرسل كسرى إمدادات كبيرة جداً، ويجتمع عند 'هرمز' جيش جرار عظيم التسليح، ويبنى 'هرمز' خطته على الهجوم على مدينة 'كاظمة' ظناً منه أن المسلمين سوف يعسكرون هناك، ولكنه يصطدم أمام العقلية العسكرية الفذة للقائد 'خالد بن الوليد' .

قام 'خالد بن الوليد' بما يعرف في العلوم العسكرية الحديثة بحرب استنزاف، ومناورات مرهقة للجيش الفارسي، فقام 'خالد' وجيشه بالتوجه إلى منطقة 'الحفير'، وأقبل 'هرمز' إلى 'كاظمة' فوجدها خالية وأخبره الجواسيس أن المسلمين قد توجهوا إلى 'الحفير'، فتوجه 'هرمز' بسرعة كبيرة جداً إلى 'الحفير' حتى يسبق المسلمين، وبالفعل وصل هناك قبل المسلمين، وقام بالاستعداد للقتال، وحفر خنادق، وعبأ جيشه، ولكن البطل 'خالد' يقرر تغير مسار جيشه ويكر راجعاً إلى مدينة 'الكاظمة'، ويعسكر هناك ويستريح الجند قبل القتال .

تصل الأخبار إلى 'هرمز' فيستشيط غضباً، وتتوتر أعصابه جداً، ويتحرك بجيوشه المرهقة المتعبة إلى مدينة 'الكاظمة' ليستعد للصدام مع المسلمين، وكان 'الفرس'أدرى بطبيعة الأرض وجغرافية المكان من المسلمين، فاستطاع 'هرمز' أن يسيطر على منابع الماء بأن جعل نهر الفرات وراء ظهره، حتى يمنع المسلمين منه، وصدق الحق عندما قال { وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ } [216] سورة البقرة فقد كان سبباً لاشتعال حمية المسلمين وحماستهم ضد الكفار، وقال 'خالد بن



الوليد' كلمته الشهيرة تحفيزاً بها الجند : 'ألا انزلوا وحطوا رحالكم، فلعمر الله ليصيرن الماء لأصبر الفريقين، وأكرم الجندين' .

وقبل أن يصطدم 'هرمز' قائد الجيوش الفارسية مع جيوش المسلمين أرسل بصورة الوضع إلى كسرى، الذي قام بدوره بإرسال إمدادات كبيرة يقودها 'قارن بن قرباس' يكون دورها الحفاظ على مدينة 'الأبلة' في حالة هزيمة 'هرمز' أمام المسلمين، لأهمية هذه المدينة كما أسلفنا .

سلاسل الموت

كان 'هرمز' رجلاً متكبراً أهوجاً، لا يستمع إلا لصوت نفسه فقط، حيث رفض الاستماع لنصائح قواده، وأصر على أن يربط الجنود 'الفرس' أنفسهم بالسلاسل، حتى لا يفروا من أرض المعركة، كناية عن القتال حتى الموت، لذلك فقد سميت المعركة بذات السلاسل .

[والمسلمون أولى بهذا الصبر والثبات لأنهم على الحق والدين، وعدوهم على الباطل والكفر، وشتان بين الفريقين] .

كان أول وقود المعركة وكما هو معتاد وقتها أيام الحروب أن يخرج القواد للمبارزة، كان أول الوقود عندما خرج القائد الفارسي 'هرمز' لمبارزة القائد المسلم 'خالد بن الوليد'، وكان 'هرمز' كما أسلفنا شديد الكفر والخيانة، فاتفق مع مجموعة من فرسانه على أن يهجموا على 'خالد' ويفتكوا به أثناء المبارزة ، وبالفعل خرج المسلم للقاء الكافر، وبدأت المبارزة، ولم يعهد أو يعلم عن 'خالد بن الوليد' أنه هزم قط في مبارزة طوال حياته قبل الإسلام وبعده ، وقبل أن تقوم مجموعة الغدر بجريمتهم الشريرة فطن أحد أبطال المسلمين الكبار لذلك، وهو البطل المغوار القعقاع بن عمرو، صنو 'خالد' في البطولة والشجاعة، فخرج من بين الصفوف مسرعاً، وانقض كالأسد

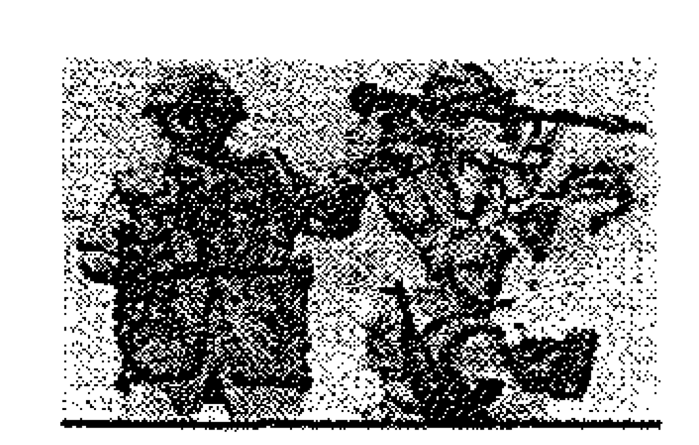


الضاري على مجموعة الغدر فقتلهم جميعاً، وفي نفس الوقت أجهز 'خالد بن الوليد' على الخائن 'هرمز' وذبحه كالنعاج، وكان لذلك الأمر وقعاً شديداً في نفوس 'الفرس'، حيث انفرط عقدهم، وانحل نظامهم لمقتل قائدهم، وولوا الأدبار، وركب المسلمون أكتافهم، وأخذوا بأقفيتهم، وقتلوا منهم أكثر من ثلاثين ألفاً، وغرق الكثير في نهر الفرات، وقتل المربطون بالسلاسل عن بكرة أبيهم، وكانت هزيمة مدوية على قوى الكفر وعباد النار، وفر باقي الجيش لا يلوى على شيء .

الفزع الكبير

لم تنته فصول المعركة عند هذا الحد، فمدينة 'الأبلة' لم تفتح بعد، وهناك جيوش قوية ترابط بها للدفاع عنها حال هزيمة جيوش 'هرمز' وقد كانت، ووصلت فلول المنهزمين من جيش 'هرمز' وهى في حالة يرثى لها من هول الهزيمة، والقلوب فزعة ووجلة، وانضمت هذه الفلول إلى جيش 'قارن بن قرباس' المكلف بحماية مدينة 'الأبلة'، وأخبروه بصورة الأمر فامتلأ قلبه هو الآخر فزعاً ورعباً من لقاء المسلمين، وأصر على الخروج من المدينة للقاء المسلمين خارجها، وذلك عند منطقة 'المذار'، وإنما اختار تلك المنطقة تحديداً لأنها كانت على ضفاف نهر الفرات، وكان قد أعد أسطولاً من السفن استعداداً للهرب لو كانت الدائرة عليه، وكانت فلول المنهزمين من جيش 'هرمز' ترى أفضلية البقاء داخل المدينة والتحصن بها، وذلك من شدة فزعهم من لقاء المسلمين في الميدان المفتوح .

كان القائد المحنك 'خالد بن الوليد' يعتمد في حروبه دائماً على سلاح الاستطلاع الذي ينقل أخبار العدو أولاً بأول، وقد نقلت له استخباراته أن 'الفرس' معسكرون 'بالمذار'، فأرسل 'خالد' للخليفة 'أبو بكر' يعلمه بأنه سوف يتحرك للمذار لضرب المعسكرات الفارسية هناك ليفتح الطريق إلى الأبلة، ثم انطلق 'خالد' بأقصى سرعة للصدام مع 'الفرس'، وأرسل بين يديه طليعة من خيرة 'الفرسان'، يقودهم أسد



العراق 'المثنى بن حارثة'، وبالفعل وصل المسلمون بسرعة لا يتوقعها أحد من أعدائهم .

الفطنة العسكرية

عندما وصل المسلمون إلى منطقة المذار أخذ القائد 'خالد بن الوليد' يتفحص المعسكر، وأدرك بخبرته العسكرية، وفطنته الفذة أن الفزع يملأ قلوب 'الفرس'، وذلك عندما رأى السفن راسية على ضفاف النهر، وعندها أمر 'خالد' المسلمين بالصبر والثبات في القتال، والإقدام بلا رجوع، وكان جيش 'الفرس' يقدر بثمانين ألفاً، وجيش المسلمين بثمانية عشر ألفاً، وميزان القوى المادي لصالح 'الفرس' . خرج قائد 'الفرس' 'قارن' وكان شجاعاً بطلاً، وطلب المبارزة من المسلمين فخرج له رجلان 'خالد بن الوليد' وأعرابي من البادية، لا يعلمه أحد، اسمه 'معقل بن الأعشى' الملقب 'بأبيض الركبان' لمبارزته، وسبق الأعرابي 'خالداً'، وانقض كالصاعقة على 'قارن' وقتله في الحال، وخرج بعده العديد من أبطال 'الفرس' وقادته فبارز 'عاصم بن عمرو' القائد 'الأنوشجان' فقتله، وبارز الصحابي 'عدى بن حاتم' القائد 'قباذ' فقتله في الحال، وأصبح الجيش الفارسي بلا قيادة .

كان من الطبيعي أن ينفرط عقد الجيش الفارسي بعد مصرع قادته، ولكن قلوبهم كانت مشحونة بالحقد والغيظ من المسلمين، فاستماتوا في القتال على حنق وحفيظة، وحاولوا بكل قوتهم صد الهجوم الإسلامي ولكنهم فشلوا في النهاية تحت وطأة الهجوم الكاسح، وانتصر المسلمون انتصاراً مبيناً، وفتحوا مدينة 'الأبلة'، وبذلك استقر الجنوب العراقي بأيدي المسلمين، وسيطروا على أهم موانى 'الفرس' على الخليج، وكان هذا الانتصار فاتحة سلسلة طويلة من المعارك الطاحنة بين 'الفرس' والمسلمين على أرض العراق كان النصر فيها حليفاً للمسلمين في جملتها، وانتهت بسقوط مملكة عباد النار .



معركة نهاوند

معركة نهاوند من المعارك الفاصلة في الفتح الإسلامي لفارس. وقعت في خلافة عمر بن الخطاب، سنة 21 هـ (642 م) وقيل سنة 18 أو 19 هـ قرب بلدة نهاوند في فارس، وانتصر فيها المسلمون انتصاراً كبيراً بقيادة النعمان بن مقرن على الفرس الساسانيين، إلا أن النعمان قتل في المعركة. بانتصار المسلمين انتهى حكم الدولة الساسانية في إيران بعد أن دام حكمها 416 عاما. [1]

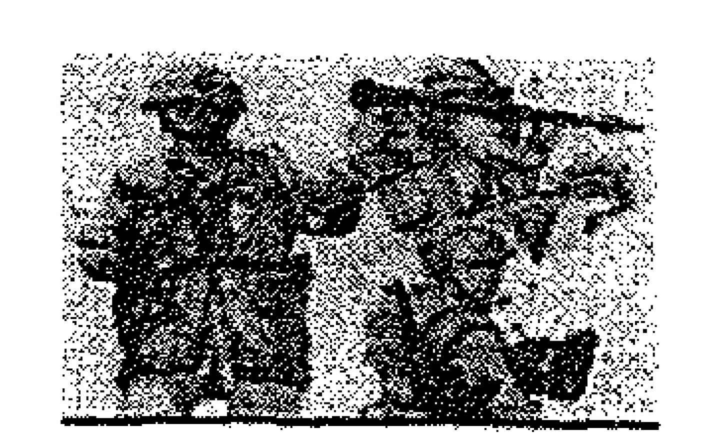
معركة نهاوند

عن السائب بن الأقرع قال : زحف للمسلمين زحف لم يُرَ مثله قط، رجف له أهل ماه وأصبهان وهمذان والري وقومس ونهاوند وأذربيجان، قال : فبلغ ذلك عمر فشاور المسلمين.

فقال علي : أنت أفضلنا رأياً وأعلمنا بأهلك. فقال : لأستعملن على الناس رجلاً يكون لأول أسنّة يلقاها ،-أي أول من يتلقى الرماح بصدره ،كناية عن شجاعته- ياسائب اذهب بكتابي هذا إلى النعمان بن مُقرِّن، فليسر بثلثي أهل الكوفة، وليبعث إلى أهل البصرة، وأنت على ما أصابوا من غنيمة، فإن قُتل النعمان فحذيفة الأمير، فإن قُتل حذيفة فجرير بن عبد الله، فإن قُتل ذلك الجيش فلا أراك.

لما انتصر المسلمون في القادسية على الفرس كاتب يزدجرد أهل الباب والسند وحلوان ليجتمعوا فيوجهوا ضربة حاسمة للمسلمين، فتكاتبوا واجتمعوا في نهاوند.

وأرسل سعد بن أبي وقاص إلى عمر : (بلغ الفرس خمسين ومائة ألف مقاتل، فإن جاؤونا قبل أن نبادرهم الشدة ازدادوا جرأة وقوة، وإن نحن عاجلناهم كان لنا ذلك).



وأرسل عمر إلى سعد محمد بن مسلمة ليخبره أن يستعد الناس لملاقاة الفرس، فغادر سعد الكوفة إلى المدينة ليخبر عمر بخطورة الموقف شفاهة، فجمع عمر المسلمين في المدينة، وخطب فيهم وشرح لهم خطورة الوضع، واستشارهم، وأشاروا عليه أن يقيم هو بالمدينة، وأن يكتب إلى أهل الكوفة فليخرج ثلثاهم لمساعدة الجيش الإسلامي وأهل البصرة بمن عندهم. ثم قال عمر : أشيروا عليّ برجل يكون أوليه ذلك الثغر غداً، فقالوا : أنت أفضل رأياً وأحسن مقدرة، فقال : أما والله لأولين أمرهم رجلاً ليكونن أول الأسنة – أي : أول من يقابل الرماح بوجهه – إذا لقيها غداً، فقيل : من يا أمير المؤمنين ؟ فقال : النعمان بن مقرن المزني، فقالوا : هو لها.

ودخل عمر المسجد ورأى النعمان يصلي ،فلما قضى صلاته بادره عمر : لقد انتدبتك لعمل، فقال : إن يكن جباية للضرائب فلا، وإن يكن جهاداً في سبيل الله فنعم. وانطلق النعمان عام (21) للهجرة يقود الجيش، وبرفقته بعض الصحابة الكرام.

وطرح الفرس حسك الحديد – مثل الشوك يكون من الحديد – حول مدينة نهاوند، فبعث النعمان عيوناً فساروا لايعلمون بالحسك، فزجر بعضهم فرسه فدخلت في يده حسكة، فلم يبرح الفرس مكانه، فنزل صاحبه ونظر في يده فإذا في حافره حسكة، فعاد وأخبر النعمان بالخبر، فاستشار جيشه فقال : ماترون؟ فقالوا : انتقل من منزلك هذا حتى يروا أنك هارب منهم، فيخرجوا في طلبك، فانتقل النعمان من منزله ذلك، وكنست الأعاجم الحسك فخرجوا في طلبه، فرجع النعمان ومن معه عليهم، وقد عبأ الكتائب ونظم جيشه وعدده ثلاثون ألفاً، وجعل عليمقدمة الجيش نعيم بن مقرن، وعلى المجنبتين : حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود، ونظم الفرس قواتهم تحت إمرة (الفيرزان)، وعلى مجنبتيه (الزردق) و(بهمن جاذويه) الذي ترك مكانه ل(ذي الحاجب).

اجتمع المسلمون حول نهاوند واجتمع الفرس فيها وأميرهم "الفيرزان". أرسل أحد قواد الفرس واسمه "بندار" إلى جيش المسلمين: أن أرسلوا إلينا رجلاً



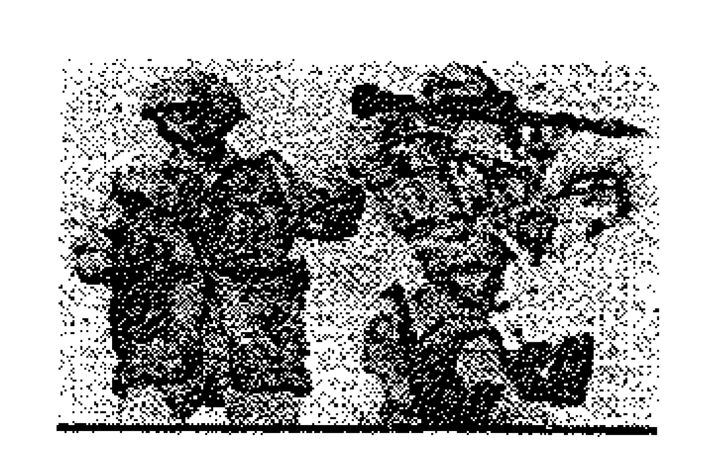
نكلمه، فذهب إليهم داهية المسلمين "المغيرة بن شعبة" بمنظر رهيب وشعر مسترسل طويل، فلما وصل إليهم استشار "بندار" أصحابه بأي هيئة نأذن له؟ هل بشاراتنا وملكنا وفخامتنا؟ حتى نرهبهم بقوة ملكنا أم بالتقشف حتى يزهدوا بنا ولا يطمعوا في ملكنا؟ فأشاروا عليه: بل بأفضل ما يكون من الشارة والعدة، فتهيؤوا له بأفخر الأثاث والثياب.

دخل المغيرة، فقرّبوا إلى جسمه ووجهه الحراب والنيازك يلتمع منها البصر وجند "بندار" حوله كي يزيدوا المنظر رهبة، أما "بندار" فعلى سرير من الذهب وعلى رأسه تاج نفيس.

قال المغيرة: فمضيت فصاروا يدفعونني ويزجرونني. فقلت: الرسل لا يُفعل بهم هذا. فقالوا: إنما أنت كلب. يقول المغيرة: فقلت: لأنا أشرف في قومي من هذا في قومه - وأشار إلى بندار -.

فانتهره الجند وقالوا: اجلس. فجلس فتكلم "بندار" وتُرجم للمغيرة، ومما قاله: إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير، وأطول الناس جوعاً، وأشقى الناس شقاءً، وأقذر الناس قذراً، وأبعدهم داراً، وما منعني أن آمر هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنشّاب إلا تنجُّساً لجيفكم فإنكم أرجاس، فإن تذهبوا تركناكم، وإن تأتوا نريكم مصارعكم.

قال المغيرة: فحمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت: والله ما أخطأت من صفتنا شيئاً ولا من نعتنا، إن كنا لأبعد الناس داراً، وأشد الناس جوعاً، وأشقى الناس شقاءً، وأبعد الناس من كل خير، حتى بعث الله - عز وجل - إلينا رسوله - صلى الله عليه وسلم - فوعدنا النصر في الدنيا والجنة في الآخرة فوالله ما زلنا نتعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر، حتى أتيناكم، وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً



حتى نغلبكم على ما في أيديكم أو نُقتل بأرضكم، وإني أرى عليكم بِزّةً وهيئة ما أرى مَن خلفي يذهبون حتى يصيبوها.

قال المغيرة: فقلت في نفسي: لو جمعتُ ثيابي فوثبت وثبة فقعدت مع هذا العلج "بندار" على سريره لعله يتطير؟ قال: فوجدت غفلة فوثبت فإذا أنا معه على سريره، فصرخ "بندار" خذوه، فأخذه الجند وصاروا يطأونه بأرجلهم، فقال المغيرة: هكذا تفعلون بالرسل! فإنا لا نفعل هكذا ولا نفعل برسلكم هذا.

شعر "بندار" أن المغيرة بدأ يحطم من معنويات جنده، لأنه بدأ يُظهر عزّته الذي هذّبه بها الإسلام، وظهرت سوء أخلاقيات الفرس، فأراد أن يقطع هذه المناظرة فقال: إن شئتم قطعتم إلينا، وإن شئتم قطعنا إليكم.

فعاد المغيرة واستشار قائد الجيش النعمان، فقال النعمان: اعبروا..

أنشب النعمان القتال يوم الأربعاء، ودام على شكل مناوشات حادة إلى يوم الخميس، والحرب سجال بين الفريقين، وكان الفرس خلالها في خنادق.

وخشي المسلمون أن يطول الأمر فاستشار النعمان أصحابه، فتكلم قوم فردت آراؤهم، ثم تكلم طليحة فقال :أرى أن تبعث خيلاً مؤدبة، فيحدقوا بهم، ثم يرموا لينشبوا القتال، ويحمشوهم – أي يغضبوهم –، فإذا أحمشوهم واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزوا – أي انضموا– إلينا استطراداً – أي خديعة –.. وأقر الجميع هذا الرأي فأمر النعمان القعقاع أن ينشب القتال فأنشبه، فخرج الفرس من خنادقهم، فلما خرجوا نكص القعقاع بجنده، ثم نكص ثم نكص، وخرج الفرس جميعاً فلم يبق أحد إلا حرس الأبواب ،حتى انضم القعقاع إلى الناس، والنعمان والمسلمون عليتعبيتهم في يوم جمعة في صدر النهار، وأقبل الفرس على الناس يرمونهم حتى أفشوا



فيه الجراحات، والمسلمون يطلبون من النعمان الإذن بالقتال، وبقي النعمان يطلب منهم الصبر.

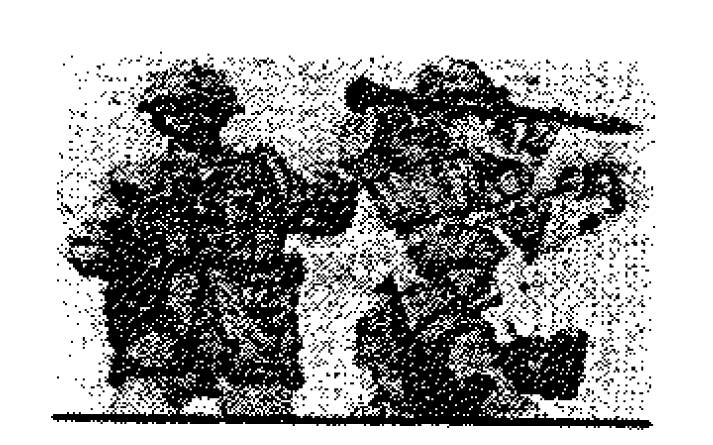
فلما جاء الزوال وتفيأت الأفياء وهبت الرياح أمر بالقتال، كل ذلك إحياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يختار هذا الوقت للقتال، وعندئذ ركب فرسه وبدأ يحرض المسلمين على القتال، ثم قال : فإن قتلت فلأمير بعدي حذيفة، وإن قتل فلان.. وعد سبعة.

وكبر النعمان التكبيرة الأولى ثم الثانية، ثم قال : اللهم اعزز دينك وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك، اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عزالإسلام، أمنوا رحمكم الله. فبكى الناس.

وكبر النعمان التكبيرة الثالثة، وبدأ القتال، وأثناء تقدم القائد بدأ الفرس يتركون الساحة وزلق بالقائد فرسه من كثرة الدماء في أرض المعركة، فصرع بين سنابك الخيل، وجاءه سهم في جنبه، فرآه أخوه نعيم فسجاه بثوب، وأخذ الراية قبل أن تقع وناولها حذيفة بن اليمان فأخذها، وقال المغيرة : اكتموا مصاب أميركم حتى ننتظر ما يصنع الله فينا وفيهم ؛ لئلا يهن الناس.

ولما زلق فرس النعمان به لمحه معقل بن يسار فجاءه بقليل من الماء، فغسل عن وجهه التراب، فقال النعمان : من أنت ؟ قال : أنا معقل بن يسار، قال : ما فعل الناس ؟ قال : فتح الله عليهم، قال : الحمد لله، اكتبوا بذلك إلى عمر، وفاضت روحه.

ولما أظلم الليل انهزم الفرس وهربوا دون قصد فوقعوا في واد، فكان واحدهم يقع فيقع معه ستة، فمات في هذه المعركة مائة ألف أو يزيد، قتل في الوادي فقط ثمانون ألفاً، وقتل ذو الحاجب، وهرب الفيرزان، وعلم بهربه القعقاع فتبعه هو



ونعيم بن مقرن فأدركاه في واد ضيق فيه قافلة كبيرة من بغال وحمير محملة عسلاً ذاهبة إلى كسرى، فلم يجد طريقاً فنزل عن دابته وصعد في الجبل ليختفي، فتبعه القعقاع راجلاً فقتله.

وحزن المسلمون على موت أميرهم وبايعوا بعد المعركة أميرهم الجديد حذيفة، ودخلوا نهاوند عام 21هـ بعد أن فتحوها.

***



معركة أجنادين

معركة أجنادين هي معركة وقعت بين المسلمين والبيزنطيين عام 634 م قرب مدينة الرملة في فلسطين.

مقدمة

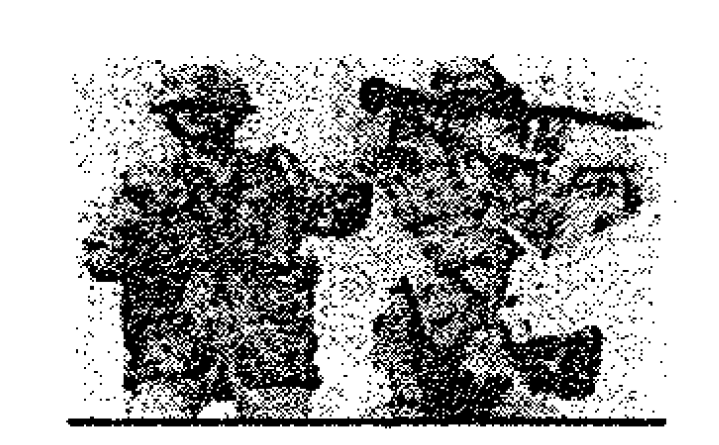
الصحابي الجليل عمرو بن العاص، أول قائد عقد له أبو بكر الصديق لواء فتح الشام، وأمره بأن يعسكر بجيشه في تيماء شمالي الحجاز، وأوصاه بعدم البدء في القتال إلا إذا قُوتل، وكان الخليفة الحصيف يقصد من وراء ذلك أن يكون جيش خالد عونًا ومددًا عند الضرورة، وأن يكون عينه على تحركات الروم لا أن يكون طليعة لفتح بلاد الشام.

وحدث ما كان منه بدٌّ، فقد اشتبك خالد بن سعيد مع الروم التي استنفرت بعض القبائل العربية من بهراء وكلب ولخم وجذام وغسان لقتال المسلمين، ولم تكن قوات خالد تكفي لقتال الروم، فُهزم هزيمة قاسية في "مرج الصفر" في (4 من المحرم 13 هـ = 11 من مارس 634م) واستشهد ابنه في المعركة، ورجع بمن بقي معه إلى "ذي مروة" ينتظر قرار الخليفة.

معركة اجنادين تمت في قرية عجور وليس قرب الرملة فقط تصحيح معلومات

أبوبكر الصديق يعقد أربعة ألوية

ولما وصلت أنباء الهزيمة إلى الخليفة أبي بكر الصديق أهمه الأمر، وجمع كبار الصحابة لتبادل الرأي والمشورة، واستقر الرأي على دفع العدوان، ورد الروم الذين



قد يغرهم هذا النصر المفاجئ فيهددون أمن الدولة التي بدأت تستعيد أنفاسها بعد قضائها على حروب الردة، وتوالي أنباء النصر الذي تحقق في جبهة العراق.

جهّز الخليفة الصديق أربعة جيوش عسكرية، واختار لها أكفأ قواده، وأكثرهم مرانًا بالحرب وتمرسًا بالقتال، وحدد لكل جيش مهمته التي سيقوم بها.

أما الجيش الأول فكان تحت قيادة "يزيد بن أبي سفيان" رضي الله عنه، ووجهته " البلقاء" في الاردن. ويذكر "المدائني" أنه كان أول أمراء الشام خروجًا.

- وكان الجيش الثاني بقيادة "شرحبيل بن حسنة" رضي الله عنه، ووجهته منطقة " بُصرى".

- وجعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه قيادة الجيش الثالث لـ "أبو عبيدة بن الجراح"، ووجهته منطقة "الجابية"، وقد لحق خالد بن سعيد الذي ذكرناه آنفًا بجيش أبي عبيدة.

- أما الجيش الرابع فكان بقيادة "عمرو بن العاص" رضي الله عنه، ووجهته "فلسطين". وأمرهم أبو بكر الصديق بأن يعاونوا بعضهم بعضًا، وإذا اجتمعوا معًا فالقيادة العامة لـأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

وصية الصديق للقادة

وكان الصديق كلما خرج لتوديع جيش من الجيوش الأربعة يوصي قائده بوصايا جامعة، تبين سلوك الفاتحين المسلمين وأخلاقهم في التعامل مع أهالي البلاد القادمين إليها. وأقتطف من وصية الصديق لـ يزيد بن أبي سفيان هذه الكلمات: "وإني موصيكم بعشر كلمات فاحفظوهن: لا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا صبيًا صغيرًا ولا امرأة،



ولا تهدموا بيتًا ولا بيعة، ولا تقطعوا شجرًا مثمرًا، ولا تعقروا بهيمة إلا لأكل، ولا تحرقوا نخلاً ولا تُغرقوه، ولا تعص، ولا تجبن..."

وجاء في وصيته لـ عمرو بن العاص: ".. اسلك طريق إيلياء حتى تنتهي إلى أرض فلسطين، وإياك أن تكون وانيًا عما ندبتك إليه، وإياك والوهن، وإياك أن تقول: جعلني ابن أبي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي به، واعلم يا عمرو أن معك المهاجرين والأنصار من أهل بدر، فأكرمهم واعرف حقهم، ولا تتطاول عليهم بسلطانك.. وكن كأحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك، والصلاة ثم الصلاة، أذن بها إذا دخل وقتها، واحذر عدوك، وأمر أصحابك بالحرس، ولتكن أنت بعد ذلك مطلعًا عليهم..".

وكان مجموع تلك القوات نحو 24 ألف مقاتل، وقد نجحت تلك الجيوش في التوغل في جنوبي الشام، واشتبكت في مناوشات صغيرة مع الروم، واضطر قيصرهم إلى حشد ما يملك من قوات وعتاد حتى يدفع جيوش المسلمين التي أقبلت، ولا هم لها سوى فتح تلك البلاد ونشر العدل والمساواة فيها، ولما رأى المسلمون ما يحشده الروم من قوات ضخمة أرسلوا إلى الصديق يخبرونه بحالهم ويطلبون منه المدد، فأمدهم بعكرمة بن أبي جهل ومن معه من الرجال، وكان الصديق قد استبقاهم في المدينة تحسبًا لأي طارئ أو مفاجأة تحدث في أثناء الفتح، غير أن جبهة القتال لم يحدث فيها تغيير، ولم يغير المدد شيئًا مما يجري، وتجمد الموقف دون قتال يحسم الموقف في الوقت الذي كان فيه خالد بن الوليد في جبهة العراق ينتقل من نصر إلى نصر، والأبصار متعلقة بما يحققه من ظفر لا تكاد تصدق أن تتهاوى قوة الفرس أمام ضربات خالد حتى سقطت الحيرة في يديه.

الاستعانة بخالد بن الوليد

هال الخليفة أبا بكر أن تبقى الأوضاع في الشام دون تحريك، وأن يعجز القادة المجتمعون على تحقيق النصر في أول الجولات بينهم وبين قوات الروم التي لم تكن



ضعيفة الجانب قليلة الجند، وإنما كانت تعيش فترة زاهية بعد فوزها على الفرس وعودة الثقة إليها.

وعزم الصديق على بث روح جديدة تعودت الفوز والظفر، ومشى النصر في ركابها كأنه قدرها المحتوم، ولم يكن غير خالد من يمكنه تغيير الأوضاع، وإثارة الهمم، ووضع الخطط التي تأتي بالنصر، وكان الصديق أكثر الناس ثقة في كفاءة خالد وقدرته العسكرية، فأطلق كلمته السائرة التي رددتها كتب التاريخ: "والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد".

وبعث الصديق إلى خالد بأن يقدم إلى الشام ومعه نصف قواته التي كانت معه في العراق، حتى يلتقي بأبي عبيدة بن الجراح ومن معه، ويتسلم القيادة العامة للجيوش كلها، وفي الوقت نفسه كتب الصديق إلى أبي عبيدة يخبره بما أقدم عليه، وجاء في كتابه: ".. فإني قد وليت خالدًا قتال الروم بالشام، فلا تخالفه، واسمع له وأطع أمره، فإني قد وليته عليك، وأنا أعلم أنك خير منه، ولكن ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك، أراد الله بنا وبك سبل الرشاد والسلام عليك ورحمة الله".

امتثل خالد بن الوليد لأوامر الخليفة، وخرج من الحيرة بالعراق في (8 من صفر 13 هـ = 14 من أبريل 634م) في تسعة آلاف جندي، فسار شمالاً ثم عرج حتى اجتاز صحراء السماوة في واحدة من أجرأ المغامرات العسكرية في التاريخ، وأعظمها خطرًا؛ حيث قطع أكثر من ألف كيلو متر في ثمانية عشر يومًا في صحراء مهلكة حتى نزل بجيشه أمام الباب الشرقي لدمشق، ثم سار حتى أتى أبا عبيدة بالجابية؛ فالتقيا ومضيًا بجيشهما إلى "بصرى".

تجمعت الجيوش كلها تحت قيادة خالد بن الوليد، وحاصر بصرى حصارًا شديدًا واضطرت إلى طلب الصلح ودفع الجزية، فأجابها خالد إلى الصلح وفتحها الله

على المسلمين في (25 من شهر ربيع الأول 13 هـ = 30 من مايو 634م)، فكانت أول مدينة فُتحت من الشام صلحًا على أن يؤمنوا على دمائهم وأموالهم وأولادهم، نظير الجزية التي سيدفعونها.

الاستعداد لأجنادين

بعد سقوط بُصرى استنفر هرقل قواته، وأدرك أن الأمر جد لا هذر فيه، وأن مستقبل الشام بات في خطر ما لم يواجه المسلمون بكل ما يملك من قوة وعتاد، حتى تسلم الشام وتعود طيعة تحت إمرته، فحشد العديد من القوات الضخمة، وبعث بها إلى بصرى حيث شرحبيل بن حسنة في قواته المحدودة، وفي الوقت نفسه جهّز جيشًا ضخمًا، ووجّهه إلى أجنادين من جنوب فلسطين، وانضم إليه نصارى العرب والشام.

تجمعت الجيوش الإسلامية مرة أخرى عند أجنادين، وهي موضع يبعد عن "بيت جبرين" بحوالي أحد عشر كيلو مترًا، وعن الرملة حوالي تسع وثلاثين كيلو مترًا، وكانت ملتقى مهمًا للطرق.

نظم خالد بن الوليد جيشه البالغ نحو 40 ألف جندي، وأحسن صنعه وترتيبه على نحو جديد، فهذه أول مرة تجتمع جيوش المسلمين في الشام في معركة كبرى مع الروم الذين استعدوا للقاء بجيش كبير بلغ 90 ألف جندي.

شكّل خالد جيشه ونظّمه ميمنة وميسرة، وقلبًا، ومؤخرة؛ فجعل على الميمنة "معاذ بن جبل"، وعلى الميسرة سعيد بن عامر، وعلى المشاة في القلب أبا عبيدة بن الجراح وعلى الخيل "سعيد بن زيد"، وأقبل خالد يمر بين الصفوف لا يستقر في مكان، يحرض الجند على القتال، ويحثهم على الصبر والثبات، ويشد من أزرهم، وأقام النساء خلف الجيش يبتهلن إلى الله ويدعونه ويستصرخنه ويستنزلن نصره ومعونته، ويحمسن الرجال.



وتهيأ جيش الروم للقتال، وجعل قادته الرجالة في المقدمة، يليهم الخيل، واصطف الجيش في كتائب، ومد صفوفهم حتى بلغ كل صف نحو ألف مقاتل.

اشتعال المعركة

وبعد صلاة الفجر من يوم (27 من جمادى الأولى 13 هـ = 30 من يوليو 634م) أمر خالد جنوده بالتقدم حتى يقتربوا من جيش الروم، وأقبل على كل جمع من جيشه يقول لهم: " اتقوا الله عباد الله، قاتلوا في الله من كفر بالله ولا تنكصوا على أعقابكم، ولا تهنوا من عدوكم، ولكن أقدموا كإقدام الأسد وأنتم أحرار كرام، فقد أبيتم الدنيا واستوجبتم على الله ثواب الآخرة، ولا يهولكم ما ترون من كثرتهم فإن الله منزل عليهم رجزه وعقابه، ثم قال: أيها الناس إذا أنا حملت فاحملوا ".

وكان خالد بن الوليد يرى تأخير القتال حتى يصلوا الظهر وتهب الرياح، وهي الساعة التي كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحب القتال فيها، ولو أدى ذلك أن يقف مدافعًا حتى تحين تلك الساعة.

أعجب الروم بكثرتهم وغرتهم قوتهم وعتادهم فبادروا بالهجوم على الميمنة؛ حيث يقف معاذ بن جبل، فثبت المسلمون ولم يتزحزح أحد، فأعادوا الكرة على الميسرة فلم تكن أقل ثباتًا وصبرًا من الميمنة في تحمل الهجمة الشرسة وردها، فعادوا يمطرون المسلمين بنبالهم، فتنادى قادة المسلمين طالبين من خالد أن يأمرهم بالهجوم، حتى لا يظن الروم بالمسلمين ضعفا ووهنا ويعاودون الهجوم عليهم مرة أخرى، فأقبل خالد على خيل المسلمين، وقال: احملوا رحمكم الله على اسم الله" فحملوا حملة صادقة زلزلت الأرض من تحت أقدام عدوهم، وانطلق الفرسان والمشاة يمزقون صفوف العدو فاضطربت جموعهم واحتلت قواهم.

اللهم أعنى على دكرك وشكرك وحسن عبادتك



بطولة وفداء

وفي هذه المعركة أبلى المسلمون بلاءً حسنًا، وضربوا أروع الأمثلة في طلب الشهادة، وإظهار روح الجهاد والصبر عند اللقاء، وبرز في هذا اليوم من المسلمين "ضرار بن الأزور"، وكان يومًا مشهودًا له، وبلغ جملة ما قتله من فرسان الروم ثلاثين فارسًا، وقتلت "أم حكيم" الصحابية الجليلة أربعة من الروم بعمود خيمتها.

وبلغ قتلى الروم في هذه المعركة أعدادًا هائلة تجاوزت الآلاف، واستشهد من المسلمين 450 شهيدًا.

وبعد أن انقشع غبار المعركة وتحقق النصر، بعث خالد بن الوليد برسالة إلى الخليفة أبي بكر الصديق يبشره بالنصر وما أفاء الله عليهم من الظفر والغنيمة، وجاء فيها: ".. أما بعد فإني أخبرك أيها الصديق إنا التقينا نحن والمشركين، وقد جمعوا لنا جموعا جمة كثيرة بأجنادين، وقد رفعوا صلبهم، ونشروا كتبهم، وتقاسموا بالله لا يفرون حتى يفنون أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله، فطاعناهم بالرماح، ثم صرنا إلى السيوف، فقارعناهم في كل فج.. فأحمد الله على إعزاز دينه وإذلال عدوه وحسن الصنيع لأوليائه"؛ فلما قرأ أبو بكر الرسالة فرح بها، وقال: "الحمد لله الذي نصر المسلمين، وأقر عيني بذلك".

كانت معركة اجنادين أول لقاء كبير بين جيوش الخلافة الراشدة والروم البيزنطيين في الصراع على الشام، وجرت بحوالي سنتين قبل اللقاء الفاصل والحاسم في معركة اليرموك عام 636 ميلادي.

***



معركة اليرموك

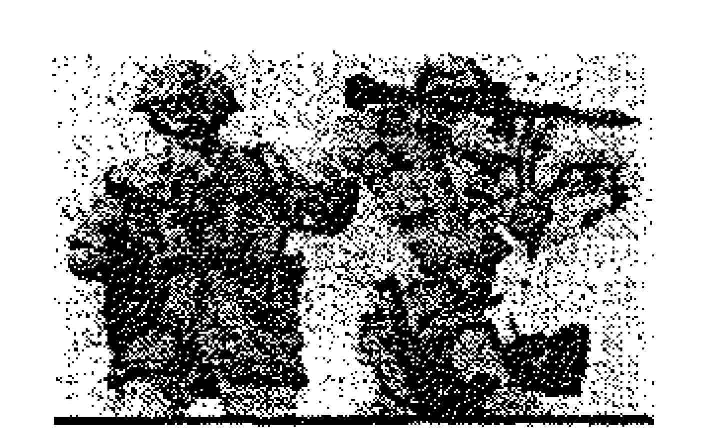
بعد الهزائم المتوالية التى مني بها الروم البيزنطيون في معارك اجنادين وفحل ودمشق، قرر هرقل الروم اعادة تجميع قواته في جيش واحد لملاقاة المسلمين والقضاء عليهم ، فبلغ ذلك ابي عبيدة عامر بن الجراح القائد العام لجيوش فتح الشام الاربعة فسارع بالاتصال بقادة الجيوش:عمرو بن العاص ويزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة، طالبا منهم التجمع لملاقاة الروم ،ذلك ان "مثلنا اذا اجتمع لم يغلب من قلة"وارسل الى الخليفة يعلمه بالخبر والذي بدوره امر خالد بن الوليد ان يتحرك بجيشه من العراق لنجدة المسلمين في الشام.كما ارسل اليهم نجدة اخرى بقيادة سعيد بن عامر

والتقت جيوش المسلمين جميعها في منطقة الجابية قرب نهر اليرموك

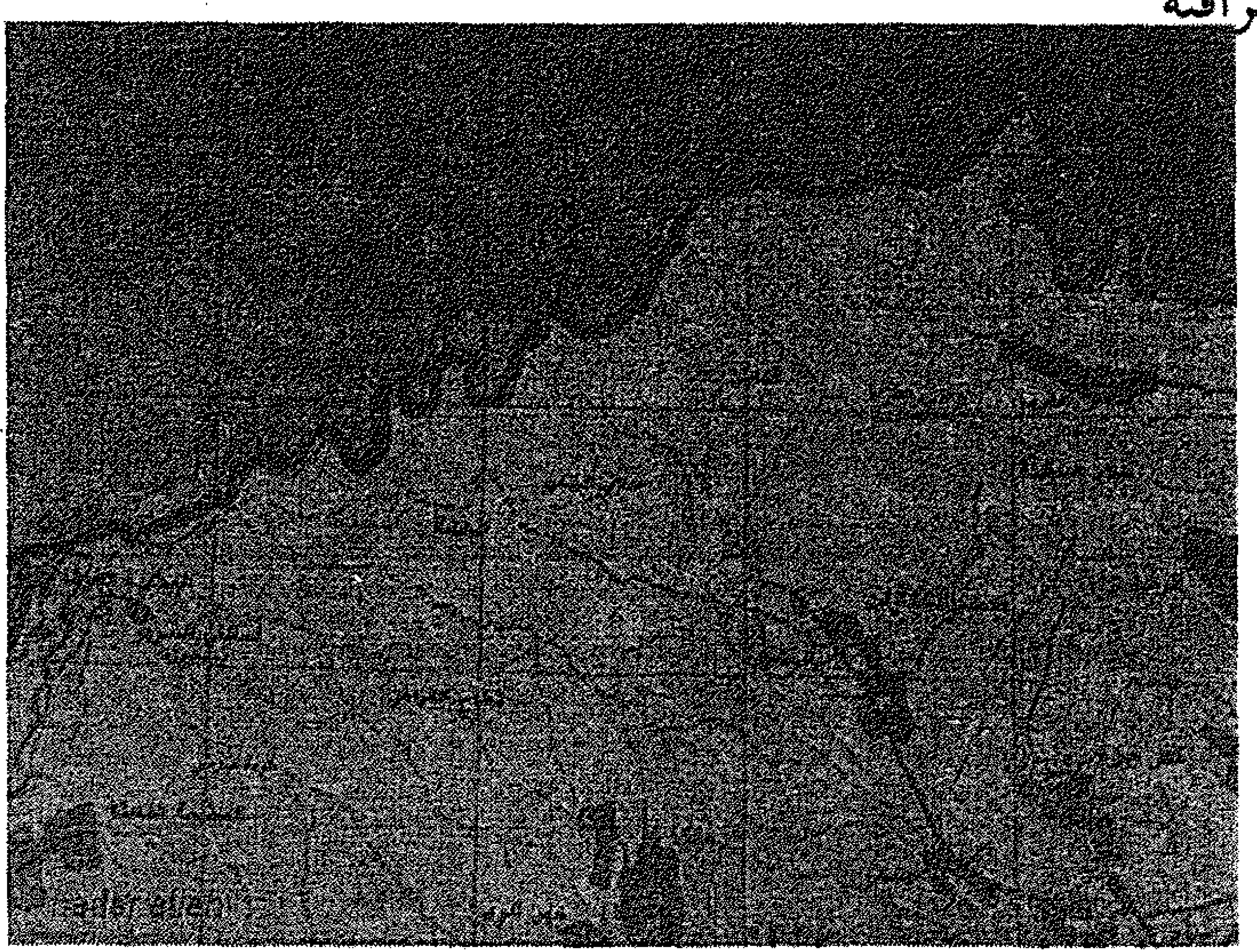


في منطقة سحم الكفارات شمال اربد(وتسمى الان العشة او منطقة الشعلة)
(وهي الان منطقة اشجار ومتنزه وطني):

واتخذوا موقعا يمكنهم من تأمين اتصالاتهم ومددهم من الجزيرة ويمنع وصول الامدادات من فلسطين للروم ويبقيهم قريبا من مناطق الغلال والتموين في



شمال الاردن ويتيح لهم مراقبة المنطقة "ولذلك سميت المنطقة هناك بالمقربة تصحيفا لكلمة المراقبة"



فيما تجمع الروم قادمين من انطاكيا بقيادة ماهان وباشراف مباشر من هرقل في منطقة سحم الجولان (جنوب القنيطرة تقريبا)واختاروا موقعا يحمي ظهورهم"في ظنهم" :وادي اليرموك خلفهم ووادي علان على يمينهم ووادي الرقاد على يسارهم بحيث تحميهم هذه الوديان من الجهات الثلاث من ان يأتيهم منها إحد وبقيت الجهة الرابعة (الشمال)مفتوحة لملاقاة المسلمين، الامر الذي فسره المسلمون بعكس ذلك بقول قائلهم:" ابشروا فما حصر قوم قط الا هزموا..."

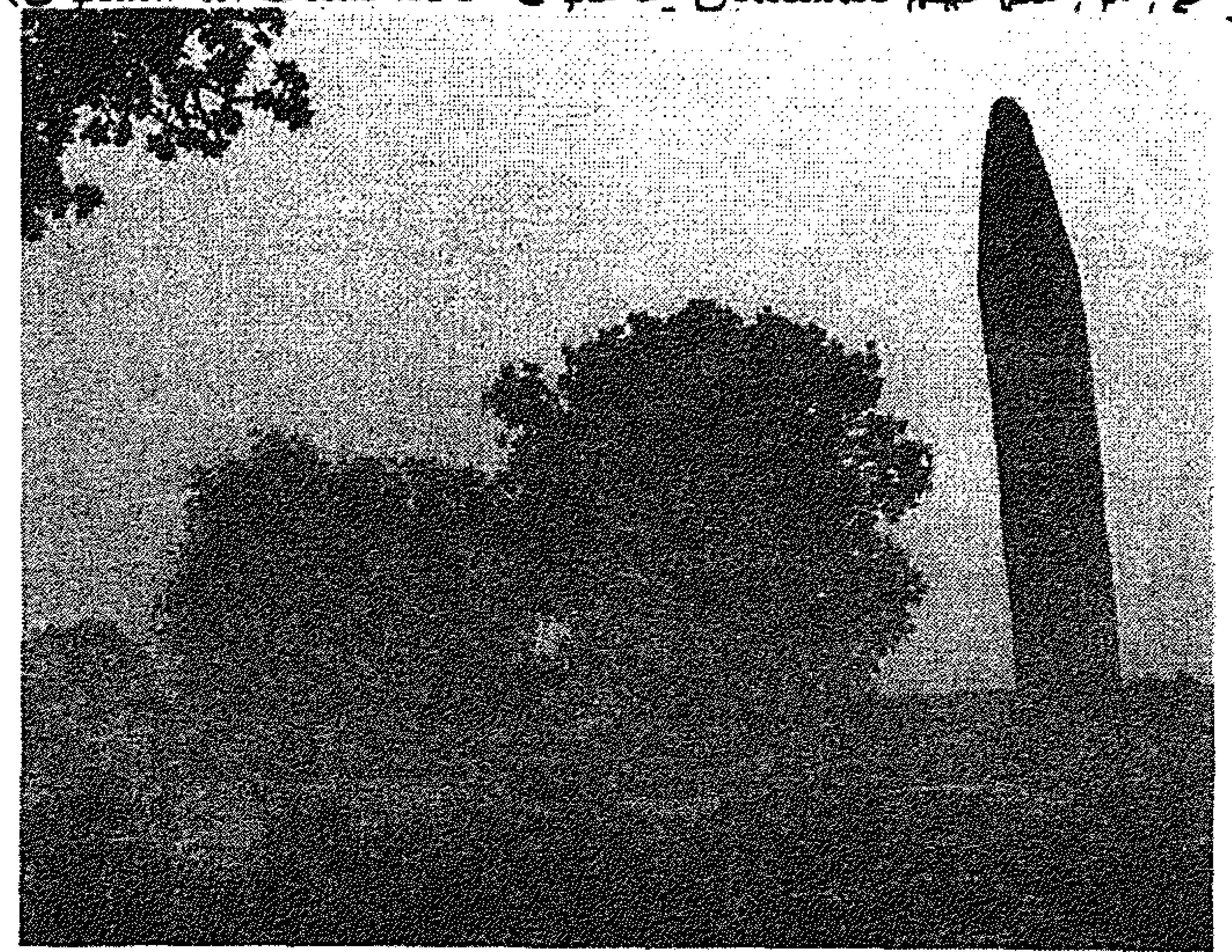
واختار المسلمون لقيادتهم سيف الله المسلول خالد بن الوليد الذي استخدم لاول مرة في الحروب اسلوب الكراديس"الفرق" حيث قسم الجيش الى 40 كردوسا قوام كل منها قرابة الالف مقاتل وقسم هذه الكراديس حسب نظام "الخميس" الى خمسة اجزاء: الطليعة والميمنة والميسرة والقلب والساقة وعين لكل جزء منها قائدا

اما الروم فقد اصطفوا على شكل صفوف(20 صفا) مدعمين بالاسلحة والدروع الحديدية والخيول، فلما تواجه الجيشان ذهل بعض المسلمين من عدد الروم الضخم "125 الف رومي في مقابل حوالي 46 الف مسلم"فقال قائلهم :"ما أكثر



الروم وأقل المسلمين" فنهره القائد خالد بن الوليد وهو الحريص على معنويات جنده وقال:" بل قل ما أقل الروم و أكثر المسلمين إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال..."

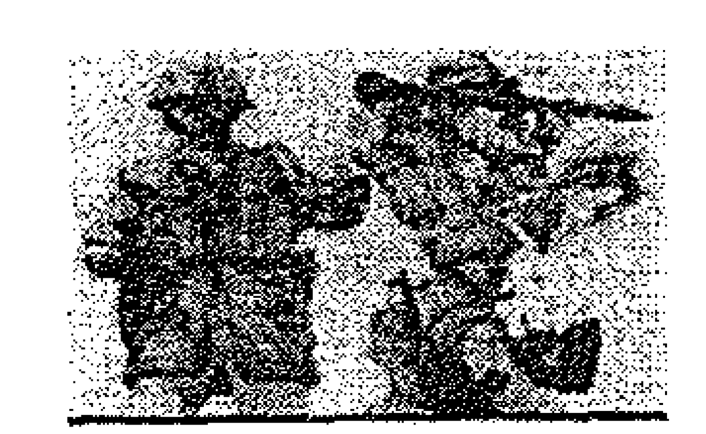
واقبل المسلمون بمعنويات عالية في مقابل معنويات منهارة عند الروم عززها ما سمعوه من ان سيفا قد هبط من السماء على المسلمين لا يقاتلون به احدا الا انتصروا عليه (بوحي من سماعهم للمسلمين يخاطبون خالدا بسيف الله المسلول)



صورة للنصب التذكاري لسيف الله المسلول

اضافة الى ان هرقل كان قد شاور البطاركة على الانسحاب: "لأن تصالحوهم على نصف ثمار سوريا خير لكم من ان يأخذوها كلها منكم" الا ان البطاركة ابوا الا المضي في المعركة وقاموا بتثبيت الجند بالسلاسل كل عشرة معا كي لا يفكر احد بالهرب لكن معنويات الجند من معنويات القائد "هرقل" هذا اضافة الى الحر الشديد "الفصل كان صيفا" والروم يرتدون الدروع المعدنية التي تلتهب عليهم وهجا وحرارة (وحتى قيل ان خالد بن الوليد قد اشعل النيران بالاعشاب الجافة حولهم وبشكل وزاوية تجعل الدخان والوهج والحر باتجاه الروم)

فدخل الروم الى جحيم المعركة ولهيب الحر ونار المعنويات المنهارة



واستمرت المعركة6 ايام(بدأت في6رجب15هـ الموافق 12-8-636م) كان اشدها اليوم الخامس وفي اليوم السادس تفرقت قوات البيزنطيين امام شدة قتال المسلمين وتفرقوا في الوديان والجبال ووقص الروم" نزلوا ووقعوا" في الوادي "ولذلك سميت المنطقة بالواقوصة" وكلما سقط رومي قتيلا سقط معه التسعة الاخرون المقيدون معه واخذ المسلمون يلاحقون فلول الروم في الوديان لتجري اخر احداث المعركة في الوادي اسفل قرية سحم الاردنية حاليا وبقرب تلة صغيرة هناك لا تزال تعرف حتى يومنا هذا بتلة خالد بن الوليد .

كان خالد قد استبقى عليها 500 من الفرسان بقيادة ضرار بن الازور ليقوموا بالاجهاز على فلول الروم الهاربين عبر الوادي(يروي العماد مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري السابق في كتاب له ان القوات الاسرائيلية عندما احتلت تلة خالد عام 67 وجدت بها اكثر من 600 سيف مدفون هناك من بقايا القتلى في اليرموك)

المكان المعروف بـ(تلة خالد)

وقتل في هذه المعركة ما بين 80 الى 120 الفا من الروم على رأسهم قائدهم ماهان فيما استشهد من المسلمين ما بين 3 الى 4 الاف شهيد ،

وفر هرقل الذي كان يرقب الاحداث من موقع مشرف الى انطاكيا قائلا قولته الشهيرة :"سلام عليك يا سوريا...سلام لا لقاء بعده"

ولاهمية هذه المعركة في التاريخ فقد وصفها الطبري بقوله:"لم يكن بعد اليرموك وقعة"

ولربط الماضي بالحاضر واستلهام العبر والدروس قامت الحكومة الاردنية باطلاق اسم هذه المعركة على ثاني جامعة حكومية في الاردن(جامعة اليرموك استقبلت اول فوج من طلبتها في 9-10-76م) والتي قامت بدورها بانشاء بانوراما توضيحية في موقع المعركة

****

معركة بيسان

المفاوضات قبل بيسان

بعد تجمع القوات الرومية في بعلبك (20ألف مقاتل)، قرروا التوجه لحرب المسلمين في دمشق، ولكنهم تراجعوا بعد هزيمة الروم في (مرج الصفر)، خشية الهزيمة.

وفي نفس الوقت في شمال فلسطين كان شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه، يقوم بإغارات على أهل المناطق المجاورة، يستثيرهم للإسلام أو دفع الجزية، وذكر المؤرخون أنه (أقام القيامة) في هذه الأرض (فلسطين والأردن)، وأغار على كثير من المناطق، حتى تضايق الناس من هذا الأمر، وبدأوا يتجمعون في منطقة غرب نهر الأردن قرب بصرى تسمى (بيسان)، تجمع فيها نحو 20 ألف جندي من الروم، ولم تكن بيسان من المناطق الحصينة، ولكنهم تجمعوا عندها، وكان جيش " شرحبيل" رضي الله عنه ألفين وخمسمائة مجاهد، فوصلت هذه الأخبار إلى (أبي عبيدة بن الجراح) رضي الله عنه، وهو مع جيشه في دمشق، فاستشار خالد بن الوليد في الأمر، وسمع رأيه أولا احتراما له، فأشار عليه خالد بأن يرسل إلى "شرحبيل" مددًا يساعده على مواجهة جيش الروم - لأن جيش الروم في " بيسان" ليس مستعدًا للحرب - على أن يراقب المسلمون جيش " بعلبك"، فإذا ثبت هناك توجهت قوة إسلامية إليه، وإن تحرك تجاه دمشق تحرك إليه الجيش الإسلامي قبل أن يصل إلى دمشق، حتى لا تجتمع القوة الرومية الموجودة في " بعلبك" مع القوة الرومية الموجودة داخل أسوار "دمشق"، ووافق (أبو عبيدة بن الجراح) على اقتراح خالد، وأرسل مددًا لشرحبيل بن حسنة، على رأسه (عمرو بن العاص) رضي الله عنه، الذي توجه ومعه ألفان وثمانمائة مجاهد، فأصبح جيش المسلمين في " فلسطين" نحو خمسة آلاف وثلاثمائة مجاهد، وكان على إمرتهم (عمرو بن العاص) رضي الله عنه. من جهة أخرى

علم المسلمون بتراجع حامية (بعلبك) عن حربهم، فقرروا أن يتوجهوا إليهم في (بعلبك)، وقال أبو عبيدة لخالد: والله ما لهذا الجيش إلا أنا أو أنت أو يزيد، فيقول خالد: لا. بل أنا أسير إليهم، (فهو رضي الله عنه يرى في نفسه القدرة على قيادة هذا الجيش، كما أنه توّاقٌ إلى الجهاد في سبيل الله دائمًا، ويريد أن يتجه إلى القتال) فانطلق رضي الله عنه بجيش قوامه 5 آلاف جندي كلهم من الفرسان، وبقي في حصار دمشق مع أبي عبيدة نحو 21 ألف وسبعمائة مجاهد، وخرج (أبو عبيدة) يودع جيش خالد ويوصيه، ويقول له: إن احتجت للمدد فابعث لي، وأبعث لك بالمدد، وإن احتجت لي أنا، آتِك فورًا. فيشد خالد على يد أبي عبيدة، وينطلق إلى بعلبك..

عرض رومي مذهل

فلما فرغ معاذ من خطابه قالوا: ما نرى بيننا وبينك إلا متباعداً (شعروا أن هناك هوة بعيدة في المفاوضات، وأن كلامه لا يمكنهم القبول به ! ومع ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب الشديد، وهزتهم هذه الكلمات)، وهذه خصلة نحن نعرضها عليكم، فإن قبلتموها منا فهو خير لكم، وإن أبيتم فهو شر لكم (هاهم يقدمون تنازلاً جديدًا) نعطيكم البلقاء وما إلى أرضكم من سواد الأرض،(وهو عرض غريب جدًا، إذ به يتنازلون عن الجزء الجنوبي من الشام، ويطلبون أن يُبقي المسلمون الجزء الشمالي للروم !!) (ونكون معكم على حرب فارس) (وهو عرض سياسي مغرٍ جدًا، يتشابه مع العرض الذي كان مقدمًا للرسول من بني شيبان) وتنحُّوا عن بقية أرضنا وعن مدائننا، ونكتب لكم كتاباً نسمي فيه خياركم وصلحاءكم. أما معاذ بن جبل رضي الله عنه فهو تلميذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلم أمته بالحلال والحرام، لم يكن همه الأرض وأشجار الزيتون، وإنما همه إبلاغ رسالة الإسلام للأرض قاطبة، فهو يعلم أن ما وراء البلقاء شعوب تُقْهَر على عبادة غير الله، ويجب عليه أن يصل برسالة الإسلام إليهم.

قال معاذ: هذا الذي عرضتم علينا وتعطونه كله في أيدينا، ولو أعطيتمونا جميع ما في أيديكم مما لم نظهر عليه ومنعتمونا خصلة من الخصال الثلاث التي عرضتها



عليكم (الإسلام أو الجزية أو القتال) ما فعلنا. فغضبوا عند ذلك غضبًا شديدًا، وقالوا: نتقرب إليك وتتباعد عنا؟ اذهب إلى أصحابك، إنا لنرجو أن نُفرِّكم غدا إلى الجبال. فقال معاذ: أما الجبال فلا، ولكن والله لَتَقْتُلُنّنا عن آخرنا، أو لنخرجَنّكم من أرضكم أذلةً وأنتم صاغرون. فانصرف معاذ إلى أبي عبيدة فأخبره بما قالوا، وبما رد عليهم.

عودة إلى أرض الشام

مفاوضات معاذ بن جبل: وبهذا الفهم ينطلق معاذ بن جبل، وهو يعرف ما الحدود التي يستطيع أن يتفاوض فيها، والأمور التي لا يمكن أن يقبل التفاوض فيها، يدخل (معاذ بن جبل) على فرسه، ويصل إلى المعسكر الرومي، ويجد الروم يجلسون على وسائد من الحرير، ونمارق مبسوطة، والكثير من الرفاهية حتى في أرض المعركة !!، ويجلس أمراء جيشهم، وحولهم الخدم، ويقف هو بفرسه، وثيابه البسيطة، فينزل من على فرسه، وينظر إليهم، ويأتيه أحد الروم ويقول له: أعطني دابتك أمسكها لك، وادنُ أنت فاجلس مع هؤلاء الملوك، فإنه ليس كل أحد يقدر على ذلك. ولكن معاذًا يصر على أن يمسك دابته، ويقف على أول البسط، ويقول لهم (من خلال مترجم): إن نبينا صلى الله عليه وسلم أمرنا ألا نقوم لأحدٍ من خلق الله (يخبرهم أنه لا يقف تعظيمًا لهم)، ولا يكون قيامنا إلا لله، في الصلاة والعبادة، والرغبة إليه، فليس قيامي هذا لك إعظامًا، ولكني قمت هنا، إعظامًا للمشي على هذه البسط، والجلوس على هذه النمارق، التي استأثرتم بها على ضعفائكم، وإنما هي من زينة الدنيا وغرورها، وقد زَهَّد الله في الدنيا، وذمها، ونهى عن البغي والسَّرَف فيها، فأنا جالسٌ هاهنا على الأرض، وكلموني بحاجتكم من هاهنا.

(هذا الأمر به معنى إسلامي واضح، وهو أن المسلمين يكرهون هذه الرفاهية كراهية شديدة، وقد كان من الممكن لسيدنا معاذ أن يتنازل، ويتحمل، ويجلس معهم، ولكن في هذا الأمر ذكاء، وبعد سياسي من معاذ رضي الله عنه، بالإضافة إلى ورعه



وتقواه، فبجلوسه في الخارج بهذا الوضع الغريب، سينقل الناس ذلك إلى من لم يشهدوه، وهو يريد أن يعلم الناس جميعًا أنه جلس على الأرض، ويتساءلون لم جلس كذلك؟ فيكون الرد ما قاله معاذ رضي الله عنه، وهو (أنكم استأثرتم بهذه الأشياء على ضعفائكم) مما يحدث بلبلة في صفوف الجيش الرومي، ويشعرهم بالفارق الشاسع بين الجند وقادتهم، مما يؤدي إلى تصدع الصف، وأن الأمة الإسلامية التي تحاربهم ليس لديهم هذه التفرقة).

فنظر بعضهم إلى بعض متعجبين، فيقولوا له: هل أنت أفضل أصحابك ؟؟ (ذلك أن الزهد عندهم مَقْرون بالأنبياء، وانتهى منذ عهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وحوارييه، أما هم فقد نسوا كل هذا !!، فيتعجبون من اقتراب صفاته من صفات الأنبياء) فيقول لهم: عند الله، معاذَ الله أن أقول ذلك، وليتني لا أكون شرَّهم ! (على الرغم من علو مكانته بين المسلمين، وأنه كان ـ كما قال عنه رسول الله ـ أعلم الأمة بالحلال والحرام، وإمام العلماء، إلا أنه كان يرى نفسه صغيرًا، وهكذا كان شأن صحابة رسول الله دائمًا..) فأخذوا يتناقشون ساعة، فلما ملَّ من الانتظار، طلب منهم الانصراف، فأوصلوا له مجموعة من الطلبات، فقالوا له: (أخبرونا ما تطلبون، وإلى أي شيء تدعون.؟، وما أدخلكم بلادنا، وتركتم أرض الحبشة، وليست منكم ببعيد، ولماذا تركتم أرض فارس، وقد هلك ملك فارس، وهلك ابنه، وإنما تملكهم اليوم النساء؟!!(في ذلك الوقت ملك الفرس بوران بنت كسرى) ونحن ملكنا حي، وجنودنا عظيمة كبيرة، وإن فتحتم من مدائننا مدينة، أو من قرانا قرية، أو من حصوننا حصنًا، أو هزمتم لنا عسكرًا، أظننتم أنكم قد ظفرتم علينا، وأنكم قد قطعتم حربنا عنكم ؟؟، أو فرغتم مما وراءنا منا، ونحن عدد نجوم السماء، وعدد حصى الأرض، وأخبرونا لم تستحلون قتالنا، وأنتم تؤمنون بنبينا، وكتابنا ؟ !!

ردُّ مُعاذ على الروم

فأخذ معاذ الورقة، فبدأ بأن يقول للترجمان: (بعض ما جاء فيه عن فتوح الشام للأزدي)،افهم عني أن أول ما أنا ذاكر حمد الله الذي لا إله إلا هو، والصلاة على



محمد نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن أول ما أدعوكم إليه أن تؤمنوا بالله وحده وبمحمد صلى الله عليه وسلم، وأن تصلوا صلاتنا، وتستقبلوا قبلتنا، وأن تستنوا بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، (وهذا يشمل كل أمور الإسلام، ثم يضيف في اختيار دقيق جدًا) وتكسروا الصليب، وتجتنبوا شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير (فلماذا اختص هذه الأمور الثلاثة، على الرغم من أنهم كانوا يفعلون الكثير من المحرمات غيرها، مثل استعباد الناس، والقتل، واستحلال الزنا، ذلك أنه ـ والله أعلم ـ اختار هذه الأمور الثلاثة لأمرين مهمين:

الأول: أنهم كانوا يستحلون هذه الأمور، أما بقية الأمور فكانوا يُعاقِبون عليها، ولا يجدونها من المكارم، وإن كانوا يفعلونها !!

الثاني: لشيوع ذلك الأمر لدى الروم من كبارهم حتى أسافلهم وعبيدهم !!)

ثم أنتم منا ونحن منكم، وأنتم إخواننا في ديننا، لكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فأدُّوا الجزية إلينا في كل عام وأنتم صاغرون، ونكفُّ عنكم (هكذا يتحدث بكل عزة، ويطلب منهم الجزية، ويقول إنه سيدافع عنهم، هؤلاء العرب، سيدافعون عن الروم !! أقوى قوة في العالم) وإن أنتم أبيتم هاتين الخصلتين فليس شيء مما خلق الله عز وجل نحن قابلوه منكم، فابرزوا إلينا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، فهذا ما نأمركم به وندعوكم إليه. وأما قولكم: " ما أدخلكم أرضنا، وتركتم أرض الحبشة ؟، وليسوا منكم ببعيد " فذلك أنكم أقرب إلينا، وإننا سنأتيهم بعدكم، وإنما يقول ربنا في كتابه العزيز: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [التوبة: 123]، فكنتم أقرب إلينا منهم فبدأنا بكم، وأما أهل فارس فقد أتاهم طائفة منا، وهم يقاتلونهم، ونرجو أن يظفروا عليهم، وأن يفتح الله على يديهم وينصرهم (والروم يعلمون انتصارات المسلمين في فارس، لكنهم يريدون لو انشغل المسلمون بفارس فقط !) وأما قولكم:" إن ملكنا حي، وإن



جنودنا عظيمة، وإنا عدد نجوم السماء، وحصى الأرض " وتُيَئِّسوننا من الظهور عليكم، فإن الأمر في ذلك ليس إليكم، وإنما الأمور كلها إلى الله، وكل شيء في قبضته، فإذا أراد شيئا قال له:(كن) فيكون، وإن يكن ملككم (هرقل)، فإن ملكنا (الله).. (وهذه مصدر عزة المسلم دائمًا، أيًا كان الزعيم، أو العظيم الذي أمامه) وأميرنا رجل منا، إن عمل فينا بكتاب ديننا، وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، أقررناه علينا، وإن عمل بغير ذلك عزلناه، وإن هو سرق قطعنا يده، وإن هو زنا جلدناه (وهي أمور يذكرها معاذ بذكاء، حتى يقارنوا بينهم، وبين ما يحدث عندهم مع ملوكهم !!) وإن شتم رجلا منا، شتمه كما شتمه، وإن جرحه أقاده من نفسه، ولا يحتجب منا، ولا يتكبر علينا، ولا يستأثر علينا في فيئنا، وهو كرجل منا.

(وما كذب معاذ رضي الله عنه، فقد كان أمراء المسلمين في هذه العصور المجيدة كذلك، لا فرق بين أميرهم وصغيرهم، قائدهم وجنودهم، ولكنَّ ذِكْرَ هذه الكلمات في هذا الموقف فيه إذلال شديد للروم..)

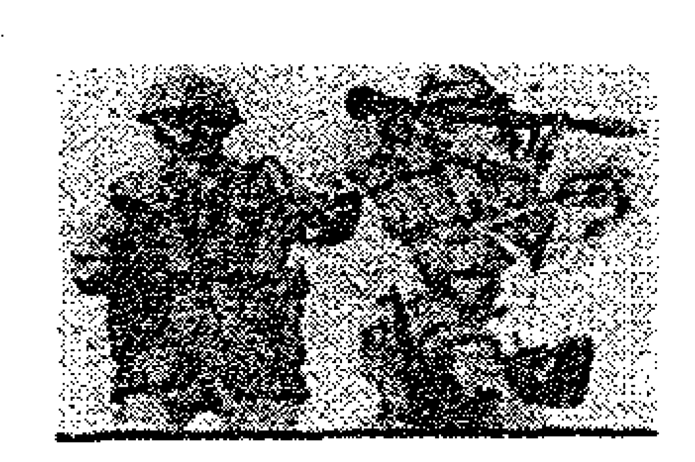
وأما قولكم:" جنودنا كثيرة " فإنا لا نثق بها، ولا نتكل عليها، ولا نرجو النصر على عدونا بها، ولكن نتبرأ من الحول والقوة، ونتوكل على الله عز وجل، ونثق بربنا، فكم من فئة قليلة قد أعزها الله ونصرها، وكم من فئة كثيرة مثلكم قد أذلها الله وأهانها، وقال تبارك وتعالى: (كم من فئة قليلة، غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين)، وأما قولكم: " كيف تستحلون قتالنا، وأنتم تؤمنون بكتابنا ونبينا ؟! "، فأنا أخبركم عن ذلك: نحن نؤمن بنبيكم ونشهد أنه عبدٌ من عبيد الله، وأنه رسولٌ من رسل الله، وأن مثله عند الله كمثل آدم، خلقه من ترابٍ ثم قال له:كن فيكون، ولا نقول:إنه الله، ولا نقول:إنه ثاني اثنين، ولا ثالث ثلاثة، ولا أن لله ولدًا، ولا أن لله صاحبة، ولا نرى معه آلهة أخرى.. تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، وأنتم تقولون في عيسى قولاً عظيمًا، لو أنكم قلتم في عيسى ما نقول، وآمنتم بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، كما تجدونه في كتابكم، وكما نؤمن نحن بنبيكم، وأقررتم بما جاء به من عند الله، ووحدتم الله، ما قاتلناكم، بل كنا نسالمكم، ونواليكم، ونقاتل معكم عدوكم..



بدء المفاوضات

فكر المسلمون في الإغارة على هذه المناطق، حتى يأتوا بالمدد والتموين للجيش الإسلامي، ويقطعوا في الوقت ذاته وصول الإمدادات والتموين عن الجيش الرومي ! ويستحثونه للبدء في المواجهة، وفعلاً وسع المسلمون دائرة الإغارة حتى إنهم وصلوا إلى شمال نهر (جالوت) وشمال الجيش الرومي، واستطاعوا أن يقطعوا الإمدادات القادمة من الشمال، وعند ذلك فكر الروم في مواجهة المسلمين... واحتالوا على المسلمين في البداية بمحاولة هزيمتهم نفسيًا، فقاموا بإرسال رسالة شديدة اللهجة، اعتقدوا أنها قد توهن في قلب المسلمين، فأرسلوا لأبي عبيدة يقولون: (اخرج أنت ومن معك من أصحابك، وأهل دينك من بلادنا، فلستم لها بأهل، وارجعوا إلى بلادكم بلاد البؤس، والشقاء، وإلا أتيناكم بما لا قبل لكم به، ثم لا ننصرف عنكم وفيكم عين تطرف)..

فأرسل إليهم أبو عبيدة قائلاً: (أما قولكم:" اخرجوا من بلادنا فلستم لها بأهل " فَلَعَمْرِي ما كنا لنخرج منها، وقد أذلكم الله فيها بنا(يذكرهم بهزائمهم المتتالية) وأورثناها، ونزعها من أيديكم، وصيَّرها لنا، وإنما البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله، والله مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء. أما قولكم في بلادنا إنها " بلاد البؤس والشقاء "! فصدقتم، وما نجهل ما قلتم، إنها لكذلك، وإنا لنحمد الله، فقد أبدلنا خيرًا منها، بلاد العيش الرفيع، والأنهار الجارية، والثمار الكثيرة (إشارة إلى الشام أرض الروم، وهو بذلك يسخر منهم ويستفزهم أكثر)، فلا تحسبونا تاركيها، ولا منصرفين عنها حتى نفنيكم، ونخرجكم عنها، فأقيموا ؛ فوالله لا نجشمكم: إن أنتم لم تأتونا إلا أن نأتيكم، وإن أنتم أقمتم لنا فلا نبرح حتى نبيد خضراءكم، ونستأصل شأفتكم إن شاء لله) وهكذا يرد عليهم ردًّا مليئًا بالقوة والعزة، وبمجرد وصول هذه الرسالة إلى الروم أصيبوا هم بالهزيمة النفسية، وهزهم الخطاب هزًا شديدًا، لدرجة أنهم أرسلوا له رسالة أخرى، يقولون له فيها:



(ألا ترسل لنا رسولا من عندك نتفاهم معه ؟..) فيرسل لهم أبو عبيدة معاذ بن جبل رضي الله عنه، الذي يتجه إلى المعسكر الرومي ليحدثهم فيم يريدون....

[عدل] عبرة من مفاوضات الرسول (صلى الله عليه وسلم)

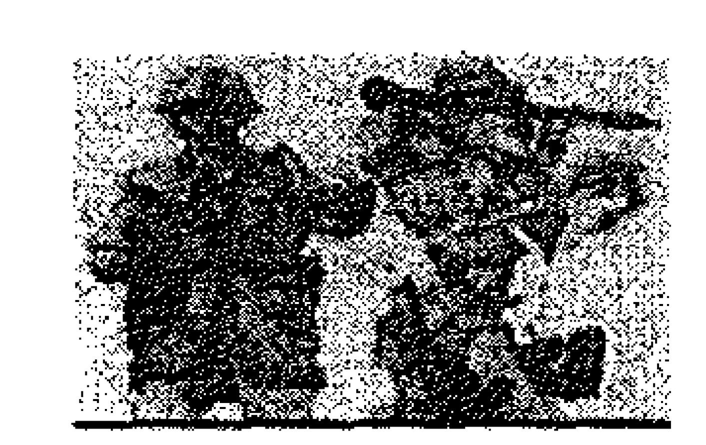
ومن المفيد أن نتذكر ما كان قبل ستة عشر عامًا، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفاوض الوفود القادمة لمكة للحج، يفاوضها على حماية المسلمين، أو الدخول في الإسلام، ونجد من الصحابة تطبيقًا عمليًا واضحًا لهذه المفاوضات بعد ذلك، كما فعل من فاوضوا رستم قائد الفرس، ومن خلال ما فعل (معاذ بن جبل) مع الروم في هذه المفاوضات.

مفاوضاته مع بني شيبان:

جاء في هذه المفاوضات مفاوضات الرسول صلى الله عليه وسلم مع وفد بني شيبان (مفروق، وهانيء بن قبيصة، وكان فيه " المثنى بن حارثة" قبل إسلامه) وهم يعيشون في شمال الجزيرة العربية، حيث ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكرالصديق رضي الله عنه، فسألهم: كيف العدد فيكم ؟ فقال مفروق (أحد عظمائهم): إنا لنزيد عن الألف.. ولن تغلب الألف من قلة، فسأله أبو بكر: وكيف المنعة فيكم ؟؟، قال مفروق: علينا الجد والجهد، ولكل قوم حد، قال أبو بكر: وكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبًا حين نلقى، وإنا لأشد ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنا لنؤثرالجياد على الأولاد، وإنا لَنُؤْثِرُ السلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يدلينا مرة، ويديل علينا أخرى، لعلك أخو قريش ؟؟ (خُيِّل إليه أن أبا بكر هو رسول الله، وكانت قد وصلتهم أنباء عنه) فقال أبو بكر: أوبلغكم أنه رسول الله، فها هو ذا، وعرفهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، فإلام تدعو يا أخا قريش ؟؟، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أدعو إلى شهادة ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأني رسول الله



((فهذه هي القاعدة الأولى، التي يجب أن يتفق عليها معهم))، وإلى أن تؤوني وتنصروني، فإن قريشًا قد تظاهرت على أمر الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق !، والله هو الغني الحميد، فقال مفروق: وإلام تدعو أيضًا، يا أخا قريش ؟، فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:" قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"[الأنعام: 151]، ثم قال له مفروق: وإلام تدعو أيضًا يا أخا قريش ؟، فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: "إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " [النحل: 90] فلما سمع مفروق ذلك كله، قال: دعوت يا أخا قريش والله إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أَفِكَ (أي: خسر) قومٌ كذبوك وظاهروا عليك. وبذلك أبدى مفروق تعاطفًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي نقطة مهمة في الدعوة، ومكسب للرسول، لأنه حتى هذه اللحظة، لم يكن أحدٌ من الوفود حول مكة قد دخل في الإسلام بعدُ..، ولم يكن الرسول قد أرسل لأهل المدينة بعد، وكأن "مفروق " قد أحب أن يشرك أحد أفراد قبيلته في الأمر، وهو " هانيء بن قبيصة "، فقال: وهذا (هانيء بن قبيصة) شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانيء: لقد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى أن تركنا ديننا، واتباعنا إياك على دينك لمجلسٍ جلسته إلينا، ليس له أول ولا آخر، لوهن في الرأي، وقلة نظر في العاقبة، (أي أنه يريد أن يفكر في الأمر، ويتريث) وإنما تكون الزلة في العجلة، ومن وراءنا قومٌ نكره أن نعقد عليهم عقدًا، ولكن ترجع ونرجع، وتنظر وننظر ! (وكأنه أحب أن يشرك " المثنى بن حارثة في الأمر) فقال له: وهذا " المثنى بن حارثة" شيخنا وصاحب حربنا (وكان معروفًا بأنه أشد فرسان بني شيبان)،فقال المثنى: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب ما قال ابن قبيصة، في تركنا ديننا واتباعك في مجلس جلسناه إليك ليس له أول ولا آخر، ولكن إنما نزلنا بين صريين: بين اليمامة والسماوة "، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذان الصريان ؟؟؟،



فقال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما أنهار كسرى (أي كل ضرر يأتيك من كسرى) فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول، وأما ما كان من مياه العرب (أي مشكلات ضدالعرب) فعذره مقبول، وذنبه مغفور، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا " كسرى "، لانحدث حدثًا، ولا نُؤْوِي محدثًا (ورسول الله عندهم محدث، لأنه أتى بشيء جديد) وإني لأرى أن هذا الأمر مما تكرهه الملوك (ويقصد بذلك كسرى)، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا. (وكان هذا العرض ثمينًا، في وقتٍ أشد ما يكون على المسلمين، حيث كان رسول الله خارجًا لِتَوِّه من حصار شعب أبي طالب، وكانت ذلك في عام الحزن،

مراوغات وتحركات إلى بيسان

يتجه (خالد ين الوليد) رضي الله عنه من شمال دمشق إلى بعلبك، وهي في سهل البقاع الموجود بين سلسلتين من الجبال الشرقية، والغربية، وجيش المسلمين يتوجه صَوْبَ (بعلبك) شرق سلسلة الجبال الشرقية، في حين كان جيش الروم بعد أن علم بتوجه الجيش الإسلامي له يفر من ملاقاة الجيش الإسلامي، (على الرغم من كثرة عدده 20 ألفا) ويتجه إلى منطقة بيسان، بعد أن أمرهم (هرقل) بذلك، وكان هذا قرارًا (عسكريًا) حكيمًا، لأن في (بيسان) 20 ألفا من الجنود، وبانضمام هؤلاء إليهم، يصبحون 40 ألفًا، بإمكانهم أن يقاوموا جيش المسلمين الـ(5 آلاف مقاتل فقط)..

فتوجهت الجيوش الرومية من بعلبك - عبر الطرق الداخلية، بين سلسلتي الجبال العاليتين - إلى (بيسان)، وعلى الرغم من قوة (مخابرات) خالد بن الوليد رضي الله عنه، إلا إنه لم يعلم بأمر توجه هذه القوات إلى الجنوب ! وتوجه إلى (بعلبك)، كل ذلك بسبب تلك الجبال الوعرة.. ووصل خالد إلى بعلبك، ولم يجد فيها جيشًا !!

خالد ينطلق إلى بيسان

وعلى الفور يعود (خالد) إلى دمشق، ليستطلع رأي أبي عبيدة، فيأمره أبو عبيدة بالتوجه إلى الروم المجتمعين في بيسان.. لمؤازرة جيش عمرو بن العاص هناك،

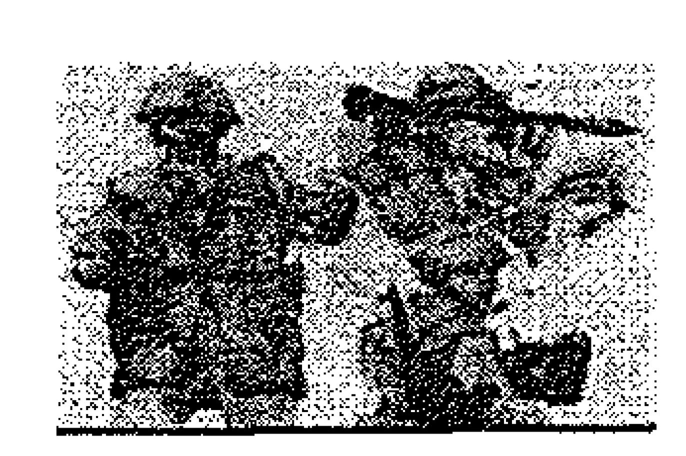


ويبدو أن الروم قد ركزوا تجمعهم على هذه المنطقة.. وتُعَدُّ الجيوش الإسلامية على وجه السرعة، مع استبقاء جيش من المسلمين (نحو 7 آلاف) بقيادة (يزيد بن أبي سفيان) في حصار دمشق، حتى لا تخرج حامية دمشق في ظهر المسلمين.. ويجعل أبو عبيدة خالد بن الوليد في مقدمة جيشه، ويأمره بأن يسبق المسلمين بألف وخمسمائة فارس، لنجدة الجيش الإسلامي في بيسان..

ينطلق خالد بفرسانه شرق نهر الليطاني، وبحيرة طبرية، حتى أنه من شدة سرعته، يباغت مؤخرة الجيش الرومي القادم من بعلبك إلى بيسان، على الرغم من تحركها قبله بفترة طويلة، وكانت قد اتخذت طريقها غرب نهر الأردن، وغرب بحيرة طبرية، فوصل خالد إلى جنوب بحيرة طبرية، ويجد أن أخريات الجيش الرومي على الجهة الأخرى، فيعبر نهر الأدرن، ويقتتل معهم، ويهرب منهم الكثير على الرغم من كثرة عددهم (حيث كان بإمكانهم أن يستديروا لمواجهة فرسان خالد) في مواجهة فرسان خالد (20 ألف مقابل ألف وخمسمائة فارس !!) (إلا أنهم لم يكن لهم هم إلا المسارعة للوصول إلى حامية الروم في بيسان) فقتل خالد كثيرًا من أخريات الجيش الرومي، وعاد بعد ذلك إلى منطقة (فِحْل) التي عسكر فيها عمرو بن العاص بجيشه المكون من خمسة آلاف وثلاثمائة مجاهدٍ، فيصل إليهم ومعه بعض الغنائم من الجيش الرومي الذي حاربه، ويستبشر المسلمون بقدوم خالد بن الوليد إليهم استبشارًا عظيمًا.. ويغدو للمسلمين معسكران في هذه المنطقة: واحد بقيادة خالد، والآخر بإمرة عمرو بن العاص..

وانتظر المسلمون بقية الجيش الإسلامي القادم من دمشق، حتى وصلوا إليهم، وبدأ أبو عبيدة يعد الجيوش الإسلامية لحرب جيش الروم في (بيسان).

يقسم أبو عبيدة جيشه جاعلاً خالد بن الوليد في المقدمة مع فرسانه، ومعاذ بن جبل على الميمنة، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص على الميسرة، و(سعيد بن زيد) على



المشاة، وكان لا ينام إلا على تعبئة (أي على هذا الترتيب)، حتى إذا باغته الجيش الرومي في أي وقت تكون جميع الجيوش مستعدة للقتال والمواجهة.

ولم تفتأ الإمدادات الرومية تتوالى على الجيش الرومي في بيسان الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، عبر السفن حتى تزايد عدد الجيش الرومي، وأراد خالد أن يبدأ بحربهم قبل أن يأتيهم مدد أكثر، واستعمل الروم حيلة حتى يمنعوا المسلمين من التقدم إليهم، وذلك بأن فجروا السدود الموجودة بنهر جالوت (الذي يفصلهم عن المسلمين) فغُمِرَتْ تلك المنطقة الفاصلة بالمياه.. ومع ذلك تقدم المسلمين، إلا أن الأرض أصبحت موحلة (طينية)، فلم يستطع المسلمون مواصلة التقدم (وسميت تلك الأرض الردغة، أو " ذات الرداغ" من كثرة الطين والوحل فيها !)، وكانت هذه المطاولة (الإبطاء في المواجهة) من مصلحة الروم، لأن هذا الجانب الغربي لنهرالأردن (الذي مكثوا فيه) كان هو الجانب الخصب، ولم يكن الجانب الشرقي خصبًا لدرجة كافية، فكان لدى المسلمين مشكلة في التموين والغذاء !، بالإضافة إلى تزايد الإمدادات القادمة للجيش الرومي، حتى تضاعف عددهم بعد بضعة أيام إلى 80 ألفا !!!!...

رسالة أبي عبيدة إلى عمر

استعد جيش أبي عبيدة رضي الله عنه للقتال، وبدأ في إعداد الصفوف، وأرسل إلى عمر رضي الله عنه بأن الروم رفضوا الجزية، وأنهم سيبدءون في الحرب، وسلم هذه الرسالة إلى أحد نصارى الشام وكان عدَّاءً ماهرًا، وفي نهاية ذلك اليوم خرجت بعض القوات الإسلامية من فِحْل، للتحرش ببعض القوات الرومية التي خرجت من خلف المستنقع من "بيسان" لمناوشة المسلمين (كما أخبرتهم المخابرات الإسلامية بذلك)، فما كان منها إلا أن عادت بسرعة! وكان رسول أبي عبيدة قد انتظر حتى يرى ما حدث بعد خروج الجيش الإسلامي، ولم ينطلق برسالته إلا بعد أن عاد الجيش الإسلامي فرحًا بالهزيمة النفسية التي حققها لذلك الفريق الرومي، ووصل



الرسول إلى عمر، وسلمه الرسالة من أبي عبيدة، فسأله عمر: وكيف تركت المسلمين؟ فأخبره بأنه ما تركهم حتى علم أمر ذلك الفريق، وأنه تركهم على خير حال، فعاتبه عمر لأنه تأخر في إيصال الرسالة، فقال له: علمت أنك سائلي عن ذلك. فأعجب عمر رضي الله عنه بذكائه، وسأله ما دينك؟ فقال له: نصراني. فقال له عمر: ويحك! أسلم. فلم يكن من الرجل إلا أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

ونحتاج أن نتوقف قليلاً عند هذا الموقف المهم، إذ فيه يتجلى ملمح من ملامح الخليفة الفاروق عمر رضي الله عنه، الذي لم يضيع فرصة وجود هذا النصراني، حتى دعاه إلى الإسلام، وحتى كان سببًا في نجاته من النار! فلم يكن تعامل الخليفة معه تعاملاً عاديًا لكونه مجرَّد رسول من قائده، ولكنه يدعوه إلى الإسلام في هذا الوقت السريع المحدود، ويسلم الرجل فعلاً، وهكذا يجب على المسلم ألا يضيع وقتًا أو فرصة للدعوة إلى الله، فسيجد المسلم -في كل وقت- مَن هو أهلٌ لأن يدعوه، ويستنقذه من النار، ويدخله -بفضل الله ورحمته- الجنة، وذلك يكون حتى بين المسلمين أنفسهم، بأمره بطاعة، أو نهيه عن فعل معصية، كما أنه لا شكَّ أن لدى هذا الرجل قابلية منذ البدء للإسلام، فعمر لم يوضح له قواعد الإسلام أو ضوابطه، ولكن هذا الرجل -لا شك- قد رأى من جنود المسلمين بأرض الشام ما أعجبه، وما وجد فيه الفرق بين الإسلام وبين النصرانية، وبين تطبيق المسلمين للإسلام، وتطبيق النصارى للنصرانية؛ فلم يتبقَّ له إلا الشيء اليسير، الذي حركه في نفسه طلب خليفة المسلمين عمر رضي الله عنه. ونستفيد من ذلك أن لكل فرد عددًا من الأفراد ينقلونه من حال الكفر إلى الإيمان، أو من المعصية إلى الطاعة، نفترض أن لكل فرد مثلاً خمسة أشخاص، يحدثونه كل واحد على حدة، وفي أماكن مختلفة، ومواقف مختلفة، ولا يسلم أو لا يتغير إلا بعد جهد هؤلاء الخمسة، الذي اخْتُزِن في ذاكرته طويلاً، ولا يسلم إلا على يد الخامس هذا، وهذا -لا شك- لا ينقص من أجر الأربعة الذين سبقوه شيئًا، فعلى المسلم أن يسعى دائمًا، وليس عليه أن ينتظر النتائج، أو أن يرى النتائج أمامه!! وفي المقابل إذا أسلم على يده أحد، أو اهتدى على يده أحد، لا يبالغ بالافتخار بذلك،



ويعتقد أنه هو الوحيد صاحب الفضل في ذلك، بل إنه مجرَّد الأخير، وقد سبقه -ولا شك- الكثيرون.

المناوشات الأولى.. وبداية المعركة

يخرج خالد بن الوليد بمقدمة الجيش في مناوشات أخرى مع مقدمة جيش الروم في 1500 من الفرسان، فيقسم جيشه أقسامًا ثلاثة، ويكون هو في قلبها، وعلى الميمنة (قيس بن هبيرة)، وعلى الميسرة (ميسرة بن مسروق). تقدمت إحدى القوى الرومية، فخرج إليهم (قيس بن هبيرة) في مجموعة من الخيول، وصدهم صدًّا شديدًا، على الرغم من أن قوة الروم كانت أكبر بكثير، إلا أن (قيسًا) صبر كثيرًا، ولم يُقتَل الكثير من الطرفين، فعاد قيس وفريقه، وبعد قليل خرجت مجموعة، فخرج لهم (ميسرة بن مسروق) بمجموعته، وصدهم صدًّا شديدًا، فقُتل من الروم بعضُهم، ولم يُقتل من المسلمين أحدٌ، فعاد الطرفان، ثم خرج من الروم قوة أكبر، عليها قائد مقدمة الروم، فخرج إليها (خالد بن الوليد) بنفسه، وبعض جنده، فصدها صدًّا عنيفًا، وقتل منها كثيرًا فعادت، لكنه لم يعد، واستمر بقواته، واقتحم مقدمة جيش الروم، على غير المألوف، فهجمت الطائفتان (الميمنة والميسرة) المسلمة على بقية الجيش الرومي، وأحدثت فيهم مقتلة عظيمة، لدرجة أنهم لم يكن لهم من هَمٍّ إلا الفرار!! وتتبعهم (خالد بن الوليد) حتى دخلوا معسكرهم، فعاد خالد بن الوليد وفرسانه، فرحين بما حصدوه من نصر، وما حصلوا عليه من غنائم، وبما أحدثوا من هزة نفسية شديدة للروم.

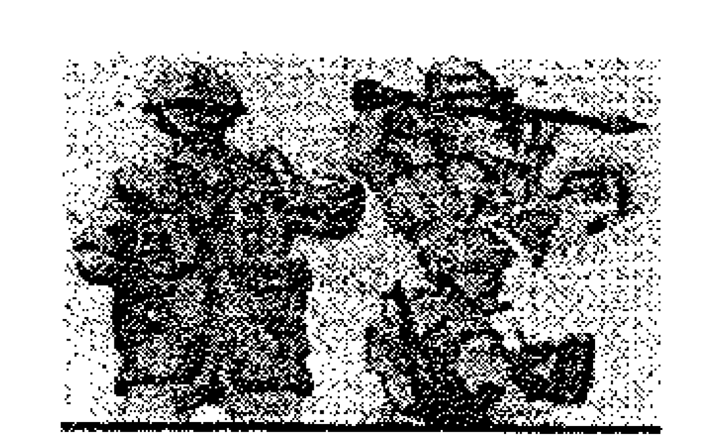
ثم يفكر (خالد بن الوليد) في هذه الليلة مع أبي عبيدة في كيفية مواجهة هذا الجيش الرومي الهائل، ويلهمه الله عز وجل فكرةً ذكية، وهي أن جيش الروم الآن في أضعف لحظاته، وأن الهجوم عليهم يجب أن يكون في الصباح، ويوافقه أبو عبيدة على ذلك، ويبدأ أبو عبيدة في الثلث الأخير من الليل (في ذلك الوقت الشريف، حيث



ينزل الله ا إلى السماء الدنيا، فيعطي كل سائلٍ مسألته) يصُفُّ المسلمين، ويدعون الله عز وجل، ويجهزون صفوفهم لملاقاة عدوهم بعد صلاة الفجر.

ساعة الصفر بعد الفجر

كان ذلك في 28 ذي القعدة عام 13هـ (الموافق 23 يناير 635م)، حيث متوسط درجة الحرارة في هذه المنطقة آنذاك 12 درجة مئوية، فجوُّ الحرب قارس البرودة عليهم، وهم لم يعتادوا على مثل تلك الأجواء، وخاصة أنهم قادمون من مناطق حارة (كالمدينة ومكة)، ومع ذلك تحملوا برودة الجو الشديدة، وأعدوا العدة والعتاد للحرب، يمرُّ أبو عبيدة على كل مجموعة، ويحمسهم للقتال في سبيل الله، قائلاً: "عباد الله، اِستوجِبُوا من الله النصر بالصبر، فإن الله مع الصابرين". وهو أمر صعب للغاية عليهم، ولكنه يقول لهم: "عباد الله، إني أبشر من قُتِل منكم بالشهادة، ومن بقي منكم بالنصر والغنيمة، ولكن وَطِّنوا أنفسكم على القتال، والطعن بالرماح، والضرب بالسيوف، والرمي بالنبال، ومعانقة الأقران، فإنه والله لا يُدْرَك ما عند الله إلا بطاعته، والصبر على ذلك في هذه المواطن المكروهة". ثم يبدأ بعد صلاة الفجر مباشرة، وقبل أن تطلع الشمس، في تحريك الجيوش الإسلامية من (فِحْل) عابرةً نهر الأردن، من الشرق إلى الغرب، من مخاضة كان ارتفاع المياه فيها نصف متر تقريبًا، ثم يُصفّ المسلمون صفوفهم في هذه الجهة، وعلى الجهة المقابلة كان الجيش الرومي بقيادة (سقلار) وهو من كبار قواد الروم، يظنُّ أن المسلمين سيكونون نائمين، ففكر أن يباغت المسلمين، وبدأت الجيوش تتحرك باتجاه الجيش المسلم، فوصل إلى جنوب المستنقعات، ففوجئ بوجود الجيوش الإسلامية مصفوفة على هيئة القتال، وكانت هذه مفاجأة قاسية لهم، ودليل على ضعف المخابرات الرومية آنذاك، إذ لم يكتشفوا تحرك المسلمين حتى ذلك الوقت!! فرأى خالد وجيشه أن الجيش الرومي عرضه كبير، لا يرى أوله من آخره، وهو جيشٌ ضخمٌ جدًّا، فأخذ خالد بن الوليد مقدمته (الألف وخمسمائة فارس)، وانطلق باتجاه الجيش الرومي، في جولة استطلاعية حتى يرى نظام الجيش الرومي وإعداده، فرأى لهم ترتيبًا عجيبًا آنذاك، وجد أن للروم قلبًا



وميمنة وميسرة، ولكن في القلب خليطًا من الجنود الفرسان والمشاة (على غير المعتاد، وقد كان المعتاد أن يكون الفرسان بمفردهم، والمشاة بمفردهم)، كما جعلوا كلَّ الخيل من جهة الميمنة راميًا ورامحًا، وذلك لحماية الجيش الرومي من الخيول الإسلامية، فرأى خالد أن هذا القلب بذلك في منتهى القوة؛ لأنه محميٌّ من الطرفين بالرماة والرماح، فلا يمكن أن يقترب منه الخيل المسلم إلا وأصيب! ويعلم خالد جيدًا أن الروم يعلمون تفوق الخيل العربي على خيل الروم، مهما كانت قوة هذا الخيل الرومي، وكان ذلك تجهيزًا ذكيًا من الروم، كما أنه لاحظ أن الميمنة والميسرة كلها مشاة، لا خيول فيهم، وهذه هي نقاط ضعف الجيش الرومي، كما لاحظ أيضًا أن عرض الجيش ضخم جدًّا، لدرجة أنه لو هجم على المسلمين، وهو بهذه الضخامة، فمن الممكن أن يلتف حول المسلمين (مع فارق العدد الهائل)، كما وجد أن ظهر الجيش الرومي مفتوح، أي أنه لو هُزِم فسيكون الفرار يسيرًا لهم، ففكر على الفور في التغلب على هذه الخطة، فبدأ بالاقتراب من الروم، وكأنه سيقاتلهم، فتجرأ عليه الروم وهاجموه، كل ذلك والجيش الإسلامي كله لا يزال في مكانه مستقرًّا، فتتجرأ القوات الرومية، وتبدأ بحرب القوة التي مع (خالد) ويُظهِر خالد الفرار، وكأنه خشي من القوات الرومية، فيتجرأ الجيش الرومي في ملاحقته (صورة توضح خطوط الكر والفر التي يقوم بها خالد)، حتى جعل الجيش الرومي يصل إلى المنطقة التي يكون من خلفه فيها المستنقعات، وبذلك تغلب على عامل الهرب، وحاصرهم من الخلف، مما يؤثر عليهم، كما أن هذا المكان ضيق، ولا يتسع لهذه الجيوش العريضة أن تقف أمام جيش المسلمين، فما كان منهم إلا أن صفوا صفوفهم أكثر، فقل عرض الجيش (لو افترضنا أن الجيش 100 ألف، ووقف كل ألف متجاورين، فإنهم يكونون 100 صف، أما إذا وقف في كل صف مائة، فإنهم يكونون ألف صف!!) وخالد يضمن كفاءة الصف المسلم، بتقليل أفراد الصف الرومي المقابل له، فيريد أن يقاتل كل رجل رجلاً من كل صف، ولا يتجمع في قتال كل مسلم أكثر من رومي، وبذلك لم يتبق أمامه إلا مشكلة قلب الجيش الرومي الذي يحيطه الرماة ويحمونه، فوضع الخطة مباشرة أن قسم المقدمة (الفرسان) إلى ثلاثة أقسام، كل قسم 500، ويجعل على الميمنة "قيس بن هبيرة"،



ويجعل نفسه على الميسرة، ويضع "ميسرة بن مسروق" في قلب المقدمة، ثم يشير إلى "قيس" وينطلق بالميسرة معه، إلى أجناد الجيش الرومي الميمنة والميسرة (المشاة) فيبدأ في حربهم، وكان القتال عنيفًا أباد فيه المسلمون كثيرًا من الروم؛ لأن الروم مشاة، وقد اقتحم عليهم الفرسان المسلمون بخيولهم، وحقق المسلمون نصرًا سريعًا في البداية، وعلم خالد أن جيش الروم عندما يجد ما يحدث في الميمنة والميسرة من هزيمة كبيرة، ستتجه خيولهم مباشرة لنجدة الميمنة والميسرة، وهذا ما فعلته الجيوش الرومية، وبذلك فقدت قوتها فانكشف قلب جيش الروم، ثم قال خالد بن الوليد: الله أكبر! أخرجهم الله لكم من رَجَّالَتِهم (وهكذا ينسب الفضل كله إلى الله)، ثم يقول: شُدُّوا عليهم. فانقض "ميسرة" ناحية قلب الجيش الرومي المكشوف، وبدأ يحاربهم، وأتت الجيوش الرومية إلى خالد وقيس، وهما لم يعودا يخشيان هذه الخيول، بعد أن تركتهم تلك الحماية.

كل ذلك يحدث، ولا يزال الجيش الإسلامي في مكانه ثابتًا، وخالد بن الوليد يجبر عدوه على التحرك، واتخاذ قرارات، ومواقف معينة، كما يريد هو؛ نتيجة لذلك يشتد القتال على أجناب جيش الروم من قبل قيس وخالد، ويتقدم "ميسرة" تجاه المقدمة، وبدأ الجيش الإسلامي الموجود في هذه المنطقة يدرك خطة خالد بن الوليد رضي الله عنه، الذي كان قد بدأ في تنفيذها فورًا، فلم يسعفه الوقت حتى يستأذن، أو يخبر أبا عبيدة رضي الله عنه، بل كانت كل حركته في سرعة، ثم انطلقت جيوش المسلمين: "معاذ بن جبل" على الميمنة في ميسرة الروم وخلف خيولهم، وسعيد بن زيد يساعد "ميسرة" في القلب، وهاشم بن عتبة على الميسرة يهاجم ميمنة الروم، وخلف جنود الروم أيضًا، وهكذا حُصِرت ميمنة جنود الروم بين هاشم وخالد، وحصرت الخيول في الميسرة بين معاذ وقيس، وأبو عبيدة يحمي بفريقه مؤخرة المسلمين، واشتد القتال، واستعرت الحرب، حتى نزل عليهم الليل، ووقع الكثير من القتلى في صفوف الروم، حتى إن الرواة يذكرون أن جيش الروم كله قد أصيب (80 ألفاً)، ولم يفلت منهم إلا الشريد، أي أن الروم لما أدركتهم الهزيمة، بدءوا يتراجعون ففوجئوا



بسقوطهم في المستنقعات، فتمكَّن المسلمون من اللحاق بهم، ووقع الكثير منهم في القتل.

وكل هذا يدلنا على مدى قوة المسلمين، وصبرهم في ميدان الجهاد، فبحسابات الدنيا نجد أن جيش المسلمين (25 ألفًا) أمام جيش الروم (80 ألفًا)، أي أن المعركة غير متكافئة إطلاقًا، وعلى كل مسلم أن يقتل 3 من الروم، ولكنهم أخذوا بأسباب النصر، فكان توفيق الله حليفهم.

[عدل] ملاحظات على المعركة

كانت هذه الموقعة دليلاً على كفاءة المسلمين، لاحظنا فيها تأييد الله عز وجل للمسلمين، وهذا سبب كافٍ، ولكننا يجب أن نذكر أن ذلك التأييد من الله عز وجل استحقه المسلمون آنذاك؛ لما تمسكوا بكتاب الله، وسنة نبيه ٢.

كما كان القائد في هذه الموقعة -كما بدا- هو خالد بن الوليد رضي الله عنه، وإن كان أبو عبيدة هو القائد الرسمي، إلا أننا لمسنا براعته العسكرية، ومهارته في القيادة، ولاحظنا كيف تمكّن من استدراج جيش الروم إلى المنطقة التي يريد أن يحاربهم فيها، كل ذلك التخطيط البارع وجدناه عند خالد، في مقابله وجدنا القائد الرومي يرتبك، وتفشل كل مخططاته للحفاظ على جيشه، مما أدى إلى تلك الهزيمة النكراء!! وكما يقول الرواة: "إن الله عز وجل نصر المسلمين بما كانوا يكرهون". فقد كره المسلمون ذلك المستنقع، الذي وضعه الروم لعرقلتهم، فإذا به يتحول إلى الفخ الذي تسقط فيه فلول الجيش الرومي؛ كل ذلك لإثبات أن النصر إنما يكون من عند الله عز وجل، ينصرهم كيف يشاء.

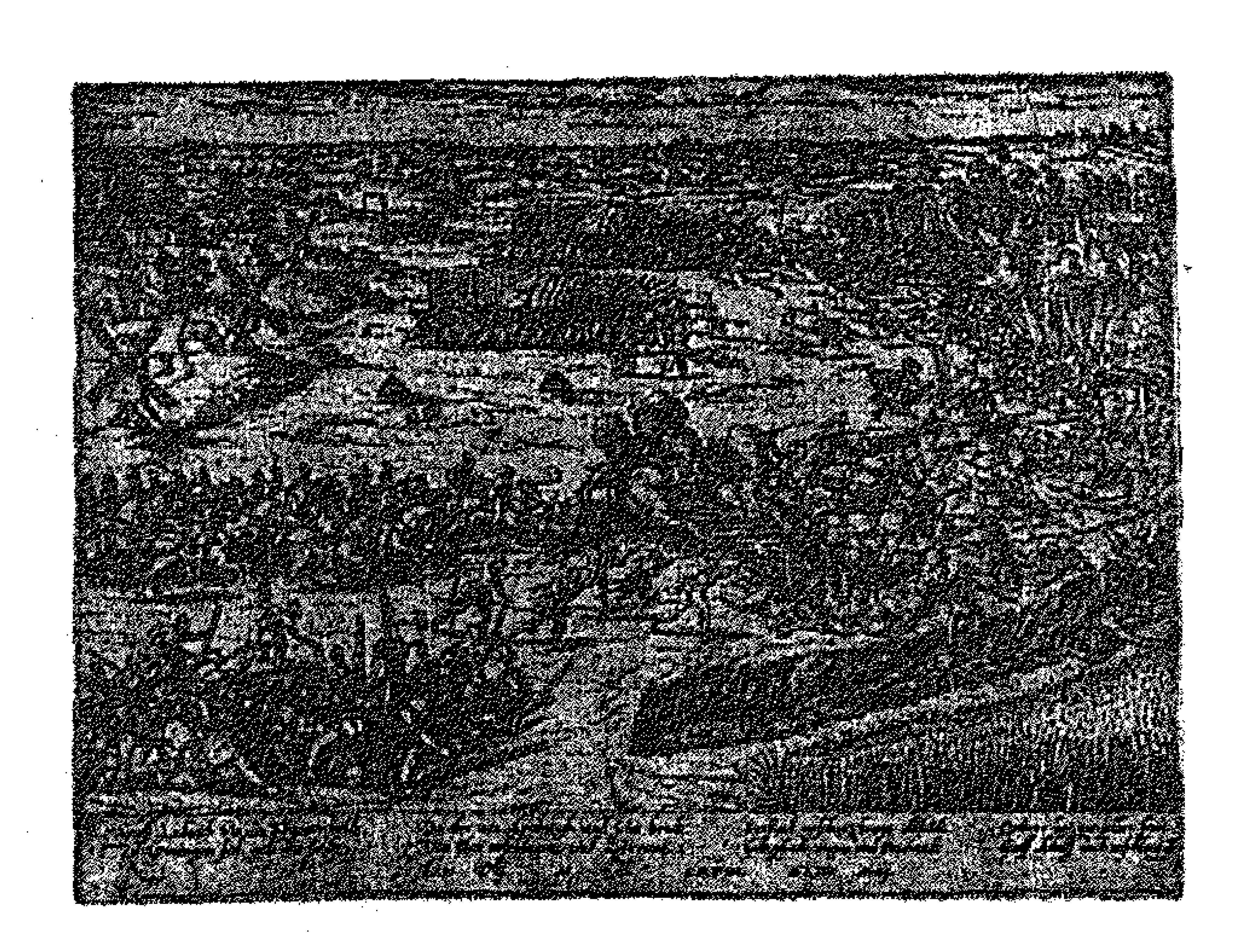
كما تميز الجيش الإسلامي في هذه المعركة بخفة الحركة، وسرعة الأداء، وهذا ما اعترف به حتى المؤرخون النصارى، إذ أسرع المسلمون، منذ اللحظة الأولى في

التحرك، والاستجابة لتعليمات خالد بن الوليد، وباغتوا الروم أكثر من مرة؛ مما كان له عظيم الأثر في انتصارهم. كما تمتعوا بكفاءة قتالية عالية، وصبرهم على القتال من الفجر حتى الظلام كان أمرًا لافتًا للأنظار. كذلك لا ننسى دور المخابرات الإسلامية في هذه المعركة، على عكس المخابرات الرومية، وكذلك الروح المعنوية العالية للمسلمين، فهم يقاتلون وليس أمامهم إلا إحدى الحسنيين: إمّا النصر، وإمّا الشهادة.

وبعد الانتصار كتب أبو عبيدة لعمر بن الخطاب يبشره بالنصر، وأرسل الرسالة مع سعيد بن عامر رضي الله عنه، وذلك أن "سعيدًا" رضي الله عنه تاقت نفسه إلى حج بيت الله الحرام، فطلب من أبي عبيدة أن يرسله إلى عمر رضي الله عنهم جميعًا، وبدأ المسلمون يتسلمون الأردن وفلسطين من أهلها.

***

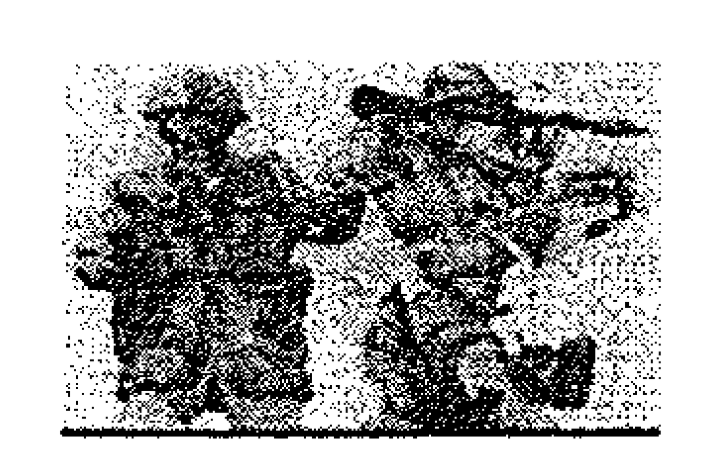
حرب المعدمين Beggars War



حرب داخلية أوربية شبت عام 1565 واستمرت حتى سنة 1598 م.

بدأت هذه الحرب بثورة قام بها المعدمون البروتستانت في هولندا ضد الأسبان الذين كانوا يحتلون البلاد ويحكمونها.
وتحت تأثير هذه الثورة الشعبية الطويلة انقسمت هولندا الى شطرين سنة 1581 م:
هولندا الجنوبية أو الاسبانية (والتي تحولت في مابعد الى مملكة بلجيكا) ،وهولندا الكالفينية (التي تحولت في ما بعد الى مملكة هولندا الحالية).

ومن أبرز أحداث هذه الحرب حصار الهولنديين الكالفينيين لميناء أنفرس "أنتويرب" الذي تدهور بعدها دوره الاقتصادي في مجال التجارة البحرية.
غير أن السلام الذي ساد بعد سنة 1598م سمح بعودة الميناء الى سابق ازدهاره.



كما تكرس نهائيا بعد ذلك وضع المملكتين الهولندية والبلجيكية على أساس الولاء السياسي والديني لكل منهما ، ومنذئذ أصبحت بلجيكا معقلا للكاثوليك وهولندا معقلا للبروتستانت.وعلى هذا الأساس كتب على كل من المملكتين أن تزج في حرب الثلاثين عاما التي سوف تنشب بعد أقل من ربع قرن من انتهاء حرب المعدمين..

***



حرب البوير Boers War



كلمة بوير تعني باللغة الهولندية :الفلاحين. وقد ألقيت هذه التسمية على جميع المستوطنين الهولنديين الذين بدأوا منذ عام 1652م يتوافدون على رأس الرجاء الصالح والذين سرعان مااستعمروا منطقة جنوب افريقيا بأسرها.كما شملت هذه التسمية ايضا جميع المستوطنين البيض الذين قدموا للبلاد وتوالدوا فيها (فرنسيين ،ألمان ، بريطانيين الخ..) ، ولغة البوير هي الأفريكانس وهي لهجة شعبية مشتقة من اللغة الهولندية.

أما حرب البوير " أو حرب الترانسفال" فهي تلك الحرب التي خاضها هؤلاء المستوطنون البيض في جنوب افريقيا ضد الانجليز بغرض الاستقلال عن السلطة البريطانية في الفترة بين 1899-1902 م.

كان البوير قد انشأوا جمهورية البوير في الناتال -شمال شرق البلاد- عام 1839م .ثم وسعوا حدود هذه الجمهورية جنوبا فأعلنوا عام 1849 م عن انشاء جمهورية جنوب افريقيا التي اعترف التاج البريطاني بها عام 1852 م.



الا أن اكتشاف الألماس عام 1866 م ثم الذهب عام 1873 م في منطقة الترانسفال دفع السلطات البريطانية الى توسيع سيطرتها داخل البلاد وصولا الى منطقة الترانسفال وبعدما احتلها الجيش البريطاني أعلن التاج البريطاني عن ضم ثم استقلال (تحت وصاية بريطانية) لجمهورية الترانسفال عام 1877 م.

حاول البوير -بقيادة رئيس جمهوريتهم " بول كروغر" احتلال منطقتي الأورانج والترانسفال بغية ضمهما الى جمهورية جنوب افريقيا، من حيث كونهم سكانها ومستعمريها منذ أكثر من قرنين. هكذا بدأت - وبهذه الخلفية السياسية- حرب البوير ضد الانجليز في 11 أكتوبر 1899 م.

أولى المعارك كانت لصالح البوير الذين تمكنوا من الانتصار ، الا أن البريطانيين تمكنوا من استعادة المبادرة العسكرية بعد فترة ، بل وتمكنوا من احتلال مدينة "بريتوريا" في 5 يونيو عام 1901 م.

كانت ألمانيا تدعم البوير وتمدهم بالسلاح عبر ناميبيا . وهذا ماخلف بينها وبين بريطانيا عداوة عميقة تركت بصماتها في حربين غربيتين فيما بعد.

وقد تمكن الجيش البريطاني والذي دفع الى المعركة 448 ألف جندي من الانتصار في النهاية على البوير بعد معارك ضارية تكبد فيها البريطانيين 7792 قتيلا والبوير 6 آلاف قتيل.

وفي 31 مايو 1902 م ، وقع الطرفان على اتفاقية سلام في "فيرينيجينغ".

أما حرب العصابات ضد الجيش البريطاني فقد استمرت فترة بعدها قبل أن تنتهي تماما عام 1904 م بعد وفاة قائد البوير الرئيس "كروغر" في مدينة " كلارينس" في سويسرا.

***



حرب الأفيون Opium War



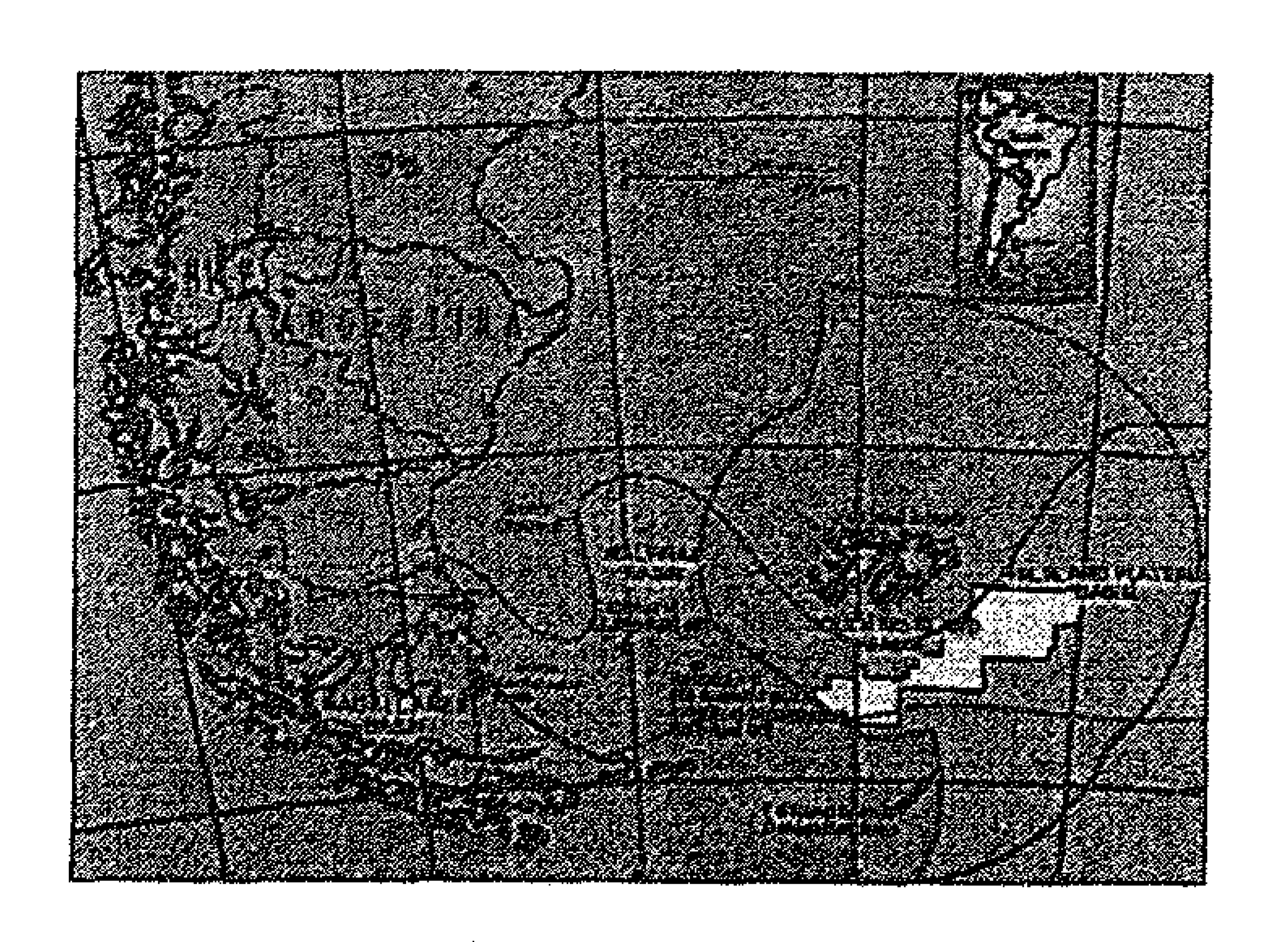
استمرت في الفترة من 1839م الى 1842م ، وكانت قد نشبت بين الصين وبريطانية لهذا تسمى ايضا " الحرب الانجليزية الصينية".

كان البريطانيون يتوقون الى أن تلغي الصين القيود التي فرضتها على تجارتها الخارجية ، فتعللوا بقرار حظر الصين استيراد الأفيون عام 1839 م ، وتدميرها الأفيون المخزون في " كانتون" - والذي يملكه البريطانيون- ليعلنوا الحرب على الصين.

تدمير الافيون في كانتون من قبل الصينيين

انتصر البريطانيون في الحرب بسهولة ، وأكرهت الصين على أن تبرم مع " بريطانيا" معاهدة " نانكين" عام 1842 م والتي فتحت بمقتضاها الصين موانئ كانتون وشنغهاى وأموى وفوشو ونينجبو في وجه التجارة البريطانية ، وتنازلت عن هونغ كونغ لبريطانيا ولم تستعدها الصين حتى العام 1999 م، ومازالت هونغ كونغ تتمتع بنوع من الحكم الذاتي حتى الآن.

حرب جزر فوكلاند Falkland War



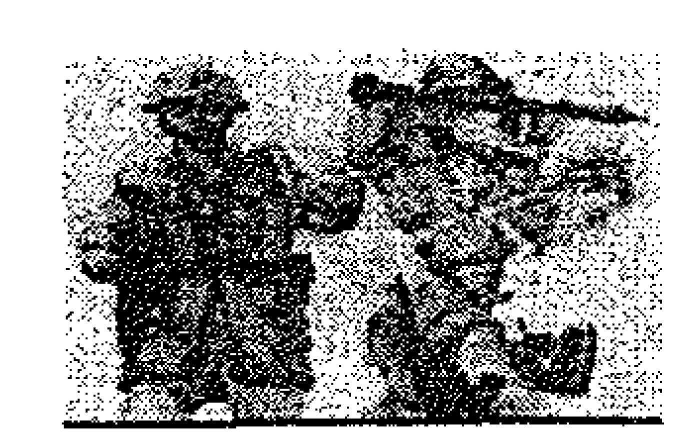
يطلق عليها ايضا "حرب جزر ملوين Malouines War" ..

نشبت هذه الحرب اثر خلاف على سيادة هذه الجزر بين بريطانيا والارجنتين. وقد امتدت هذه الحرب طيلة ثلاثة أشهر متتالية من 18 مارس- حتى 19 يونيو عام 1982 م . خرج البريطانيون منتصرين وهزمت الارجنتين.

بدأت القصة مع قيام بعض الحدادين الارجنتينيين برفع العلم الارجنتيني على أحدى جزر هذه المستعمرة البريطانية وهي جزيرة جورجيا الجنوبية. فقام الجنود البريطانيون بطردهم في اليوم التالي.

الا أنه في الثاني من ابريل - بعد اسبوعين تقريبا من هذا الحادث- أنزل الجيش الارجنتيني خمسة آلاف جندي قاموا بالاستيلاء على عاصمة الجزيرة "بورت ستانلي" في اليوم نفسه ورفعوا العلم الارجنتيني على جميع المرافق الموجودة في الجزيرة.

على الفور ، قطعت بريطانيا علاقاتها الديبلوماسية مع الارجنتين ، وكانت هذه اشارة بدء الحرب.



حاول مجلس الامن أن يستدرك الامر مطالبا الارجنتين بالانسحاب الفوري من هذه الجزر. الا أن الارجنتين رفضت ، فتحركت البحرية البريطانية الراسية في مرفأ بورتسموث في الخامس من ابريل باتجاه الفوكلاند.

وفي نفس الوقت ، تحركت الديبلوماسية البريطانية فقررت مجموعة الدول الاوربية في العاشر من ابريل حظر استيراد البضائع الارجنتينية متضامنة مع بريطانيا. كما قامت الولايات المتحدة بفتح مطاراتها وحاملات طائراتها أمام الطائرات البريطانية.

في 25-26 ابريل خاض جنود البحرية البريطانية معركة صاعقة مع الجنود الارجنتينيين تمكنوا على اثرها من احتلال كامل جزيرة جورجيا الجنوبية.

ثم مالبثت الولايات المتحدة أن أوقفت مساعداتها الاقتصادية والعسكرية للارجنتين في الاول من مايو.

في الثاني من مايو قامت غواصة بريطانية باغراق السفينة الارجنتينية "الجنرال بلغرانو" التي كان على متنها 1042 بحارا لم ينج منهم سوى 830

غير أن طائرة أرجنتينية تمكنت في الرابع من مايو من القاء صاروخ "اكزوسيت" فرنسي الصنع على المدمرة البريطانية "شيفلد" وعلى متنها 120 بحارا هلكوا جميعا.

ثم في 24 مايو أصابت الطائرات الارجنتينية الفرقاطة البريطانية "أنتيلوب" التي مالبثت أن غرقت في اليوم التالي.

ثم حطمت الطائرات الارجنتينية ايضا في 25 مايو المدمرة البريطانية "كوفنتري" (والتي هلك على متنها 120 بحارا) والحاملة "أتلانتيك كونفيور".





غير أن القوات البريطانية حاصرت بورت داروين عاصمة الفوكلاند حيث كانت القوات الارجنتينية قد تحصنت في 2 يونيو ايذانا بسقوطها . وبعد مقاومة دامت عدة أيام استسلم قائد الموقع الارجنتيني "الجنرال ميننديز" في 14 يونيو وأسر البريطانيون 11200 جندي أرجنتيني.

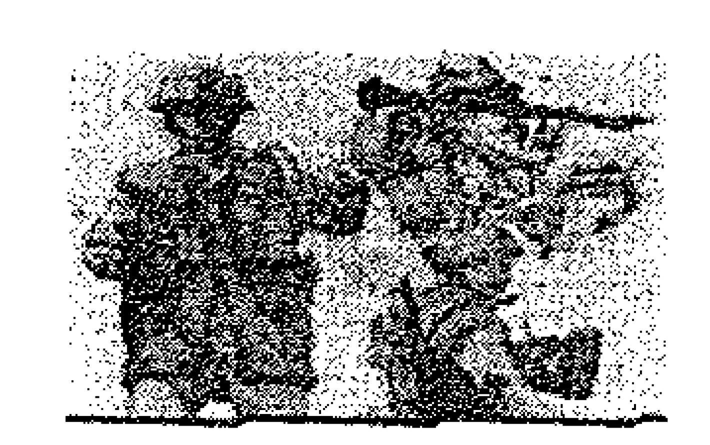
ثم استعادت بريطانيا سيطرتها على جزر ساندويتش في 20 يونيو ، ويرفع بعدها حظر المجموعة الاوربية على البضائع القادمة من الأرجنتين.

في 12 يوليو تتوقف الاعمال الحربية تماما عند الطلرفين وترفع الولايات المتحدة بدورها الحظر الاقتصادي والعسكري عن الارجنتين.

ثم في 15 يناير 1990 م تستأنف مجددا العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وتسمح بريطانيا باقتراب سفن الصيد الأرجنتينية حتى مسافة 50 ميلا من شواطئ الفوكلاند.

خسرت الأرجنتين في هذه الحرب:

712 قتيل ، 2000 جريح ومفقود ، 91 طائرة حربية ، غواصة واحدة ، طراد "جنرال بلغرانو" ، 4 سفن تجارية.



وتقدر قيمة الخسائر المادية الاجمالية للأرجنتين 850 مليون دولار أمريكي.

أما بريطانيا:

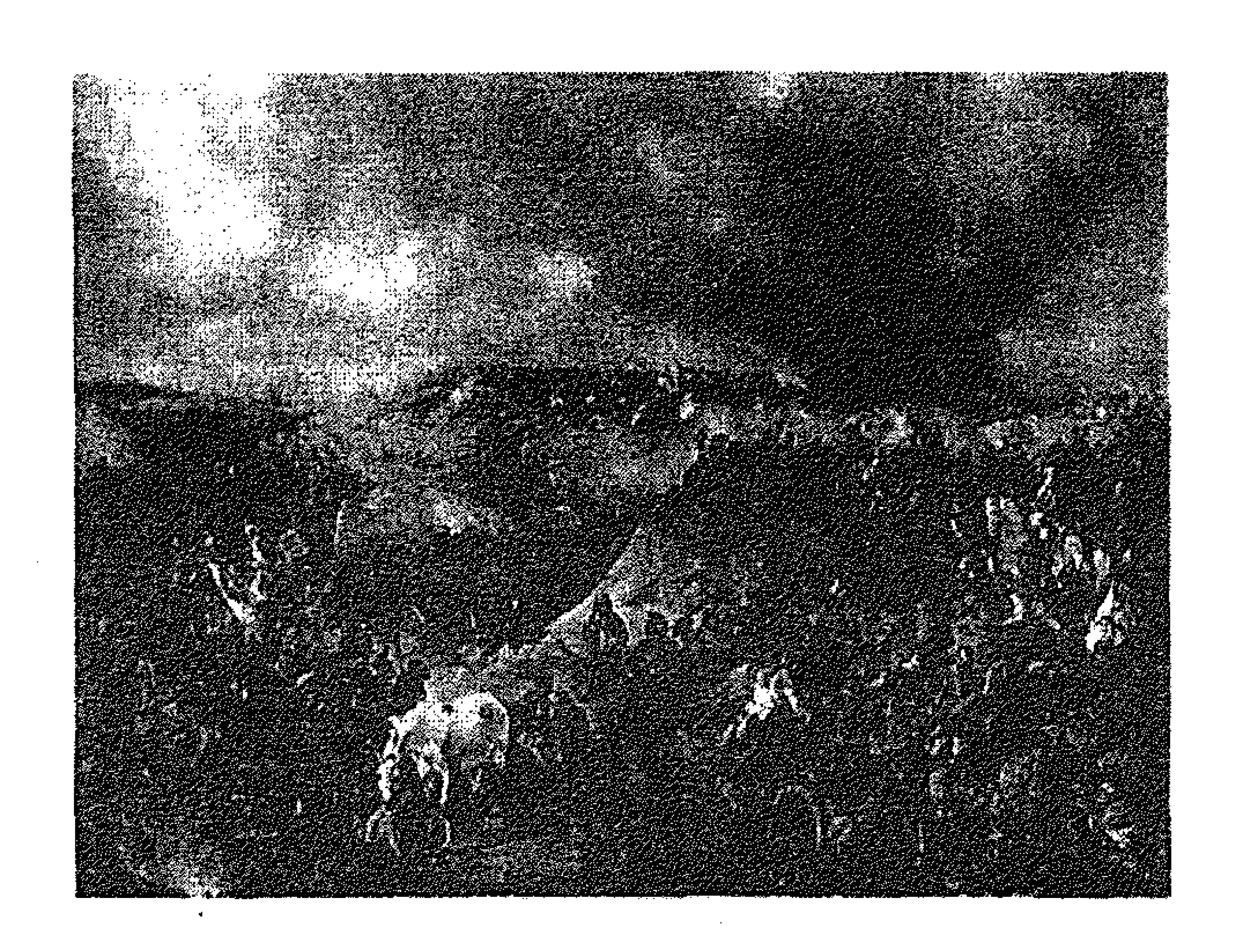
293 قتيل ، 900 جريح ، 18 طائرة حربية ، 23 مروحية ، 4 سفن حربية ، سفينتين تجاريتين اضافة الى عطب 7 سفن مختلفة .

وتقدر قيمة الخسائر المادية الاجمالية لبريطانيا مليار و400 مليون دولار أمريكي.

تجدر الاشارة أخيرا الى أن الفوكلاند تحتوي على آبار للنفط وآبار للغاز الطبيعي.

***

حرب السنوات السبع
Seven Years War



نتكلم هنا عن حرب السنوات السبع الاوربية"ويسميها الألمان أحيانا: الحرب السليزية الثالثة"، وهي حرب امتدت أحداثها بين 1756 و 1763 م.

تواجه خلال هذه الحرب فريقان:

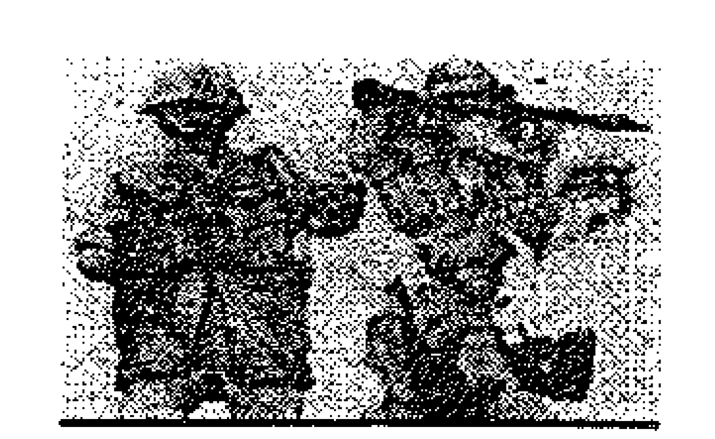
الأول: فرنسا والنمسا وروسيا والسويد واسبانيا وساكسونيا.

الثاني: انكلترا وبروسيا وهانوفر

- لاحظ أن ألمانيا لم تكن دولة واحدة بعد ، فكانت كل مقاطعة ألمانية دولة مستقلة-

من الدوافع على هذه الحرب:

رغبة النمسا في استعادة منطقة سيليزيا "جنوب غرب بولندا" ، والنزاع الفرنسي البريطاني الدائم على المستعمرات.



بادرت بريطانيا بالأعمال العدائية اذ قامت سنة 1755 م باحتجاز 300 سفينة تجارية فرنسية. عقدت على أثرها بروسيا اتفاقية دفاع مع بريطانيا في " وستمينستر" سنة 1756 م.

وبالمقابل عقدت فرنسا والنمسا اتفاقية دفاع موازية لمجابهة التحالف البروسي-البريطاني في مدينة "فرساي" سنة 1756 م أيضا.

وكان ملك بروسيا "فردريك الثاني" قد احتل منطقتي "ساكسونيا" و"بوهيميا" في الفترة 1756-1757 م ، الا أنه اضطر الى الانسحاب من " بوهيميا" سنة 1757 م تحت ضغط الجيوش المتحالفة ضده.

كما صدت فرنسا زحف البريطانيين والهانوفريين سنة 1757 م.

عادت "بروسيا" فاستعادت المبادرة العسكرية محققة ثلاثة انتصارات هامة:

في "روسباخ" ضد الفرنسيين ، و"لوتين" ضد النمساويين ، و"زوندورف" ضد الروس.

وعادت "بروسيا" وخسرت بعض المعارك كانت قد خاضتها ضد الجيش الروسي سنة 1760 و 1761 م ، مما اضطرها الى عقد اتفاق سلام مع القيصر الروسي "بطرس الثالث" عام 1762 م.

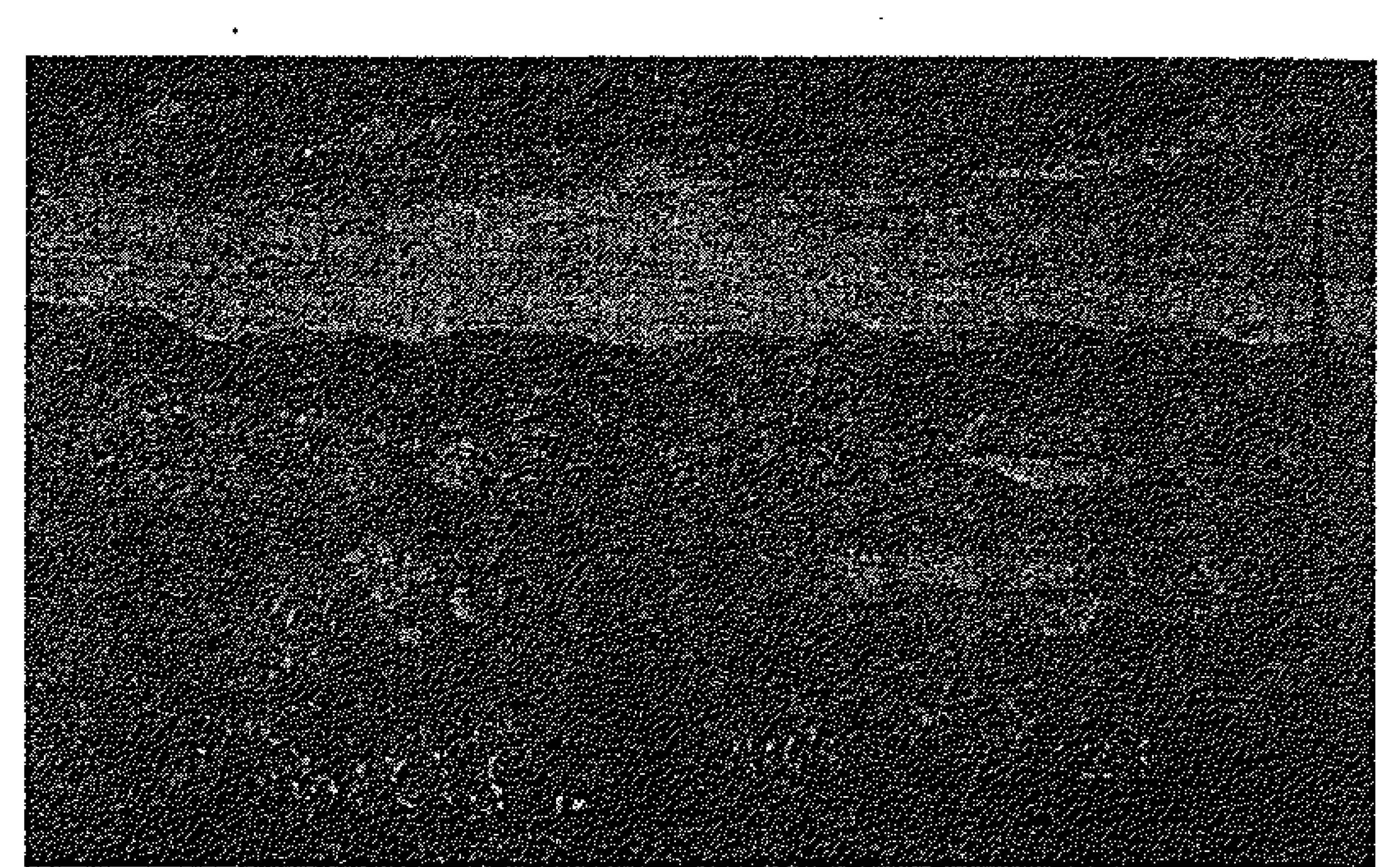
أتاحت هذه الاتفاقية البروسية- الروسية ل"فردريك الثاني" استعادة المبادرة العسكرية فاحتلت جيوشه منطقة "سيليزيا" في جنوب "بولندا".

أما الفرنسيون والبريطانيون فقد تابعوا الحرب على متن سفنهم عبر البحار وفي مستعمراتهم عبر العالم. فبعد عدد من الهزائم العسكرية البحرية عام 1756 م، عادت البحرية البريطانية فاستعادت المبادرة وتمكنت من ضرب الحصار على الموانئ الفرنسية في المستعمرات.

وفي سياق هذه الأعمال الحربية خسرت فرنسا معارك أساسية في كندا ، سنة 1759 و 1760 م ، مما اضطرها الى التخلي عن مقاطعة " كيبك" ، وفي " الهند" سنة 1761 م ، مما اضطرها الى التخلي عن ميناء "بونديشيري" ايضا.



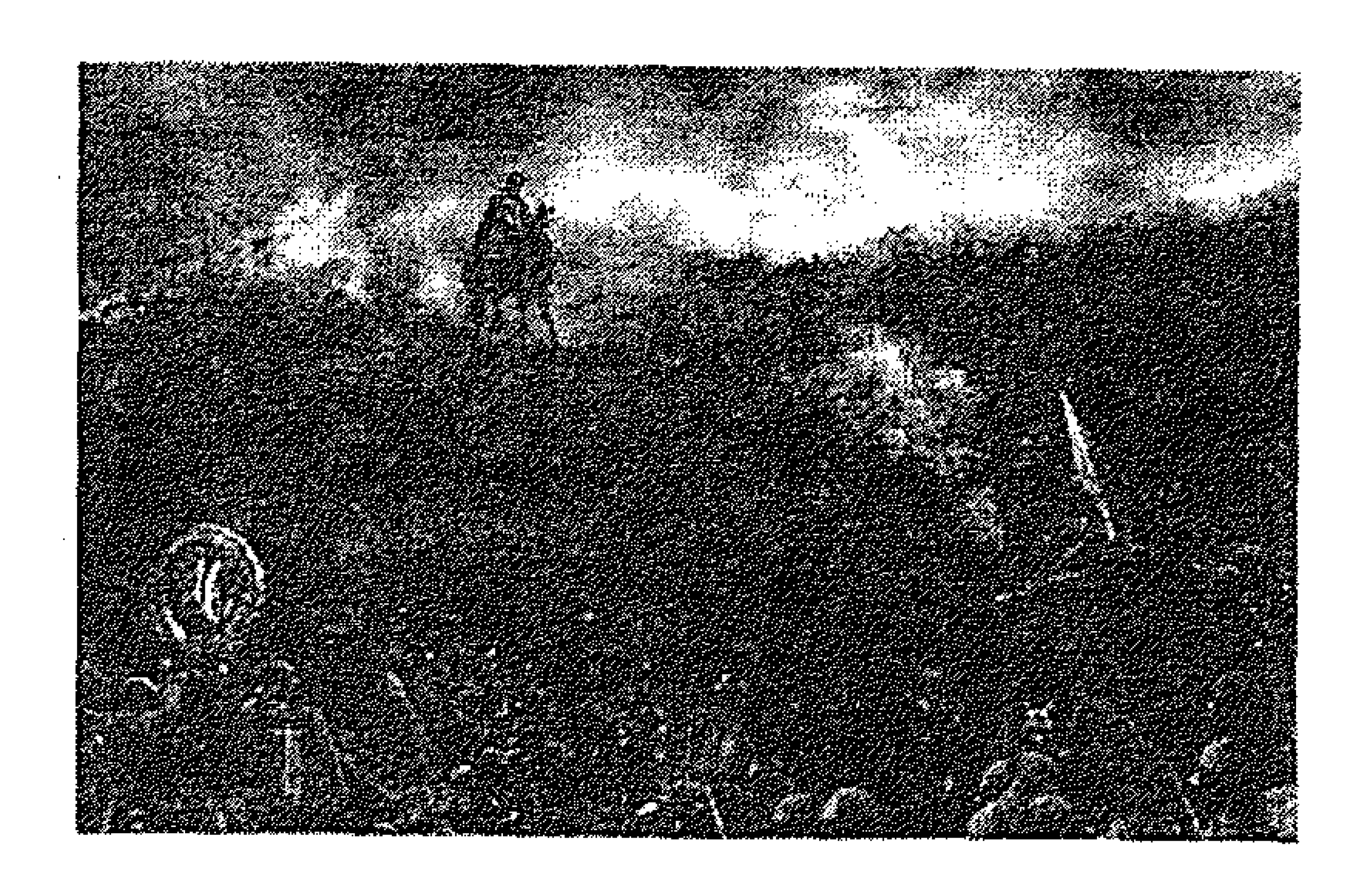
دمار كيبك نتيجة للقصف المدفعي البريطاني عام 1759 م.



معركة "سهول أبراهام" والتي انتهت باستيلاء البريطانيين على كيبك في 13 سبتمبر 1759 م.

***

الحروب البونيقية "البيونية"



في اللغة اللاتينية كلمة Poeni تعني: الفينيقيين. من هنا سميت الحروب التي شنتها روما على قرطاجة " التي أسسها الفينيقيون" بالحروب البونيقية.

يعود سبب هذه الحروب الى رغبة القرطاجيين في استيطان كل شواطئ البحر المتوسط الواقعة شمال بلادهم. وكانوا قد بدأوا اذ ذاك باستيطان جزيرة صقلية واسبانيا ، مما أثار حفيظة الرومان الذين كانوا يسعون للتمدد - هم أيضا- خارج بلادهم.

أما الرومان فكانوا قد انتهوا عام 272 ق. م. من السيطرة على ايطاليا بعد سقوط "تارانتيا" . وعقب ذلك شرعوا في حروبهم ضد القرطاجيين الذين كانوا يشكلون المنافس المنظم الوحيد في المنطقة برمتها.

الامبراطورية القرطاجية اثناء الحروب البونيقية

* الحرب البونيقية الأولى (264-241 ق. م.)

القائد القرطاجي "هاميلكار برقة"

دافع القائد القرطاجي "هاميلكار برقة" الملقب بالعاصفة عن جزيرة صقلية لمدة 6 سنوات متواصلة (247-241 ق. م.) ، خسر في تلك المعارك ضد الرومان

جزءا كبيرا من اسطوله البحري ، لكنه تمكن من اعادة تجميع وتركيز قواته في اسبانيا بعد مغادرة صقلية.

في هذه الاثناء، في العام 242 ق.م. ، هزم قائد البحرية الروماني "كاتولوس" الأميرال "حنون" في جزر " ايغات".

حاولت بعدها روما التي سرت كثيرا لانتصاراتها الأولى على القرطاجيين أن تنظم انزالا على شواطئ افريقيا الشمالية. فتقدم القائد الروماني " أتيلوس ريغولوس" بأسطوله عام 256 ق. م. قبالة شواطئ قرطاجة ، لكنه هزم هناك وألقي القبض عليه.

*** الحرب البونيقية الثانية (218-201 ق. م.)**

تسلم "هنيبعل" ابن القائد"هاميلكار" الخيالة التابعة لقرطاجة والمرابطة في اسبانيا بعد تنحي صهره "هاسدروبال" عن مسؤولياته. وقد تمكن "هنيبعل" من اسقاط " ساغونتا" عام 219 ق. م.

انتقل بعدها يرافقه 40 ألف جندي الى جنوب "غاليا" (فرنسا الحالية) وحل على سفوح جبال الألب (الفاصلة بين فرنسا وايطاليا). وقد تمكن خلال تلك الاثناء من هزيمة الجيش الروماني في سلسلة معارك متتالية...

معركة تيسين وتريبيا 218 ق.م. ، معركة تراسيمينيا 217 ق. م. ، معركة كان 215 ق. م.



"هنيبعل" يعبر جبال الألب



تمكن " هنيبعل" بعد ذلك من السيطرة على مدينة " كابوا" عام 215 ق. م. ، وبقي مدة 13 عاما يخطط للسيطرة على روما ، ففقد جيشه في تلك الاثناء حماسته الحربية وتراجعت قدراته القتالية بفعل الحياة السهلة في مدينة "كابوا".

وفي عام 203 ق. م. ، طلب مجلس الشيوخ القرطاجي من "هنيبعل" العودة الى قرطاجة.نفذ "هنيبعل" الأمر لكنه هزم في "زاما" في شمال افريقيا عام 202 ق. م. ، مما اضطره للهروب. فلجأ الى الملك السوري "أنطيوكس" ثم الى ملك "بيطينيا" المدعو "بروسياس" . ثم انتحر حتى لايتم تسليمه الى الرومان حيا عام 183 ق. م.

من أبرز القادة الرومان خلال تلك الحرب:

1- فابيوس مكسيموس فيروكوسوس: صمد في وجه "هنيبعل" مدة 13 سنة متتالية (290-203 ق.م.)

2- الجنرال مارتشيلوس: أسقط "سرقسطة" عام 212 ق.م. ، وهزم "هنيبعل" في أكثر من موقعة.

3- أشهرهم وأهمهم..بوبيلوس كورنيليوس سيبيو "أفريكانوس" أو شيبيون الملقب بالافريقي والذي أنزل جيشه على حين غرة على شواطئ أفريقيا الشمالية عام 204 ق.م. ، وسيطر على منطقة " أوتيكا" قبل أن يهزم على أبواب قرطاجة ، مما دفعه الى الهروب عام 203 ق.م. بحرا بغية اعادة تجميع قواته.

ثم عاد "شيبيون" الى افريقيا مجددا بجيش أكبر وأقوى في العام التالي ، واشتبك مع قوات قرطاجة في "زاما" وهزم "هنيبعل" في تلك المعركة عام 202 ق.م.

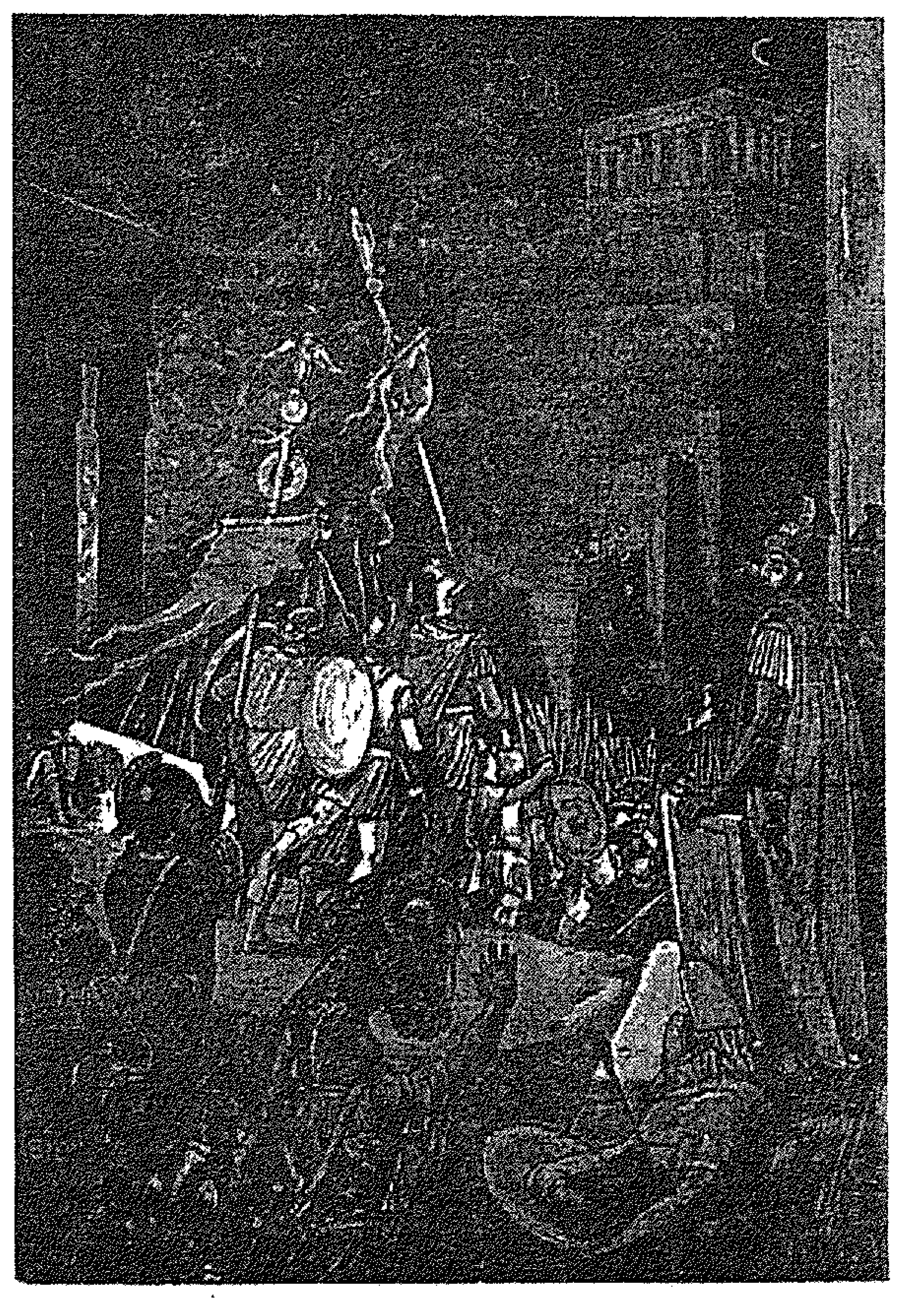
*** الحرب البونيقية الثالثة (149-146 ق. م.)**

شنت هذه الحرب الرومانية ضد قرطاجة تحت شعار:"فلتهدم قرطاجة" !!

أطلق الشعار مجلس الشيوخ الروماني وأمر بموجبه الجيوش الرومانية بالقضاء نهائيا وكليا على مدينة قرطاجة ، وكان الخطيب "كاتون" يردد في آخر كل خطبة له في المجلس :"..وأخيرا ، فلتهدم قرطاجة".

خاض هذه الحرب "اميليانو شيبيون" أحد اقرباء "شيبيون الافريقي" ، فعمد الى محاصرة مدينة قرطاجة بحرا وبرا لمدة 3 سنوات حتى اقتحمها عام 146 ق.م.

وبناء على التعليمات المعطاة له فقد دمر المدينة تدميرا كاملا وفلح أرضها لمحو آثارها كليا.



الهجوم على "قرطاجة" واقتحامها



"قرطاجة" وقد تم تدميرها كليا على يد الرومان بنهاية الحروب البونيقية

واللافت للانتباه أن روما تمكنت بعد هذه الحرب من السيطرة سيطرة تامة على كامل البحر المتوسط التي أطلقت عليه في مابعد تسمية "بحرنا Mare Nostrum".

***

الحرب الروسية - اليابانية

امتدت هذه الحرب من عام 1904 الى 1905 م...

وكان هناك سببان رئيسيان لهذه الحرب:

1- كانت انكلترا واليابان تسعيان للحد من التقدم الروسي في الشرق الأقصى وبخاصة في منشوريا وكوريا. فقد صرحت روسيا في الخامس من فبراير عام 1904 م عن رفضها للانسحاب من كوريا.

2- كانت روسيا تتوقع لنفسها نصرا سهلا وسريعا بغية تلميع صورة النظام الملكي القيصري الذي كان الثوار البلشفيون قد بدأوا بدك أسواره في روسيا. فالانتصار العسكري في هذه المنطقة من العالم - اذا حدث - كان لابد وأن يحسن موقع القيصر داخليا.

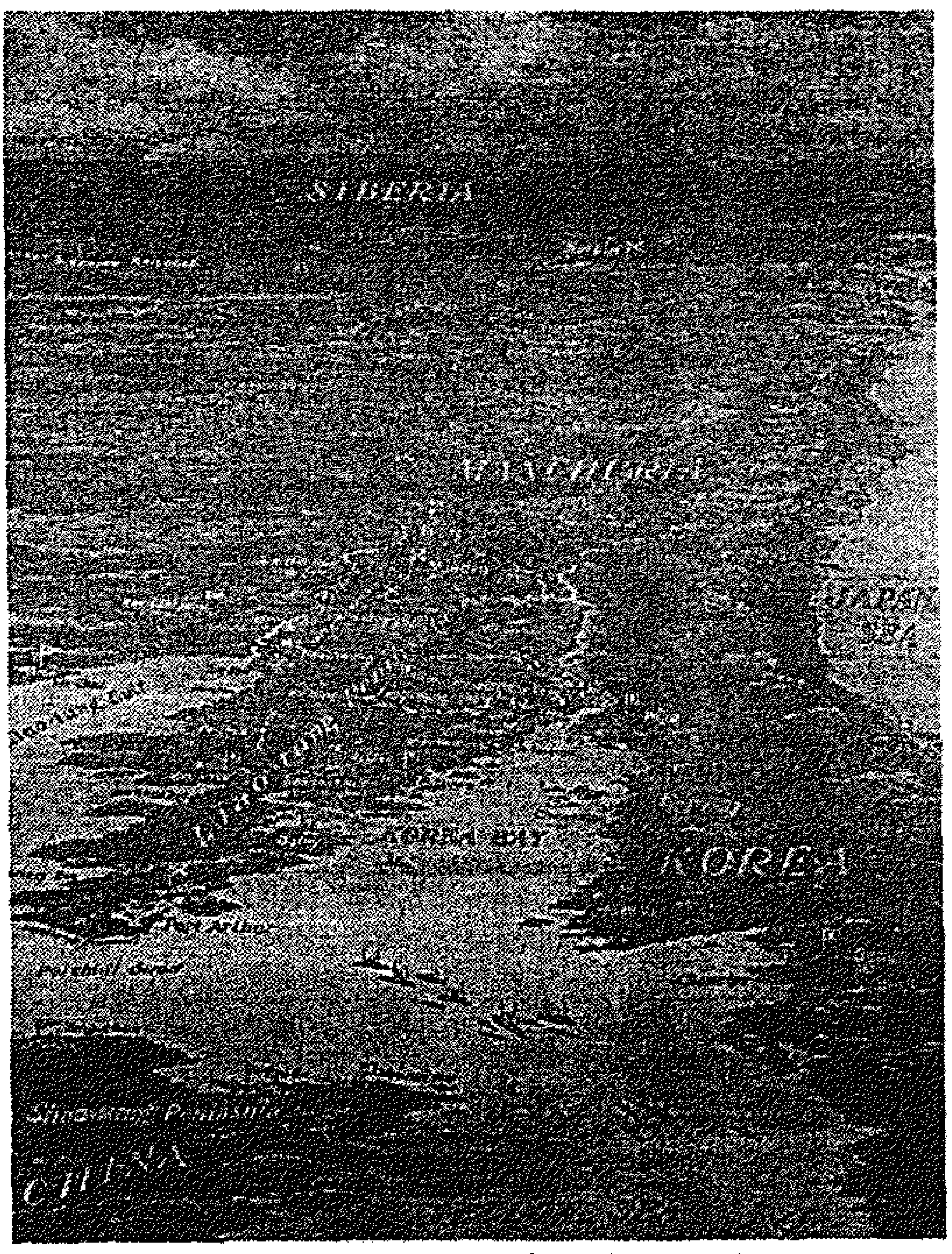
كما أن روسيا كانت تعتمد على دعم فرنسا لها، نظرا لتواجد القوات الفرنسية بكثافة في الهند الصينية وتحالف فرنسا القديم مع روسيا.

الا أن الدوبلوماسية الانكليزية دخلت على الخط، وسحبت البساط بهدوء من تحت أرجل روسيا، دعما لحليفتها اليابان في الصراع الدائم في هذه المنطقة.

فقامت انكلترا بتوقيع اتفاقية مع فرنسا أوحت خلالها للفرنسيين أنها سوف تقف الى جانبهم في حال نشوب الحرب بين فرنسا وألمانيا، وكان ذلك في ابريل 1904 م.

مما دفع فرنسا بالمقابل بالتعهد بعدم الوقوف الى جانب الروس في حربهم ضد اليابان. فامتنعت فرنسا من تسليم الفحم الحجري للسفن البخارية الروسية، كما طلبت من السفن الحربية الروسية الراسية في خليج "تون كين" هربا من ملاحقة اليابانيين، العودة الى عرض البحر.





ساحة المعركة في الحرب الروسية – اليابانية

القوات الموجودة على الأرض:

كانت القوات الروسية تضم 135 ألف جندي . أما اليابان فكانت تملك على الأرض 850 ألف جندي.

وعلى الرغم من أن روسيا قامت بتجنيد مليون ومائتي ألف جندي في روسيا الأوربية ، الا أن عدم استكمال خط السكك الحديدية الرابط بين روسيا الاوربية والشرقية منع الروس من الاستفادة من هؤلاء الجنود ، اذ لم تكن مدينة "فلاديفوستوك" مربوطة بشبكة المواصلات الروسية بالشكل الذي يسمح بنقل الرجال والعتاد الى أرض المعركة.

- القوات الموجودة في البحر:

كانت روسيا تمتلك فرقتين بحريتين أحدهما في ميناء " فلاديفوستوك" (وقد حاصرها الجليد) والاخرى في ميناء بور-أرثور ، مجموع سفنها 28 .

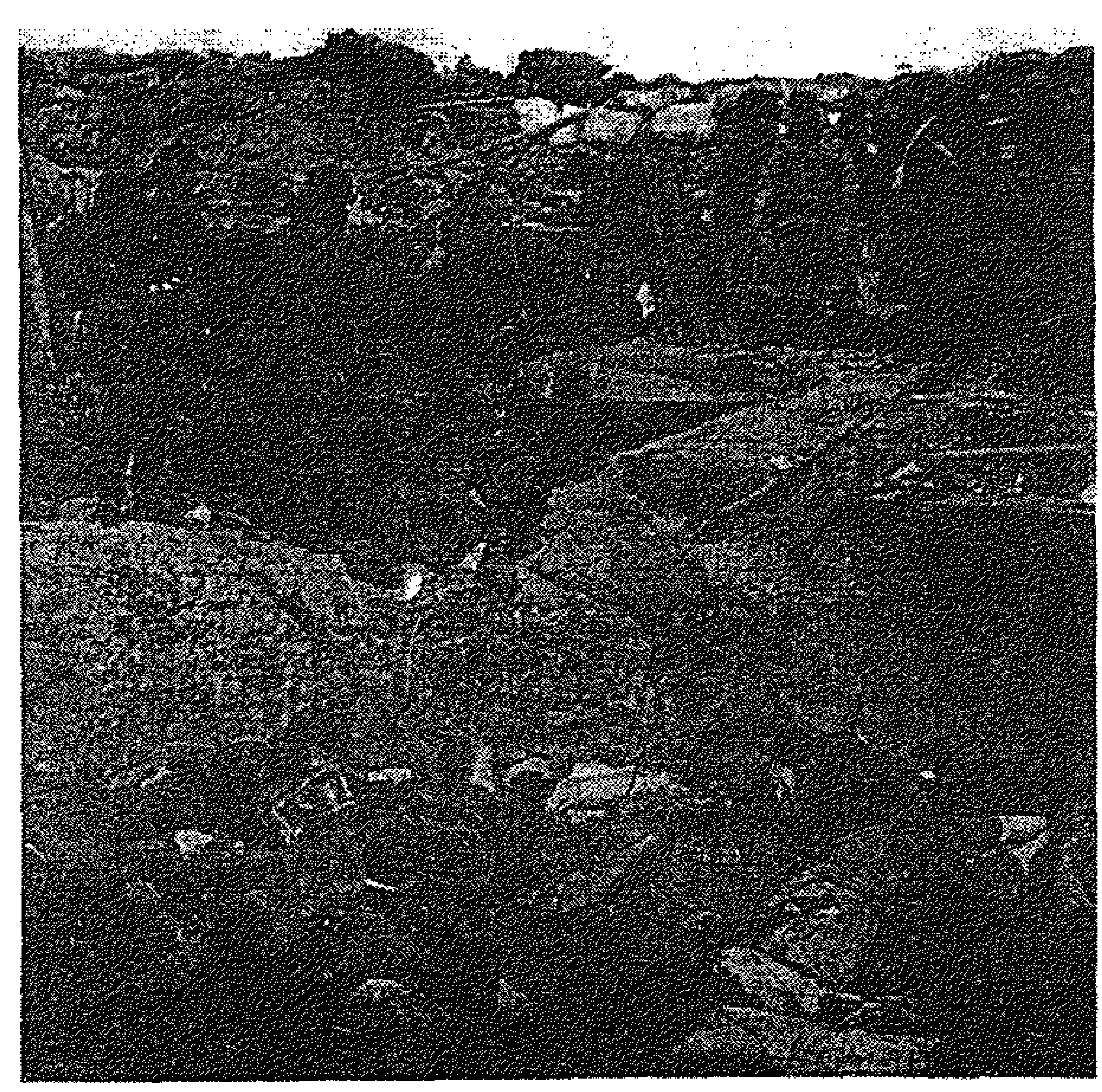
كما كانت تمتلك فرقة ثالثة في البلطيق استغرق وصولها الى ساحة المعركة ثمانية أشهر !!!!

أما اليابان فكانت تمتلك 50 قطعة بحرية حديثة ، في حين كان ثلث سفن الاسطول الروسي فقط حديثا.

العمليات الحربية:

هاجمت البحرية اليابانية سفينة حربية روسية قبالة شواطئ كوريا في 7 فبراير 1904 م . وفي اليوم التالي ، قام عدد من الطرادات اليابانية بالاغارة بشكل مفاجئ على ميناء بور-أرثور حيث كان الاسطول الروسي راسيا فتمكنوا من اصابة وتدمير 3 سفن حربية روسية .

أما في اليوم الثالث – 10 فبراير- أعلنت اليابان الحرب من جانب واحد على روسيا.



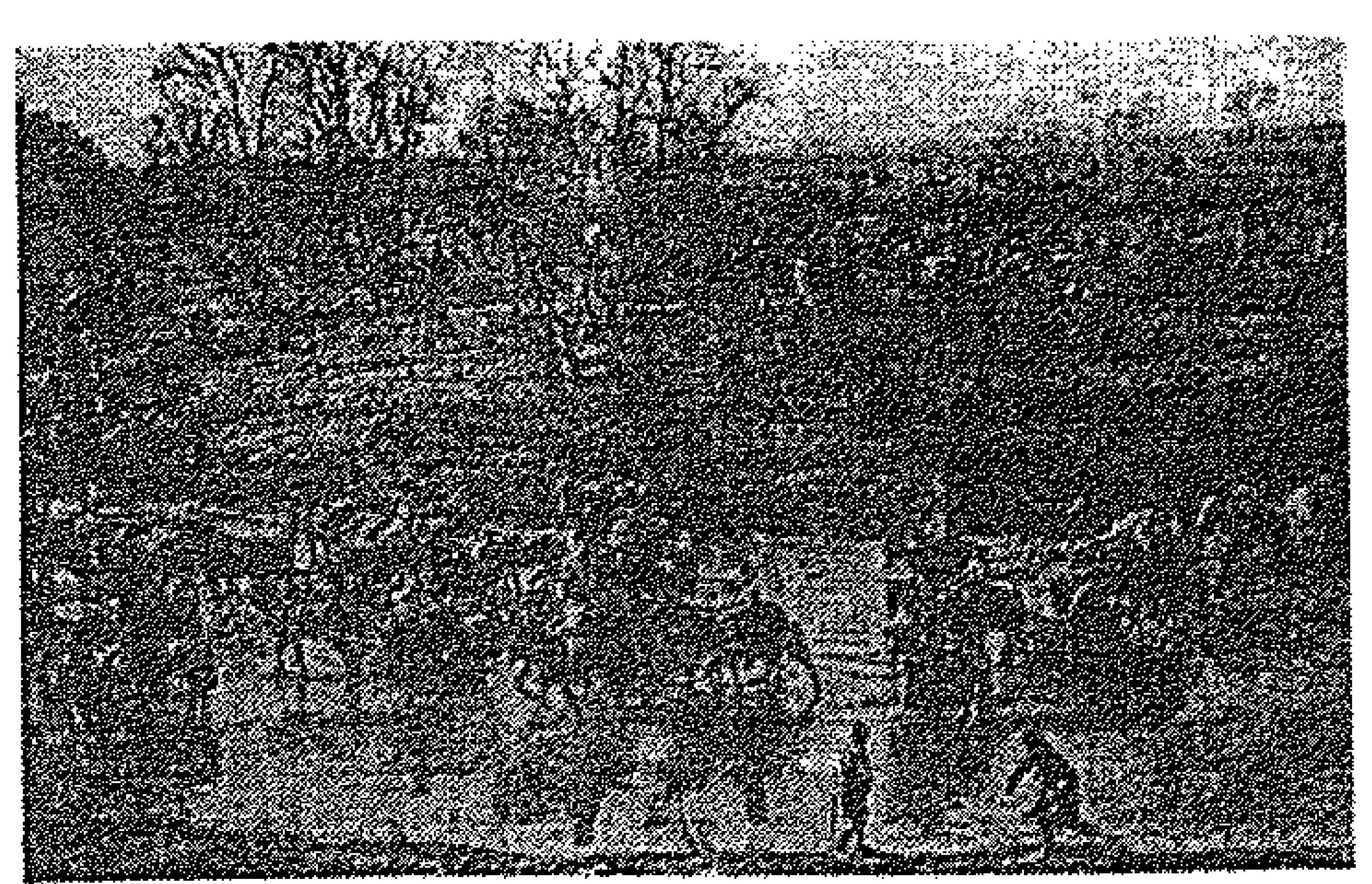
جنود روس يقفون بجانب بعض القتلى من جنود اليابان

في مارس 1904 م ، قام اليابانيون بانزال عسكري على شواطئ كوريا ، تلاه في الاول من مايو انتصارا للقوات اليابانية في منطقة "يالو" .

وبعد خمسة أيام بدأ انزال عسكري ياباني آخر على شواطئ منشوريا تمكنت على أثره القوات اليابانية من محاصرة ميناء بور-أرثور برا ، بعدما كانت قد حاصرته بحرا.

ولم يطل الوقت حتى سقط الميناء في يد اليابانيين ، في أول يوم من عام 1905 م.

أما معركة "مودن " التي استمرت شهرا تقريبا وانتهت في 10 مارس 1905 م ، فقد انتصر فيها اليابانيون الذين كان عددهم 400 ألف على الروس الذين كان عددهم 325 ألف جندي.


انسحاب القوات الروسية بعد معركة " مودن"

في مايو 1905 م ، بلغ اسطول الاميرال الروسي "رودجستفنزكي" بحر الهند ، والتحم بالسفن الروسية الحربية القادمة من بحر البلطيق . الا أن كلاهما عجز عن بلوغ "فلاديفوستوك" بسبب نقص الفحم الحجري . فاضطرت السفن الحربية الروسية الى سلوك طريق مختصر وهو مضيق "تسوشيما" المتاخم لليابان ، حيث كان ينتظرها أسطول الاميرال الياباني " توغو ". :clap2::clap2::clap2:



وفي 27 مايو حدثت الكارثة المتوقعة اذ تمكن اليابانيون من اغراق 35 سفينة حربية روسية من أصل 38 كان يتألف منها الاسطول الروسي المتوجه الى "فلاديفوستوك". كما ألقي القبض على الاميرال الروسي اثناء المعركة.

بدأ الجيش الروسي سلسلة من الانسحابات بعد ذلك، الى أن وقعت روسيا واليابان على معاهدة "بورتسموث" في انكلترا يوم 5 سبتمبر 1905 م، حصلت بموجبها اليابان على حرية التحرك العسكري والسياسي في كل من كوريا ومنشوريا، في الوقت الذي انسحبت فيه القوات الروسية نهائيا من كوريا ومنشوريا عائدة الى بلادها.

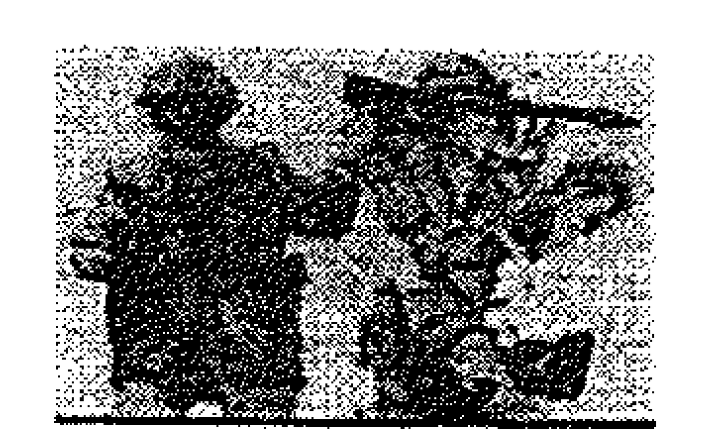
أختم هنا ببعض المنشورات والملصقات التي كانت توزع في البلدين "روسيا واليابان" اثناء الحرب:



الروس يلتهمون اليابانيين في الافطار !!!سمي هذا الملصق"الافطار الروسي"



اليابان وحش مجنح، المقاتلة الحسناء الطاهرة هي روسيا !

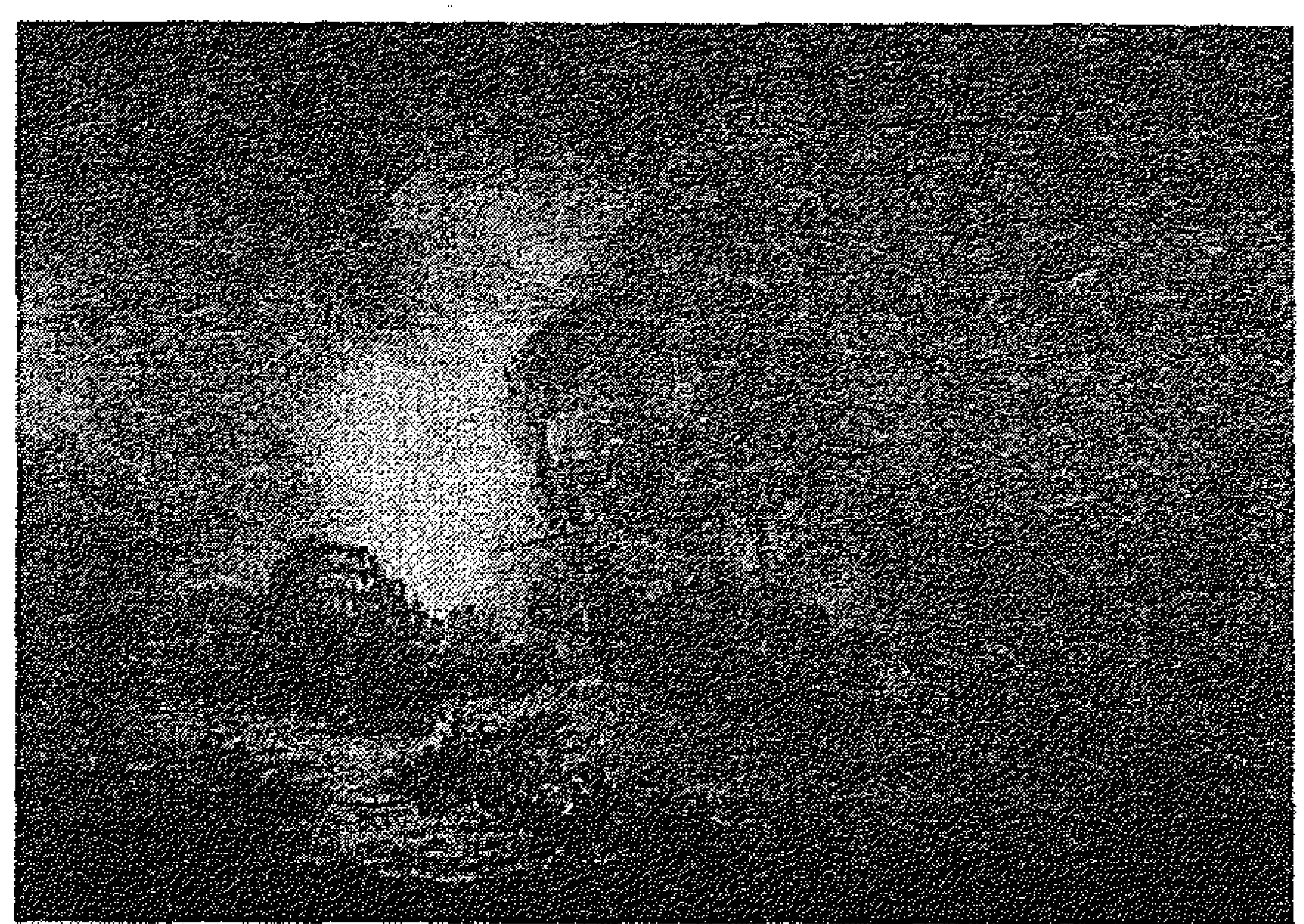




الأسطول الروسي يضرب نظيره الياباني!
"في الواقع حدث العكس"

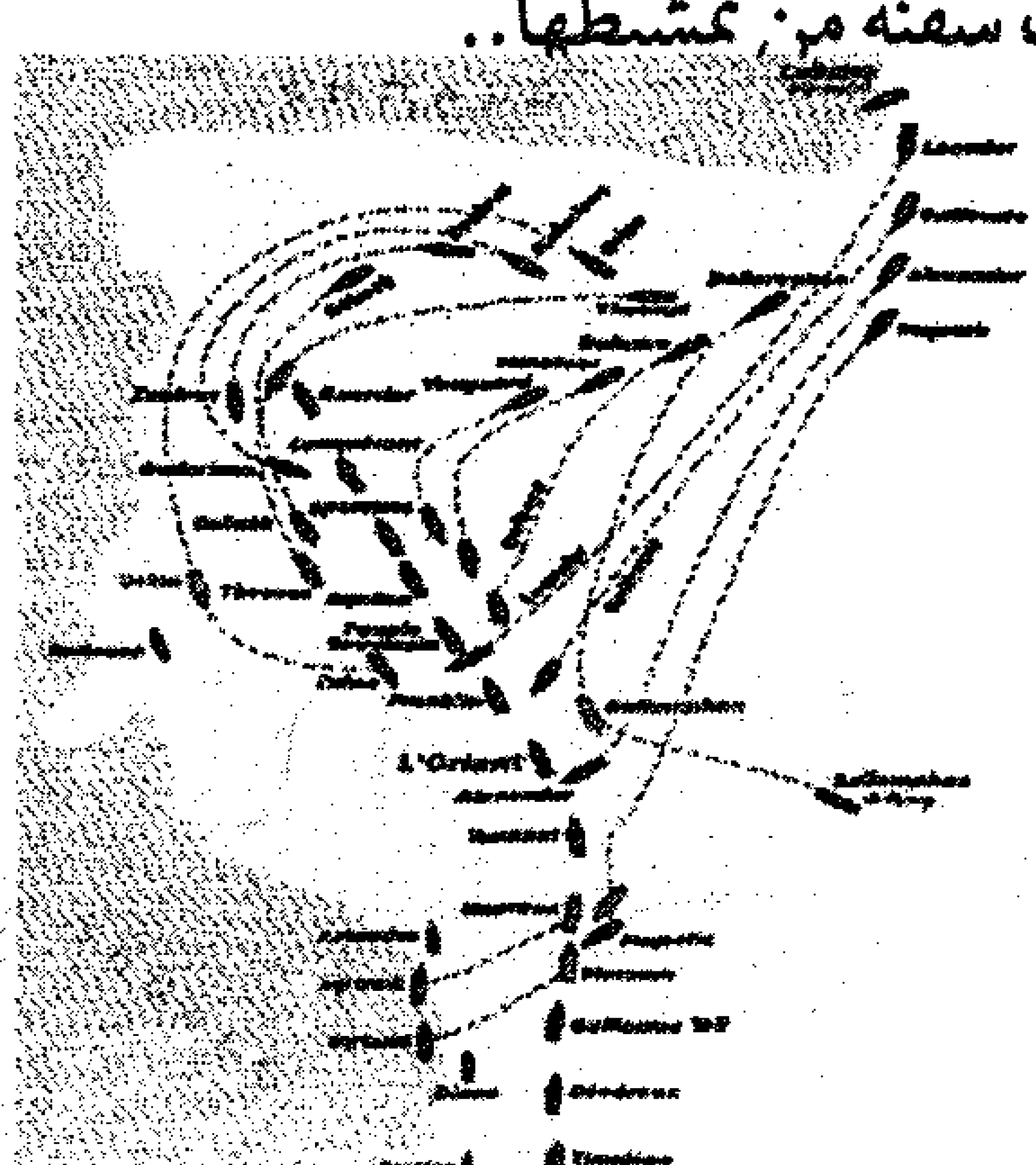
***

معركة أبي قير البحرية

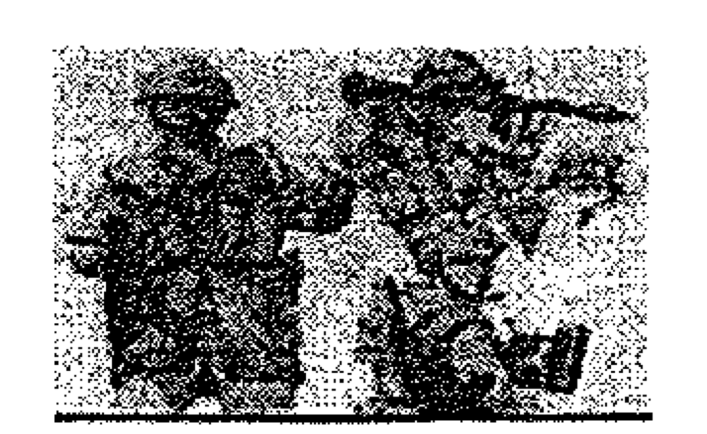


كان الاسطول الفرنسي الذي حمل " نابليون " وجنوده الى مصر راسيا في ميناء أبي قير ، عندما فاجأه الأميرال البريطاني "نيلسون" وأسطوله .

فور مشاهدته الاسطول الفرنسي ، أمر "نيلسون" بشن هجوم مباشر عليه ، فمر قسم من السفن البحرية الملكية البريطانية بين السفن الفرنسية الراسية ومشطها تمشيطا كونها مصطفة خلف بعضها البعض ، بينما كان القسم الآخر من الاسطول البريطاني يقصف عن بعد كل سفينة فرنسية انتهت سفنه من تمشيطها..

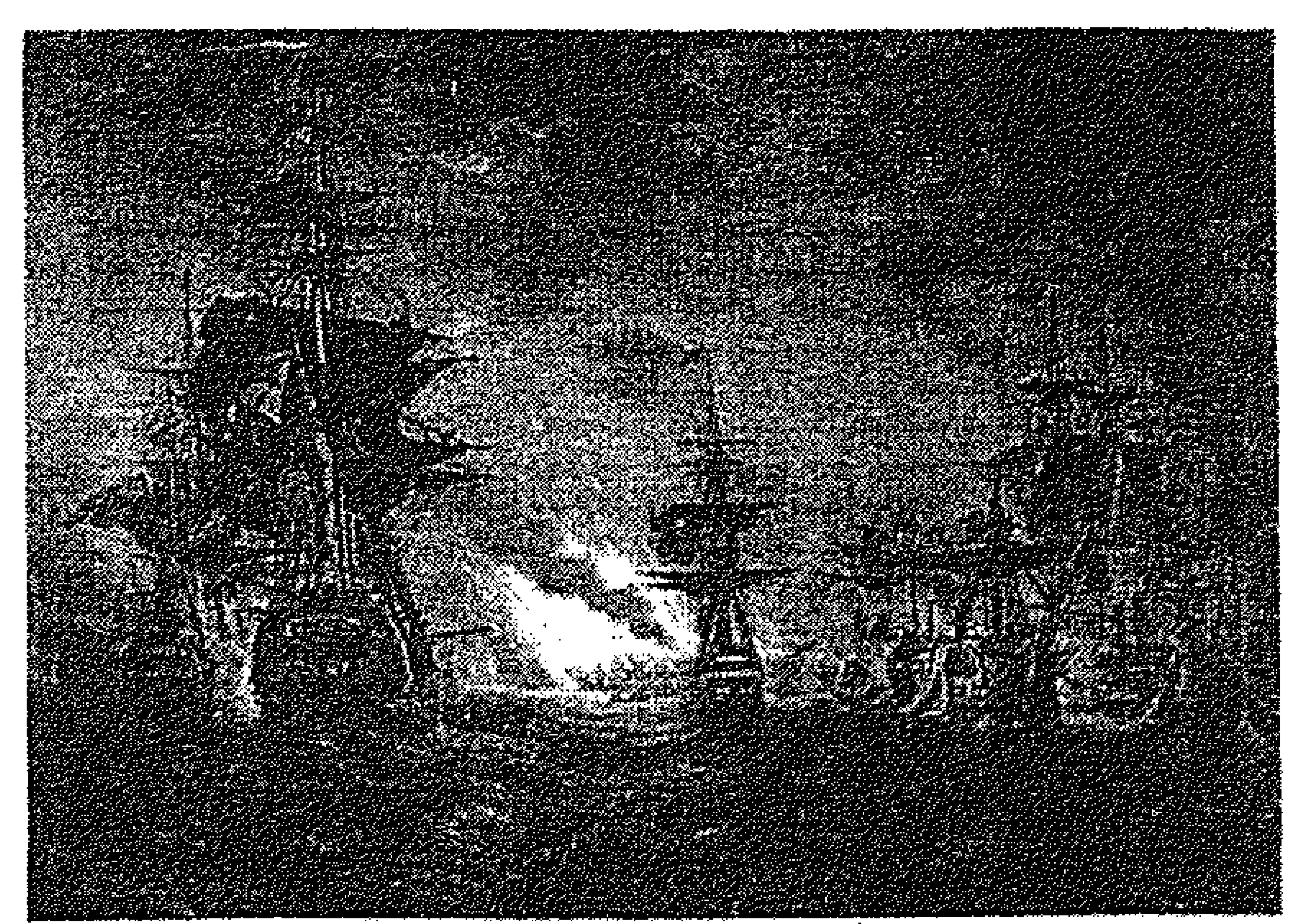


خريطة توضح سير المعركة بين السفن البريطانية "بالاحمر" والسفن الفرنسية "بالازرق" ، والاوضاع الانتقالية للسفن بالاحمر أو الازرق الخفيف





السفن البريطانية تهاجم السفن الفرنسية الراسية



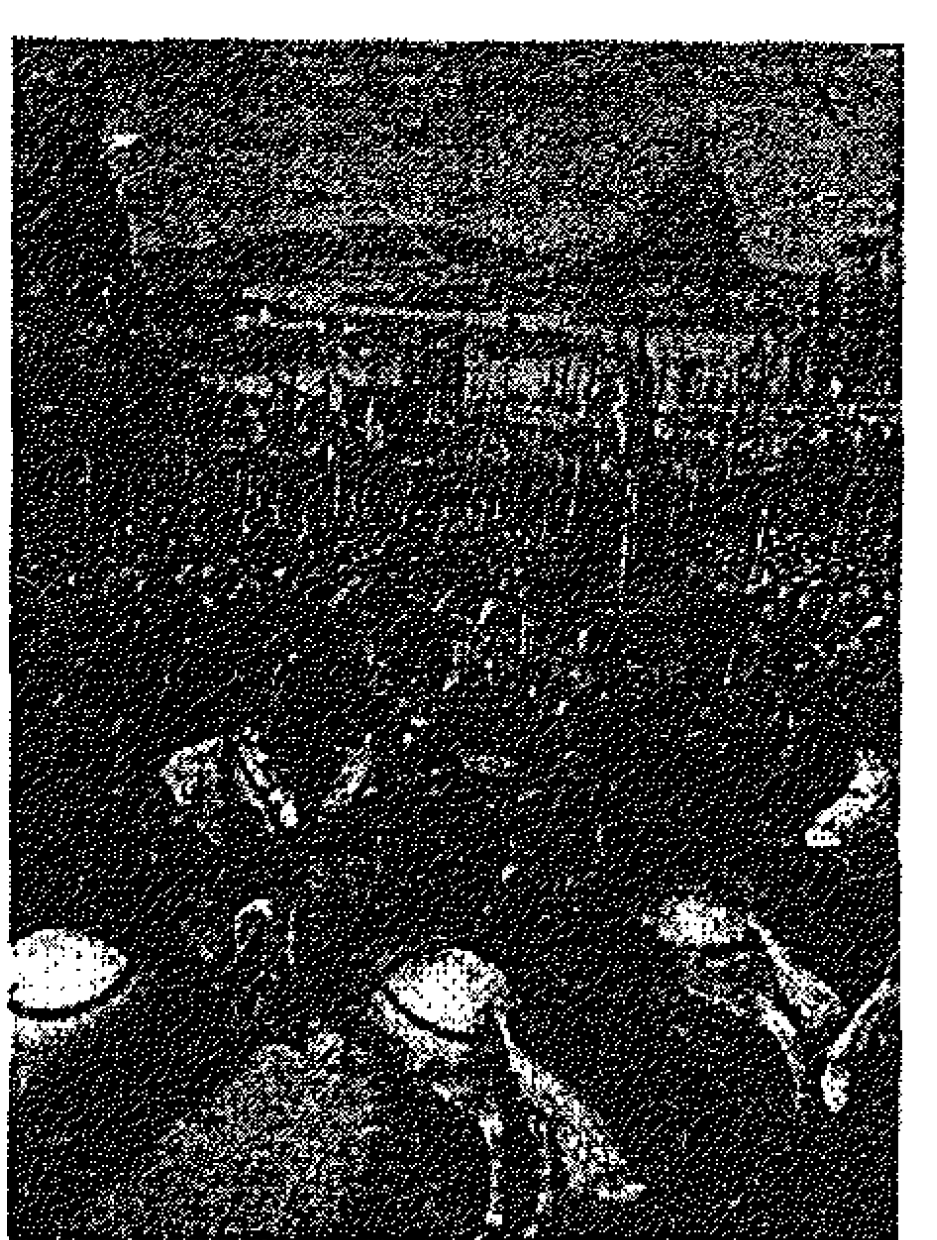
كان الانتصار البريطاني باهرا ، أما الفرنسيون فقد خسروا في تلك المعركة - التي استفاد فيها البريطانيون من عنصر المفاجأة- 4 آلاف قتيل و16 سفينة غرق منها 5 وعزل بذلك "نابليون بونابرت" وجيشه في مصر عن قواعده في فرنسا



"نيلسون" في مقصورته يدير معركة أبي قير

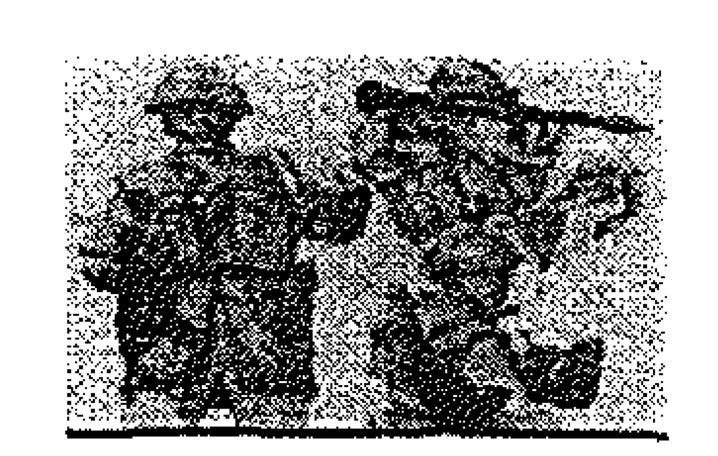


معركة حطين The Battle Of Hattin



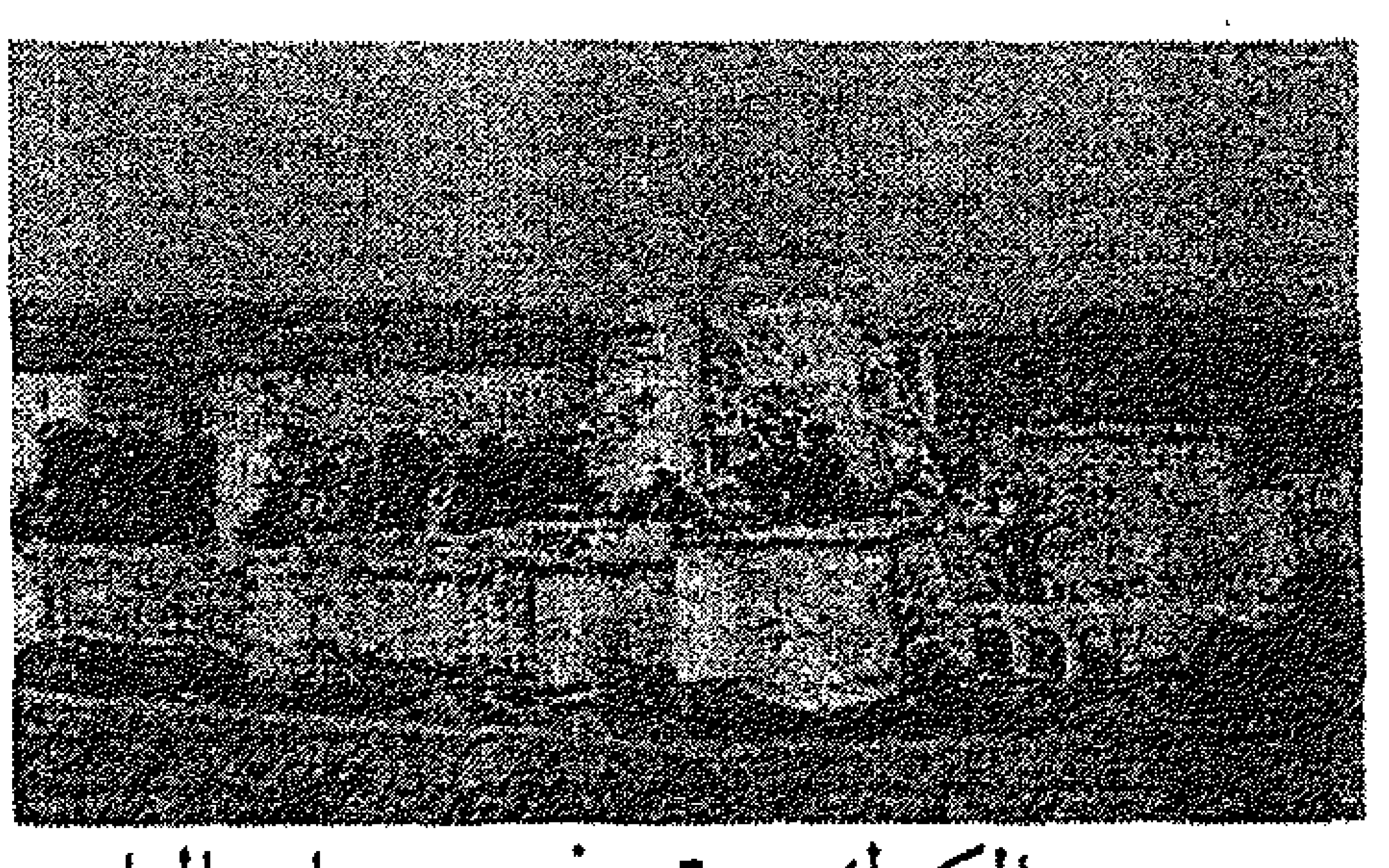
معركة فاصلة، بين الصليبيين وقوات صلاح الدين الأيوبي المسلمة، قامت في 4 يوليو (583هـ = مارس 1187م)، قرب قرية حطين، بين الناصرة وطبرية انتصر فيها المسلمون، ووضع فيها الصليبيون أنفسهم في وضع غير مريح إستراتيجيا في داخل طوق من قوات صلاح الدين، أسفرت عن سقوط مملكة القدس وتحرير معظم الأراضي التي احتلها الصليبيون.

كانت مناطق في الوطن العربي و القدس تحديدا قد احتلت من الصليبيين عام 1099 م، وكان الإقطاعيون الصليبيون والبارونات والفرسان قد نصبوا أنفسهم أمراء وملوك على تلك المناطق، فكان هذا على مدى قرن دعوة لتحرير البلاد من الاحتلال، وكانت غارة لصوصية شنها أحد بارونات الإفرنج البارزين، رينالد دوشاتيون (De Chatillon) " والذي يعرف عند العرب باسم: أرناط" ، السبب المباشر لأجل هجوم المسلمين، رينالد دوشاتيون كان مغامرا وقحا وسبق له أن اجتاح قبرص البيزنطية في سنة 1155 م وأعمل فيها سلبا ونهبا، وكان قد أسر عند نور الدين قبل 16 سنة، وبعد إخلاء سبيله استقر في حصن الكرك،سوريا إلى مصر وإلى الحجاز، وفي أواخر سنة 1186 م ولربما أوائل 1187 م، شن رينالد خلافا لشروط هدنة عقدت في 1180، شن



غارة على قافلة متجهة من القاهرة إلى دمشق ونهب بضائعها ، وأسر أفرادها وزجهم في حصن الكرك، ويروى أن القافلة كانت لأخت صلاح الدين بالذات، فما كان من صلاح الدين إلا ان يطالب في الحال ملك القدس آنذاك غي دي لوزينيان وعكف على نهب وسلب قوافل التجار المارّة في الجوار، لأن الحصن كان يقطع الطريق من بالتعويض عن الضرر والإفراج عن الأسرى ومعاقبة الناهب، ولكن الملك لم يجازف بمس تابعه القوي رينالد، فكان أن قرر صلاح الدين إعلان الحرب على مملكة القدس، إلا إن مرض صلاح الدين أخر بدء القتال في تلك السنة.

ولا ننسى دور الدولة الفاطمية التى انتهت بعد قيام الدولة الايوبية في تسهيل مهمة الصليبيين في اقامة إمارات لهم في الشرق فلولا استعانة الوزراء الفاطميين بقوات خارجية ضد بعضهم البعض ماكان بالسهل او الهين اقامة إمارات صليبية في المشرق الاسلامى.



حصن الكرك – يقع في سوريا حاليا

عبّأ صلاح الدين قواه واستعد لمنازلة الصليبيين وخوض معركة الجهاد الكبرى التي ظل يعد لها عشر سنوات منتظرا الفرصة المواتية لإقدامه على مثل هذا العمل، ولم تكن سياسة أرناط الرعناء سوى سبب ظاهري لإشعال حماس صلاح الدين، وإعلان الحرب على الصليبيين.

غادرت قوات صلاح الدين التي تجمعت من مصر وحلب والجزيرة وديار بكر مدينة دمشق في المحرم (583هـ = مارس 1187م) واتجهت إلى حصن الكرك



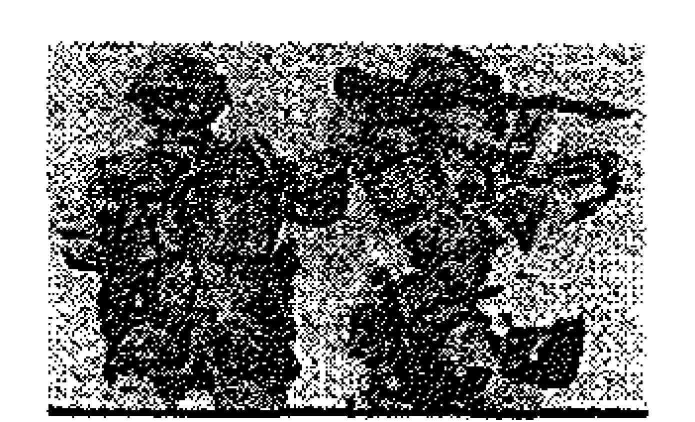
فحاصرته ودمرت زروعه، ثم اتجهت إلى الشوبك، ففعلت به مثل ذلك، ثم قصدت بانياس بالقرب من طبرية لمراقبة الموقف.

وفي أثناء ذلك تجمعت القوات الصليبية تحت قيادة ملك بيت المقدس في مدينة صفورية، وانضمت إليها قوات ريموند الثالث أمير طرابلس، ناقضا الهدنة التي كانت تربطه بصلاح الدين، مفضلا مناصرة قومه، على الرغم من الخصومة المتأججة بينه وبين ملك بيت المقدس.

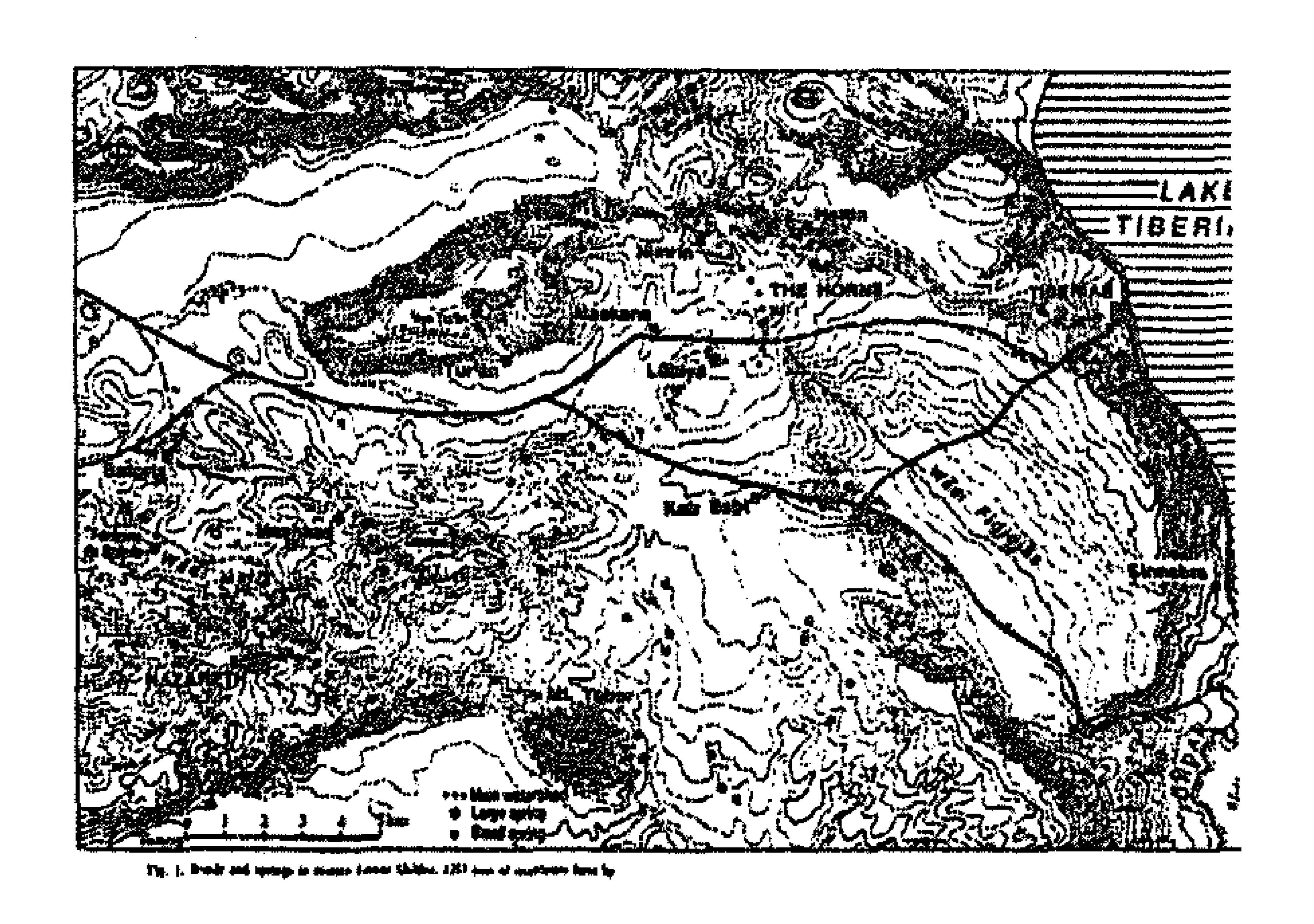
كان صلاح الدين يرغب في إجبار الصليبيين على المسير إليه، ليلقاهم وهم متعبون في الوقت الذي يكون هو فيه مدخرًا قواه، وجهد رجاله، ولم يكن من وسيلة لتحقيق هذا سوى مهاجمة طبرية، حيث كانت تحتمي بقلعتها زوجة ريموند الثالث، فثارت ثائرة الصليبيين وعقدوا مجلسًا لبحث الأمر، وافترق الحاضرون إلى فريقين: أحدهما يرى ضرورة الزحف إلى طبرية لضرب صلاح الدين، على حين يرى الفريق الآخر خطورة هذا العمل لصعوبة الطريق وقلة الماء، وكان يتزعم هذا الرأي ريموند الثالث الذي كانت زوجته تحت الحصار، لكن أرناط اتهم ريموند بالجبن والخوف من لقاء المسلمين، وحمل الملك على الاقتناع بضرورة الزحف على طبرية.

كانت قوات المسلمين بقيادة صلاح الدين تضم 12 ألف فارس، و13 ألفا من المشاة وقوة كبيرة من المتطوعين ورجال الاحتياط، وفي الجانب الآخر حشد الصليبيون 22 ألفا بين فارس ورجل، والتحق بهم عدد كبير من المتطوعة من مصر والشام وجميع انحاء السلطنة الايوبية والتى كان مركزها القاهرة حتى روي أنه زاد عددهم على الستين ألف وهذا عدد كبير جدا في مثل هذا الزمان .

عبرت جيوش المسلمين نهر الأردن جنوبي طبريا، وسارت في اليوم التالي إلى تل كفر سبت (كفر سبيت) في الجانب الجنوبي الغربي من طبريا، وحاولت الاشتباك مع الصليبيين، فرفضوا القتال، وفي 2 يوليو استولت جيوش صلاح الدين المسلمة



على طبرية قاطعا على عدوه طريقه إلى الماء.





خريطة لموقع المعركة ، وفي الصورة: قرون حطين كما تبدو من الشرق عام 2005 م.

بدأت القوات الصليبية الزحف في ظروف بالغة الصعوبة في (21 من ربيع الآخر 583هـ = 1 من يوليو 1187م) تلفح وجوهها حرارة الشمس، وتعاني قلة الماء ووعورة الطريق الذي يبلغ طوله نحو 27 كيلومترا، في الوقت الذي كان ينعم فيه

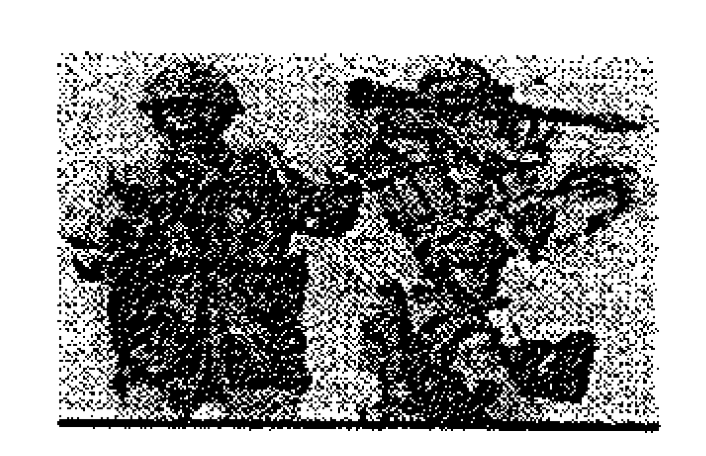


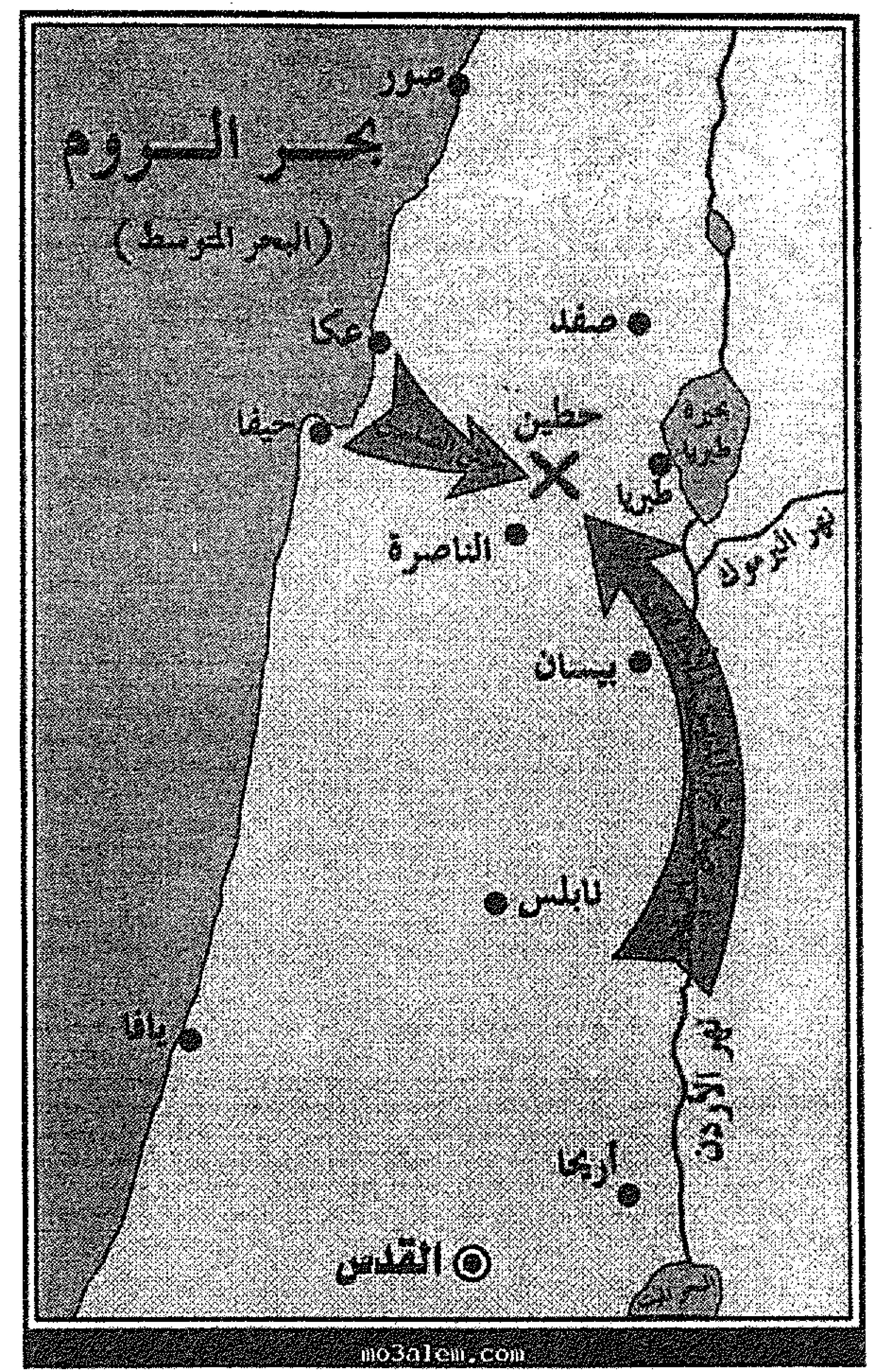
صلاح الدين وجنوده بالماء الوفير والظل المديد، مدخرين قواهم لساعة الفصل، وعندما سمع صلاح الدين بشروع الصليبيين في الزحف، تقدم بجنده نحو تسعة كيلومترات، ورابط غربي طبرية عند قرية حطين.

أدرك الصليبيون سطح جبل طبرية المشرف على سهل حطين في (23 من ربيع الآخر 583هـ = 3 من يوليو 1187م) وهي منطقة على شكل هضبة ترتفع عن سطح البحر أكثر من 300 متر، ولها قمتان تشبهان القرنين، وهو ما جعل العرب يطلقون عليها اسم "قرون حطين".

وقد حرص صلاح الدين على أن يحول بين الصليبيين والوصول إلى الماء في الوقت الذي اشتد فيه ظمؤهم، كما أشعل المسلمون النار في الأعشاب والأشواك التي تغطي الهضبة، وكانت الريح على الصليبيين فحملت حر النار والدخان إليهم، فقضى الصليبيون ليلة سيئة يعانون العطش والإنهاك، وهم يسمعون تكبيرات المسلمين وتهليلهم الذي يقطع سكون الليل، ويهز أرجاء المكان، ويثير الفزع في قلوبهم.

وعندما أشرقت شمس يوم السبت الموافق (24 من ربيع الآخر 583هـ = 4 من يوليو 1187م) اكتشف الصليبيون أن صلاح الدين استغل ستر الليل ليضرب نطاقا حولهم، وبدأ صلاح الدين هجومه الكاسح، وعملت سيوف جنوده في الصليبيين، فاختلت صفوفهم، وحاولت البقية الباقية أن تحتمي بجبل حطين، فأحاط بهم المسلمون، وكلما تراجعوا إلى قمة الجبل، شدد المسلمون عليهم، حتى بقي منهم ملك بيت المقدس ومعه مائة وخمسون من الفرسان، فسيق إلى خيمة صلاح الدين، ومعه أرناط صاحب حصن الكرك وغيره من أكابر الصليبيين، فاستقبلهم صلاح الدين أحسن استقبال، وأمر لهم بالماء المثلّج، ولم يعط أرناط، فلما شرب ملك بيت المقدس أعطى ما تبقّى منه إلى أرناط، فغضب صلاح الدين وقال: "إن هذا الملعون لم يشرب الماء بإذني فينال أماني"، ثم كلمه وذكّره بجرائمه وقرّعه بذنوبه، ثم قام إليه فضرب عنقه، وقال: "كنت نذرت مرتين أن أقتله إن ظفرت به: إحداهما لما أراد المسير إلى مكة والمدينة، والأخرى لما نهب القافلة واستولى عليها غدرًا".





لم تكن هزيمة الصليبيين في حطين هزيمة طبيعية، وإنما كانت كارثة حلت بهم؛ حيث فقدوا زهرة فرسانهم، وقُتلت منهم أعداد هائلة، ووقع في الأسر مثلها، حتى قيل: إن من شاهد القتلى قال: ما هناك أسير، ومن عاين الأسرى قال: ما هناك قتيل.

و أصبح بيت المقدس في متناول صلاح الدين ... وبعد المعركة، سرعان ما احتلت قوات صلاح الدين وأخوه الملك العادل المدن الساحلية كلها تقريبا جنوبي طرابلس: عكا، بيروت، صيدا، يافا، قيسارية،عسقلان. وقطع اتصالات مملكة القدس اللاتينية مع أوروربا، كذلك استولى على أهم قلاع الصليبيين جنوبي طبرية، ما



عدا الكرك وكراك دي مونريال. وفي النصف الثاني من سبتمبر 1187 حاصرت قوات صلاح الدين القدس، ولم يكن بمقدور حاميتها الصغيرة أن تحميها من ضغط 60 ألف رجل. فاستسلمت بعد ستة ايام، وفي 2 أكتوبر 1187 م فتحت الأبواب وخفقت راية السلطان صلاح الدين الصفراء فوق القدس. في نوفمبر 1188 م استسلمت حامية الكرك ، وفي أبريل - مايو 1189 استسلمت حامية كراك دي مونريال، وكان حصن بلفور آخر حصن يسقط، ومنذ ذلك الحين صار ما كان يعرف بمملكة القدس اللاتينية بمعظمها في يد صلاح الدين، ولم يبق للصليبيين سوى مدينتي صور وطرابلس، وبضعة استحكامات وحصن كراك دي شيفاليه(قلعة الحصن)في شرق طرطوس.

وكان العفو الذي أبداه صلاح الدين سببا لتزيين تاريخ صلاح الدين في الغرب وتطري شهامته غير العادية.

أدى سقوط مملكة القدس إلى دعوة روما إلى بدء التجهيز لحملة صليبية ثالثة والتي بدأت عام 1189 م.

عامل صلاح الدين القدس وسكانها معاملة أرق وأخف بكثير مما عاملهم الغزاة الصليبيون ، قبل ذلك بمئة عام تقريباحيث قتل الصليبيون آنذاك كل اهالي القدس من رجال و كهول ونساء واطفال و 70 ألفا تم قتلهم في ساحة المسجد الاقصى ، فلم تقع من صلاح الدين أية افعال مماثلة - على الرغم من معارضة قواده- ، ولكنه سمح بمغادرة القدس في غضون 40 يوما بعد دفع فدية مقدارها 10 دنانير ذهبية عن كل رجل، 5 دنانير ذهبية عن كل امرأة، ودينار واحد عن كل طفل، ولم يستطع زهاء 20 ألف فقير جمع نقود الفدية، فكان الخوف من الاستياء والغضب أجبر الفرسان الرهبان الهيكليون والاسبيتاليون الذين يملكون المال بوفرة بدفع فدية 7 آلاف فقير، وبقي 15 ألف شخص لم يستطيعوا أن يفتدوا بأنفسهم فبيعوا عبيدا.

***

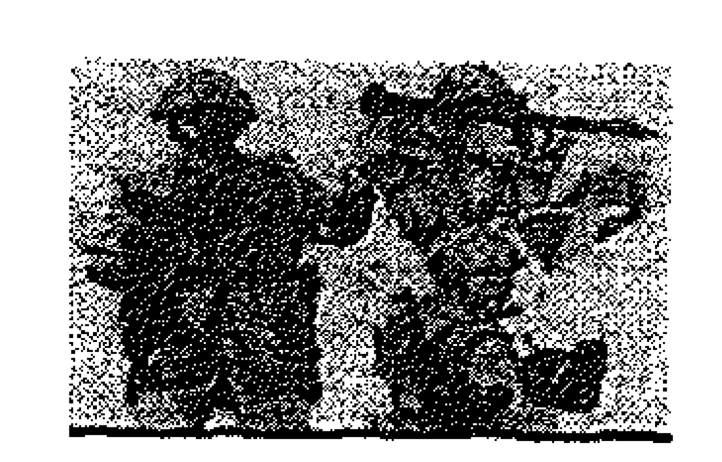


معركة عين جالوت



وقعت في 3 سبتمبر 1260 م، تعد من أهم المعارك الفاصلة في تاريخ العالم الإسلامي. انتصر فيها المسلمون المماليك انتصارا ساحقا على المغول وكانت هذه هي المرة الأولى التي يهزم فيها المغول في معركة حاسمة منذ عهد جنكيز خان. أدت المعركة لانحسار نفوذ المغول في بلاد الشام وخروجهم منها نهائيا وإيقاف المد المغولي المكتسح الذي أسقط الخلافة العباسية سنة 656 هجرية/ / 1258 م. كما وأدت المعركة لتعزيز موقع دولة المماليك كأقوى دولة إسلامية في ذلك الوقت لمدة قرنين من الزمان أي إلى أن قامت الدولة العثمانية. وقعت المعركة في منطقة تسمى عين جالوت عند مدينة بيسان ونابلس بفلسطين.

اجتاح المغول العالم الإسلامي في بدايات القرن السابع الهجري بقيادة جنكيز خان عام 1251 م فكان الفعل مشابها تماما في الدولة العباسية . انطلق بعدها المغول



بجيش ضخم قوامه 120 ألف مقاتل نحو الشام بقيادة هولاكو، وابتدأوا بمدينة ميافارقين بديار بكر والتي كان يحكمها الكامل محمدالأيوبي، قاومت ميافارقين المغول مقاومة عنيفة إذ استمد طول الحصار إلى عامين حتى استسلم أهلها بعد نفاذ المؤن و موت معظم السكان وعدم وصول الدعم من المسلمين فدخلوها وارتكبوا مجازرا تقشعر منه الجلود حيث قبضوا على الكامل محمد الأيوبي و قطعوا جلده و أعطوه له ليأكله إلى أن مات فقطعوا رأسه وحملوه على أسنة رماحهم تشفيا وانتقاما منه لصموده وبطولته.

اتجه المغول بعدها لمدينة حلب فدخلوها بعد حصارها وعاثوا فيها فسادا خلال 7 أيام ثم توجهوا نحو دمشق (في مارس 1260 م/ 658هـ) -وفي هذا الوقت- وصل بالبريد خبر موت الخاقان الأعظم للمغول منغو خان في قراقورم واستدعي أولاد وأحفاد جنكيز خان إلى مجلس الشورى المغولي (الكوريل تاي Kuriltai) لانتخاب الخان الأعظم الجديد للإمبراطورية؛ فرجع هولاكو (الذي هو أخو منغو خان) وأحد المؤهّلين للعرش بمعظم جيشه إلى فارس، ليتابع أمور العاصمة المغولية، و ترك في بلاد الشام جيشاً من المغول عدده يزيد على عشرين ألف جندي (تومانين بلغة المغول) بقيادة أحد أبرز ضباطه واسمه:" كتبغا نوين النسطوري" وهو قائد عسكري محنك من قبيلة النايمان التركية. دخل كتبغا بجيشه دمشق في 1 مارس 1260 م/ 15 ربيع الأول 658 هـ بعد أن أعطوا الأمان لأهلها و لكنهم خربوها وكان حاكمها الناصر يوسف الأيوبي .انطلق المغول بعد السيطرة على دمشق جنوبا في بلاد الشام حتى استولوا على بيت المقدس وغزة و الكرك والشوبك بعد أن تحالف حاكمها المغيث عمر مع المغول.

كان يحكم دولة المماليك في ذاك الوقت" المنصور نور الدين علي بن المعز أيبك "وهو صبي صغير يبلغ من العمر 15 سنة، قام السلطان المظفر سيف الدين قطزالمماليك البحرية- بخلعه بعد إقناع بقية أمراء ووجهاء الدولة بأنه فعل ذلك للتجهيز والتوحد ضد الخطر المحدق بالدولة المملوكية بشكل خاص والمسلمين



بشكل عام. كان الوضع النفسي للمسلمين سيئا للغاية وكان الخوف من التتار مستشريا في جميع طبقات المجتمع الإسلامي وقد أدرك قطز ذلك وعمل على رفع الروح المعنوية لدى المسلمين. استمال قطز منافسيه السياسيين في بلاد الشام وحاول ضمهم إلى صفوفه وكان ممن انضم معه بيبرس البندقداري الذي كان له دور كبير في قتال التتار فيما بعد.

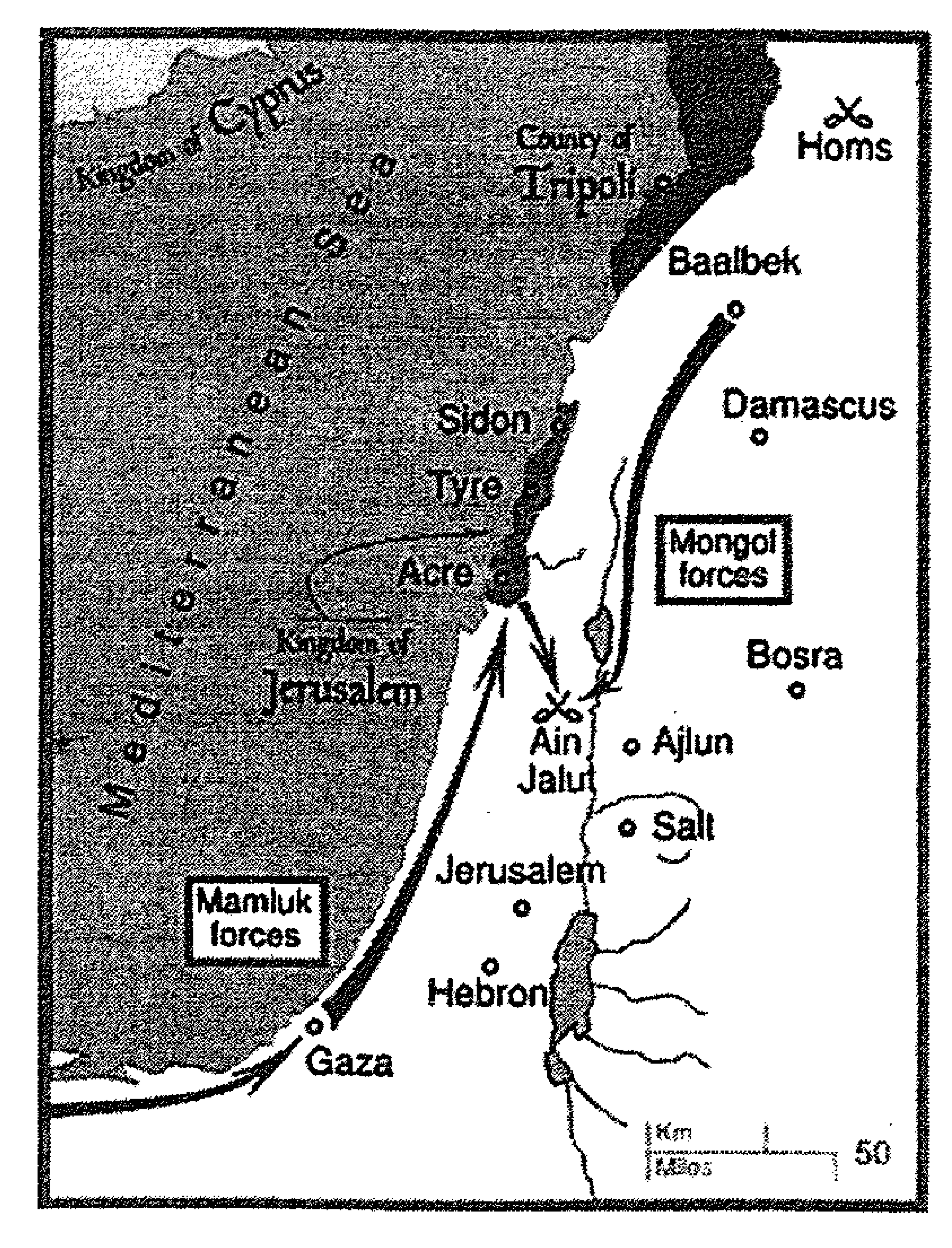
قبل مغادرة هولاكو من بلاد الشام أرسل رسلا لقطز يحملون كتابا كان مما فيه:

«مِن ملك الملوك شرقاً وغرباً، الخان الأعظم، باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء.. يعلم الملك المظفر قطز وسائر أمراء دولته أنا نحن جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه وسلّطنا على من حل به غضبه، فلكم بجميع البلاد معتَبَر، وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم، وأسلموا إلينا أمركم قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ويعود عليكم الخطأ.. وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم العباد، فعليكم بالهرب وعلينا الطلب. فأي أرض تأويكم؟ وأي طريق تنجيكم؟ وأي بلاد تحميكم؟ فما لكم من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص، فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، فالحصون لدينا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يُسمع.. فمن طلب حربنا ندم، ومن قصد أماننا سلم، فإن أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم، فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن خالفتم هلكتم. فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم، فقد حذر من أنذر.. فلا تطيلوا الخطاب، وأسرعوا برد الجواب قبل أن تضرب الحرب نارها، وترمي نحوكم شرارها، فلا تجدون منا جاهاً ولا عزاً ولا كافياً ولا حرزاً، وتدهون منا بأعظم داهية، وتصبح بلادكم منكم خالية، فقد أنصفناكم إذ راسلناكم، وأيقظناكم إذ حذّرناكم، فما بقي لنا مقصد سواكم »

عقد سيف الدين قطز اجتماعا مع وجهاء الدولة وعلمائها كان من بينهم العز بن عبدالسلام وتم الاتفاق على التوجه لقتال التتر إذ لا مجال لمداهنتهم، وكان العز بن عبدالسلام قد أمر أمراء ووجهاء الدولة أن يتقدموا بنفائس أملاكهم لدعم مسيرة الجيش الإسلامي فطلب قطز الأمراء وتكلم معهم في الرحيل فأبوا كلهم عليه وامتنعوا من الرحيل، ولما وجد منهم هذا التخاذل والتهاون ألقى كلمته المأثورة :«يا أمراء المسلمين، لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه، فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته، فإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين ». قام قطز بقتل رسل التتر لإيصال رغبته في قتالهم وأنه جاد بذلك. .

حاول المغول عبر كتبغا النسطوري التحالف مع مملكة بيت المقدس الصليبية ولكن بابا الفاتيكان منع وحرم التحالف مع المغول . ثم أتت حادثة قتل ابن أخي كتبغا بواسطة الفرسان الصليبين بصيدا فاكتسح صيدا عقابا على ذلك. أما الصليبيون في عكا فقد اتجه قطز إلى مسالمتهم ومهادنتهم، واستأذنهم بعبور جيشه الأراضي التي يحتلونها وطلب منهم الوقوف على الحياد من الحرب مابين المماليك والمغول. وأقسم لهم انه متى تبعه فارس منهم أو رجل يريد أذى عسكر المسلمين إلا رجع وقاتلهم قبل أن يلقى التتر إلا إن الصليبيين سلموا بأن المسألة هي مسألة وقت ثم يكتسحهم المغول ويدمرونهم كما دمروا غيرهم، فلذلك غضوا الطرف على عبور المماليك أراضيهم ولم يتصدوا لهم. وقد بر على مابدى اولئك الصليبيين بوعدهم فلم يغدروا بالمعسكر الإسلامي من الخلف. في 15 شعبان 658هـ/ أغسطس 1260 م خرج قطز يسبقه بيبرس البندقداري ليكشف أخبار المغول.[/ URL]. في تلك الأثناء اجتمع كتبغا الذي كان في بعلبكمع قواده. فأشاروا عليه -اعتمادا على قوة المغول التي لا تقهر- أن ينطلق لقتالهم. فاختار كتبغا أن يتجه لقتالهم فجمع جيشه وانطلق باتجاه جيش المسلمين حتى لاقاهم في المكان الذي يعرف باسم عين جالوت.

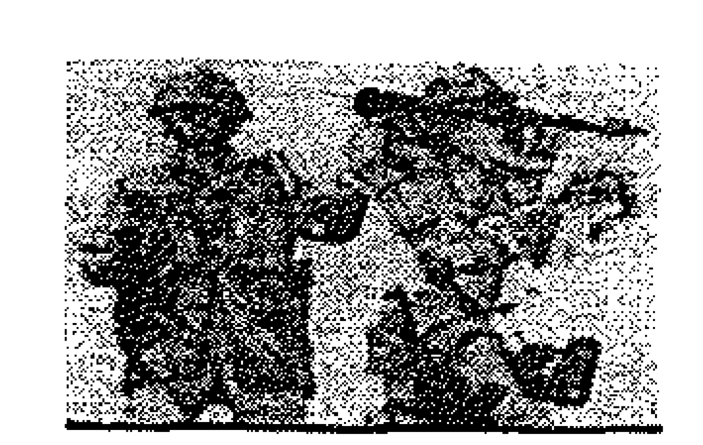




التقى الفريقان في المكان المعروف باسم عين جالوت في فلسطين في 25 رمضان658 هـ/ 3 سبتمبر 1260 م (وقت وصول الجيشين تماما مختلف فيه). قام سيف الدين قطز بتقسيم جيشه لمقدمة بقيادة بيبرس وبقية الجيش يختبئ بين التلال وفي الوديان المجاورة كقوات دعم أو لتنفيذ هجوم مضاد أو معاكس.

قامت مقدمة الجيش بقيادة بيبرس بهجوم سريع ثم إنسحبت متظاهرة بانهزام مزيف هدفه سحب خيالة المغول إلى الكمين، في حين كان قطز قد حشد جيشه استعدادا لهجوم مضاد كاسح، ومعه قوات الخيالة الفرسان الكامنين حول الوادي.

وانطلت الحيلة على كتبغا فحمل بكل قواه على مقدمة جيش المسلمين واخترقه وبدأت المقدمة في التراجع إلى داخل الكمين، وفي تلك الأثناء خرج قطز وبقية مشاة وفرسان الجيش وعملوا على تطويق ومحاصرة قوات كتبغا ولم يمض كثيرا من الوقت حتى هزم الجيش المغولي و نصح بعض القادة كتبغا بالفرار فأبى الهوان و الذل و قتل بعض أصحابه و جرت بينه و بين رجل يدعى العرينان مبارزة حيث لم



يمض وقت طويل من المبارزة فسقط كتبغا صريعا مجندلا على الأرض وكان انتصار كبير للعرينان . وسجل التاريخ في هذه المعركة تمكن فرسان الخيالة الثقيلة للمماليك المسلمين من هزيمة نظرائهم المغول بشكل واضح في القتال القريب، وذلك لم يُشهد لأحد غيرهم من قبل. نقطة أخرى ظهرت لأول مرة بتلك المعركة وهي المدفعية وإن كانت بالشكل البدائي إلا إنها استخدمت بالمعركة من جانب الجيش المملوكي لتخويف خيل المغول وارباك الخيالة مما تسبب بخلخلة بالتنظيم العسكري المغولي بالمعركة.

ويعتبر المؤرخون هزيمة المغول في هذه المعركة - بالإضافة لهزيمتهم التالية في حربهم مع اليابانيين قرب جزيرة أيكي - بداية النهاية للأمبراطورية المنغولية.

كانت معركة عين جالوت واحدة من أكثر المعارك حسمًا في التاريخ، أنقذت العالم الإسلامي من خطر داهم لم يواجه بمثله من قبل، وأنقذت حضارته من الضياع والانهيار، وحمت العالم الأوروبي أيضًا من شر لم يكن لأحد من ملوك أوروبا وقتئذ أن يدفعه.

وكان هذا النصر إيذانًا بخلاص الشام من أيدي المغول؛ إذ أسرع ولاة المغول في الشام بالهرب، فدخل قطز دمشق على رأس جيوشه الظافرة في (27 من رمضان 658 هـ)، وبدأ في إعادة الأمن إلى نصابه في جميع المدن الشامية، وترتيب أحوالها، وتعيين ولاة لها، وأثبتت هذه المعركة أن الأمن المصري يبدأ من بلاد الشام عامة، وفي فلسطين خاصة، وهو أمر أثبتته التجارب التاريخية التي مرت على المنطقة طوال تاريخها، وكانت النتيجة النهائية لهذه المعركة هي توحيد مصر وبلاد الشام تحت حكم سلطان المماليك على مدى ما يزيد عن نحو مائتين وسبعين سنة.

***



حرب فيتنام

الحرب الفيتنامية

أسباب الحرب :

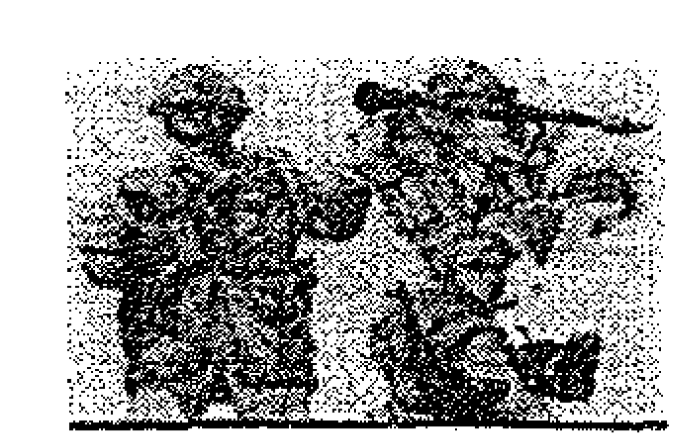
تعود أسباب الصراع في فيتنام إلى الحرب التحررية التي قادها الفيتناميون ضد المستعمر الفرنسي والتي استمرت ثماني سنوات (1946 إلى 1954) وكانت فيتنام قد تعرضت لاحتلال ياباني نهاية الحرب العالمية الثانية -قبيل هزيمة اليابان- وخاصة في أغسطس/ آب 1945 وانتهز الثوار الفيتناميون فرصة هزيمة اليابان فاحتلوا هانوي عاصمة البلاد مرغمين الإمبراطور الفيتنامي "باو داي" على التنحي عن الحكم ، لكن فرنسا رغم جراح الحرب المنهكة، بادرت باستعادة مستعمرتها فيتنام نهاية 1945 وبداية 1946، مجهضة أحلام الثوار في حكم بلادهم.

وعندها أعلنها الفيتناميون حربا ضروسا على الفرنسيين اشتعل أوارها مع نهاية 1946، ثم انتهت بعد معركة "ديان بيان فو" الشنيعة يوم 8 مايو/ أيار 1954، وهي الهزيمة التي فتت في عضد فرنسا.

وفي يوليو/ تموز 1954 تم التوقيع على اتفاق جنيف الذي ينهي الحرب بين فرنسا وفيتنام بحضور وفدي فيتنام ووفود فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي والصين الشعبية والولايات المتحدة ولاوس وكمبوديا.

وكان من نتائج الاتفاق تقسيم فيتنام إلى شطرين يفصل بينهما خط العرض 17، ورغم حضورهما في جنيف فإن الولايات المتحدة وحكومة سايغون الموالية لها لم توقعا على الاتفاق ، وفور رحيل فرنسا من فيتنام بدأت الولايات المتحدة تساعد حكومة سايغون عسكريا.

وفي 24 أكتوبر/ تشرين الأول 1954 منح الرئيس الأميركي أيزنهاور مساعدة مالية سخية لحكومة سايغون ظلت قيمتها في ازدياد مع الزمن، كما بدأ



المستشارون العسكريون الأميركيون يتوافدون على فيتنام الجنوبية بدءا من فبراير/ شباط 1955 م من أجل تدريب الجنود هناك.

وفي 23 أكتوبر/ تشرين الأول 1955 ظهرت أول حكومة في فيتنام الجنوبية منتخبة بقيادة "نغو دينه ديم"، وكان أول قرار اتخذته حكومته هو الامتناع عن أي استفتاء من شأنه أن يؤدي إلى اتحاد الشطرين الفيتناميين، مبررة ذلك بعدم حرية السكان في الجزء الشمالي.

الشد والجذب بين سايغون وهانوي :

ظلت أميركا تساند حكومة الرئيس ديم، في حين كانت حكومة هانوي الشيوعية في شمال فيتنام مصممة على توحيد شطري البلاد ، وفي يناير/ كانون الثاني 1957 أعلنت اللجنة الدولية المكلفة بمراقبة اتفاق جنيف بين طرفي النزاع الفيتنامي أن كلا الجانبين يخرق الاتفاقيات الحدودية باستمرار ، فقد شجع الشماليون العناصر الشيوعية الجنوبية على التغلغل في الجنوب انطلاقا من حدودها، كما لم يتورع الجنوبيون عن تجاوز تلك الحدود وهم يتعقبون ويطاردون أولئك الثوار.

وفي فبراير/ شباط 1959 أسس الثوار الجنوبيون "فييت كونغ" أول منظمة في دلتا ميكونغ، وفي 10 ديسمبر/ كانون الأول 1960 تم تأسيس جبهة التحرير الوطني، وهي الإطار التنظيمي السياسي والعسكري الذي سيتولى مهمة الحرب ضد أميركا وحكومة سايغون، فما كان من الرئيس الجنوبي ديم إلا أن أعلن قانون الطوارئ ، وقد تأجج الصراع وبلغ مداه حين أعلن الحزب الشيوعي الفيتنامي الحاكم في الشمال مساندة الثورة الجنوبية وإمدادها بالعدة والعتاد.

الاضطرابات والتدخل الأميركي :

أعلنت الولايات المتحدة وقوفها التام خلف حكومة سايغون، بل إن الرئيس الأميركي كنيدي وقع معاهدة صداقة وتعاون اقتصادي بين بلاده وفيتنام الجنوبية في أبريل/ نيسان 1961 ، وفي ديسمبر/ كانون الأول من نفس السنة أعلن كنيدي عزمه مساعدة حكومة الرئيس ديم اقتصاديا وعسكريا، فوصلت طلائع الجيش الأميركي إلى سايغون وكانت في البداية 400 جندي عهد إليها بتشغيل المروحيات العسكرية.



وفي السنة الموالية بلغ عـدد الجنـود الأميركيـين في فيتنـام الجنوبيـة 11 ألـف جندي، كما أسست قيادة أميركية في سايغون منذ يناير/ كانون الثاني 1962.

قام الأميركيون وحلفاؤهم الجنوبيـون بقطـع جبهـة التحريـر الـوطني عـن قواعدها عبر إقامة بعض القرى للمزارعين الموالين لحكومة الرئيس ديم ، ولم تنته سنة 1963 حتى بلغ عدد تلك القرى سبعة آلاف تضم ثمانية ملايين شخص، غير أن هذه الدروع البشرية أو الحواجز السكانية لم تمنع ثوار جبهة التحرير من السيطرة على 50٪ من تراب فيتنام الجنوبية.

أميركا تأخذ زمام المبادرة بعد موت الرئيس ديم :

لم تكن سياسات الرئيس ديم ذات الطابع التوليتاري قادرة على تنظيم البيـت الـداخلي في الجنـوب الفيتنـامي، فقـد عارضـه الـسياسيون ذوو النزعـة الليبراليـة لديكتاتوريته، كما عارضه البوذيون لميوله الكاثوليكية ، وقد أطيح به في أول نـوفمبر/ تشرين الثاني 1963 في انقلاب عسكري ، وتمت تصفيته جسديا في ظروف غامـضة ، ويرى العديد من الباحثين أن الولايات المتحدة لم تكن بعيدة عما جرى له ولنظامه.

وخلال الـ 18 شهرا التالية للإطاحة بـالرئيس ديـم عرفـت سـايغون عـشر حكومات عسكرية متعاقبة لم تـستطع أي منهـا ضـبط النظـام وخاصـة العـسكري ، واستغل ثوار جبهة التحرير الوضع المتأزم في الجنوب فشنوا الضربات تلو الـضربات لإضعاف حكومات سايغون الضعيفة أصلا.

عرفت سايغون في صـيف 1964 مزيـدا مـن الانـشقاقات بـين العـسكريين الحاكمين، وكذلك بين الطائفة البوذية المستاءة من الـتحكم الكـاثوليكي في الحكـم ، هذا فضلا عن التقدم العسكري الملحوظ لجبهة التحرير الوطني، وانطلاقـا مـن هـذه العناصر وصل الاقتناع الأميركي إلى أن تدخلا عسكريا شاملا هـو المخـرج لهـم مـن هذه الحالة.

وجدت أميركا الفرصة سانحة حين هوجمـت بعـض قاذفاتهـا البحريـة مـن طرف قوات جبهة التحرير الوطني في خليج تونكين، فما كان مـن الـرئيس الأميركـي



جونسون إلا أن أصدر الأوامر إلى الطيران العسكري الأميركي بقصف المواقع الفيتنامية الشمالية كرد فعل لما أصاب الأميركان.

ومنذ فبراير/ شباط 1965 توالى القصف الأميركي لفيتنام الشمالية، وفي 6 مارس/ آذار التالي تم أول إنزال للبحرية الأميركية في جنوب دانانغ ، وظل الوجود العسكري الأميركي يزداد في فيتنام ليبلغ في نهاية 1965 ما يناهز 200 ألف جندي، ثم وصل في صيف 1968 إلى 550 ألفا ، وظلت أميركا تضغط على هانوي من أجل ترك دعم الثوار الجنوبيين، غير أن الأخيرة كانت ترفض أي تفاوض مع الولايات المتحدة ما دامت مستمرة في قصفها المتواصل.

لم تترك أميركا أي وسيلة عسكرية للضغط على هانوي إلا استعملتها بدءا بالتجميع القسري للسكان ، ومرورا بتصفية الثوار الشيوعيين الموجودين في الأرياف الجنوبية واستعمال طائرات بي/ 52 لتحطيم الغطاء النباتي، وانتهاء بتكثيف القصف للمدن والمواقع في الشمال الفيتنامي ، خاصة تلك الواقعة بين خطي العرض 17 و20.

ومع ذلك لم يؤثر الرعب الأميركي والآلة الحربية المتطورة في معنويات الفيتناميين ، ولا في مقاومتهم ، بل تفرقوا في الأرياف ومراكز الإنتاج الزراعي ، وازدادت فيهم معنويات المقاومة ، ولم تستطع أميركا - رغم محاولاتها المستمرة- أن تقطع طريق "هو شي منه" الذي تمر منه الإمدادات نحو ثوار الجنوب.

ذروة المعارك :

في أكتوبر/ تشرين الأول 1966 أعلن ممثلو أميركا وحلفاؤهم المشاركون بجنودهم في الحرب كأستراليا ونيوزيلاند وتايلند وكوريا الجنوبية والفلبين في مانيلا استعدادهم للانسحاب من فيتنام بعد ستة أشهر إذا ما خرجت فيتنام الشمالية من الحرب ، وهو إعلان رفضه الشماليون بصرامة.

ولم تثمر دعوة الرئيس الأميركي جونسون الزعيم السوفياتي كوسيغين إلى الضغط على هانوي لتنهي الحرب حين التقيا في يونيو/ حزيران 1967 بل ظلت نيران الحرب مشتعلة ، فما كان من الرئيس جونسون إلا أن أعلن عزمه زيادة الجنود



الأميركيين في فيتنام ليصل عددهم عام 1968 إلى 525 ألفا، كما أصبح القصف الأميركي للمواقع الشمالية قاب قوسين أو أدنى من الحدود الصينية.

ولم تنفع سياسة العصا والجزرة مع الفيتناميين، حيث لم تردعهم هجمات الولايات المتحدة المتكررة وقصفها المتواصل ، كما لم تغرهم دعوات الرئيس جونسون للتفاوض، فظلت الحرب مشتعلة وعدد الضحايا في ازدياد.

ظلت المعارك خلال الحرب الفيتنامية تدور في الجبال ، وهي إستراتيجية اتبعها الفيتناميون المتكيفون أصلا مع الأوضاع الطبيعية والمناخية الصعبة ، وفي 1968 أطلق الجنرال الفيتنامي ما عرف بهجوم "تيت" (وهو اسم السنة القمرية الفيتنامية التي يحتفل بها منتصف فبراير/ شباط من كل سنة) على مجموعة عمليات عسكرية شديدة استهدفت أكثر من مائة هدف حضري ، وقد استطاع الثوار أن يتغلغلوا في الجنوب حتى بلغوا عاصمة الجنوب سايغون فتعرض الأميركيون للهجوم.

ومع إن الثوار الفيتناميين فقدوا حوالي 85 ألف شخص فإن التأثير النفسي للمعارك كان بالغ الأثر على الولايات المتحدة.

التذمر الأميركي من الحرب :

في 31 مارس/ آذار 1968 أعلن الرئيس جونسون وقف القصف الأميركي لشمال فيتنام، كما أعلن في نفس الوقت تقدمه لولاية رئاسية ثانية ، ولم نصل إلى منتصف مايو/ أيار من نفس السنة حتى بدأت المفاوضات بين الفيتناميين والأميركان في باريس.

لم يصل ريتشارد نيكسون إلى رئاسة الولايات المتحدة عام 1969 حتى أعلن أن 25 ألف جندي أميركي سيغادرون فيتنام في أغسطس/ آب 1969، وأن 65 ألفا آخرين سيجري عليهم نفس القرار في نهاية تلك السنة.

غير أنه لا الانسحاب الأميركي من فيتنام ولا موت الزعيم الشمالي هوشي منه يوم 3 سبتمبر/ أيلول 1969 أوقفا الحرب الضارية، فمفاوضات باريس عرفت تصلب الفيتناميين الذين طالبوا وبإلحاح بضرورة الانسحاب الأميركي التام كشرط أساسي لوقف إطلاق النار.

ومع ما تكبدته أميركا من خسائر بشرية ومادية ظهرت في الشارع الأميركي دعوة إلى إنهاء الحرب الفيتنامية ، وتمثلت تلك الدعوة في المظاهرات المكثفة التي عمت المدن الأميركية ، وفي الحملات الصحفية.

وازدادت قوة الدعوة المطالبة بإيقاف الحرب لما نشرت وسائل الإعلام الأميركية الممارسات البشعة واللاإنسانية التي عامل بها الجيش الأميركي المواطنين الفيتناميين ، ومن أشهر تلك المظاهر الوحشية: إبادة الملازم الأميركي وليام كالي للمدنيين العزل في قرية لاي عام 1968، وقد تمت محاكمته عسكريا عام 1971.

وشمرت الصحافة الأميركية عن ساعديها – وعلى رأسها جريدة نيويورك تايمز– حين قامت بنشر تقارير حول الطريقة البشعة التي تمت بها الحرب الفيتنامية.

وفي 25 يناير/ كانون الأول 1972 أعلن الرئيس نيكسون طبيعة المفاوضات الأميركية الفيتنامية وما قدمته الإدارة الأميركية بشكل سري للفيتناميين ، كما كشف اللثام عن مخطط جديد للسلام مكون من ثماني نقاط بينها إجراء انتخابات رئاسية في الجزء الجنوبي من فيتنام.

أما فيتنام الشمالية فكان مخططها للسلام يقوم على ضرورة تنحي الرئيس الفيتنامي الجنوبي "تيو" عن السلطة كشرط أساسي للسلام، والامتناع عن تسليم الأسرى الأميركيين إلا بعد تنازل الولايات المتحدة عن مساندة حكومة سايغون.

بداية النهاية :

أخذت الحرب منحى خطيرا حين قامت فيتنام الشمالية يوم 30 مارس/ آذار 1972 بهجوم كاسح نحو الجنوب داخل منطقة "كانغ تري" متجاوزة بذلك المنطقة المنزوعة السلاح، وكان رد الفعل الأميركي مزيدا من القصف الجوي.

وبينما كانت نيران الحرب تشتعل بدأت المفاوضات السرية بين الطرفين، حيث اجتمع مستشار الرئيس الأميركي لشؤون الأمن القومي يومها هنري كيسنجر بمندوب فيتنام الشمالية دوك تو.

ومع انتعاش الآمال بالوصول إلى حل نهائي ، وفي محاولة للضغط على الفيتناميين وكسب انتصارات ميدانية تقوي من موقفه ، أمر الرئيس نيكسون يوم 17



ديسمبر/ كانون الأول 1972 بقصف هانوي وهايبونغ ، فصبت طائرات بي/ 52 نيرانها على المدينتين في قصف لم تعرف الحرب الفيتنامية نظيرا له ، وفقدت أميركا 15 من هذه الطائرات كما فقدت 93 ضابطا من سلاح الطيران الأميركي.

وأعلن في 23 يناير/ كانون الثاني 1973 عن التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار الذي دخل حيز التنفيذ يوم 28 من نفس الشهر. ويتضمن الاتفاق:

- توقف جميع أنواع العداء.
- انسحاب القوات الأميركية من جنوب فيتنام خلال الشهرين التاليين للتوقيع، وإطلاق سراح الأسرى من الطرفين خلال 15 يوما من التوقيع.
- الاعتراف بالمنطقة المنزوعة السلاح بين الشطرين على أنها مؤقتة لا أنها حدود سياسية.
- إنشاء لجنة دولية (مكونة من ممثلين عن كندا وهنغاريا وإندونيسيا وبولونيا) مكلفة بمراقبة تطبيق الاتفاق.
- بقاء 145 ألف جندي من شمال فيتنام في الجنوب.

لم ينته مارس/ آذار 1973 حتى تمت مغادرة آخر جندي أميركي من فيتنام، غير أن فضيحة ووترغيت التي أكرهت الرئيس نيكسون على الاستقالة يوم 9 أغسطس/ آب 1974 جعلت أميركا غير قادرة على مساندة حكومة سايغون.

انتهز الشماليون فرصة انشغال واشنطن بووترغيت ومعاداة الرئيس الفيتنامي الجنوبي تيو للشيوعيين الجنوبيين، فشنوا هجوما كاسحا على الجنوب محتلين مدينة فيوك بنه في يناير/ كانون الثاني 1975، وتابعوا هجومهم الكاسح الذي توج بدخول سايغون يوم 30 إبريل/ نيسان من نفس السنة.

خسائر الحرب :

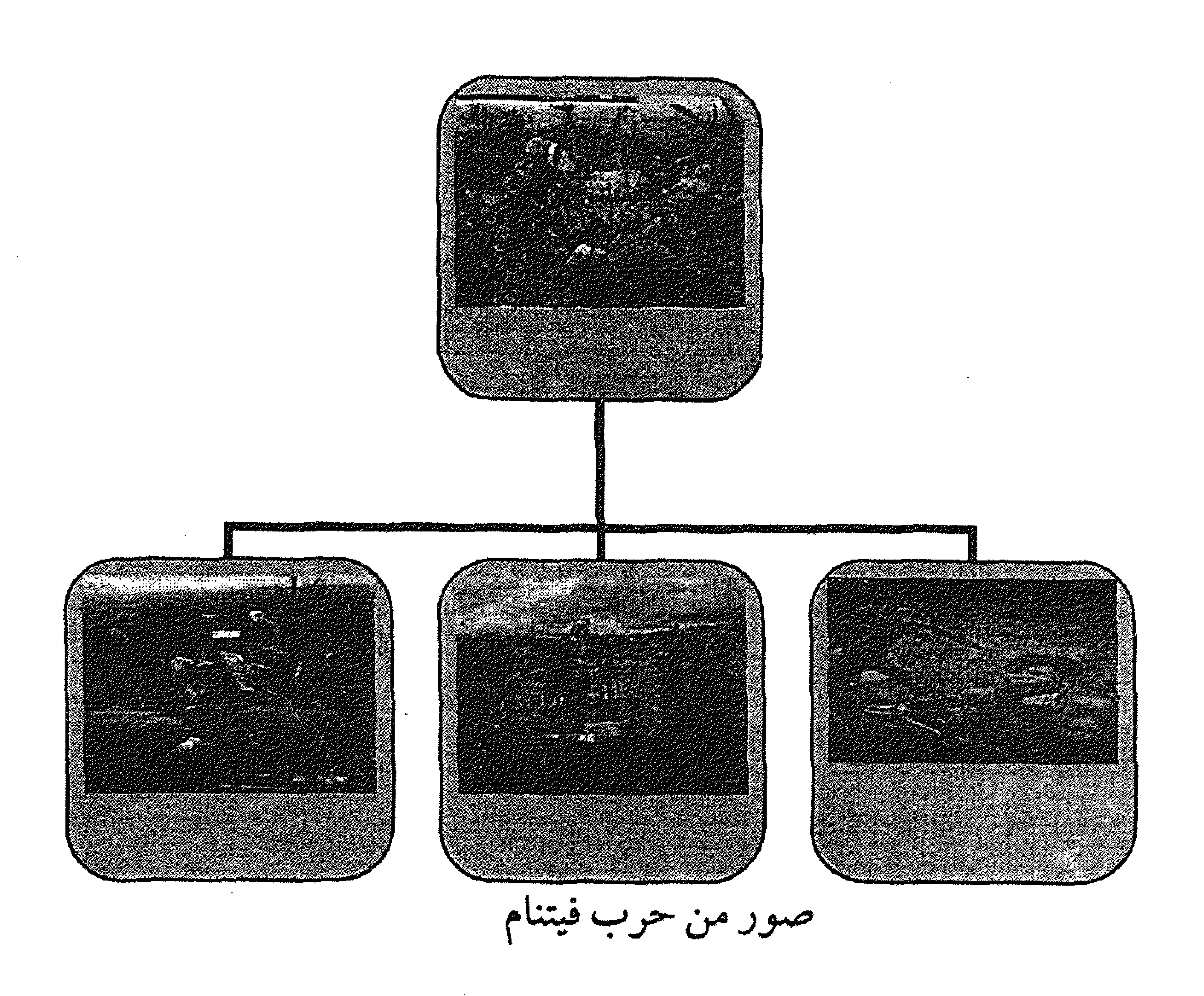
خسائر الفيتناميين خلال سنوات الحرب الثماني:

- مليونا قتيل
- 3 ملايين جريح
- ما يناهز 12 مليون لاجئ.



أما الأميركيون فقدرت خسائرهم بـ:

- 57 ألف قتيل
- 153303 جرحى
- 587 أسيرا بين مدني وعسكري وقد تم إطلاق سراحهم.



صور من حرب فيتنام

***

نابليون يحتل موسكو

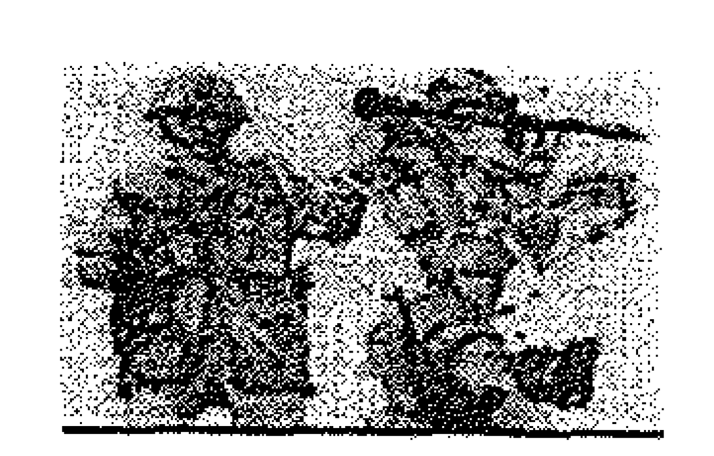


المقدمة

خاض نابليون غمار حملتين كبيرتين على الأراضي الروسية، بينهما خمس سنوات، تُوّجت الأولى بالنّصر وعقد معاهدة سلام، بين روسيا وفرنسا، بينما انتهت الثانية بالفشل الذريع، ووضعت بدايات سقوط نابليون وإمبراطوريته، ونهاية حياته. وفيما يلي عرض سريع موجز لأحداث الحملة الأولى على روسيا.

وافق مجلس الشيوخ الفرنسي على اقتراح قُدّم إليه يوم 18 مايو 1804م بمنح لقب إمبراطور للقنصل الأول نابليون بونابرت، وصدر قرار مجلس الشيوخ بذلك في المرسوم الرقم 112. واشترط نابليون إجراء استفتاء شعبي عام على ذلك، وجاءت النتيجة يوم 6 نوفمبر 1804م بموافقة أغلبية الشعب الفرنسي. وفي كنيسة نوتردام، في احتفال يوم 2 ديسمبر 1804م، بحضور رجال البلاط، وأعضاء مجلس الشيوخ، انتزع نابليون التاج من يد البابا، ووضعه بنفسه على رأسه، حتى لا يركع أمام البابا، كما كان يفعل ملوك فرنسا السابقون.

استأنف نابليون نشاطه التوسعي لتكوين إمبراطورية فرنسية شاسعة، وبعد أن تمكن من اجتياح النمسا في 2 أكتوبر 1805م، وسحق الجيش الألماني في موقعة أولم U LM على نهر الدانوب، كان عليه أن يواجه الجيش الروسي، الذي وصل



بقيادة كوتوزوف Kutusoff إلى نهر إين، بعد اجتياز النمساس، وتجنيد عدد كبير من رجالها للقتال معه. وتمكن نابليون من الانتصار على كوتوزوف، وواصل تقدمه متوغلاً في أراضي النمسا، ودخل فيينا دون مقاومة تذكر، يوم 15 نوفمبر 1805م. وانسحب فرانسوا الثاني، إمبراطور النمسا، من العاصمة. وواصل نابليون تقدمه، فانتصر على القوات الروسية النمساوية في 2 ديسمبر 1805م انتصارًا ساحقاً في أوسترليتز Austerlitz، (وهي مدينة تشيكية)، ويعدُّ هذا الانتصار أعظم انتصاراته؛ إذ خسرت القوات النمساوية ـ الروسية 27 ألف قتيل، فضلا عن معدات هائلة. وانسحبت القوات الروسية، بينما دخل النمساويون في مفاوضات مع نابليون انتهت بالتوقيع على معاهدة بريسبرج Persbourg في 26 ديسمبر 1805، التي تضمنت تنازل النمسا عن جزء كبير من أراضيها لمصلحة المملكة الإيطالية، حسب رغبة نابليون، وعن جزء آخر لصالح فرنسا، ودفع غرامة حرب، قدرها أربعون مليوناً من الفرنكات. ونصب نابليون أخاه جوزيف ملكاً على إيطاليا، كما أخذ في تنظيم ألمانيا، وتقسيم دوقياتها بين قواده، ودخل الأمراء الألمان في الجنوب والغرب في اتحاد كونفيدرالي، تحت سيطرة فرنسا، باسم "اتحاد الراين"، الذي اتخذ من فرانكفورت عاصمة له، والذي فوّض نابليون في إعلان الحرب، وقيادة الجيوش، وإدارة السياسة الخارجية للاتحاد.

لم تسفر المفاوضات، التي جرت بين نابليون وممثلي إنجلترا وروسيا عن نجاح يذكر؛ لأن إنجلترا رفضت التسليم لنابليون باستيلائه على صقلية؛ ولأن روسيا رفضت اقتراح نابليون بتراجع قواتها إلى الشرق، وعدم التدخل في شؤون أوروبا الغربية.

أرسل نابليون إلى بروسيا يطلب منها التحالف مع فرنسا، ويقدم لها هانوفر هدية لها مقابل ذلك. ولكن بروسيا رفضت التحالف معه، وفضلت التحالف مع روسيا في 9 أغسطس 1806، وأخذت في حشد قواتها. وفي 26 أغسطس، أرسلت إنذاراً إلى فرنسا، تطالبها بسحب قواتها، والجلاء عن الراين، في موعد أقصاه 8 أكتوبر 1806. ورفض نابليون الإنذار، ودارت الحرب مع بروسيا، وتمكّن من هزيمتها، و



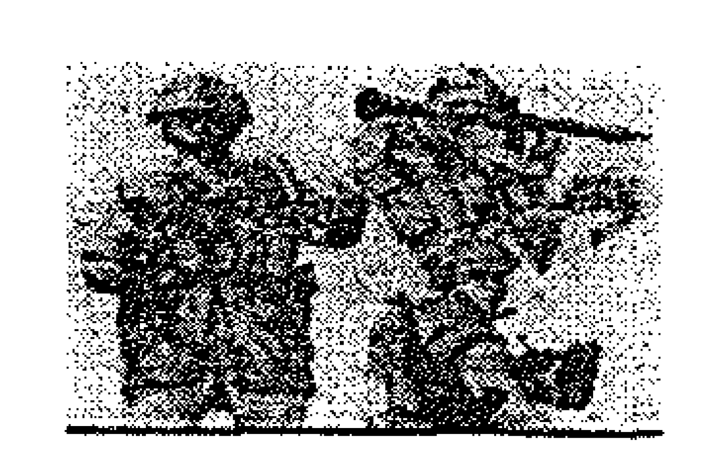
تدمير جيوشها تدميراً هائلاً؛ فقد خسرت القوات البروسية 37 ألفاً بين قتيل وجريح، و20 ألفاً من الأسرى، وفقدت جميع مدفعيتها، واستسلمت جميع قلاعها باستثناء ثلاث، ودخل نابليون مدينة برلين، وفرّ الإمبراطور فريدريك غليوم إلى روسيا.

عقب ذلك زحف نابليون لمواجهة الروس في أرض بروسيا الشرقية. واتبع الروس سياسة "الأرض المحروقة"؛ إذ أخذوا ينسحبون أمامه، بعد أن أحرقوا الأرض، وأتلفوا الزرع؛ مما وضع العراقيل أمام جيش نابليون، وتسبب في نقص الإمدادات والتموين. ثم ما لبث أن غاص جيش نابليون في الوحل، وأربكته الثلوج والأمطار والعواصف. وتقابل الجيشان في إيليو Eylau في ليتوانيا في 8 فبراير 1807، وتمكّن نابليون بصعوبة من الانتصار على الروس، الذين فقدوا 25 ألف قتيل، بينما سقط عشرة آلاف من الفرنسيين.

استنزفت هذه المعركة قدرات نابليون، فآثر التوقف فترة قبل استئناف القتال، وعمل على تدعيم قواته، ثم عاد إلى التحرك في الربيع، فسار إلى كونيجسبرج، حيث المستودعات الرئيسية لتموين الجيش الروسي. والتقى الجيشان عند فريدلاند Freidland (تسمى حالياً Tchernia Kowsk) في ليتوانيا في 14 يونيه 1807. وانتصرت القوات الفرنسية، وتكبد الروس خسائر فادحة (25 ألف قتيل، و 80 مدفعاً)، وأخذوا يتراجعون في اتجاه نييمن Niemen (تسمى الآن Sovietsk) في ليتوانيا، وأرسل القيصر ألكسندر يطلب التفاوض مع نابليون، وتم اللقاء في تيلسيت Tilsitعلى نهر نييمن في 25 يونيه 1807، وتم الصلح، وعُقدت معاهدة تيلسيت.

1. الحملة الثانية وتجدد الصراع مع روسيا

حدث بعد ذلك ما أدى إلى تباعد فرنسا عن روسيا، بعد زواج نابليون من ماري لويز Marie Louise، ابنة فرانسوا الأول Francois I، ملك النمسا، وطلاقه لجوزفين؛ فقد كان نابليون يرغب في مصاهرة قيصر روسيا، غير أن جواب القيصر تأخر، ولاحت احتمالات الرفض، فخطب نابليون ماري لويز. كذلك لم يكن القيصر ألكسندر راضياً عن تحالفه مع نابليون، فإن هذا التحالف لم يحقق له ما كان يتطلع إليه؛



بعد أن أدى الحصار الاقتصادي الذي فرضه نابليون على إنجلترا إلى إصابة التجارة الروسية بأضرار بالغة؛ فقد كانت روسيا تُعدُّ إنجلترا سوقها الوحيد المفضل. وكذلك كان قيصر روسيا يهدف من تحالفه مع نابليون إلى اقتسام أوروبا، ففوجئ بأن نابليون أقام دوقية فارصوفيا (وارسو الحالية)، على حدود روسيا، وأعلن عن قيام مملكة بولونية، مما حرم روسيا من موانئها على بحر البلطيق. إضافة إلى ذلك فإن نابليون لم يدعم قيصر روسيا في مخططاته التوسعية للاستيلاء على القسطنطينية، فكان لابد من انفجار الصراع.

ويمكن القول إن العلاقات بين روسيا وفرنسا قد وصلت إلى أقصى درجات تدهورها في عام 1811. وقد طلب نابليون من قيصر روسيا في 15 أكتوبر 1810 أن يحتفظ بجميع السفن الإنجليزية الراسية في المياه الروسية، والتي ترفع أعلاماً محايدة، ويمنعها من السفر. ولكن القيصر رفض طلب نابليون قائلاً: "إن روسيا لا تستطيع أن تستغني عن السلع التي تأتي بها تلك السفن من المستعمرات الإنجليزية، أو أن تمنع سفناً تحمل أعلاماً محايدة". وزاد القيصر من تصعيد الخلاف، وتحديه لنابليون فأصدر مرسوماً بتسهيل دخول السفن المحايدة إلى جميع الموانئ الروسية، وبفرض رسوم جمركية باهظة على المنتجات الفرنسية، خاصة النبيذ والحرير، أهم صادرات فرنسا.

وأراد نابليون أن يُلقي تبعة اندلاع الحرب على كاهل قيصر روسيا، فأرسل إليه عدة رسائل. وكان مما تكرر وروده في هذه الرسائل:

"إنني سأظل صديقاً مخلصاً لجلالتكم، حتى ولو كان قدر أوروبا أن يحمل أبناؤها السلاح ضدّ بعضهم البعض، وإنني لن أبدأ قط بالهجوم، ولن تزحف جيوشي إلى أراضيكم إلا إذا مزقتم جلالتكم وثيقة تلست، التي تتضمن معاهدة الوفاق بيننا. كما إنني سأكون أول من يلقي السلاح إذا عادت ثقتكم بي مرة أخرى".

وكان ردّ القيصر أن أرسل بمذكرة، سلمها السفير الروسي في فرنسا إلى نابليون، يطلب منه الانسحاب من دانتزيج Dantzig، (وهي مدينة بولونية على خليج دانتزيج على البلطيق، استولت عليها فرنسا في 1807، وأصبحت مركزاً من مراكز



بروسيا الشرقية)، وإخلاء دوقية فرصوفيا. ومن ثم تأكد نابليون أن الحرب لابد منها، فبدأ في حشد قوات هائلة. واستصدر من مجلس الشيوخ في 23 ديسمبر 1811 قراراً بتفويض وزير الحربية ألكسندر برتييه Alexandre Berthier تعبئة 120 ألف مقاتل، ثم استصدر قراراً آخر في 17 مارس 1811 بتخصيص 60 ألف مقاتل آخرين لتأليف جيش داخلي للدفاع عن فرنسا. كما عقد وثيقة تحالف عسكري مع بروسيا في 24 فبراير 1812، وأخرى مع النمسا في 14 مارس.

ثم أرسل القيصر ألكسندر إنذاراً، في 25 أبريل 1812، إلى نابليون يطلب منه الجلاء عن ألمانيا، فأرسل نابليون إليه مندوبه ناربون Narbone للتفاهم، ولكن القيصر أصر على موقفه.

في ذلك الوقت في عام 1812، كان نابليون قد حقق انتصارات عسكرية حاسمة، في الحملات والمعارك، التي خاضها على أرض القارة الأوروبية، ولم يبق أمامه إلا ثلاثة خصوم:

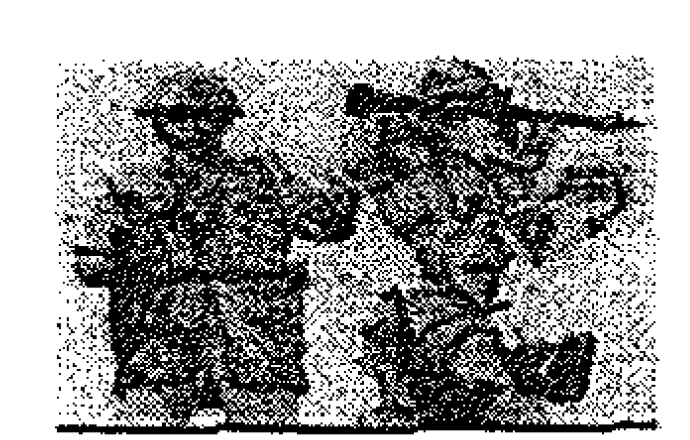
أ. بريطانيا التي تحتمي بالبحر.

ب. وروسيا التي تحتمي بالبرد؛ وعلى أرضها الشاسعة تفنى الجيوش الصغيرة، وتجوع الجيوش الكبيرة.

ج. وأسبانيا التي تحتمي بالجبال الوعرة، والوديان السحيقة.

ومن ثم أرسل نابليون حملة إلى أسبانيا، وتهيّأ بنفسه للخروج إلى روسيا.

خرج نابليون على رأس جيوشه من باريس، في 9 مايو 1812، وبصحبته زوجته الملكة ماري لويز، وعندما وصل إلى فيينا، خرج لاستقباله صهره إمبراطور النمسا، فرانسوا الأول، ومعه الأمراء بحفاوة كبيرة، ومكث يوم 17 مايو في درسدن Dresden في النمسا، وفي اليوم التالي، تحرك إلى براغ، وهناك ترك ماري لويز، وواصل سيره. كان نابليون قد حشد في ألمانيا، على ضفاف نهر الفيستولا، نحو 510 آلاف جندي، في أربعين فرقة مشاة و 25 فرقة فرسان، وكان ذلك هو أعظم جيش عرفته أوروبا حتى ذلك الوقت. وقد تألف نصف هذا الجيش من عناصر غير فرنسية.



أما القوات الروسية، فكانت تتألف من ثلاثة جيوش، بمجموع أفرادها 174 ألف فرد. يتمركز الجيش الأول، وعدده 126 ألفاً، بقيادة الجنرال بركلاي ديتوللي، غرب فيلنا Vilna، ويتمركز الجيش الثاني، وعدده 48 ألفاً بقيادة الجنرال الأمير بيير براجسيون Pierre Bagration، في فيلكسلك، شرق نهر بوق، أما الجيش الثالث فكان في لوتسك.

عند المقارنة بين الطرفين، يظهر تفوق قوات نابليون العددي، ومن ثم كان هدف نابليون الاشتباك، في أسرع وقت ممكن، مع الجيوش الروسية قليلة العدد، والانفراد بكل منها على حدة، وتدميره. ووضع نابليون خطته للزحف إلى نهر نييمن؛ للوصول إلى المدينتين الرئيستين في روسيا، وهما سان بطرسبرج (لينيجراد)، وكانت العاصمة، وموسكو. ورأى نابليون أن يستدرج الجيوش الروسية إلى الدفاع عنهما، وكان واثقاً من أن مجرد احتلاله لأي من المدينتين سيجبر الروس على التسليم، ومن ثم يملي شروطه عليهم.

أما القيصر الروسي، فقد وضع ثقته كلها في مستشاره العسكري، الجنرال البروسي فول برنادوت، الذي كان لا يفهم الروسية، وكان يتعالى على الضباط الروس، ويعاملهم بكل ازدراء. وقد أشار فول على القيصر ببناء معسكر حصين، في مدينة دريسّا على نهر دفينا Dvina، على بعد 250 كم شمال نهر نييمن، يتسع لـ 120 ألف فرد؛ يصمدون جميعاً هناك، ويمنعون تقدم قوات نابليون نحو سان بطرسبرج أو موسكو. وكان فول يظن أن الفرنسيين ستتبدّد قواهم عبر الطرق الوعرة المقفرة، وأنّ على الجيوش الروسية أن تمتنع عن التصدي للفرنسيين، وتعمد إلى استدراجهم إلى المناطق التي سوف يغطيها الجليد. ومن ثم إذا وصلوا إلى دريسّا، فلن يتمكنوا من اختراقها.

ولو أخذ القيصر بهذه الخطة لكسب نابليون الحرب، ولكنه اعتمد خطة تقهقر جيوشه في انسحاب منظم، دون اشتباك، أمام جيوش نابليون التي تفوق ثلاثة أضعافهم؛ لاستدراجهم في القفار وبين الثلوج. أما نابليون، فقد رسم خطته لاستمرار الحرب مدة عامين: يقاتل الروس في العام الأول في ليتوانيا، وفي الثاني في

موسكو. ومن ثم بدا له أن لديه متسعاً من الوقت للعناية بالاستعدادات الواجبة. وهكذا قسّم نابليون جيوشه إلى ثلاثة عشر فيلقاً، إضافة ثلاثة فيالق من الحرس الخاص. وعهد بقيادة هذه الفيالق ـ على الترتيب ـ إلى كل من: المارشال دافو Davout، والمارشال أودينو، والمارشال ناي Ney، والمارشال يوجين دي بيوهارين Eugene De Beauharnais، والمارشال بونياتسكي، والمارشال جوفيون سان سير، والمارشال رينيه، والمارشال جيروم نابليون ملك وستفالي، وهو شقيق نابليون، والمارشال فكتور مكدونالد، والمارشال بيير أوجيرو Pierre Augereau، والمارشال موران Morand، ،البرنس شوار تزنبرج. أما الحرس فتولى قيادة فيالقها الثلاثة كل من المارشال ليفيفر، والمارشال أدولف مورتييه Adolphe Mortier، والمارشال بسيار.

أما من ناحية الاستعدادات للإسناد اللوجستي، فقد اعتنى بها نابليون بدقة شديدة، استغرقت منه جهد 18 شهرًا؛ لمواجهة توفير طعام لجيوشه الجرارة في مناطق قليلة السكان، في بولندا وروسيا الشرقية؛ فقد أقام مستودعات ضخمة في دانتزيج، وماريانبورج، وثورن، وبلوك، ومودلين، ووارسو، وكلها قريبة من الحدود الروسية. وأعد لنقل المؤن منها ستة آلاف من العربات التي تجرها الخيول والأبقار، في 16 كتيبة، كما أعد مائة ألف من الخيل للفرسان والمدفعية، منها 1350 حصاناً لسحب المدافع. وأمر أن يحمل كل جندي حمولته من الذخيرة، ومعها جعالة طعام، يكفيه لمدة 15 يوماً. وهكذا تزود كل جندي بحقيبة ظهر بها قميص، وثلاثة أزواج من الأحذية، وسروالين من القماش السميك، وطاقات نصفية سوداء، وطاقات طويلة، وسراويل داخلية، وكيساً به 4.5 كجم من الطحين تكفي لمدة خمسة أيام، وخبز يكفي لمدة أربعة أيام، وبسكويت يكفي لمدة ستة أيام.

وصلت قوات نابليون إلى مدينة كوفنو في 23 يونيه 1812، على ضفة نهر نييمن، وعند أسوارها يصب نهر فيلنا في نهر نييمن. ووقف نابليون يتابع الموقف، فإذا بأرنب بري يمر بين قدميه، واختل توازن نابليون، فسقط على الأرض. فصاح أحد الجنود: "يا للشؤم". ونهض نابليون وخطب في جنوده: "إن الأقدار تسوق روسيا



سوقًا، ولا مهرب أمامها من الهلاك المبين. أتظن روسيا أننا قد ضعفنا؟ ألسنا رجال أوستراليتز؟ أتريد منا أن نختار بين العار والحرب. لن نتردد إذن في الاختيار.

كانت النباتات في الحقول لا تزال خضراء، لا تصلح لعلف الخيول. وفي اليوم التالي 24 يونيه، انتشر وباء Colic، وهو مرض يصيب معدة الخيل؛ فيقضي عليها. وهكذا هلك ثلث خيول نابليون. وكان الحر شديدًا، فأصيب كثير من الجنود بضربة شمس، كما بدأ البعض يتسرب هاربًا، تاركاً الجيش، يبحث عن طريق نجاة، يعود منه إلى فرنسا.

أرادت القوات الفرنسية عبور نهر نييمن من عند قرية بونيمن، فأقامت ثلاثة جسور في مدى ساعتين، وعبر الجيش في ثلاثة صفوف، وكانت سعة نهر نييمن، عند هذه البقعة، نحو مائتي متر. وعندما تراجع الروس، دمروا الجسر الممتد فوق نهر فيلنا وأشعلوا فيه النيران؛ ومن ثم خاضه الفرنسيون سباحة، والروس يتجنبون الاشتباك، وينسحبون أمامهم. أمر نابليون بتحرك قوة ضاربة من الجيش، مؤلفة من ست فرق بقيادة المارشال دافو، والالتفاف والتوجه نحو فيلنا، عاصمة ليتوانيا، التي كان يقيم بها القيصر وكبار رجاله، في مناورة لتطويق الجيش الروسي الأول، الذي يقوده الأمير براجسيون، وسحقه. وزحف الفرنسيون إلى فيلنا، فوصلوها في 27 يونيه، ووجدوا الروس ينسحبون، بعدما أطلقوا بعض قذائف المدفعية، وأحرقوا المؤن والذخائر.

حين دخل نابليون فيلنا، وجد أن المؤن الروسية الباقية كلها قد أُتلفت. وتغير الجو؛ فهطلت الأمطار الغزيرة وهبت رياح باردة، وظل الحال كذلك خمسة أيام متوالية. وأخذ الفرنسيون يستولون على الطعام والعلف الموجود لدى القرويين. ونفقت آلاف أخرى من الخيل؛ بسبب شدة البرد ونقص الطعام.

في 29 يونيه، أصدر نابليون أمره إلى المارشال دافو بالهجوم على مدينة منسك، وطلب من أخيه جيروم مساندة دافو؛ فأسرعا إليها، ولكن الروس كانوا قد انسحبوا تاركين المدينة.

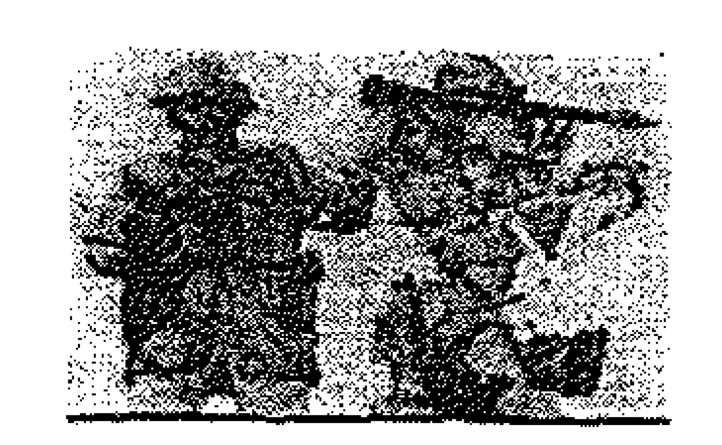


كان أول شيء فعله نابليون، لدى دخوله ليتوانيا، هو تأليف حكومة مؤقتة لها، وعيّن المسيو بنيون معتمداً إمبراطورياً له. وهناك جاءه الجنرال بلاكوف، موفداً من قيصر روسيا، يطلب التفاوض والتفاهم، ويقول له إن القيصر لم يبادره بالهجوم، وإنه ما زالت هناك فرصة للتفاهم والسلام، بشرط جلاء الفرنسيين عن الأراضي الروسية. ورفض نابليون الاستجابة لمطالبه؛ إذ أدرك أن هدف القيصر هو كسب الوقت، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من فلول جيشه، أثناء انسحابها.

في 16 يوليه 1812 غادر نابليون فيلنا، وأمر دافو وجيروم بالتحرك لمطاردة الروس، الذين انسحبوا في اتجاه فيتبسك Vitebsk (على نهر دفينا)، وللحيلولة دون وصول القائد الروسي بجراسيون إلى منطقة دريسا، حيث يقيم الاسكندر، بينما اتجه نابليون إلى الالتفاف حول غابة بييسكي متجهاً إلى سمولنسك Smolensk (الواقعة على نهر دنيبر Deniéper) بهدف تطويق الروس. ولكن هذه الخطة فشلت؛ لأن جيروم (شقيق الإمبراطور) كان بطيء الحركة في تعقبه لبجراسيون، مما جعل الأخير يسبقه مسافة ثلاثة أيام. وقد اشتد غيظ نابليون من تصرف أخيه، وأرسل إليه رسالة يعنفه فيها بقوله: "إن تحركاتك البطيئة الفاشلة كانت السبب في إفلات بجراسيون وانسحابه. وإنك بتصرفك هذا سوف تضيّع ثمرة خططي التي وضعتها، وستجعل فرصة من أثمن الفرص تضيع من يدي في هذه الحرب، ومن ثم آمرك، من الآن، بضم قواتك إلى قوات دافو، والانضواء تحت لوائه، والتقيد بأوامره". وقد نفذ جيروم أمر أخيه، وضم قواته إلى قوات دافو، ولكنه ترك الحملة، وعاد أدراجه إلى فرنسا.

مما زاد من وطأة المصاعب على الفرنسيين أن القوزاق Cossaeks كانوا يحومون حول القوات الفرنسية، ويشنون الغارات عليها. وعجزت خيول الفرنسيين عن ملاحقة خيول القوزاق، ولم يكن للفرنسيين سابق خبرة بالتعامل مع هذا النوع من الغارات.

في هذه الأثناء، كان بركلاي قد نجح في إقناع القيصر بالتخلي عن خطة قائده فول، والمبادرة بالفرار من دريسا وحصونها، والعودة إلى سان بطرسبرج، من



خلال الانسحاب شرقاً إلى أن يجتمع الجيشان الأول والثاني. وظل بركلاي في مدينة فيتبسك ينتظر بجراسيون، إلا أن بجراسيون لم يتوجه إلى فيتبسك، وإنما غير وجهته؛ بسبب مطاردة دافو له، إلى سمولنسك، وأرسل يخبر باركلاي بذلك؛ فبادر إلى الانسحاب، تحت جنح الظلام، تاركاً فيتبسك متجهاً إلى أرخا للانضمام إلى بجراسيون. ووقع أثناء انسحابه بعض الاشتباكات الخفيفة، في يومي 25 و26 يوليه 1912، بين مؤخرة قواته وقوات موران ويوجين في أوسترونو، ولكن الجيش الروسي تمكن من الإفلات، عبر الغابات الكثيفة، المؤدية إلى فيتبسك. وهناك توقفت القوات الفرنسية، ولحق بها نابليون ورجاله هناك، وانضموا جميعاً، وبدأوا في اختراق الغابات، ودخلوا فيتبسك، ليلة 27 يوليه، فوجدوا الجيش الروسي قد انسحب منها. ولم يصدق نابليون، في بادئ الأمر، أن يكون الجيش الروسي قد تمكن من إخلاء رجاله بهذه السرعة، دون أن يخلف أثراً، وظن لأول وهلة أن في الأمر خدعة؛ فأمر رجاله بالاقتراب، بكل حذر، من المواقع الروسية.

2. معركة سمولنسك

استراح نابليون قليلاً في فتبسك؛ ليأخذ جنوده قسطاً من الراحة والتقاط الأنفاس. كان قد فقد، حتى ذلك الوقت، نحو 150 ألفاً من رجاله. اقترح عليه بورتييه ودوروك وكولنكور أن تخيّم القوات في فتبسك، ولا تبارحها؛ نظراً للأخطار الرهيبة المحتملة عند متابعة اقتفاء آثار الروس. فرفض نابليون وأصر على الزحف. في أثناء زحفه جاءته أخبار انتصار قائده لجران، في 20 يوليه، على الجنرال الروسي كوليناف في جاكوبوفو، وانتصار قائده أودينو على الجنرال الروسي وتجنستين، في الأول من أغسطس، في ضواحي بولسك. وكذلك جاءته أخبار ضغط الحكومة البريطانية على السلطان العثماني محمود، وإكراهها إياه على التحالف مع قيصر روسيا. وكان تعليق نابليون على ذلك: "لسوف يندم الأتراك على فعلهم المشين هذا أشد الندم".



بدءاً من 6 أغسطس 1812 سلك نابليون الطريق إلى سمولنسك، التي تبعد مسافة 135 كم شرق فيتبسك، على الطريق الرئيسية المؤدية إلى موسكو. كان الجيشان الروسيان، الأول والثاني، قد اجتمعا في سمولنسك، من يوم 3 أغسطس، وبلغ مجموع أفرادهما 110 آلاف رجل، أي أقل بقليل من نصف قوة نابليون. وكانت القيادة الروسية تعاني الخلاف والانقسام؛ فقد استنكر بجراسيون تصرفات بركلاي، وأوضح له أن معنويات الجنود في الحضيض؛ بسبب هذا التقهقر المستمر، وأنه لا بد من المقاومة ومواجهة الفرنسيين في سمولنسك.

في يوم 15 أغسطس، حاول بركلاي التصدي للقوات الفرنسية في هجوم مضاد ، ولكنه لم يستطع الصمود، فتراجع ليحتمي بأسوار مدينة سمولنسك، وأرسل الجيش الثاني للدفاع عن معابر نهر الدنيبر، في الضواحي الشرقية للمدينة، على أن يتولى الجنرال دوكتوروف، قائد الفيلق السادس من الجيش الأول، مهمة قيادة الدفاع عن المدينة (أُنظر شكل معركة سمولنسك 1812م) و(شكل حملة 1813(1)) و(شكل حملة 1813 (2)) و(شكل ليبزيغ 1813)، ووقع الصدام في 17 و18 أغسطس، ورأى نابليون أنه لن يمكنه استدراج الروس خارج حصونهم؛ فأمر ناي ودافو بقيادة فيلقيهما، تساندهما خيالة موران، بالهجوم المباشر واقتحام المدينة، وقاوم الروس بشدة، وأنزلوا خسائر ملحوظة في القوات الفرنسية التي استطاعت مدفعياتها إحداث ثلمات في الأسوار. وأيقن باركلاي أنه، على الرغم من عجز الفرنسيين عن اختراق دفاعات المدينة، إلا أن المقاومة المتواصلة ستعرِّضه، آخر الأمر، إلى حركة التفاف الفرنسيين وتطويقهم لجيشه، وضرب أجنحته. ومن ثم لم يبال باعتراضات ضباط أركانه، وأمر بإخلاء سمولنسك والانسحاب بسرعة، تحت ستار القنابل وقذائف المدفعية، إلى الضفة الشمالية لنهر دنيبر، وإحراق جسور العبور خلفهم، وإحراق ما استطاعوا من المدينة. ودخلت القوات الفرنسية المدينة، في الساعة الثانية من صباح 18 أغسطس، فوجدوها خرائب جرداء قاحلة خالية من سكانها، لم يترك الروس فيها سوى جثث القتلى، والجرحى الذين أشرفوا على الهلاك. وفكر نابليون قليلاً، ثم عزم على متابعة الروس والزحف نحو موسكو، مفضلاً أن يقامر بذلك؛

فإمّا أن يفوز أو يخسر، ولكن يجب ألاّ ينسحب عائداً إلى فرنسا، دون تحقيق شيء، وألاّ يظل في ليتوانيا؛ ليواجه شتاءها القارص.

3. موقعة بورودينو Borodino

في نهاية أغسطس 1812، استقر عزم القيادة الروسية على إسناد منصب القيادة العليا للقوات الروسية إلى كوتوزوف Kutusoff، بدلاً من باركلاي، وكان كوتوزوف، في ذلك الوقت، في السابعة والسبعين من عمره، محنكاً خبيراً محبوباً من الجنود والضباط. وكان من البدانة بحيث يلزم لحركته عربة خاصة تجرها الخيول. احتفظ كوتوزوف بكل من باركلاي وبجراسيون، قائدين للجيشين الأول والثاني، ورأى أنه لا بد، مع الحيطة والحذر، من مواجهة نابليون، وإحراز شيء من النصر، يرفع الروح المعنوية للروس، ورأى تحسن الأوضاع والظروف المواتية لذلك، ومنها:

أ. إبرام الصلح مع الأتراك، وما نتج عنه من تفرغ الجيش الروسي في منطقة الدانوب، بقيادة الجنرال شيشاكوف، لقطع خطوط إمدادات القوات الفرنسية.

ب. عودة السلام بين السويد وروسيا، ومن ثم اطمئنان الروس على حدودهم الشمالية.

ج. انتصار الجنرال الإنجليزي ولِّنجتون على الفرنسيين، في معركة سلامنكا في أسبانيا.

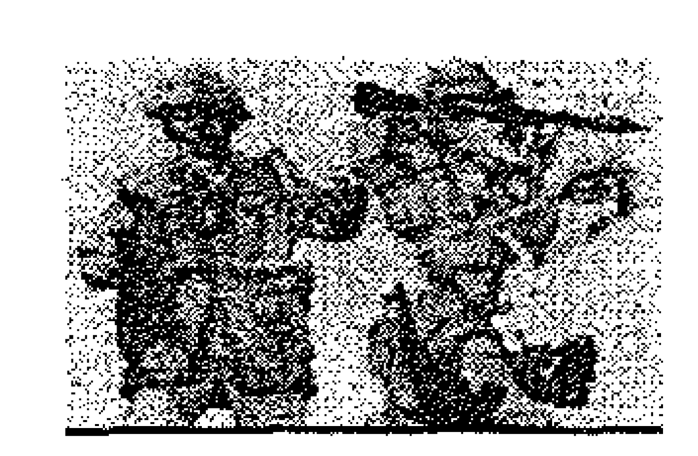
وقع اختيار كوتوزوف على قرية صغيرة، تسمّى بورودينو، تبعد نحو 120 كم، إلى الغرب من موسكو، تطل على نهر موسكوفا. وهناك أقام تحصينات للمقاتلين والمدفعية على تل مرتفع يشرف على الطرق المؤدية إلى القرية. وعهد إلى الجيش الأول بواجب الدفاع عن الجزء الشمالي من القطاعات المتوسطة، وإلى الجيش الثاني بالدفاع عن بقية الجبهة.

في 6 سبتمبر، وبعد استطلاع الأوضاع، قرر نابليون القيام بهجوم تمويهي تجاه القطاع الشمالي؛ بهدف جذب انتباه كوتوزوف إلى الميمنة، ثم عقب ذلك، توجيه القوات الأكبر ضد جيش بجراسيون، مع حركة التفاف لتطويق الدفاعات الروسية

من جهة الجنوب. وكان أشد ما يقلق نابليون هو أن ينسحب الروس هذه المرة كذلك؛ فيحرمونه من فرصة كسب معركة كان يتوق إليها.

بعد ليلة باردة، قضاها أفراد الجيشين، يستدفئون حول النار، بدأت المعركة، في الخامسة صباحاً، بقصف متبادل كثيف من مدفعية الطرفين، وزحف الفيلق الفرنسي بقيادة يوجين، وألقى بثقل هجومه على القطاع الشمالي، واحتل قرية بورودينو. وزحف الفيلق الفرنسي الآخر، بقيادة ناي وموران مهاجماً القطاع الجنوبي، ولكنه لقي مقاومة شرسة مريرة من جانب قوات بجراسيون. وعمد كوتوزوف إلى تعزيز الميسرة ودعم بجراسيون، في ظل اشتداد عنف القصف المدفعي الفرنسي. وطلب ناي وموران الإمدادات من نابليون، ودعمها بمدفعية الحرس الإمبراطوري. وتردد نابليون أولاً، وكان قد أصيب بحمى شديدة، ثم وافق في النهاية، وانضمت مدفعية الحرس الوطني بقيادة فريان. وفي النهاية تمكن الفرنسيون من إجلاء الروس عن القطاع الجنوبي، وسقط بجراسيون قتيلاً.

عند الساعة الثالثة بعد الظهر، كان النصر قد تحقق للفرنسيين، وأخذ الجيش الروسي ينسحب نحو الموسكوفا، انسحاباً منظماً، وأصدر نابليون أوامره بتعقبهم ومهاجمة مؤخرة الجيش الروسي، وإشعال النيران، ولكن الروس أفلتوا. واشتد تساقط الجليد والعواصف الشديدة. ونظر نابليون فإذا الجثث مكدسة فوق الجليد، ثلاثون ألف فرنسي، وستون ألف روسي تقريباً، وهو لم يكسب إلا الأرض القاحلة والطريق المقفرة إلى موسكو، وقد خسر، إضافة إلى الثلاثين ألف قتيل، ثلاثة وأربعين جنرالاً من خيرة قادته، منهم الكونت منبرون، والكونت كولانكور، ومائة وعشرة من الضباط، بين قتيل وجريح، من بينهم كمبير وبلوسون وماريون. وبينما كان الروس يستطيعون تعويض خسائرهم باستمرار، كان نابليون لا يستطيع بحال تعويض خسائره. ومن ثم يعد إخفاقه في إنزال الهزيمة الكاملة بالروس في بورودينو، عاملاً أساسياً في فشل حملته.



4. نابليون يدخل موسكو

انسحب كوتوزوف إلى موسكو، بعد أن عهد إلى بلاتوف، قائد المؤخرة، بالدفاع عن منطقة موجايسك وتعطيل الفرنسيين بقدر الإمكان، ريثما ينتهي هو من نصب بعض الاستحكامات على مشارف موسكو. أمّا نابليون، فقد أصبحت الطريق أمامه ممهدة لدخول موسكو. وكان أول من وصل إليها، من رجاله، هو سيباستياني Sebastiani، قائد الفرسان في حرس المقدمة، بعد أن تمكن من دكّ الاستحكامات التي أقامها كوتوزوف، وأصبح على أسوار المدينة؛ فأرسل الروس مندوبًا عنهم يستمهلونه سبع ساعات، يتركون له المدينة خلالها. ووافق سيباستياني؛ لكي يتجنب اقتحام المدينة والجيش الروسي بداخلها، فيخوض معهم معارك الشوارع التي قد يخسرها. حاول روستوبشين، حاكم موسكو، حث الجماهير الروسية للدفاع عن المدينة. ولكن كوتوزوف قاد رجاله، آمرا بالانسحاب من موسكو، والتخلي عنها للفرنسيين، واضطر روستوبيشن إلى موافقته، وأخرج جميع السجناء من سجونهم، وأمرهم بإشعال النار في جميع أرجاء موسكو.

وفي 14 سبتمبر، خرج الروس من موسكو حاملين معهم مضخات المياه وجميع وسائل الإطفاء. وفي مساء اليوم نفسه، وصل نابليون ورجاله إلى مشارف موسكو، فأمر بتفقد المدينة من الخارج، ثم أمر يوجين أن يدخل برجاله من الجهة الشمالية للمدينة، وأن يدخل بنياتسكي من الجهة الجنوبية، وأن يدخل دافو من الوسط، ودفع بقوات الحرس الإمبراطوري بقيادة ليفيفر. وهكذا دخلت القوات الفرنسية موسكو، وأقام نابليون في فندق صغير، ثم في اليوم التالي، 15 سبتمبر، انتقل إلى قصر الكرملين، وعين مورتييه حاكماً عليها.

فجأة اندلعت حرائق هائلة في كل أرجاء موسكو، وتصاعدت أعمدة الدخان السوداء، من المنازل والقصور والكنائس، وألقت القوات الفرنسية القبض على بعض الروس، الذين أشعلوا الحرائق، وأعدمتهم رمياً بالرصاص، ولكنها عجزت عن مكافحة النيران المتواصلة، واضطر نابليون إلى الإسراع بمغادرة الكرملين، بعد إحاطة النيران به، إلى قصر ليتروسكوي، في ضواحي موسكو، وهو



يرى الجزء الأكبر من المدينة ومنازلها، التي بني معظمها من الخشب، يتهاوى ويتحول شيئاً فشيئاً إلى رماد.

ظلت النيران مشتعلة يومين كاملين، ثم خمدت في صباح يوم 18 سبتمبر، فعاد نابليون مرة أخرى إلى الكرملين. وفي 24 سبتمبر، أرسل خطاباً، مع جاكوليف، إلى القيصر ألكسندر، في بطرسبرج، يطلب التفاوض وإبرام السلام، ولكن القيصر رفض استقبال هذا المبعوث. ثم في 14 أكتوبر، أرسل نابليون مندوبه لوريستون إلى كوتوزوف لعقد الهدنة، وإبرام السلام، فرفض كوتوزوف مقابلته، وقال إنه لا يستطيع الدخول في أي مفاوضات، إلا إذا جاءته الأوامر من القيصر ألكسندر.

وكان كوتوزوف، بعد انسحابه من موسكو، قد اتجه بجيشه إلى كالوجا، على بُعد 170 كم إلى الجنوب الشرقي من موسكو. وكانت هذه حركة بارعة من كوتوزوف، وفّرت له حماية مدينة "تولا" الإستراتيجية، وهي إحدى الترسانات الروسية الرئيسية، وجعلت كوتوزوف على بُعد 150 كم من "فيازما"، التي تقع على خطوط إمداد مواصلات القوات الفرنسية. وفي كالوجا، أعاد كوتوزوف تنظيم قواته، وزادها إلى 100 ألف فرد، وفي 18 أكتوبر شن هجوماً مباغتاً على قوات موران، تمكن به من إجلائه ورجاله عن مواقعه، وتكبيدهم خسائر فادحة في الأفراد والسلاح.

5. انسحاب نابليون من روسيا وفشل حملته

في 18 أكتوبر، وبعد أن باءت جميع محاولات نابليون، في التفاوض مع القيادة الروسية، بالفشل. ومع تصريح القيصر ألكسندر بقوله: لابد أن يختفي أحدنا عن مسرح العالم. وبعد أن بدأ الجليد يتساقط بغزارة من يوم 13 أكتوبر، وبعد أن كادت المؤن تنفد دون وجود وسيلة أخرى لتأمين الإمدادات، تشاور نابليون مع كبار رجاله: دافو وبرتييه وموران وناي ويوجين، وعرض عليهم فكرة التقدم إلى فيتبسك؛ لتهديد بطرسبرج، فعارضه قواده جميعاً، وقالوا إن الرجال منهكو القوى، والمعنويات في أسوأ أحوالها؛ فقد كان السكان الروس يقولون للجنود الفرنسيين: أنتم لا تعرفون

طبيعة المناخ في أراضينا، بعد شهر ستتساقط أظفاركم من شدة الصقيع. وهكـذا أمـر نابليون بالاستعداد لمغادرة موسكو، والعودة إلى فرنسا، قـائلاً: "لـن تـستطيع فرنـسا احتمال غيابي كل تلك المدة بعيداً عنها".

في 19 أكتوبر 1812، غادر نابليون الكرملين مع قواته، وبدأ رحلة العـودة إلى فرنسا، وهي المرحلة التي استغرقت نحو سبعين يومًا، للوصول إلى حدود روسيا الغربية، في نهاية ديسمبر 1812. وقد استخدم رجاله كل ما وجدوه من وسائل النقـل في موسكو وضواحيها. وأمر نابليون الفصائل الأخـيرة مـن رجالـه، بقيـادة أوتـون، بنسف قصر الكرملين، وباقي المواقع والجسور والمستودعات، بإشعال 90 ألف كجم من البارود، وتم ذلك في 23 أكتوبر1812.

كان انسحاب نابليون بطيئاً، بسبب معداته الثقيلة. وحين علم كوتـوزوف بخط تحرك الجيش الفرنسي، أسرع في 24 أكتوبر إلى مالوجار وسلاوتز، قبـل وصـول الفرنسيين إليها، فوجد الجنرال يوجين قد نصب معـسكره فيهـا، فـشن الهجـوم عـلى الفرقة الأولى بقيادة دلزون، وأنزل بها هزيمة سريعة سقط فيهـا دلـزون قتـيلاً، وعـلى الرغم من صمود الفرنسيين، تمكن كوتوزوف من الاستيلاء على المدينة سـبع مـرات، وفي كل مرة يصمد الفرنسيون ويستردونها منه. فلما يئس منها، أسرع إلى كالوجا، وفي تلك الأثناء، كان القيصر في بطرسبرج قد أمر جيش شيشاكوف بالتحرك من الجنوب، على الحدود التركية، والانضمام إلى جيش تورماسوف، عند برست ليتوفسك، وقد بلغ مجموع الجيشين مائة ألف، والانتقـال إلى دفينـا ودنيـبر لمواجهـة قـوات شـوارزنبرج النمـساوي، التـي نقـصت إلى 30 ألفـاً؛ لـسد طريـق الانـسحاب عـلى الفرنـسيين، وكوتوزوف يبذل قصارى جهده ليفاجأ نابليون على طريق كالوجا، ولكـن نـابليون، وقد أدرك أن المواجهة لن تكون في صالحه، بحال من الأحوال، فقد تحـول إلى طريـق سمولنسك.

كان الانسحاب يُشكل كابوساً مزعجاً، منذ بدايته؛ فقـد كـان الفرنـسيون يتعرضون يومياً إلى غـارات جماعـات مـن خيالـة القـوزاق والبـارتيزان Partisans يهاجمون مؤخرة جيوش الفرنسيين، وينهبون ويسلبون ويقتلـون كـل فرنـسي شرد أو



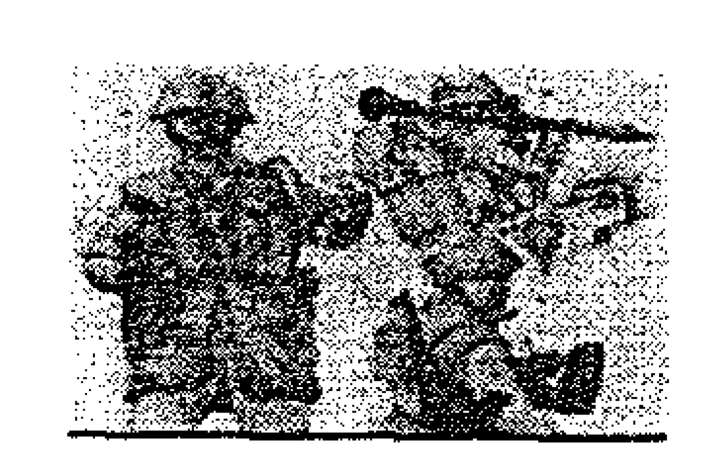
تأخر عن رفاقه. واضطر الفرنسيون إلى التخلي عن الجرحى وتركهم يواجهون مصيرهم، والتخلي كذلك عن صناديق العتاد والمؤن، بعد أن فتك الصقيع والجوع بالخيول، والروس خلفهم يطاردونهم. ولما كفّ الروس عن المطاردة عند نهر نيمن ـ وكان هو الحد الغربي للإمبراطورية الروسية في ذلك الوقت ـ كانت خسائر نابليون نحو نصف مليون فرد أو أكثر.

كان خط الانسحاب كالتالي:

في 27 أكتوبر، وصل نابليون إلى غوردينا، ومنها إلى بوروسك، ونزل في فيريا. وفي مساء 28 أكتوبر، وصل إلى قصر أوبنسكوبي، ثم في 29 أكتوبر، وصل إلى منطقة دير كولتسكوبي، وفي المساء، كان في غجيات، ثم في 31 أكتوبر، وصل إلى ويازما، وأقام فيها يومين كاملين. ثم في 3 نوفمبر، تحرك إلى سلوكوفو، تاركًا يوجين ودافو وناي يدافعون هجمات الروس في ويازما، ويحمون مؤخرة القوات الفرنسية المنسحبة. كان الصقيع شديداً، والجليد يتساقط ويغطي الأرض، وساعات الليل تصل إلى 18 ساعة، ويتعثر الرجال، وبعضهم يغور به الجليد، فلا يُعثر له على أثر، والبقية يقاومون الجوع بأكل لحم الجياد، وبعض الطحين يذيبونه في الماء، ينامون في العراء، وبعضهم لا يستيقظ مرة أخرى. ففي كل صباح تتكدس الجثث، والباقون يتابعون السير مذهولين، يتوكئون على العصي، تلسع وجوههم العواصف الثلجية، وتتبعهم كلاب سوداء، أشبه بالذئاب، تفترس من يسقط منهم على الجليد، بعد أن أضناه السير، ولم تعد رجلاه تقويان على حمله، وهو يزحف على الجليد إلى أن يوافيه أجله المحتوم.

وصل نابليون إلى ميكاليوسكا، وهناك جاءته رسالة من الدوق دي بلون يخبره أنه، بعد التحامه بفيلق جوفيون سان سير، انسحب إلى جهة سنو، ولم يزحف إلى وتجنستن، لاسترجاع بولوتسك. فكان لهذا الخبر وقع سيئ على الإمبراطور، وكتب إلى المارشال فكتور يأمره بالإسراع في الزحف إلى وتجنستن، وغزو بولوتسك.

كاد الفرنسيون يتيهون في الطريق إلى سمولنسك، وسط الآلاف من جثث الخيل، التي قتلها البرد والجوع، وكادت مركبة نابليون تضل طريقها، وسط الجليد.



ولدى اقترابهم من سمولنسك، فاجأتهم رياح شديدة البرودة من الشمال تلسع الوجوه، وتطيح بالأفراد.

في يوم 10 نوفمبر، وبعد مسيرة 20 يومًا، وصلت فلول الفرنسيين إلى سمولنسك، وقد وعد نابليون رجاله بأن يتركهم يستريحون فيها، وكانت سمولنسك هي المستودع الرئيسي للمؤن على خطوط المواصلات، ولكن فيلق المارشال فكتور كان متمركزا في المدينة، منذ شهرين، لحراسة القاعدة والمستودعات والمستشفيات، وقد استهلك الطعام كله، ولذا لم يجد نابليون ورجاله في المدينة شيئا يأكلونه.

في سمولنسك، جاءت الأخبار من باريس، كالصاعقة على رأس نابليون؛ فقد حدثت مؤامرة لقلب نظام الحكم، بقيادة الجنرال ماليه، الذي أدين في مؤامرة عام 1809، وأُودع السجن. وذلك أنه تمكن من الفرار من السجن، وذهب متنكراً إلى سوليه، قائد الفرقة العاشرة من الحرس الإمبراطوري، وأخبره أن نابليون قد مات في روسيا، وأنه قد تألفت حكومة جديدة، وعليه أن يسلمه قيادة الفرقة. وعقب ذلك، توجه إلى السجن، فأخرج منه شريكيه لاهوري وغيبال، وأمرهما بالقبض على الوزراء ومدير الشرطة، وإعلان حكومة جديدة. ولكن سرعان ما كُشف خبر المؤامرة، وقُبض على المتآمرين، وتم إعدامهم جميعاً، بعد مؤامرة استمرت نحو ست ساعات. ولم يشعر الشعب بشيء، لولا أن نُشرت أخبار المؤامرة في جريدة المونيتور.

تأثر نابليون بهذه الأخبار تأثرًا شديدًا، وأخذه الذهول من حدوث هذا الأمر، وأخذ يقول: "هل النظام الذي وضعته كان هشًا إلى هذه الدرجة، وهل خبر موتي يعني زوال كل شيء، ويتمكن ثلاثة من السجناء من تقويض نظام بنيته، على مدى اثنتي عشرة سنة، ولا يفكر أحد في ولدي، نابليون الثاني".

خرج نابليون من سمولنسك، في 15 نوفمبر 1812، مسرعًا، والأخبار السيئة تتوالى عليه: فتارة يخبرونه أن يوجين تعرض هو وقواته لهجمات روسية متتالية، عند عبور نهر الفوب، وقد خسر 1200 جواد، و60 مدفعاً، وجميع المؤن والذخائر. وتارة يخبرونه أن دافو ورجاله حاصرهم الروس في ضواحي كراسنوي، واضطر إلى شق طريقه بالسلاح الأبيض، بعد خسائر فادحة، وأن ناي تمكن بصعوبة من الإفلات

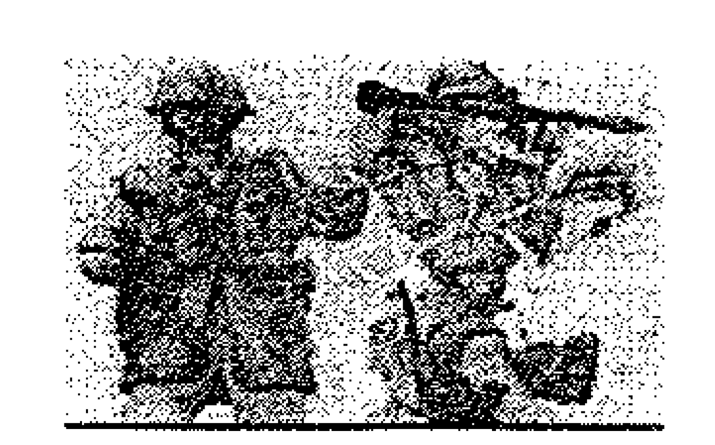


من قبضة كوتوزوف ورجاله، متسلّلا في جنح الظلام. وفوق ذلك، كان البرد قد اشتدت حدته، وهبطت درجة الحرارة إلى عشرين تحت الصفر. وعندما وصلوا إلى أورشا، لم يكن ما تبقى منهم سوى أربعة وعشرين ألف رجل.

راح نابليون يحرق العربات وأجهزة مد الجسور، محتفظاً فقط بالخيول لجرّ عربات المدفعية، واستدعى إليه فرق أودينو وفكتور، التي فشلت في صدّ لونجتستين عند دفينا. وكان الإمبراطور نابليون، خلال جميع تحركاته، يسير دائماً بين حرسه، والمارشال الدوق دستري يقود الفرسان، والدوق دي دنتزيك يقود المشاة. ووصل في 25 نوفمبر إلى بلدة ستودينكا. وهناك كان كوتوزوف يريد أن يجهز على بقية القوات الفرنسية، قائلاً: "لقد حانت ساعة نابليون، فهنا في مستنقعات نهر البيريزينا Berezina سينطفىء الشهاب على مشهد من الجَيش الروسي بأجمعه".

كلّف نابليون المارشال أودينو أبليه أن يبني جسراً فوق نهر بيريزينا، وقد تحطم الجسر مرتين، وظلوا يعملون طوال الليل، وهم في خضم المياه إلى صدورهم. وبعد يومين، أي في 27 نوفمبر، بدأ عبور فرق المشاة على الجسر، بينما أخذ الفرسان يعبرون بخيولهم. وأدى التزاحم والفوضى إلى سقوط مئات من الأفراد، الذين وطئتهم الأقدام، وهجم القوزاق على المؤخرة؛ فأسروا عددًا كبيرًا من الفرنسيين. ووصل كوتوزوف ورجاله، في ذلك الوقت، فهرع بقية الفرنسيين يتسابقون إلى الجسر للعبور، ولكن دون جدوى. فقد هاجمهم كوتوزوف ورجاله. ولما رأى نابليون ذلك، ولكي يحول دون استخدام كوتوزوف للجسر واللحاق بهم، أمر بإشعال النار فيه، وكانت نتيجة ذلك أن وقع 12 ألف فرنسي أسرى في أيدي الروس.

توجهت فلول الفرنسيين نحو فلنا، ومن خلفهم كوتوزوف ورجاله يتعقبونهم. وفي 4 ديسمبر، وصل الفرنسيون إلى مشارف مدينة سمورجوني، التي تبعد مسيرة ثلاثة أيام عن فلنا. وهناك جمع نابليون مستشاريه، وعلى رأسهم يوجين وموران، وأبلغهم عزمه على ترك الجيش، والعودة سرًّا إلى باريس للدفاع عن الإمبراطورية؛ بعد الفشل الذريع والخسائر الفادحة في روسيا. واستقل عربته برفقة كولنكور ودوروك ولوبو مسرعاً إلى فرنسا، تاركاً القيادة من بعده لموران.



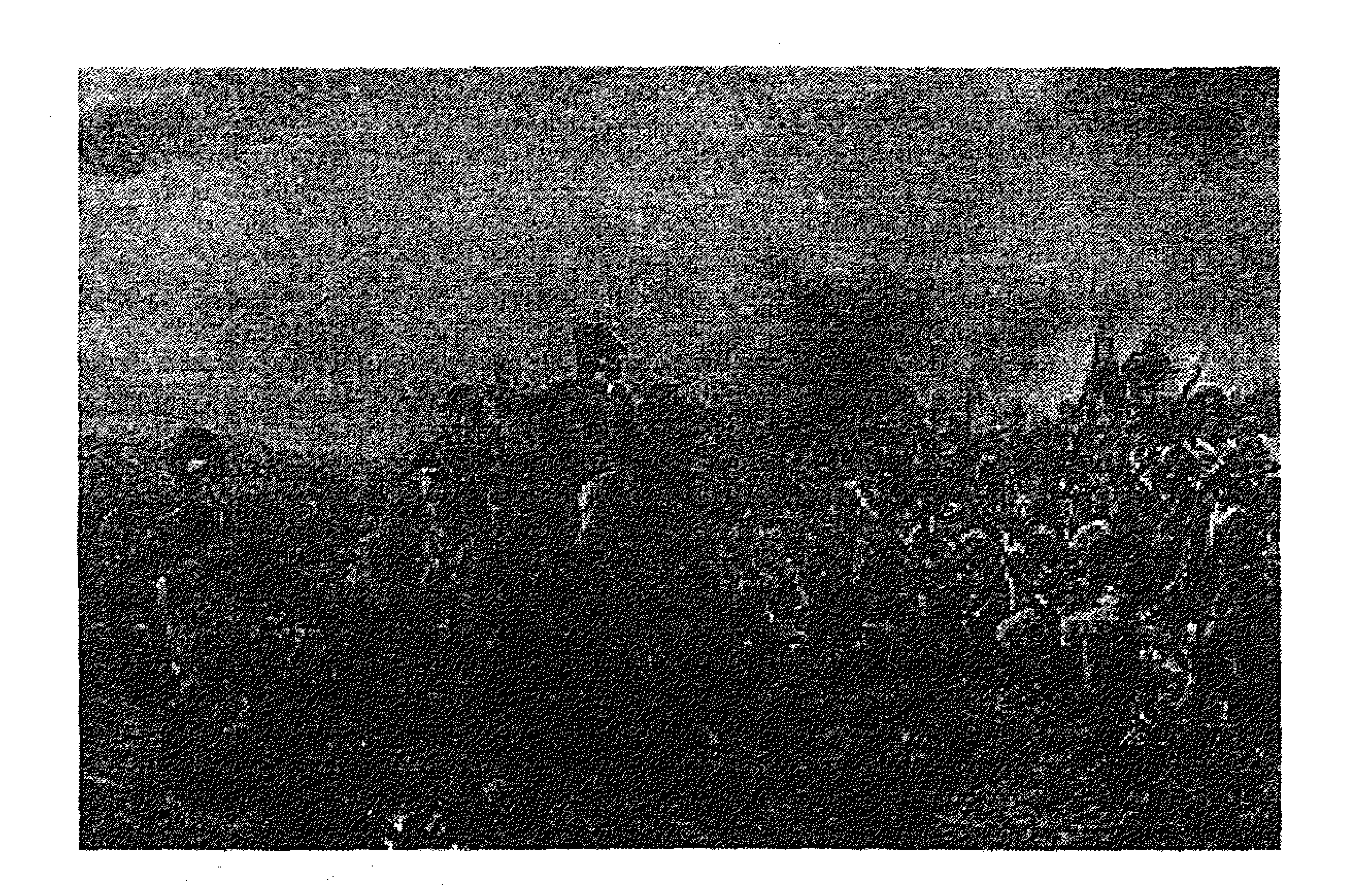
لم يعلم الجيش بسفر نابليون، إلا بعد الوصول إلى فلنا، وفات نابليون أن يأمر موران وبرتييه بالبقاء في المدينة، لتنظيم قواتها، ومن ثمّ غادراها على وجه السرعة إلى كونو، فوصلا في 12 ديسمبر إلى المكان نفسه، الذي شهد، قبل ستة أشهر، نصف مليون رجل يعبرون نهر نييمن، وهاهو الآن يشهد مجموعات ضئيلة من أناس خارت قواهم، مذعورين، لا يصدقون أنهم يمكن أن ينجوا بحياتهم، تخلوا عن جرحاهم ومدافعهم وأموالهم، يتقدمهم موران، وهو يصرخ أمام ضباطه: "من المحال، بعد الآن، أن نسير في ركاب إنسان فقد صوابه، ولا أمل في الخلاص على يديه..!"

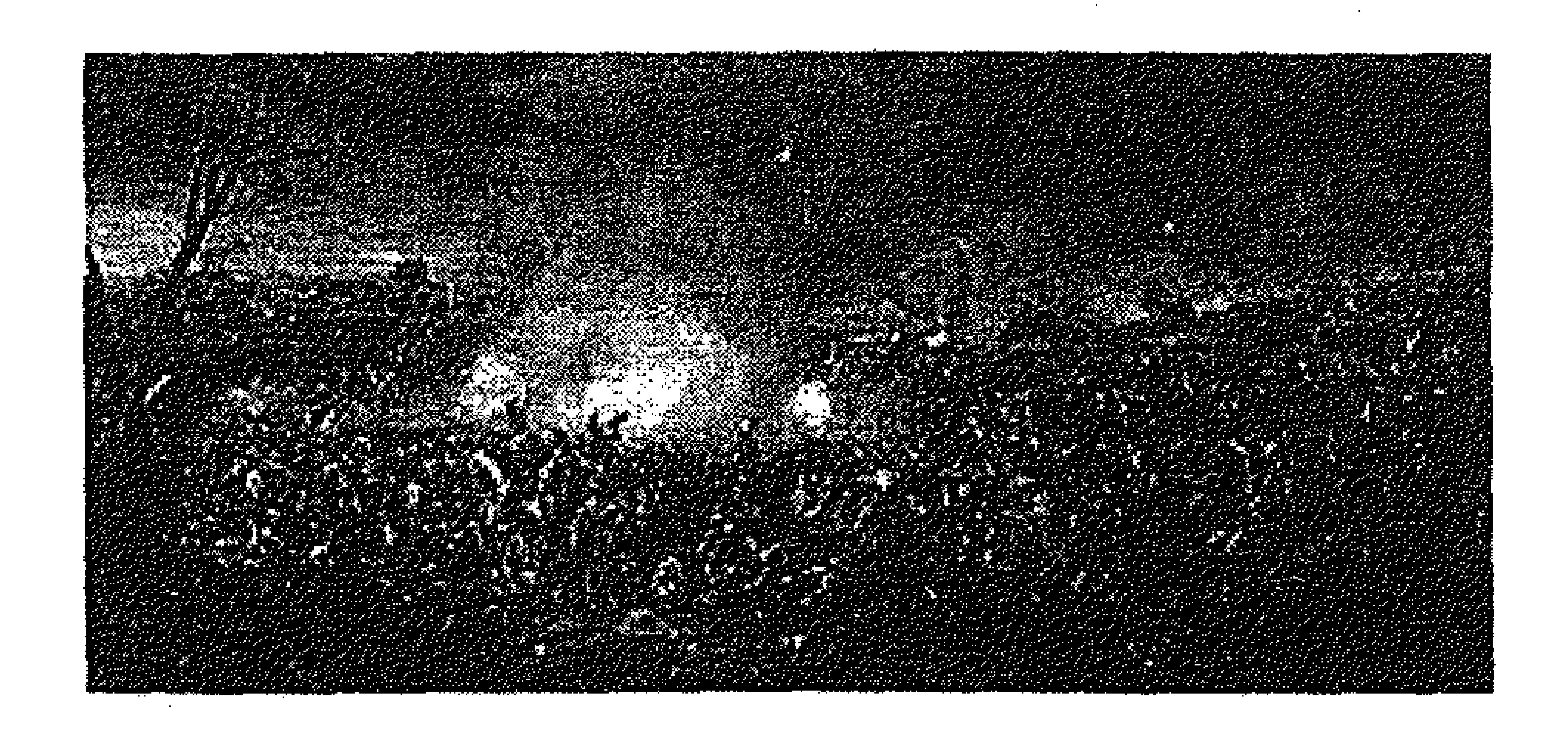
ثم ما لبث موران أن ترك القيادة ليوجين، وفرّ هو إلى إيطاليا.

***



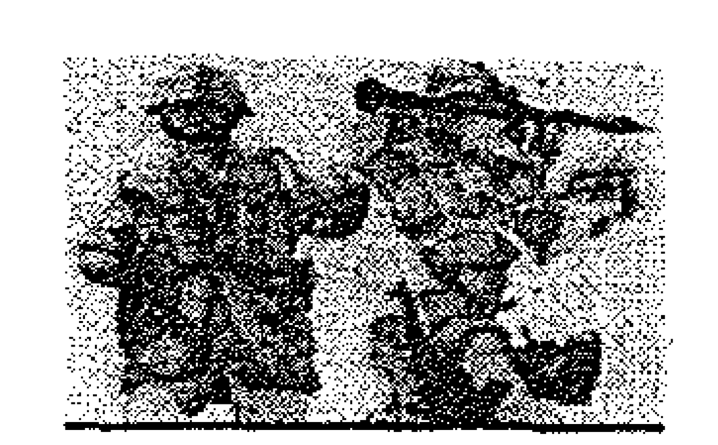
معركة ووترلو





المقدمة

عاد نابليون بونابرت إلى باريس في 19 ديسمبر 1812، بعد حملته الفاشلة على روسيا (يونيه ـ ديسمبر 1812)، وبعد أن تحطمت آماله فوق جليد موسكو. ومن يومها احتفظ نابليون بكيس صغير، علّقه في رقبته، وكان هذا الكيس به سُم، عبارة عن مزيج من الأفيون ونباتي الخريف والبلادونا، أعطاه إياه طبيبه الخاص إيفان، عند بدء انسحاب القوات الفرنسية من موسكو؛ بناءً على طلبه ليستخدمه إذا وقع أسيراً في



يد القوزاق. وقد استخدم نابليون، بالفعل، هذا السم وحاول الانتحار بعد سلسلة هزائمه، وخاصة في موقعة ووترلو، التي يأتي الحديث عنها.

في باريس أخذت الأخبار السيئة تتوالى على نابليون بونابرت؛ فقد رجعت الفيالق البروسية التي كانت تقاتل تحت علم نابليون إلى بروسيا، وأعلنت بروسيا الثورة على الحكم الفرنسي في 31 ديسمبر 1812، وأعلنت بروسيا الشرقية تمردها كذلك، في 28 فبراير 1813، وأصبح هناك حلف أوروبي معادٍ لنابليون يضم روسيا، وبروسيا والسويد وإنجلترا والنمسا. زحف نابليون إلى ألمانيا، وانتصر على الروس والبروسيين في ليتزن Litzen، وبوتزن Bautzen (وهما مدينتان ألمانيتان في مقاطعة الساكس: الأولى على فرع نهر سال Saal، والثانية على نهر سبريه Sprée)، في 20 ـ 21 مايو 1813، ولكنه لم يكن انتصاراً حاسماً. ثم هُزم في 26 ـ 27 أغسطس 1813، في درسدن Dresden (عاصمة إقليم ساكس، الواقعة على نهر إلبا Elbe). ثم خاض نابليون معركة ليبزيج Leipzig (وهي مدينة ألمانية في إقليم ساكس تطل على نهر السترElster)، في 16 ـ 19 أكتوبر 1813، ضد تحالف جيوش روسيا وبروسيا والنمسا والسويد، (أُنظر خريطة منطقة العمليات لمعركة ووترلو) و(خريطة معركة ووترلو).

وهُزم نابليون وانسحبت القوات الفرنسية إلى الراين، وأخذت جيوش الحلفاء تتقدم إلى أن دخلت فرنسا، في 4 فبراير 1814، ثم احتلت باريس، في 31 مارس 1814، ورفض مارشالات فرنسا دعوة نابليون لهم بمواصلة المقاومة. وأصدر مجلس الشيوخ الفرنسي، في 2 أبريل 1814، بياناً أدان فيه الإمبراطور نابليون، وأعلن تخليه عنه، واتهمه بأنه السبب في كل المصائب التي حلت بالشعب الفرنسي. وفي ذلك الوقت كان نابليون في مدينة فونتيبلو Fontainebleau، وجاءه المارشالات ناي وبيرتييه ولوفيفر، وأقنعوه بالتنازل عن الحكم لإبنه ملك إيطاليا، في 6 أبريل 1814. ووقع نابليون وثيقة التنازل، التي تضمنت شروطها أن يتولى نابليون حكم جزيرة ألبا، مدى حياته، وتخصيص مبلغ مليوني فرنك سنوياً، من الخزينة الفرنسية، لتغطية نفقاته هناك.



مكث نابليون بونابرت، في جزيرة ألبا زهاء عام، حاول خلاله الانتحار في 13 أبريل 1814، ولكنه فشل. كان في تلك الأثناء يتابع تطورات الأحداث في فرنسا تحت حكم لويس الثامن عشر، الذي نصبه الحلفاء ملكاً على فرنسا. وظن نابليون أن باستطاعته إعادة مجرى الأحداث إلى الوراء، وأن الفرنسيين سوف يتبعونه، مثلما كان الحال من قبل؛ فقرر العودة إلى فرنسا، وغادر جزيرة ألبا، في يوم 26 فبراير 1815، وهبط أرض فرنسا، وسار في طريق جبال الألب الوعرة، وبين قراها من 3 ـ 5 مارس 1815، وأهل القرى يستقبلونه ويستضيفونه مع رجاله. وواصل سيره إلى ليون، ثم دخل باريس في 20 مارس 1815، بعد أن فر منها لويس الثامن عشر ورجاله.

ودخل قصر التويلري، بين هتاف الجماهير والجنود. وقد أثارت عودته المباغتة إلى باريس مشاعر الغضب في عواصم أوروبا. واجتمع وزراء خارجية دول الحلفاء في فيينا عاصمة النمسا، وقرروا إهدار دم نابليون، واعتباره خارجاً على القانون، واتفقت كل من بريطانيا وفرنسا والنمسا وروسيا وبروسيا على أن تجهز كلٌ منها جيشاً عدته 150 ألفاً، تتعاون جميعاً لحرب نابليون. وحاول نابليون تجنب؛ الحرب فأرسل مندوبيه، في 4 أبريل 1985، إلى ملوك هذه الدول يعلن استعداده الكامل لإبرام السلام والتفاوض، ولكنهم رفضوا استقبال مندوبيه، وأعلن مترنيخ، وزير خارجية النمسا، أن النمسا لن تتفاوض قط مع نابليون. وعقب ذلك، اتفق الحلفاء على فصل ملك روما، ابن نابليون، عن أمه ماري لويز، وتشديد الحراسة حوله مخافة اختطافه. أمَّا ماري لويز فقد أعلنت انفصالها عن نابليون، وطلبت من الحلفاء حمايتها منه. كذلك قام ملك نابولي، يواكيم مورا بحركة تمرد في أبريل 1815 ضد فرنسا، واستولى على الولايات البابوية، ودعا الإيطاليين إلى الثورة، وقبوله ملكاً على إيطاليا كلها، بدلاً من ابن نابليون. هكذا لم يجد نابليون أمامه خياراً سوى خيار الحرب، فأخذ يعُد العدة الكاملة لها بدءاً من 10 أبريل 1815. وكانت أول مشكلة واجهته هي عدم وجود قادة أكفاء تحت إمرته؛ فقد رفض تسعة مارشالات العودة إلى العمل تحت قيادته، على رأسهم: أودينو، وسان سير، ومكدونالد MacDonald. كما

أقدم هو على عزل كل من: ألكسندر برتييه Alexandre Berthier، وفيكتور Vetor، ومارمون، وبيرينيون، وبيير أوجيرو Pierre Augereau، ولوفيفر.

عيَّن نابليون المارشال دافو Davout، وزيراً للدفاع. وأبقى على ناي Ney، وأدولف مورتييه Adolphe Mortier، وسوشيه، وبورون كقادة ميدان. ومنح عصا المارشالية للجنرال إمانويل جروشي Emmanuel De Grouchy، ضابط الفرسان النشط، وكلَّفه بإخماد ثورة نشبت في جنوب فرنسا.

كانت مخازن السلاح شبه خاوية؛ فأمر نابليون بالاسراع في صنع 150 ألف بندقية موسكتون، وشراء 200 ألف أخرى من سويسرا، أو من بريطانيا. وأمر دافو بزيادة عدد الفرسان إلى نحو 35 ألف فارس. كما أصدر أوامره في 30 أبريل 1815، باستدعاء كافة ضباط الصف الذين كانوا قد تركوا الخدمة في الجيش، وتشكيل أربعة جيوش جديدة في شمال موزيل والراين والألب، وثلاثة فيالق حراسة على حدود ألجورا وفار والبيرينة، وتولى نابليون بنفسه قيادة الجيش الرئيسي، وهو جيش الشمال، بعد أن جعله في أربعة فيالق وثلاث فرق فرسان. وأصدر أمره إلى دافو، في الأول من مايو 1815، بإنشاء حزام من التحصينات حول باريس.

وعيَّن المارشال نيكولاس سولت Nicolas Soult ـ الذي كان وزيراً للحربية والخارجية في عهد الملك لويس الثامن عشر ـ رئيساً لأركان جيش الشمال، ولم يكن هذا اختياراً موفقاً؛ فقد كان سولت كسولاً وغير منظم، وكان قد هُزم مرتين من قبل، في تولوز، أمام القائد الإنجليزي ولِّنجتون (أرثر ويلليسلي دوك دي ولِّنجتون Arthur Wellesley, Duc De Wellington).

وكان جيش نابليون بونابرت، يتكون من مشاة ومدفعية ميدان عددها 94.200 جندي، وخيالة ومدفعية محمولة عددها 24.000 فارس، وأفراد سلاح مهندسين عددهم ألفي مهندس. فبلغ إجمالي عدد المقاتلين 120.200 مقاتل، معهم 366 مدفع.



ونشر نابليون هذه الحشود على جبهة بعرض 25 كم، بين فيليب فيل وبومون، على بعد بضع كيلومترات من الحدود البلجيكية، وبتشكيل موزع على الحرس والفيالق، كالتالي: (أُنظر جدول تشكيل جيش نابليون)

أمَّا جيوش الحلفاء التي كانت في مواجهة نابليون، فقد تركزت في بلجيكا، وقُسِّمت إلى جيشين:

1. جيش بقيادة ولِّنجتون، القائد الشهير الذي واجه الفرنسيين في البرتغال وأسبانيا، وأحرز الانتصارات عليهم، وقد عُرف بلقب (دوق جهنم) بسبب ما عُرف عنه من العناد والإرادة الصلبة. وتألف هذا الجيش من 97.700 مقاتل من الإنجليز والهولنديين والبلجيكيين والألمان. وكان ولِّنجتون يعتمد إعتماداً أساسياً على البريطانيين، وقد استقبلهم بنفسه في 13 مايو 1815، في سندلبك Scendelbeck، حيث استعرض، ومعه شقيقه دوق دي بيري Duc De Berri، مجموعة الخيالة، والمدفعية البريطانية، تحت قيادة لورد أكسبريدج Lord Uxbridge، وبها عشرون مدفعاً. واتخذ الجيش قاعدته في بروكسل، متمركزاً في الجزء الغربي.

وتشكَّل جيش ولِّنجتون من فيلقين من المشاة وفيلق من الخيالة، مع قوة احتياط احتفظ بها ولِّنجتون. وكان تنظيم الجيش كالتالي: (أُنظر جدول تشكيل جيش ولِّنجتون)

كان ثلث الجيش من البريطانيين، والباقي مزيج من الألمان والهولنديين والبلجيكيين، ومعظمهم مجندون جدد. وكان جزء من الضباط البريطانيين مع ولِّنجتون، بينما أبحر الآخر من بريطانيا يوم 28 أبريل 1815، وضم مجموعة من أشهر الضباط الإنجليز، (أُنظر ملحق قائمة بكبار الضباط الذين أبحروا من إنجلترا للانضواء تحت قيادة ولِّنجتون).

2. جيش بروسي خالص بقيادة بلوخر (جوبهارد ليبرخت فون بلوخر Gobhard Leberecht Von Bliicher، وكان يتوق إلى الثأر لهزيمته أمام نابليون بونابرت عام 1814 في ليجني Ligny)، ويتمركز في الراين الأدنى في ماستريخت

وآخن، مهيمناً على النصف الشرقي من البلاد، وكان جميع أفراده من البروسيين، وتشكيله كالتالي: (أُنظر جدول تشكل الجيش البروسي)

وهكذا كان جيش بلوخر معادلاً لجيش نابليون، ولكن كان أقوى من ناحية المشاة، وأضعف في الخيالة والمدفعية.

أمر نابليون، قبل التحرك، بتجهيز كل جندي بخمسين طلقة، وخبز يكفي أربعة أيام، و450 جرام أرز. وأمر فيالق الخيالة الأربعة أن تتحرك كطليعة متقدمة.

أولاً: الاستعداد لمعركة ووترلو

1. تحركات الفريقين استعداداً لمعركة ووترلو

في 11 يونيه 1815، طلب نابليون من المارشال دافو أن يرسل إلى المارشال ناي، ويكلفه بالحضور فوراً إلى مقر القيادة في أفسن في 14 يونيه 1815. في فجر يوم 12 يونيه 1815، غادر نابليون باريس، وقد أسند قيادة الجناح الأيمن لقواته إلى جروشي، والجناح الأيسر لناي، وتولى بنفسه قيادة الوسط. وكان على باقي الوحدات الفرنسية الانتشار في فانديه بقيادة لامارك، وفي لافار بقيادة بورون، وفي الألب بقيادة سوشيه، وفي جورا بقيادة لوكورب، وعلى ضفاف الراين بقيادة راب.

وصل نابليون، في 14 يونيه 1815، إلى الحدود البلجيكية عند مدينة آفن، وأذاع النشرة الإمبراطورية Le Bulletin - Impérial، التالية:

"أيها الجنود اليوم نتذكر معركتي مارنجو وفريدلاند، اللتان تقرر فيهما مصير أوروبا من قبل، وشهدتا تصرفنا الكريم مع ملوك أبقيناهم على عروشهم بعد أن وثقنا بعهودهم وأيمانهم المغلظة. واليوم قد تنكروا لنا ونقضوا عهودهم، وأرادوا إهانة فرنسا، وتحطيم كرامتها، وسلب حقوقها المقدسة، وأمعنوا في عداوتهم. فلنزحف لملاقاتهم... أيها الجنود أمامنا طريق طويلة، قُدِّر علينا أن نسير فيها إلى النهاية، ومعارك ينبغي أن نخوض غمارها، ومخاطر لا مندوحة من اقتحامها، ولسوف نفوز بالنصر إذا ثبتنا، وسنعيد حقوق الإنسان وسعادة الوطن. وقد دنت ساعة الاختبار لكل فرنسي، في صدره قلب ينبض، فإما أن يفوز بالنصر أو يموت!".



تحرك نابليون من آفن إلى بومون، في اليوم نفسه، 14 يونيه 1815، وهناك جاءته الأخبار أن الجنرال بورمون، وبعض الضباط الآخرين، قد تركوا الجيش الفرنسي، وانحازوا إلى معسكر الحلفاء. وثارت ثائرة نابليون، ثم عزم على التحرك بسرعة؛ فأصدر أوامره المفصلة بتحركات كل فيلق، قبل فجر اليوم التالي؛ بهدف الاستيلاء على جسور نهر سامبر Sambre، بين شارلروا Charleroi وثوين، بحيث يعبر ريلِّي بفيلقيه، وعن يساره ديرلون بفيلقيه، عند بلدتي مارشيان وثوين، بينما تعبر بقية الجيش، بما في ذلك فيالق الخيالة الأربعة عند شارلروا، بحيث تنتهي عملية عبور نهر سامبر بكاملها قبل ظهر15 يونيه 1815. كان نابليون قد وضع خطته أن يقطع وسط الخط البروسي الإنجليزي الممتد على طول الحدود البلجيكية، وأن يقضي على أي قوة تواجهه في الطريق من أي من جيشي الحلفاء؛ فإذا تم له النصر، وتحطيم بلوخر وولِّنجتون، استدار إلى حرب الروس والنمساويين، وعندئذ تجثو أوروبا عند قدميه تستجدي السلام. وأراد لهذه الخطة أن تتم بسرعة ودقة وسرية تامة.

استغرقت عملية عبور نهر سامبر وقتاً أطول من المقدر لها؛ فقد تمت بعد ظهر يوم 16 يونيه 1815، بدلاً من 15 يونيه 1815؛ وذلك بسبب الضباب الكثيف والازدحام على الجسر عند شارلروا. وكذلك التقى الفيلق الخامس بقيادة لوبو، لدى قدومه من بومون إلى شارلروا، الفيلق الثالث بقيادة فاندام، الذي كان لا يزال في مكانه؛ لأنه لم يتسلم أي أمر بالتحرك. كما حدث تأخير آخر مع الفيلق الرابع بقيادة جيرار، بعد أن تخلَّى بورون، قائد الفرقة 14، عن ولائه لنابليون، وفر مع أركانه إلى الحلفاء، وباح لهم بأسرار خطة نابليون. ومن ثم قرر نابليون تغيير خطته؛ فأصدر أوامر جديدة، في الساعة الثالثة بعد ظهر 16 يونيه 1815، بأن يسير فيلق ريلِّي، يتبعه فيلق ديرلون، شمالاً إلى بلدة كوسيلي لدعم ناي هناك في القتال. ضد البروسيين.

كان المارشال ناي قد وصل، بعد ظهر 15 يونيه 1815، إلى شارلروا، وكان قد تلقى من نابليون رسالة شفوية بالتحرك لقيادة ميسرة الجيش، والتقدم شمالاً إلى كوسيلي، للتعامل مع المؤخرة البروسية، التي تركها الجنرال زيتن، قائد الفيلق البروسي الأول المسؤول عن خط نهر سامبر عند كوسيلي، لتغطية انسحابه من شارلروا إلى



فلوريس Fleurus، على بُعد عشرة كيلومترات إلى الشمال الشرقي. وقد تقدم ناي مسرعاً إلى كوسيلي، بينما تقدمت خيالته شمالاً عبر بلدة فراسن في طريقها إلى مزرعة كاتر برا Quatre Bras، عند تقاطع طريق نيفيل ـ نامور Nevelles-Namur، مع الطريق الرئيسي العام من شارلروا إلى بروكسل. وفي مزرعة كاتر برا كان هناك قوة هولندية بقيادة الأمير برنار، تابعة لجيش ولِّنجتون، فاشتبكت مع خيالة ناي اشتباكاً قصيراً، سقط فيه من الفرنسيين الجنرال ليتوار، حاجب الإمبراطور، وتراجعت الخيالة الفرنسية إلى فراسن، بينما أمضى ناي ليلته في كوسيلي.

يعُد نجاح نابليون بونابرت في اجتياز نهر سامبر عند شارلروا، وحشده لقواته بين فيليب وبومون، ضربة شديدة لخطط ولِّنجتون وبلوخر؛ فقد كان ولِّنجتون وبلوخر يتوقعان أن يزحف الفرنسيون على بروكسل، عن طريق مدينتي موبيج ومونس. ولكن فات بلوخر أن يجهز دفاعات على نهر سمبر، الذي يجري عبر مضيق ضيق عميق مشكلاً مانعاً طبيعياً قوياً.

وأمر بلوخر، لدى علمه بعبور الفرنسيين لنهر سمبر، أن تحتشد فيالق جيشه في سومبروفا، على بُعد عشرين كم شمال شرقي شارلروا. وكان ذلك سهلاً على كل من الجنرال زيتن، قائد الفيلق الأول في شارلروا، والجنرال بيرتشي، قائد الفيلق الثاني في نامور Namur، اللذان كان كل منهما على بعد عشرين كيلومتراً من سومبروفا. ولكنه كان صعباً على كل من ثيلمان وقواته، في سيناي على بُعد 51 كم، وبيلو قائد الفيلق الثالث في لياج، على بُعد 80 كم. وكان من الممكن أن يتعرض أيٌّ منها لهجمات من الفرنسيين، ولكن ذلك لم يحدث.

لحسن حظهما كان بلوخر يعتزم حشد قواته لخوض معركة في ليجني Ligny.

في الساعة الرابعة من صباح 16 يونيه 1815، أصدر ولِّنجتون أوامره إلى قواته بالتحرك إلى انجهين Enghien، ثم في الطريق أمر بتغيير الاتجاه إلى نيفيل Nivelles، ولدى وصول قواته إلى هناك، أمر بالتحرك بسرعة إلى كاترا برا Quatre Bras، وهناك دارت المعارك بينه وبين القوات الفرنسية التي يقودها المارشال ناي. في



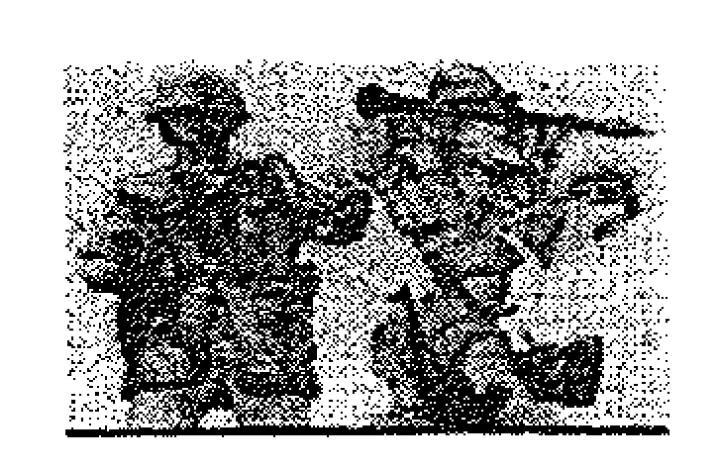
ذلك الوقت كان نابليون مشغولاً يدرس أوضاع الجيش البروسي بقيادة بلوخر، وعندما علم بوجود مسافات متباعدة بين الفرق البروسية تحول دون سرعة التئامها، فكر في أن يقسم جيشه إلى قسمين، وكتب أوامره بذلك إلى ناي:

"سأرسل القائد جروشي على الجناح الأيمن إلى سومبروفا، مع الفيلقين الثالث والرابع، وأرسل حرسي إلى فلوريس، وأكون هناك لأهاجم العدو إذا التقيت به، وأطهر الطريق حتى جنبلو. وهناك، وتبعاً لما قد تسفر عنه الأمور، سأتخذ قراري. وأريد منك، فور أن أتخذ قراري، أن تكون جاهزاً للزحف على بروكسل. سأدعمك بحرسي، الذي سيكون في فلوريس أو في سومبروفا. وأود أن أصل إلى بروكسل غداً صباحاً... يجب أن تكون فرقتك الأساسية على مسافة ثمانية كيلومترات وراء كاتر برا، بينما تتمركز ست فرق حولها. لقد رأيت ان أقسم الجيش إلى جناحين واحتياطي: يكون جناحك، وهو الجناح الأيسر، مؤلفاً من أربع فرق من الفيلق الأول، وأربع فرق أخرى من الفيلق الثاني، مع فرقتين من الخيالة الخفيفة، وفرقتين من خيالة كيللرمان، فيكون المجموع الكلي للأفراد ما بين 45 إلى 50 ألفاً... ويتألف الجناح الأيمن من العدد نفسه، بقيادة جروشي... ويؤلف الحرس الإمبراطوري الاحتياط العام، وسأتحرك من جناح إلى آخر وفقاً للظروف".

وأرسل نابليون كتاباً مماثلاً إلى جروشي، مع أحد ضباط الأركان. وهذه الأوامر تبين خطة نابليون بوضوح؛ لقد ظن أن باستطاعة جروشي الزحف إلى فلوريس، ورد البروسيين على أعقابهم سريعاً إلى معاستريخت، في الوقت الذي يكون فيه ناي، مع بعض الصعوبات البسيطة، قد نجح في اختراق المراكز الأمامية الشرقية التابعة لجيش ولِّنجتون. بينما يتحرك نابليون بنفسه، بعد نجاح جروشي في تحطيم البروسيين عند فلوريس، إلى السير غرباً لمساعدة ناي، ويدخل منتصراً إلى بروكسل صبيحة 17 يونيه 1815، ثم يتقدم للقضاء على جيش ولِّنتجون.

2. معركة ليجني Ligny

في الساعات الأولى من صباح 17 يونيه 1815، جاء تقرير من جروشي يفيد بأن فرقاً قوية من البروسيين قد وصلت، أثناء الليل، قادمة من نامور، وأنها تنتشر



على مقربة من ليجني. وجاء تقرير آخر من ناي يقول إن العدو يحتشد في مزرعة كاتر برا. فأرسل نابليون أمره إلى ناي بمبادرة عدوه في كاتر برا بالهجوم، بينما أسرع هو إلى فلوريس، فوصلها قبل الظهر، وكان يظن أنه سيواجه هناك جزءاً من البروسيين، بقيادة زيتن، ولكنه فوجأ بأنه أمام الجيش البروسي كله هناك، وقرر نابليون دخول المعركة ومحاولة تطويق البروسيين، وأرسل إلى ناي يأمره أن يتحول بجيشه، أو بجزء منه على الأقل، عن الطريق المؤدية إلى بروكسل، وينقض على جانب البروسيين ومؤخرتهم؛ بينما يشتبك نابليون وجورشي مع البروسيين ليحيط بجناحهم الأيسر، ثم ينقض على جناحهم الأيمن والقلب. وقال الإمبراطور لجيرار: "من الممكن أن يتقرر مصير الحرب بعد هذه اللحظة بثلاث ساعات. وإذا أسرع ناي بتنفيذ أوامري بدقة، فلن يفلت من يده مدفع واحد من مدافع الأعداء".

بدأ القتال عند الثالثة بعد الظهر، وصمد البروسيون، بقيادة بلوخر، صموداً شديداً في جميع النقاط، وأنزلت مدفعيتهم بالفرنسيين خسائر فادحة. وأدرك نابليون أن البروسيين أقوى بكثير مما كان يتخيل، لذا أرسل إلى ناي يستعجله مرة أخرى، ولكنه لم يأت. ومن الغريب أنه كان لدى نابليون الفيلق الرابع بقيادة لوبو، متمركزاً احتياطياً في ضواحي شارلروا، ولأمر ما غير مفهوم، لم يستخدم نابليون هذا الفيلق، وبدا وكأنه قد نسي وجوده بالمرة. وأخيراً قذف نابليون بقوات الحرس إلى المعركة، بعد أن انتظر، دون جدوى، وصول ناي وقواته. ونجحت قوات الحرس في تمزيق مركز الثقل البروسي، وحاول بلوخر، على رأس الخيالة البروسية، شن عدة هجمات مضادة يائسة، باءت كلها بالفشل، وهُزم البروسيون، وبدأوا في التراجع والانسحاب مسرعين في فوضى، في أول الأمر، جعلت بلوخر يسقط عن جواده، وتدوسه أقدام المذعورين. ولكن سرعان ما تمالك البروسيون أنفسهم، وأخذوا يتقهقرون في انتظام، بعد أن فقدوا 16 ألفاً من رفاقهم، و21 مدفعاً، بينما خسر الفرنسيون 11 ألف فرد منهم، وهي خسارة فادحة؛ لأنه لا يمكن تعويضها. وكان نابليون في أقصى درجات الإعياء؛ فغادر الميدان، عند حلول الظلام، على ظهر جواده دون أن يأمر جروشي بمطاردة البروسيين المهزومين. أمّا ناي فبدلاً من أن يتقدم

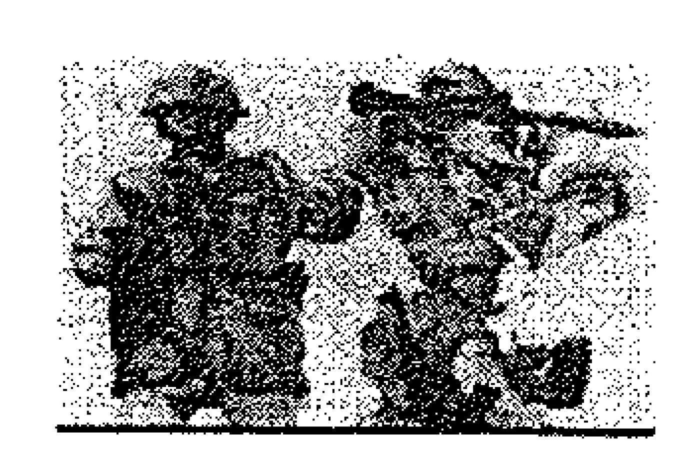


مسرعاً إلى بروكسل، حسب الأوامر الصادرة إليه في أول الأمر، بعد أن يقتحم مراكز العدو في كاترا برا في الصباح، حين كان أمير أورانج لا يملك سوى 7.800 مقاتل، فقد أخَّر القتال إلى ما بعد الظهر، أي بعد أن وصلت الإمدادات لعدوه، وصار عدده أربعة أمثال عدد قوات ناي. ومن ثم غرق ناي إلى أُذُنيه في كاتر برا، ولم يعُد يستطيع شيئاً سوى منع ولِّنجتون من مساعدة بلوخر. أمَّا فرقة القائد ديرلون، المؤلفة من عشرين ألفاً، والتابعة لقيادة ناي، فقد بدأت في التحرك متأخرة نحو كاترا برا. ثم قبيل المساء جاء إلى ديرلون مبعوث من نابليون، بتعليمات مكتوبة، يأمره بالسير فوراً لمساندته في ليجني. فاتجه شرقاً حتى أصبح بقواته على مرأى من نابليون، إلاّ أن أمراً من ناي وصل إليه يلح في طلب عودته فوراً إلى كاترا برا، فأطاع ديرلون أمر رئيسه المباشر، وبذلك استنزفت هذه الفرقة قوتها جيئة وذهاباً بين الميدانين، دون أن تسهم بنصرة فريق منهما في أيٍ من المعركتين. وقد وصل ديرلون إلى مقر قيادة ناي، قرب الليل، وقد أوشكت المعارك على الانتهاء بين ناي وولِّنجتون، واضطر ناي إلى الانسحاب بعد أن خسر أربعة آلاف جندي، بينما كانت خسارة ولِّنجتون أكثر من ذلك بقليل.

ثانياً: معركة ووترلو

في صباح 17 يونيه 1815، انسحبت قوات ولِّنجتون لتتوقف جنوب بلدة ووترلو Waterloo، بين جبل سان جين Saint-Jean، وتل بيلل أليانس Belle-Alliance، وغابة سوانييه، وشكلت مربعاً تصل زاويتاه الأخريان إلى سانت أوهين، وهوجمونت Hougomnt.

أمَّا نابليون فقد جاءه في صباح 17 يونيه 1815، تقرير من باجول أن البروسيين يتجهون غرباً إلى نامور، وأنه هاجم مؤخرتهم واستولى على ثمانية مدافع. وكان باجول مخطئاً؛ فهذه المدافع لم تكن من المؤخرة، وإنما كان أصحابها قد ضلوا طريقهم، وهم يبحثون عن مخازن الذخيرة، أمَّا الجيش البروسي بأكمله، عدا بعض من تأخر عن اللحاق برفاقه، فقد كان في طريقه إلى الشمال عبر جنبلو Gemblowx، إلى



قرية وفر Wavre، على مسافة 13 ميلاً من ووترلو، وجاء هذا التقرير ليؤكد ظن نابليون أن بلوخر يتراجع عبر نامور وليبج إلى معاستريخت، وأن جيش ولِّنجتون صار الآن تحت رحمته في كاتر برا. ومما أكد هذا الظن الخاطئ كله وصول تقرير من ناي يعتذر فيه عن فشله في احتلال كاتر برا، ويلقي باللوم على ديرلون. وقد رد عليه نابليون برسالة مكتوبة يقول فيها:

"لقد أخطأتَ حين شتَّتت شمل قواتك... ولو كان فيلق ديرلون وريلِّي مجتمعين معاً لما تمكن أي إنجليزي من الإفلات. ولو أن ديرلون أطاع أمري وجاء لمساندتي على الفور لأمكن تدمير الجيش البروسي كله، وربما كنا قد حصلنا على ثلاثين ألف أسير... أرجو أن تتحرك إلى كاترا برا".

أضاع نابليون بعض الوقت في تفقد الجرحى والجنود، وأخذ يتحدث مع قادته عن الوضع السياسي في باريس. وعند الظهر أصدر أمره إلى جروشي بالتحرك سريعاً لمطاردة البروسيين إلى جنبلو بجيش، عدده 33 ألف مقاتل، و96 مدفعاً، أي ثلث قوته الضاربة كلها، في حين كان يكفي أن يرسل فرقة مشاة واحدة وبعض الخيالة. وتحرك نابليون إلى كاتر برا ليساند ناي، ولم يُكتب له أن يرى جروشي بعد ذلك قط!

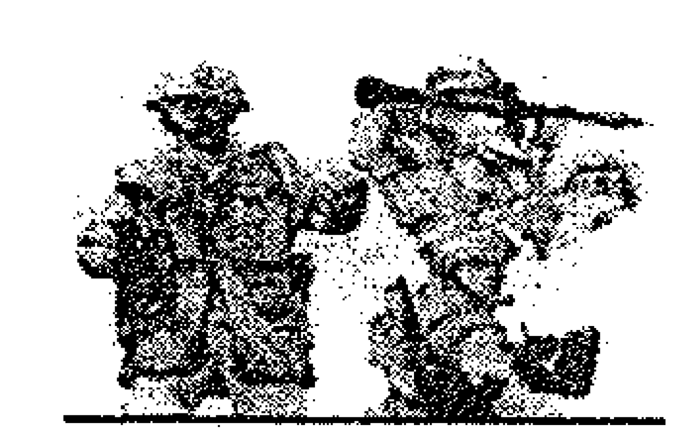
أمّا ناي فقد ظل في فروسن، رغم أوامر نابليون بالتحرك إلى كاتر برا، إلى أن وصل نابليون نحو الثانية بعد الظهر إلى هناك، ولحق به ناي وديلون، والجميع يظنون أن ولِّنجتون لا يزال مع جيشه هناك.

جن جنون نابليون عندما رأى أن فريسته قد أفلتت من يده، وراح يؤنِّب ناي، ثم انطلق على رأس القوات يريد اللحاق بولِّنجتون إلى ووترلو، حتى وصل إلى هناك قرب مساء يوم 17 يونيه 1815، وفجأة هبت عاصفة رعدية عنيفة، مصحوبة بأمطار غزيرة على شكل سيول حوَّلت الأرض إلى أوحال، وأوقفت تحركات المشاة والفرسان. وأمضى نابيلون الليلة في مزرعة لوكايوّ، على بعد نحو أربعة كيلومترات من مواقع ولِّنجتون، وضرب خيام جيشه على جانب الطريق.



في صباح يوم 18 يونيه 1815، وصل إلى نابليون ضابط يحمل تقريراً من جروشي يقول فيه: "إن البروسيين يتراجعون، وقد انقسموا إلى رتلين: رتل يُرجَّح أنه يتوجه إلى وفر، والآخر يبدو متوجهاً مباشرة إلى برويز... وقد يجتمع هذان الرتلان مع قوات ولّنتجون. أما بلوخر فيقود جيش الوسط منسحباً إلى ليج". وطلب جروشي جواباً فورياً وتعليمات إضافية، ولكن نابليون لم يرد عليه إلاّ بعد 8 ساعات يخبره أنه على وشك مهاجمة ولِّنجتون وقواته في ووترلو، وأن على جروشي أن يتحرك باتجاه وفر ليكون قريباً، مع الحرص على مهاجمة الفيلق البروسي، الذي سار في الاتجاه نفسه، إلى وفر بأسرع ما يمكن. وهذا الأمر يبين أن نابليون لم يطلب دعماً مباشرًا من جروشي؛ ظناً منه أن البروسيين يهربون، وأن دور جروشي هو الوصول إلى وفر للحيلولة دون وصول البروسيين إلى ووترلو. أمّا ولِّنجتون فقد تلقى خبراً في ليلة 17 يونيه 1815، مؤداه أن البروسيين يتجهون إلى وفر. وأرسل ولّنتجون إلى البروسيين يخبرهم أنه يحتاج إلى مساعدتهم، ولو بفرقة واحدة ليواجه نابليون في ووترلو، وإلاّ سيكون مضطراً إلى ترك بروكسل، والانسحاب إلى ما وراء نهر شلت. وجاءه الرد أن بلوخر يجمع قواته عند وفر، وأن في إمكانه الاعتماد على مساعدته. ومن ثم كان تقدير ولّنتجون أن تتمكن المدافع البروسية، على أسوأ الاحتمالات، بسبب الأوحال في الطرقات، من الوصول عند الظهر؛ لكي تصوِّب نيرانها على الميمنة الفرنسية؛ فتخفف الضغط على مواقع قواته.

في الساعات الأولى من صباح 18 يونيه 1815، تحركت مجموعة، من جيش ولِّنجتون، تضم الفرقة السابعة فرسان، والفرقة الثالثة عشرة فرسان خفيفة، والفرقة الخامسة عشرة فرسان، تحت قيادة اللواء جرانت Maior-General Grant، إلى المركز الأيمن، واتخذت مواقعها على يسار الطريق المؤدية إلى نيفيل Nivelles، في مؤخرة لواء الحرس الذي يقوده اللواء باينج Major-General Byng. واحتلت مجموعة من لواء الحرس قصر هوجومونت وحدائقه. وفي مؤخرتها كان هناك مجموعة أخرى من الحرس، تليها فرقة فرسان كاملة.



خرج نابليون مع سولت لدراسة ميدان القتال، وأمر أن تحتل القوات الفرنسية المواقع المواجهة لقوات ولِّنجتون، على المنحدر الأمامي لتل بل أليانس، وبدا على نابليون التفاؤل بأنه سيسحق ولّنتجون هذا اليوم، وقال لأركانه: "لدينا الآن ما يزيد على تسعين نقطة لصالحنا لنكسب الحرب". ولم يوافقه قادته في هذا التفاؤل، بل كان سولت في غاية الضيق بسبب عدم وجود قوات جروشي؛ وكان سولت قد سبق أن تعامل مع ولّنتجون في أسبانيا، وعرف عناده وشدة تصميمه، وذكر ذلك لنابليون، الذي رد عليه بقوله: "أؤكد لك أن ولِّنجتون قائد خامل ضيق الأفق، والجيش الإنجليزي يفتقر إلى النظام والشجاعة والمبادرة"، ورفض نابليون أن يلقي بالاً لرأي ريلي، الذي كان قد شهد الحرب في أسبانيا كذلك، حين قال لنابليون إن المشاة الإنجليز لا يؤثر فيهم الهجوم المباشر، ولا يمكن التغلب عليهم إلاّ بالخديعة والتمويه، وقال نابليون: "إذا نفذتم أوامري بدقة وذكاء، فسوف نمضي الليلة القادمة في بروكسل".

كان نابليون قد قرر الهجوم في التاسعة صباحاً، لكنه اضطر إلى التأجيل؛ لأن دافو قال إن الأرض عبارة عن أوحال زلقة لا تسمح بوصول المدافع إلى مواقعها. بلغ عدد قوات نابليون في ذلك الوقت 72 ألف مقاتل، معهم 270 مدفعاً، وهي بذلك تتفوق على قوات ولِّنجتون المكونة من 68 ألف مقاتل، و154 مدفعاً، وكان ولِّنجتون قد خصص منها 17 ألف مقاتل، و20 مدفعاً في موقع، جنوب هال، على طريق مونس ـ بروكسل، على بُعد 13 كم إلى الغرب من ووترلو؛ تحسباً لمحاولة نابليون الالتفاف حول ميمنة جيشه؛ ليقطع خطوط مواصلاته مع أوستند Ostend. وهنا لو أن نابليون أبقى قوات جروشي، المؤلفة من 33 ألف مقاتل و96 مدفعاً، على جناحه الأيسر، لتغيرت نتائج معركة ووترلو.

أزمع نابليون أن يستخدم خطط المفاجأة السريعة، التي نجحت في كثير من معاركه السابقة، والتي حصل على النصر بها في ليجني؛ فيباغت الصفوف الإنجليزية التي يشعر أنها أضعف، ثم يخترق قلب الجيش الإنجليزي بهجوم مباشر شامل، تحت ستار من قذائف المدفعية المركزة. وأزمع كذلك أن يبدأ أولاً بعملية تضليل قصيرة



سريعة، إلى جهة مزرعة هوجومون Hougoumont، قرب خط تقدم جناح قوات ولِّنجتون الأيمن.

في الساعة 11 صباحاً، أصدر نابليون تعليماته الأخيرة إلى قادته أنه عندما يكون الجيش بكامله جاهزاً للقتال، نحو الساعة الواحدة ظهراً، يبدأ الهجوم عند تلقي إشارة الإمبراطور، بالاستيلاء على قرية مون سان ـ جين عند تقاطع الطرق، تحت ستار من القصف المركز من مدافع الهاون الـ 24، من الفيالق الثلاثة الأولى، ثم يبدأ الكونت ديرلون هجومه بفرقته اليسرى في المقدمة، تدعمها فرق الفيلق الأول، إذا لزم الأمر. وبينما يتقدم الفيلق الثاني، بمحاذاة فيلق ديرلون، تكون السرية الهندسية، في الفيلق الأول، جاهزة لتحصين مون سان ـ جين فور الاستيلاء عليها.

لم يكن هذا التخطيط يصلح مع الجيش الإنجليزي، المشكَّل على هيئة مربعات متصلة من المشاة، تدعمها مدفعية قوية مدربة. ولكن نابليون كان يستهين بالقوات البريطانية وقائدها، وكان واثقاً من أن المبادرة بالقصف من مدفعيته المتفوقة، يتبعها زحف قواته، في حشود متراصة، سيتمكن من اختراق قلب جبهة ولِّنجتون، ويدمر جيشه، ويفتح طريقاً ممهدة إلى بروكسل، ومن ثم كان أفراد حرس نابليون يحملون في حقائبهم، المحمولة على ظهورهم، ملابس وشارات الاحتفال بالنصر!.

بدأ نابليون القصف المدفعي في الساعة 11.3 مركزاً على الجناح الأيسر، من قوات ولِّنجتون، لمنع أي اتصال مع القوات البروسية، ولم تكن نتائج هذا القصف مؤثرة، بالصورة التي توقعها نابليون؛ فقد أمر ولِّنجتون أفراد مشاته بالانبطاح أرضاً طوال مدة القصف، وأمر مدفعيته أن ترد بقصف مماثل. وتسببت الأوحال في ضياع تأثير القنابل الفرنسية، فغاصت فيها، بعد أن كان المأمول أن تصطدم هذه القنابل بالأرض الصلبة، فتنفجر وترتد شظاياها لتحدث التدمير المطلوب. وباءت هجمات ديرلون وريلِّي بالفشل؛ فقد تشبثت قوات الحرس في جيش ولِّنجتون بمواقعها، ودافعت عنها دفاع المستميت، إضافة إلى أن الهجوم المباشر الذي بدأه ديرلون على قلب جيش ولِّنجتون، في الساعة الواحدة بعد الظهر، كان في أربعة صفوف ضيقة الجبهة عظيمة الطول؛ كل صف يشتمل على ثمان فرق، الواحدة تلو الأخرى. ومن ثم



أصبحت قوات ديرلون هدفاً سهلاً لنيران المشاة الإنجليز. وعندما شرع فيلق ريلّي في الهجوم، وكان جيروم، شقيق نابليون، قائداً للفرقة السادسة التي تشكّل ميسرة هذا الفيلق، وقد اندفع يقذف بفرقته كلها، في هجوم عنيف، ضد مواقع العدو المتقدم في هوجومون، عوضاً عن الالتفاف حول هذا الموقع، كما كان ينبغي أن يفعل. ومن ثم رأى ريلّي أن من واجبه أن يدعم جيروم، فاضطر أن يرسل بفرقة إثر فرقة للاستيلاء على الموقع، دون فائدة، رغم الخسارة الفادحة في الجانبين؛ فقد سقط من الفرنسيين أعداد هائلة، وسقط من جيش ولّنجتون عدد لا بأس به، وجُرح المقدم بويس Lieut-Colonel Boyse، الذي أصابت فرسه قذيفة مدفع، فمات الفرس، ووقع بويس مصاباً بجرح بليغ، وحمله جنوده خارج الميدان، وتولى قيادة الفوج مكانه الميجور لاورنس B. Lawrence. جُرح كذلك كل من القائدين باك Packe، وإرفنج Erving، وحُملا إلى المؤخرة. ومع ذلك حافظت فرق ولّنجتون على مواقعها.

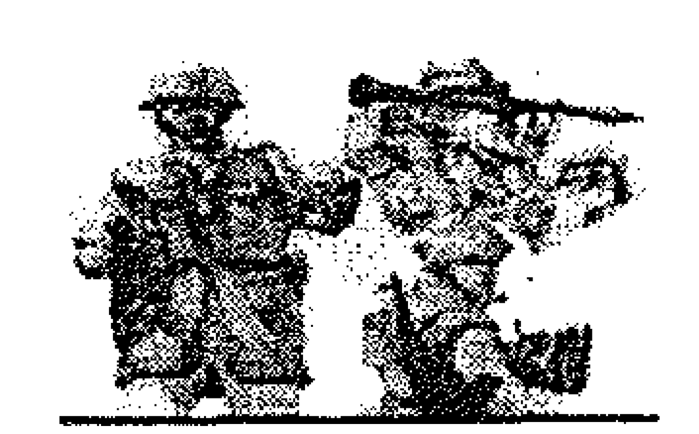
أخذ نابليون يراقب الموقف بالمنظار فرأي كتلة سوداء تتحرك إلى ميمنة قوات ولّنجتون، وتمنى نابليون أن تكون تلك الكتلة هي جروشي وقواته، ولكنها، لسوء حظه، كانت كتائب المارشال بورون، التي تخلت عن الفرنسيين، وانضمت إلى أعدائهم، وقد جاءت لتقديم النجدة لقوات ولّنجتون. وفي الوقت نفسه كان بلوخر يسرع بثلاثة فيالق من قواته، تاركاً فيلق ثيلمان للتعامل مع جروشي في وفر، عبر المسالك الموحلة، لنجدة ولّنجتون. وتحرج موقف الفرنسيين؛ فسارع سولت وأرسل، برسالة عاجلة، إلى جروشي يقول فيها: "إننا مشتبكون الآن قرب ووترلو، عند غابة سوانيه، مع قلب العدو ووسطه في مون سان - جين... أسرع والحق بنا، بأقصى سرعة، دون تضييع أي وقت". وتحرك مبعوثه بهذه الرسالة، في نحو الساعة الثالثة بعد الظهر، ولكنه لم يستطع الوصول إلى جروشي إلاّ عند الساعة السادسة؛ بسبب الوحل وسوء الطريق، ووجد جروشي مشتبكاً مع فيلق ثيلمان، ولا يستطيع الخلاص منه بحال.

في الساعة الرابعة، بينما المشاة الإنجليز صامدون لم يتزحزحوا عن مواقعهم، التف اللوردان أكسبريدج وهيل بقواتهما، وشنا هجمات مكثفة على المشاة



الفرنسيين، ففرَّقت شملهم، وقتلت منهم أعداداً كبيرة، بينما لاذت أعداد أخرى من الفرنسيين، بالفرار لا يلوون على شيء، تارِكين مواقعهم ليسيطر عليها الإنجليز، الذين انهالت عليهم قذائف مدفعية الفرنسيين، دون تأثير كبير، إلاّ أنها أصابت النقيب جوبنز Captain Gubbins، فأردته قتيلاً، وجرح الضابطان جيل Geale، وبيم Pymm، جراحاً مميتةً. وفي ذلك الوقت تسرَّع ناي، مخترقاً عرض الوادي، على رأس قوة كبيرة من الخيالة لمهاجمة المشاة، دون إذن من نابليون، وشن سلسلة من الهجمات العنيفة، ولكنها ضاعت سدى؛ بسبب بسالة المشاة الإنجليز، وخاصة بعد وصول البروسيين وانضمامهم إليهم.

قذف نابليون بخيالة المارشال كيلرمان لدعم ناي. وعند الساعة السادسة حاولت الخيالة الفرنسية بقيادة ناي وديرلون الاستيلاء على منطقة لاهاي ـ سانت، ونجحت المحاولة، بعد عناء شديد. ولكن في الساعة السابعة بلغت المعركة ذروتها. كان البروسيون قد عززوا مواقعهم في بلانسنوا، وصاروا يهددون مؤخرة قوات نابليون، وخط تراجعه. فأرسل نابليون كتيبتين من حرسه لمحاولة استعادة بلانسنوا، وأرسل الثمانية كتائب الباقية من الحرس لدعم ناي. وبدلاً من أن يستغل ناي الثغرة التي صنعها في لاهاي ـ سانت، قاد الحرس بعيداً إلى اليسار، مهاجماً القطاع الذي يسيطر عليه مشاة الحرس البريطاني. وأخذت مدفعيته تقصف قصفاً عنيفاً. ولكن مشاة الحرس البريطاني ظلوا ساكنين حتى أصبح ناي وقواته على مسافة 15 متراً منهم، وعندئذ قابلوهم بنيران كثيفة، فأخذ الحرس الفرنسي، في أول الأمر، يهجمون وهم يصرخون""يحيا الإمبراطور"، في محاولات يائسة لشق صفوف الإنجليز، ونيران الإنجليز تحصدهم حصداً. ونظر نابليون فإذا البروسيون قد قطعوا خط الرجعة، وانضم كثير منهم إلى مشاة الحرس البريطاني، يحصدون الحرس الفرنسي، الذين بدأوا في التراجع مذعورين يتصايحون: "لقد خدعتنا الخيانة! هيا إلى النجاة!". وأخذوا يفرون، لا يلوون على شيء، وكرر اللورد هيل أوامره إلى رجال فرقته، وفرقة الجنرال دورنبرج، الذين يشكلون ميسرة الجيش لتشديد الوطأة على المشاة الفرنسيين، الذين تبعثرت صفوفهم وسادتهم الفوضى، وسقط منهم آلاف القتلى والجرحى. وسقط



كثير من الإنجليز قتلى وجرحى، ومن الجرحى الضابطان دوهرتي، وبورز، والنقيب دوهرتي، وقُتلت أعداد كبيرة من خيول الإنجليز. وفي ذلك الوقت شدَّد البروسيون الوطأة على ميمنة الفرنسيين، وأصبح الفرنسيون بين شقي الرحى، والقائد ولِّنجتون يصيح في رجاله أن يطاردوهم ويقتلوهم، ولم يكف البروسيون عن مطاردتهم، والثأر منهم، وسقطت مركبات ذخائر الفرنسيين وصناديق المتفجرات، والمؤن والأمتعة وكل ما كان في ساحة القتال من أسلحة في أيدي قوات ولِّنجتون وبلوخر.

وتسرب اليأس إلى قلب نابليون، واخذ يردد: "ياللزجاج المشؤوم! لقد توقعت ذلك". وكان قبل المعركة قد اصطدمت قدماه بلوح زجاج مكسور، فشحب لونه واعتراه القلق، واعتبر ذلك نذير شؤم.

وترك نابليون الميدان، في الساعة التاسعة، وأسرع مع فلول من تبقى من رجاله إلى شارلفيل Charleville، داخل الأراضي الفرنسية التي وصلها في فجر اليوم التالي، وليس معه سوى 150 رجلاً فقط.

انهارت كل أحلام نابليون، وتحطمت أماله، فعاد إلى باريس، وأرسل النشرة الإمبراطورية في يوم 21 يونيه 1815، إلى جريدة المونيتور Le Moniteur، اعترف فيها بهزيمته في ووترلو، وحاول أن يقنع مجلس النواب في 22 يونيه 1815، بالموافقة على تعبئة جيش من 300 ألف رجل، ولكن المجلس لم يوافق وأمهله ساعة واحدة؛ لكتابة وثيقة التنازل عن العرش، فوقَّعها نابليون، وبقي بضعة أيام في باريس، وعلم أن السفن الحربية الإنجليزية، وباقي قوات الحلفاء، تتجه إلى فرنسا، فأرسل رسالة في 27 يونيه 1815، إلى الوصي على عرش إنجلترا (جورج الرابع)، يطلب منه أن يسمح له بأن ينزل ضيفاً على الشعب البريطاني. وتسلم قبطان السفينة الحربية البريطانية "بيليرفون" الرسالة، ووافق على استضافة نابليون على متنها، بعد ورود الموافقة من لندن. وفي 15 يوليه 1815، صعد نابليون إلى السفينة قائلاً: "جئت أضع نفسي في حماية أميركم وقوانينكم"!

كان الحلفاء مصممين، في هذه المرة، على وضعه في مكان لا يستطيع منه أن يمثل أي قلق بعد ذلك؛ فصدر القرار بنفيه إلى جزيرة سانت هيلانة Saint -Héléna

في المحيط الأطلسي، تابعة لبريطانيا، (وتقع على بعد ألف ميل غرب جنوب أفريقيا، وعلى بُعد ألفي ميل جنوب غرب أوربا).

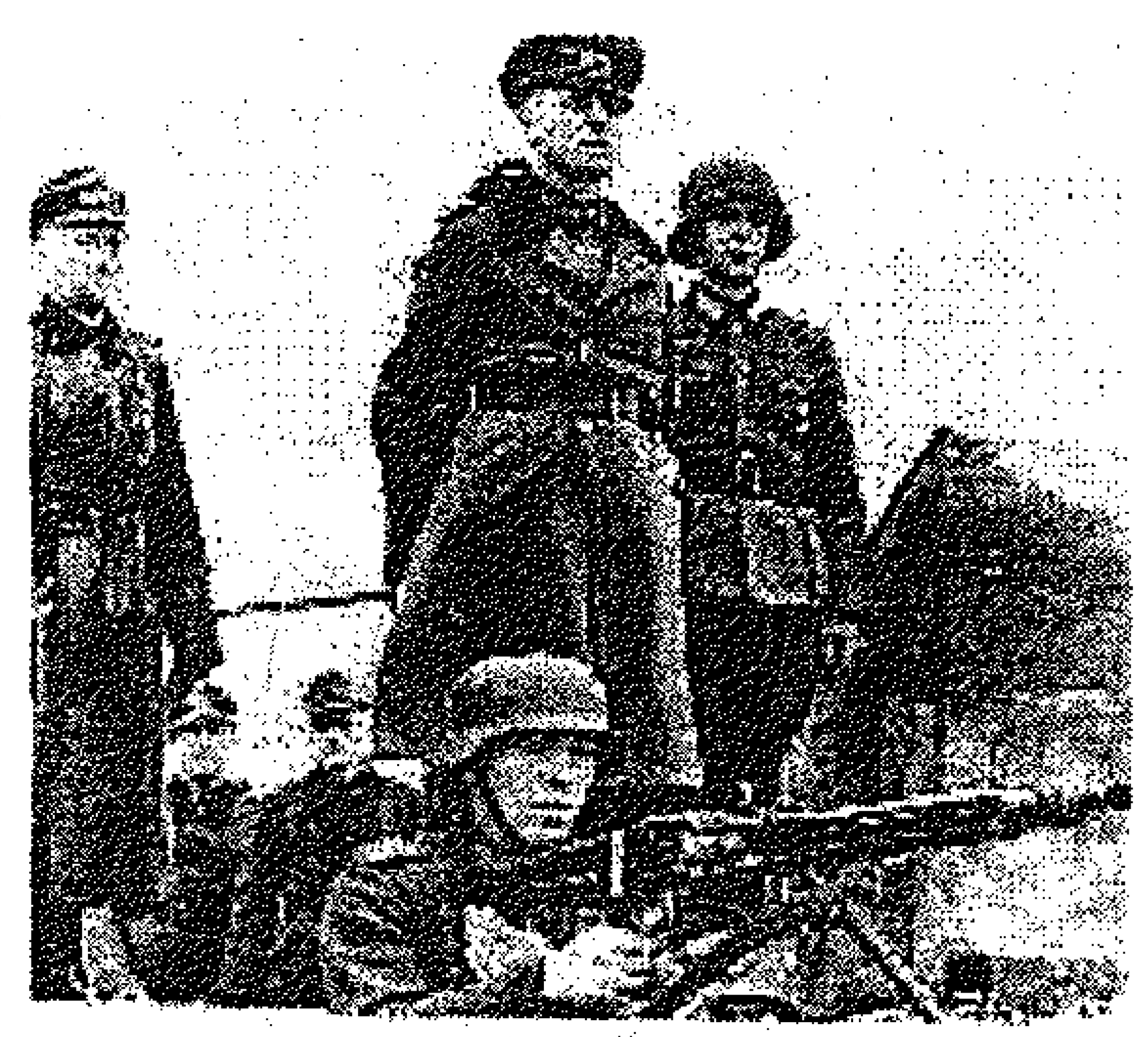
وصل نابليون إلى هناك يوم 17 أكتوبر 1815، وعاش كئيباً مهموماً تتدهور صحته يوماً بعد يوم، إلى أن مات يوم 5 مايو 1821.

***

معركة العلمين



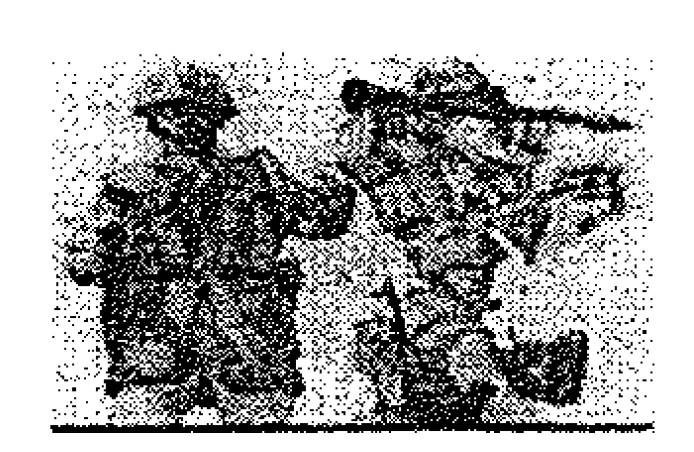
روميل " ثعلب الصحراء"



روميل وسط جنوده

مسرح العمليات وموقف الجانبين في معركة العلمين

أولاً: طبوغرافية مسرح عمليات شمال أفريقيا



دارت معارك شمال أفريقيا، في ميدان شاسع ممتد على طول شاطئ أفريقيا الشمالي، والهضبة الساحلية المتاخمة له، ما بين دلتا النيل شرقاً، وشاطئ أفريقيا، على المحيط الأطلنطي غرباً، مسافة أربعة آلاف كم. وتضم هذه المنطقة بصفة عامة الصحراء الليبية الممتدة من وادي النيل حتى حدود ليبيا مع تونس، ثم الأرض الجبلية التي يتميز بها الشاطئ الأفريقي إلى الغرب من حدود ليبيا. وسنقتصر في هذا السرد على الوصف الطبوغرافي للمنطقة الممتدة من غرب الدلتا حتى الحدود الليبية مع تونس، وتفصيلياً في منطقة العلمين التي دارت فيها أكبر معركة دبابات، في ذلك الوقت، وكذا تأثير خواص الصحراء على العمليات العسكرية.

1. طبيعة الأرض في مسرح العمليات

أ. صحراء مصر الغربية (أُنظر خريطة الساحل الشمالي للصحراء الغربية)

تقع صحراء مصر الغربية، في الركن الشمالي الشرقي للصحراء الليبية، وتتكون من سلسلة من الهضاب، تتدرج في الارتفاع، كلما اتجهنا جنوباً. ففي الجنوب الغربي، توجد هضبة الجلف الكبير، ويزيد ارتفاعها عن 1000 م، فوق سطح البحر، وتنخفض الأرض في الجلف الكبير شرقاً وشمالاً إلى هضبة يبلغ ارتفاعها 400م، ويوجد على حافتها الشرقية سلسلة من المنخفضات، تضم واحات الداخلة، الخارجة، الفرافرة. أما الحافة الشمالية، فتنتهي عند سلسلة منخفضات وادي النطرون، وواحة البحرية، ومنخفض القطارة، وواحة سيوة. ويعد بحر الرمال الأعظم، ومنخفض القطارة، أهم ظاهرتين طبيعيتين في الصحراء الغربية.

(1) بحر الرمال الأعظم (أُنظر خريطة الساحل الشمالي للصحراء الغربية)

يتواجد في الجنوب الغربي، من الصحراء الغربية، ويمتد بمحاذاة الحدود المصرية ـ الليبية، ما بين الجلف الكبير وواحة سيوة. وهو عبارة عن منطقة كثبان رملية ناعمة، يبلغ عرضها 200 كم، ويمتد منه لسان عرضه 150 كم، من جنوب سيوة، حتى واحة جالو في داخل ليبيا. ويعتبر مانع طبيعي لأي تحركات عسكرية، سواء الآلية أو المترجلة.

(2) منخفض القطارة

يقع إلى الجنوب من هضبة السلوم، ويمتد نحو الجنوب الغربي مسافة 300 كم، ويبلغ عرضه في أقصى اتساع له 150 كم، وتبلغ مساحته 19.5 كم2، وهي مساحة كبيرة جداً، تقترب من مساحة الدلتا. ويبلغ أقصى انخفاض فيه، حوالي 150 م تحت سطح البحر. وقاع هذا المنخفض عبارة عن سبخة لينة، ومستنقعات مالحة، لا يمكن السير فيها بالعربات. والحافة الشمالية له، عبارة عن جرف حاد وعمودي، ويبلغ ارتفاعه، في المتوسط، حوالي 159 م، ولذلك لا يمكن نزول هذا الجرف، إلا عن طريق ممرات معينة، مثل نقب "أبو دويس" في الشرق، ونقب "القطارة" في الغرب.

(3) هضبة السلوم

توجد في الشمال الغربي من منخفض القطارة، ويبلغ ارتفاعها 200 متر، وهي مثلثة الشكل، رأسها عند جبل الطاقة شمال المغرّة، في الطرف الشمالي الشرقي لمنخفض القطارة. وقاعدتها ممتدة بين السلوم وسيوة. وسطح الهضبة، منبسط صلب، يصلح لجميع أنواع الحملات. ويمتد على الهضبة عدد كبير من الدروب، تصل ما بين سيوة والسلوم ومرسى مطروح. ويمكن الهبوط، من الهضبة إلى السهل الساحلي، عن طريق نقبي (حلفاية والسلوم) فقط. كما يمتد لسان هذه الهضبة غرباً داخل الحدود الليبية مسافة 50 كم حتى واحة جغبوب.

(4) السهل الساحلي

يمتد من هضبة السلوم حتى شاطئ البحر، ويتراوح عرضه ما بين 15 إلى 30 كم. إلا أنه يضيق، كلما اتجهنا غرباً، حتى يكاد يتلاشى عند السلوم، حيث يلتقي الطريق الساحلي بالهضبة، عند نقب السلوم. ولذلك لعبت هذه المنطقة دوراً ذا أهمية بالغة في العمليات التي دارت على الحدود المصرية.

ويمر بالسهل الساحلي خط سكك حديدي فردي، من الإسكندرية إلى مرسى مطروح. ويمتد بمحاذاته طريق مرصوف يصل الدلتا بمرسى مطروح.



ويوجد في شمال السهل الساحلي موانئ صغيرة هي مرسى مطروح، والسلوم، تستقبل السفن الصغيرة حمولة من 300 إلى 500 طن. كما توجد عدة مطارات، في الدخيلة، وفوكه، ومرسى مطروح، وسيوة.

وتسقط الأمطار في منطقة السهل الساحلي، فيما بين نوفمبر وفبراير، ولكنها تنعدم تماماً على مسافة 60كم من الشاطئ، وكلما اتجهنا جنوباً. وتنحدر هذه المياه من فوق هضبة السلوم، في وديان عميقة، نحو السهل الساحلي، في شكل سيول جارفة، تسبب صعوبة التحركات خارج الطريق المرصوف.

ب. الصحراء الليبية (أُنظر خريطة الصحراء المصرية ـ الليبية)

تعد الصحراء الليبية امتداداً طبيعياً للصحراء الغربية المصرية، فتتدرج الأرض في الارتفاع من الشمال إلى الجنوب. وتنخفض نحو الشرق والشمال، مكونة هضبة ذات سعة كبيرة، من الصخور الرملية والجيرية، ولكن هذه الهضبة من الشمال عبارة عن سلسلة من المنخفضات تتضمن واحة جغبوب، وجالو، ومرادة، وهون، كما توجد واحة الكفرة في شرق ليبيا، وفي الغرب توجد واحات إقليم فزان، وأهمها واحة مرزوق.

وتلي منطقة المنخفضات هضبة تمتد حتى السهل الساحلي، وتتميز بكثرة الوديان العميقة التي سببتها الأمطار، وتمتد هذه الوديان من الجنوب إلى الشمال، ويصعب التحرك بالحملات الميكانيكية عبر الهضبة إلا في مناطق محدودة.

وتنتهي الهضبة شمالاً بجرف يطل على السهل الساحلي. ويتفاوت عرض السهل الساحلي، من منطقة لأخرى، ويغطي أجزاء منه رمال ناعمة، وسبخات مالحة، ومستنقعات صغيرة، كل هذا أثر على العمليات التي دارت في مناطق إجدابية، والعقيل، وخليج سرت.

ويخترق السهل الساحلي طريق مرصوف، يمتد من حدود مصر إلى تونس، ويعد هذا الطريق وسيلة المواصلات العسكرية الرئيسية خلال العمليات في الصحراء الليبية.



والساحل الليبي غني بالموانيء، وأهم هذه الموانيء هي طبرق، وبني غازي، وطرابلس، ولذلك لعبت هذه الموانيء دوراً حيوياً في سير العمليات، وكانت دائماً من الأهداف الرئيسية للعمليات البرية.

ويتضمن السهل الساحلي، والقسم الشمالي من الهضبة عدداً من المطارات وأراضي الهبوط في البردية، وجمبوت، والعضم، وطبرق، والمرج، وبني غازي، وإجدابية، والمردومة، وطرابلس.

2. طبيعة الأرض في منطقة العلمين (أُنظر خريطة مسرح عمليات العلمين)

تعد منطقة العلمين أصلح منطقة للدفاع عن مصر من ناحية الغرب، ولذا علّق الحلفاء آمالاً كبيرة، على الاحتفاظ بمواقعهم الدفاعية بها. حيث إذا تمكنت قوات المحور من اختراقها، سوف لا يمكن إيقافها في أي منطقة دفاعية أخرى، قبل الوصول إلى وادي النيل.

والجزء الشمالي من هذه المنطقة عبارة عن أرض منبسطة تقريباً، تكثر بها الرمال الناعمة، وتكاد تكون خالية من الهيئات الطبيعية، فيما عدا بعض التباب القليلة الارتفاع، التي تبدو من بعد كأنها عديمة الأهمية. غير أنها ذات أهمية تكتيكية، ولذا دارت معارك عنيفة، تبادلت خلالها تلك الهيئات بين كلا الطرفين مرات عديدة. ومن أمثلة هذه الهيئات تل العيصي، وتبة المطرية، وتبة كيدني، وتل العقاقير.

ولا يوجد بالجزء الشمالي، سوى الطريق الرئيسي الساحلي المرصوف، وخط السكة الحديد المتوازيين والمتجاورين، بقرب الساحل.

وتمتد في منتصف المسافة بين شاطئ البحر ومنخفض القطارة، سلسلة ضيقة من التلال المنخفضة، لعدة كيلومترات من الشرق إلى الغرب، تسمى تبة "الرويسات" وهي تقسم خط العلمين إلى قطاعين متساويين تقريباً، قطاع شمالي، وقطاع جنوبي، والأرض في القطاع الجنوبي أكثر صلابة وارتفاعاً من القطاع الشمالي، وتنتشر في أقصى الجنوب بالقرب من منخفض القطارة، بعض المرتفعات الصخرية التي توجد في أسفلها الرمال الناعمة، كهضبة هنتر، وقارة الحميمات. ويوجد أيضاً في



هذا الجزء، بعض المنخفضات الصغيرة، ويلي ذلك مباشرة نحو الجنوب منخفض القطارة.

3. تأثير خواص الصحراء على العمليات العسكرية

فرضت الصحراء طبيعتها، على إستراتيجية الحملات العسكرية في شمال أفريقيا، كما أثرت على تكتيكات القوات المقاتلة في العمليات التي دارت في هذا الميدان، وكان العاملان الأساسيان المؤثران، هما افتقار الصحراء، بصفة عامة إلى الموارد الطبيعية، والمواصلات، لإعاشة القوات، ثم خلو القسم الشمالي منها، من أية موانع ذات صفة إستراتيجية، وكذا من أية أهداف ذات قيمة حيوية، من الناحية السياسية، أو الاقتصادية. وقد ترتب على خلو الصحراء من الموارد الطبيعية. واضطرار القوات إلى الاعتماد على قواعدها الإدارية في الدلتا (بالنسبة للقوات البريطانية)، أو في طرابلس (بالنسبة للإيطاليين)، والتزام القوات المقاتلة الرئيسية، المنطقة الشمالية، حيث تتوفر المواصلات. لذلك لم تدر أي عمليات عسكرية، ذات صفة جدية، في المنطقة الجنوبية، حيث يصعب إمداد أي قوات فيها.

ونظراً لأن طاقة المواصلات البرية المتيسرة، في المنطقة الشمالية محدودة، فقد أثرت بالتالي على حجم القوات، التي يمكن استخدامها في المعركة. لذلك برزت أهمية الموانئ، المنتشرة على طول الساحل، ولعبت دوراً هاماً في توجيه العمليات العسكرية، وتحديد أهدافها ومداها، فأصبحت الموانئ من أهم الأهداف التي تسعى إليها، أي قوات مهاجمة لاحتلالها، حتى يسهل عملية الإمداد والتموين عن طريقها، وتقليل العبء الواقع على العربات، القائمة بنقل الإمدادات والتموين، من قواعدها الإدارية الخلفية.

وخلو الصحراء من الموانع الطبيعية، التي يمكن أن تحد من التحركات الآلية، أعطت العمليات، طابع خاص، يتميز بحرية المناورة للقوات المقاتلة، وشبهت معارك الصحراء بالمعارك البحرية، حيث لا يحد تحرك الأساطيل، مانع أو عائق، كما ترتب على خلو الصحراء، من الأهداف ذات القيمة السياسية، أو الاقتصادية، أن

فقدت الأرض أهميتها، وأصبح الاحتفاظ بها أو التخلي عنها، أمراً يخضع للاعتبارات العسكرية فقط، وليس لأي اعتبارات أخرى.

لذلك اتسمت عمليات القوات، في الصحراء بالعمق، بهدف وصول القوات المنسحبة، إلى أنسب مواقع دفاعية في الخلف، بحيث يتعذر على القوات المتقدمة، أن تهاجمها قبل أن تعيد تنظيم مواصلاتها، وبناء احتياجاتها الإدارية، مما يستغرق وقتاً طويلاً يمكن للمدافع استغلاله، في تدعيم موقفهن أو الاستعداد لهجوم مضاد.

ونتيجة لذلك، شهدنا صورة جديدة للحرب، تدور معاركها في ميدان شاسع، لا يحده سوى طاقة الحملات الإدارية، على استمرار الإمداد بالاحتياجات للقوات المقاتلة من قواعدها الإدارية، ولقد نتج عن هذه الصورة، أن يعتمد القتال بصورة أساسية، على القوات المدرعة، لما تتصف به من خفة حركة، وقوة نيران فائقتين. ولذلك أصبح تدمير القوات المدرعة للعدو، الهدف الرئيسي لأي عملية هجومية يقوم بها أي من الجانبين المتضادين.

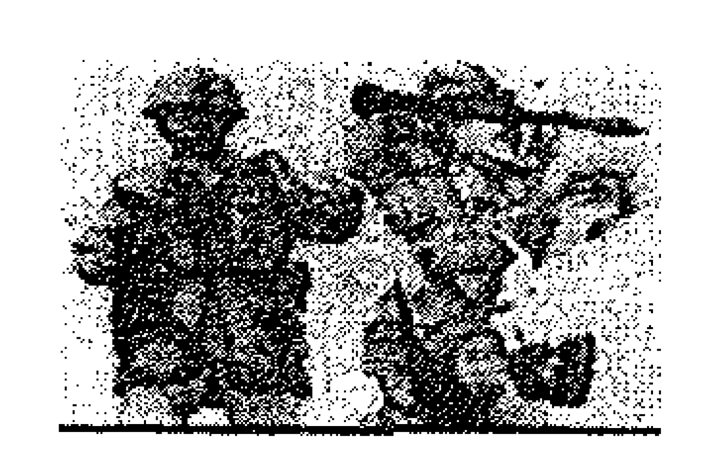
وبرزت في الصحراء بعض المشاكل الثانوية، وكانت أهمها مشكلة التحركات عبرها، مما استلزم من التشكيلات والوحدات المقاتلة والإدارية، اتخاذ إجراءات واسعة النطاق، لفرص السيطرة وإرشاد القوات المتحركة خاصة أثناء الليل.

كما احتلت مشكلة الإخفاء والتمويه، مكاناً بارزاً، فقد أصبح إحراز المفاجأة، أمراً غير ميسور من دون بذل جهد عنيف لإخفاء القوات والتدابير الإدارية الضخمة، اللازمة للقيام بالعمليات الهجومية الرئيسية.

وسببت العواصف الرملية، مصاعب عديدة سواء من ناحية صيانة المعدات، أو من ناحية عمليات الاستطلاع، كما سبب السراب كثيراً من المتاعب بالنسبة للمراقبة الأرضية.

ثانياً: موقف الجانبين المتضادين (في أوائل يوليه 1942)

1. موقف القوات البريطانية



عندما وصل الجيش الثامن البريطاني، إلى خط العلمين، بعد هزيمته في معركة مرسى مطروح، كان قد فقد 80 ألف جندي، وكمية كبيرة من المعدات، وكان الجنود في حالة شديدة من الإعياء، فكانت أول مهمة، تواجه القائد العام البريطاني، الجنرال "أوكنلك"، هي إعادة تنظيم هذه القوات، ثم احتلال خط دفاع قوي، في منطقة العلمين، لوقف تقدم قوات المحور.

كان موقع العلمين، موقعاً دفاعياً طبيعياً، فهو يرتكز على مانعين طبيعيين كبيرين، هما البحر الأبيض المتوسط شمالاً، ومنخفض القطارة جنوباً، ولذا كان يُعد الموقع المثالي، لقوة فقدت عنصرها المدرع، في عملياتها العسكرية السابقة. وبدأت القوات البريطانية المنسحبة من مرسى مطروح، في إنشاء الدفاعات، ووضع موانع الأسلاك الشائكة، وحفر الخنادق المضادة للدبابات، وبث الألغام المضادة للأفراد والدبابات، أمام موقع العلمين. وقد أدى انسحاب القوات البريطانية إلى هذا الخط، إلى تقصير خطوط مواصلاتهم، فاستطاعوا بذلك، استعواض الكثير مما فقدوه من قواعدهم الإدارية الرئيسية في الدلتا، بينما طالت خطوط مواصلات قوات المحور.

وكانت كل الدفاعات البريطانية الموجودة أصلاً في منطقة العلمين، عبارة عن ثلاثة مناطق دفاعية، منفصلة عن بعضها البعض ويصل الفاصل بينهم إلى 15 ميل. محتلة باللواء 3 جنوب أفريقيا حول بلدة العلمين، واللواء 6 النيوزيلندي في منطقة باب القطارة أو قارة العبد[1]، واللواء 90 الهندي في أقصى الجنوب عند نقب أبو دويس، وهكذا لم يكن خط العلمين خطاً بالمعنى المفهوم، وإنما كان عبارة عن مناطق دفاعية متناثرة، لا يوجد بينها أي تعاون. وعندما تسلم الجنرال "نوري"، قائد الفيلق 30 ، قيادة هذا الخط في 23 يونيه 1942، أمر بإنشاء منطقة دفاعية في منطقة باب القطارة جنوباً. وفي يوم 28 يونيه احتله اللواء 18 الهندي الذي كان قد وصل من العراق حديثاً. وبدأت جميع القوات في تحسين دفاعاتها، ووضع الأسلاك الشائكة والألغام قبل أن تصل قوات المحور.



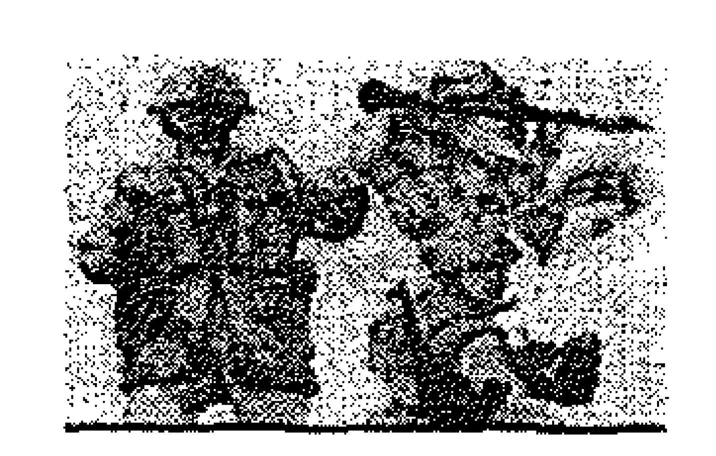
كانت الخطة العامة التي قرر الجنرال "أوكنلك" إتباعها. مبنية على اعتبار أن قوات "روميل"، لا بد وأن تكون في غاية الإرهاق والإنهاك. لذا كانت خطته تتلخص في إيقاف "روميل" عند العلمين، بإتباع أسلوب الدفاع المتحرك.

ولتنفيذ خطة الدفاع المتحرك هذه قام "أوكنلك" بإعادة تنظيم قواته، على شكل مجموعات قتال خفيفة الحركة بنفس الطريقة التي خططها في معركة مرسى مطروح، والتي لم تنجح إذ ذاك لأنها كانت جديدة ومفاجأة للقوات. كما إنها نفذت في وقت فوضى وارتباك وانسحاب وتغيير قيادة الجيش. وأصدر "أوكنلك" أوامره أيضاً، بأن الجنود المشاة الزائدين عن هذه المجموعات خفيفة الحركة، يرسلون فوراً إلى الخلف إلى منطقة الإسكندرية، والدلتا لإعداد وتجهيز الدفاعات الموجودة بها.

وتنفيذاً لهذه الأوامر شكلت الفرقة الأولى جنوب أفريقيا مجموعتين خفيفتين الحركة. كل منها تعادل مجموعة لواء تقريباً، والمجموعة الأولى منها هي مجموعة اللواء 2 جنوب أفريقيا، وقد احتلت مواقعها غرب علم القنصل بحوالي ميل واحد، والثانية هي مجموعة اللواء الأول جنوب أفريقيا واحتلت مواقعها جنوب غرب المجموعة الأولى بأربعة أميال شمال تبة الرويسات مباشرة.

وفي الوقت نفسه، شكلت بقايا الفرقة 50 البريطانية ثلاث مجموعات خفيفة الحركة، بكل منها بطارية مدفعية ميدان، واتخذت جميعها أوضاعها الدفاعية خلف "علم القنصل". كما شكلت الفرقة 10 الهندية مجموعة اتخذت أوضاعها الدفاعية على تبة الرويسات. وفي أقصى الجنوب كانت الفرقة 5 الهندية قائمة أيضاً بتشكيل مجموعات خفيفة الحركة.

أما الفرقة الثانية النيوزيلندية. فعلى أثر قيام اللواء 6 منها، باحتلال المنطقة الدفاعية في "باب القطارة"، يوم 28 يونيه، استمرت باقي وحدات الفرقة (اللواءان 4، 5) التي كانت منسحبة من مرسى مطروح في الوصول تباعاً إلى منطقة "باب القطارة" خلال اليوم نفسه، وقام جنودها بمعاونة اللواء 6 في إعداد وإتمام دفاعاته، ثم بعد ذلك اتخذا اللواءان (4، 5) أوضاعهما الدفاعية خلفه في منطقة دير المناصيب.



وكانت جميع القوات الموجودة في القطاع الشمالي (الفرقة الأولى جنوب أفريقيا، والفرقة 50 البريطانية، والقوات المدرعة) تحت قيادة الفيلق 30، بينما كانت جميع القوات في القطاع الجنوبي (الفرقة 2 النيوزيلندية، والفرقة 15 الهندية) تحت قيادة الفيلق 13. وكان مركز قيادة الجيش الثامن يحتل خلف تبة "علم حلفا" وجنوب تبة "الرويسات" بحوالي عشرة أميال، للسيطرة على العمليات وتنسيق العمل بين الفيلقين.

وقد وصلت إلى قوات الجيش الثامن البريطاني، إمدادات كبيرة من القوات الجديدة، وكذا الأسلحة والمعدات والذخائر، من أرجاء الإمبراطورية، في منطقة العلمين، ويسر هذا قرب منطقة العلمين من الإسكندرية والدلتا، كما خفف العبء الإداري إلى أقصى درجة ممكنة.

كان هذا موقف البريطانيين عموماً في منطقة العلمين، عصر يوم 30 يونيه حينما وصلت طلائع قوات البانزر الألمانية أمام دفاعاتهم.

2. موقف قوات المحور

في عصر يوم 30 يونيه، وصلت قوات المحور، أمام الدفاعات البريطانية، في مواجهة خط العلمين. وعندما وصل "روميل" إلى هذا الخط، كان قد فقد جزء كبير من قواته وعرباته ودباباته. وفي هذا الوقت كان 85٪ من عرباته عبارة عن عربات بريطانية مستولي عليها في معاركه السابقة، كما كانت دبابات فرقتي البانزر (15، 21)، لا تزيد عن 55 دبابة، وأفراد مشاة الفرقتين لا يزيدون عن 500 جندي. بينما قوة الفرقة 90 المشاة الخفيفة لا تزيد على 1100 جندي. وكان عدد المدافع الألمانية من جميع الأنواع 330 مدفعاً، منها 39 مدفعاً من عيار 25 رطل، من المستولي عليه، و29 مدفعاً من عيار 88مم. أما القوات الإيطالية فكانت تتكون من 30 دبابة، و200 مدفع من مختلف الأنواع، و5500 جندي من المشاة.

وكانت خطة "روميل" العامة يوم 30 يونيه لمهاجمة منطقة العلمين تشابه خطته في معركة مرسى مطروح. وتتلخص في أن تقوم الفرقة 90 الخفيفة بالتقدم على يسار فيلق أفريقيا، ثم تلتف حول دفاعات منطقة العلمين، من الجنوب ثم تستمر في



التقدم شرقاً، وتلتف بعد ذلك لقطع خطوط مواصلات البريطانيين وكذا خطط انسحابهم نحو الشرق.

وفي نفس الوقت كان على فيلق أفريقيا (فرقتي البانزر 15، 21)، التقدم بين قطاعي الفيلق (30، 13) البريطانيين، ثم الالتفاف نحو الجنوب، لتطويق جميع قوات الفيلق 13 البريطاني، لإرغامهم على الانسحاب السريع. وكلف فرقة ليتوريو المدرعة بمواجهة وتثبيت القوات البريطانية المدرعة التي كان يعتقد إنها محتلة في "قارة العبد". كما كلف الفيلق 20 الإيطالي بمواجهة اللواء 10 الهندي، الذي كان يعتقد، كذلك، أنه محتل منطقة "دير الأبيض". بينما يتقدم باقي الفيلق إلى تبة "الرويسات"، خلف القوات المهاجمة. كما كلف الفيلق 21 الإيطالي بمهاجمة دفاعات خط العلمين من الغرب.

وكان من المقرر بدأ الهجوم سعت 0300، في اليوم الأول من يوليه 1942. إلا أنه نظراً للمصاعب الإدارية وعمليات إعادة تنظيم القوات، أصبح من الضروري أن يتأخر الهجوم إلى صباح نفس اليوم.

3. الهجوم الأول لقوات المحور على خط العلمين (أُنظر خريطة الموقف يوم 1/ 7/ 1942)

أ. الموقف العام

في 30 يونيه 1942، استقرت التشكيلات البريطانية في خط العلمين، وكانت من الشمال إلى الجنوب، كالآتي:

الفرقة الأولى جنوب أفريقيا، حول بلدة العلمين، على شكل نصف دائرة، احتلها اللواء 3 جنوب أفريقيا، في الشمال، فاللواء 18 هندي (وصل حديثاً في منطقة دير الشين)، في المنتصف، فاللواء 9 هندي، في الجنوب، عند نقب أبو دويس. بينما وضعت الفرقة الأولى المدرعة في الاحتياطي إلى الشرق.

ب. هجوم قوات المحور

في صباح الأول من يوليه 1942، بدأ هجوم قوات المحور. وفي ليلة 1 – 2 يوليه، تم اكتساح اللواء 18 هندي من مواقعه، وبدأ "روميل" في صباح 2 يوليه، في



توسيع ثغرة الاختراق، فدفع الفيلق الأفريقي، وفرقة آريتي المدرعة، ومعظم فرق المشاة الإيطالية إلى المعركة. ونشب إثر ذلك قتال عنيف، مما اضطر "روميل"، بحلول مساء 2 يوليه، إلى سحب قواته من الثغرة التي أحدثها، في خط العلمين.

وفي يوم 3 يوليه، استأنف "روميل" الهجوم مرة أخرى، ولكن تم صد جميع هجماته. وبانتهاء هذا الهجوم على خط العلمين، أخذ "روميل" يفقد المبادأة، بينما بدأ الجنرال "أوكنلك"، سلسلة من الهجمات المضادة، لتحسين موقف قواته.

ج. الهجمات المضادة البريطانية

أعاد الجنرال "أوكنلك"، تنظيم قواته، فاحتل الفيلق 30، القطاع الشمالي، من شاطئ البحر إلى تبة الرويسات، واحتل بفرقة من الفيلق 13، منطقة علم "نايل"، بينما احتفظ بباقي الفيلق في الاحتياطي، لحراسة الجانب الأيسر للمواقع البريطانية.

بدأ "أوكنلك"، هجومه يوم 9 يوليه، وتمكنت قواته من احتلال تل "العيصي"، وتل "المخاض". إلا أن قوات المحور قامت بهجوم عنيف ليلة 13/ 14 يوليه، وتمكنت من استرداد هذين التلين.

استأنفت القوات البريطانية الهجوم في المدة بين 15، 17 يوليه واستولت على تل "العيصي"، وتل "المخاض"، وتبة "المطرية"، إلا أن قوات المحور، استطاعت استردادها جميعاً، مرة أخرى، بعد قتال عنيف.

استمرت أعمال القتال بعد ذلك بين الجانبين، إلا أن الهجمات البريطانية جميعها فشلت، وبذلك توقفت العمليات الهجومية المحلية، خلال شهر أغسطس استعداداً لمعركة علم حلفا.

ثالثاً: معركة العلمين الأولى (معركة علم حلفا):[2] (31 أغسطس حتى 7 سبتمبر 1942)

1. الإعداد للمعركة

أ. قوات المحور



خلال شهر أغسطس 1942، وصلت إلى قوات المحور إمدادات جديدة، من الأسلحة، والمعدات، والدبابات، وقوات جديدة، خاصة الفرقة 164 المشاة، والآلاي 125 مشاة، من حامية كريت، إضافة إلى عدة كتائب مظلات ألمانية.

وقد تعرضت خطوط مواصلات قوات المحور، بصفة دائمة للهجمات من القوات الجوية والقطع البحرية البريطانية، التي ركزت على الموانئ وكذا سفن النقل الصغيرة. ونظراً لطول خطوط المواصلات، قلت كفاءة حملاته الإدارية البرية، وأصبح موقف قوات المحور، من الإمدادات الإدارية، خاصة البترول حرجاً للغاية.

ب. القوات البريطانية

خلال شهر أغسطس 1942، كذلك، وصلت إلى القوات البريطانية، في العلمين، إمدادات جديدة، من القوات، الفرقتان (44، 51) المشاة، فضلاً عن عدة مئات من مدافع الميدان ذاتية الحركة، وعدد ضخم من طائرات القتال، والقاذفات، التي لم يكن متوقعاً وصولها قبل منتصف أغسطس. لذلك قرر "أوكنلك" في أول أغسطس إيقاف العمليات الهجومية، وتعزيز مواقعه الحالية حتى يحين الوقت لتوجيه ضربة رئيسية لقوات المحور.

ج. تغيير القيادة البريطانية وتعيين مونتجمري

كان المسؤولون عن إدارة الحرب في بريطانيا. يشعرون أن الموقف في الشرق الأوسط، يتطلب إجراءً حاسمًا لوضع الأمور في نصابها. نتيجة لانخفاض الروح المعنوية للقوات، والهزائم المتتالية للجيش وهنا قال "تشرشل" عبارته المشهورة عن الجيش الثامن (إنه جيش شجاع ولكنه يبعث على الحيرة)، ولذلك قرر أن يتوجه بنفسه إلى القاهرة، لدراسة الموقف مع كبار القادة البريطانيين، والبحث عن مخرج للأزمة التي وصلت إليها القوات البريطانية شمال أفريقيا.

وصل تشرشل إلى القاهرة يوم 3 أغسطس 1942، حيث اجتمع مع الفيلد مارشال "سمطس"، رئيس وزراء جنوب أفريقيا، والجنرال "ويفل"، والجنرال "ألن بروك" رئيس هيئة أركان حرب الإمبراطورية البريطانية. وأخذ يضيّق الخناق على

"أوكنلك" للقيام بهجوم عاجل قبل التاريخ الذي حدده الأخير، في 15 سبتمبر 1942.

اتضح لـ "ونستون تشرشل"، رئيس وزراء بريطانيا، أثناء زيارته لجبهة الجيش الثامن في الصحراء، أن الجنرال أوكنلك، لم يكن على استعداد للقيام بأي أعمال قتال تعرضية، قبل مرور زمن طويل، كما أن الاستعدادات الدفاعية، التي كانت تُجرى، كانت توحي بأن القائد العام البريطاني لم يكن واثقاً، من إمكان إيقاف الهجوم الألماني المنتظر. ولذلك، عزل ونستون تشرشل، الجنرال "أوكنلك"[3] وَوَلّي بدلاً منه الجنرال "ألكسندر"[4]، قيادة القوات البريطانية في الشرق الأوسط، كما أصدر أمراً، بتعيين الجنرال "جوت"، قائد الفيلق 13، قائداً للجيش الثامن، إلاّ أنه قُتل في اليوم نفسه، عندما أَسْقَطَتْ طائرتَهُ طائرةٌ مقاتلةٌ ألمانية، وهو متجه إلى القاهرة، لاستلام قيادته الجديدة من تشرشل. ولكن على إثر مصرع الجنرال "جوت"، أصدر تشرشل أمراً، بتعيين الجنرال "بيرنارد لو مونتجمري"، قائداً للجيش الثامن البريطاني. وبدأ عمله في يوم 12 أغسطس 1942.

وكان رأي "تشرشل" ترشيح الجنرال "ولسون" للقيادة. ولكن الفيلد مارشال "سمطس"، و"ألن بروك"، نجحا في إقناع "تشرشل" بأن يوافق على تعيين "مونتجمري" لقيادة الجيش الثامن.

وبوصول الجنرال مونتجمري، إلى منطقة العلمين، اتخذ أول قراراته، بحرق جميع خطط الانسحاب، واستخدام الدبابات والمدفعية في أكبر حشد، وتجميع قوات الدلتا للقتال في العلمين، وعدم مطاردة "روميل". وفي الوقت نفسه، بدأ في دراسة نقط الضعف، فاتضحت له الحقائق التالية:

(1) عدم إتباع الجنرال "أوكنلك"، لسياسة هجومية وإتباع سياسة دفاعية سلبية ترمي إلى التخلي عن مواقع العلمين.

(2) القتال بمجموعات لواءات مستقلة، بدلاً من القتال بفرق كاملة.(عدم إتباع مبدأ من مبادئ الحرب، وهو حشد القوات).

(3) عدم تنسيق خطط العمليات، بين القوات الجوية، والقوات البرية.



(4) ضعف الروح المعنوية في الجيش الثامن.

وبدأ "مونتجمري" في دراسة موقف القوات، والخطط والأساليب المتبعة في القتال، وخرج من دراسته باتخاذ قرار بإتباع سياسة دفاعية جديدة، تتلخص في الآتي:

(1) أن واجب الجيش الثامن البريطاني، هو تحطيم قوات المحور في شمال أفريقيا.

(2) أن الجيش الثامن البريطاني، لن ينسحب من مواقع العلمين.

(3) سيكون الجيش الثامن البريطاني، على استعداد لمواجهة الهجوم الألماني، لو حدث بعد أسبوعين، أي بعد 27 أغسطس.

(4) البدء فوراً في وضع الخطط للهجوم البريطاني الكبير المنتظر، ولهذا تم تشكيل الفيلق 10 المدرع، مكوناً من فرقتين مدرعتين، والفرقة 2 المشاة النيوزيلندية، ليكون القوة الضاربة الرئيسية، على أن تسحب إلى الخلف للتدريب.

(5) تعود القوات إلى القتال، بفرق كاملة وتلغي طوابير "جوك".

(6) تنتقل رئاسة الجيش الثامن، إلى جوار رئاسة قوة الصحراء الجوية، ليتم التنسيق بينهما.

2. خطط الجانبين ومراحل المعركة

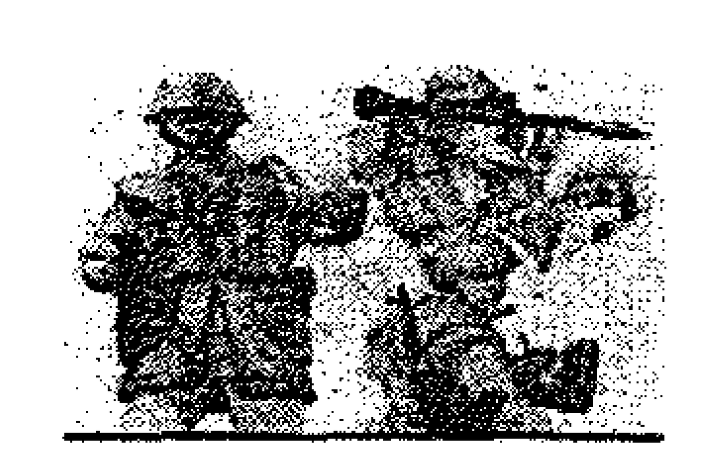
أ. الخطة الدفاعية البريطانية

قرر الجنرال "مونتجمري" أن تقوم خطته على مبدأين:

الأول: حرمان قوات المحور، من أي فرصة للوصول إلى خطوط مواصلاته، في السهل الساحلي.

الثاني: الامتناع عن التورط، في أي عملية هجومية.

وأخذ "مونتجمري" في دراسة الخطة الألمانية المنتظرة. وقد وجد أن "روميل" من المحتمل أن يكرر تكتيكاته الناجحة، التي استخدمها في معاركه السابقة، ويوجه ضربته القادمة، في القطاع الجنوبي من خط العلمين، ثم يتقدم شمالاً بهدف الوصول إلى خط السكك الحديدية، والطريق الساحلي لقطع انسحاب القوات



البريطانية الأمامية، ويرغم القوات المدرعة البريطانية، على الدخول في معركة، يستطيع أن يدمرها خلالها[5]، وفي حالة فشل "روميل" في ضربته، فسيحاول الانسحاب لاستدراج القوات المدرعة البريطانية، وإغرائها على القيام بهجوم مضاد عام. وعندئذٍ يستطيع "روميل" أن يواجهها بستارة، من نيران المدافع من عيار 88 مم، للقضاء عليها، كما فعل في معظم معاركه السابقة.

كان هناك طريقا اقتراب محتملان للتقدم الألماني المنتظر. الطريق الأول بين تبة علم حلفا ودير الحمة، والطريق الثاني يمر شرق تبة علم حلفا إلى بلدة الحمام في السهل الساحلي.

وقرر "مونتجمري" أن نجاح "روميل" في التقدم على أي من الطريقين يتطلب احتلال تبة علم حلفا أولاً، وهي أعلى هيئة في المنطقة الدفاعية كلها، يمكن السيطرة منها على الأرض شمالها وجنوبها، وكذا على طريقي التقدم شرقها وغربها. كما أنها تُعَد مفتاح الموقع الدفاعي كله، ونقطة ارتكازه، في منطقة العلمين. وعلى ذلك قرر ضرورة احتلال هذه الهيئة وتأمينها. ضد أي هجوم، وأعطيت الأوامر للفرقة 44 مشاة باحتلال تبة علم حلفا والتمسك بها. كما دُعمت الفرقة الثانية النيوزيلندية، في تبة "علم نايل"، بلواء من الفرقة 44، وبذلك أصبح موقع "علم نايل"، هو الآخر، قوياً.

ولمواجهة احتمال تقوم قوات المحور المدرعة، شرق علم حلفا أو في الثغرة بينها وبين علم نايل أُمرت الفرقة 10 المدرعة بسد طريق الاقتراب بينهما. أما الفرقة 7 المدرعة فقد كلفت بمراقبة الجهة الجنوبية بين "علم نايل" وقارة "الحميمات"، على أن لا تتورط في القتال.

في 28 أغسطس تم تنظيم الموقع الدفاعي. طبقاً للخطة السابقة، وتم كذلك تنسيق خطة المعاونة الجوية للعمليات المنتظرة. وبذلك أصبح "مونتجمري" على استعداد تام لمواجهة الضربة الألمانية المنتظرة.

ب. خطة هجوم المحور



وضع "روميل"خطته للهجوم على أساس القيام بهجوم تثبيتي في الشمال ضد الجبهة البريطانية بين شاطئ البحر وعلم نايل، بينما يقوم الفيلق الأفريقي الألماني، والفيلق 20 الإيطالي باختراق الخط الدفاعي جنوب علم حلفا، والتقدم إلى علم حلفا واحتلالها، ثم اختراق الثغرة بين علم حلفا وعلم نايل، لتطويق جميع القوات البريطانية في الشمال.

ج. مراحل سير المعركة (أُنظر خريطة معركة علم حلفا)

(1) المرحلة الأولى (مهاجمة تبة علم حلفا)

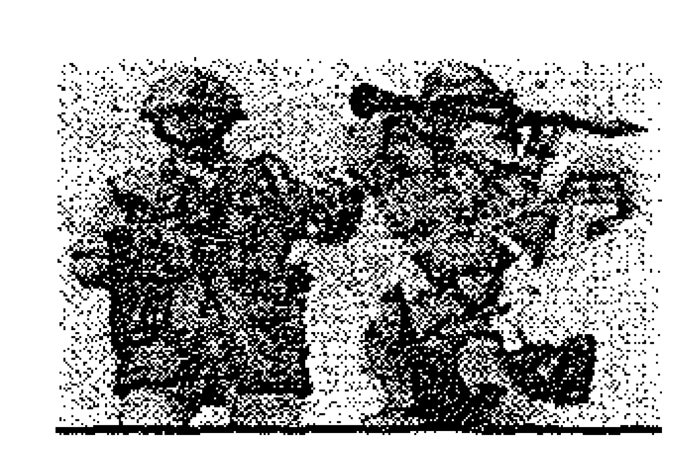
تضمنت اختراق خط الدفاع البريطاني والاتصال بموقع علم حلفا والفشل في مهاجمته.

بدأ "روميل" الهجوم في ليلة 30/ 31 أغسطس. بعد أن قام السلاح الجوي الألماني، بهجمات قوية على القوات البريطانية. ففي الشمال قامت فرقتان إيطاليتان بهجوم خداعي، وفي أقصى الجنوب تم فتح ثغرتين في حقول الألغام البريطانية، وعبرتها القوة الضاربة الرئيسية للمحور.

يوم 31 أغسطس استمرت القوة الضاربة الرئيسة (فرقتا البانزر الألمانيتين) في التقدم شمالاً في اتجاه تبة علم حلفا. والهجوم على اللواء 22 المدرع، الذي كان يحتل النقطة (102)، والطرف الغربي من موقع الفرقة 44 المشاة. وقد تمكن اللواء في النهاية من صد الهجوم بعد قتال عنيف، وبمعاونة اللواء 23 المدرع، ولذا أصدر "روميل" أوامره بإيقاف الهجوم.

في ليلة 31 أغسطس/ 1 سبتمبر قامت الفرقة 9 الأسترالية بهجوم تمكنت خلاله من فتح ثغرة في خطوط المحور الدفاعية، بهدف إرسال جماعات صغيرة، خلال هذه الثغرة، في صباح يوم 1 سبتمبر للإغارة على المناطق الخلفية لقوات المحور، إلا أن القوات المدافعة تمكنت من سد هذه الثغرة على أثر هجوم ألماني مضاد.

وفي صباح يوم 1 سبتمبر، اتضح للجنرال "مونتجمري"، أن محور تقدم القوات المهاجمة، هو تبة "علم حلفا" ومنه شمالاً إلى تبة "الرويسات"، وبذلك يتم لروميل طي الموقع البريطاني من الجنوب إلى الشمال. وعلى ذلك أصدر "مونتجمري"



أوامره، بأن تتحرك الفرقة 10 المدرعة إلى الثغرة، بين "علم حلفا"، و"علم نايل"، وأن يحل محلها، لواء من الفرقة 50 ، وأن يحتل لواء من الفرقة الأولى جنوب أفريقيا، الطرف الشرقي لتبة الرويسات.

وفي اليوم نفسه، يوم 1 سبتمبر، قامت الفرقة 15 بانزر بالهجوم على المنطقة شرق النقطة (102) حيث كانت الفرقة 10 المدرعة في مواقعها الجديدة، وقد نجحت الفرقة 15 البانزر في التقدم على الرغم من المقاومة العنيفة، ولكنها في النهاية اضطرت إلى التوقف عن الهجوم، لنفاذ الوقود من دباباتها.

وفي يوم 2 سبتمبر، توقف فيلق أفريقيا عن الهجوم، نتيجة لنيران المدفعية الكثيفة، وضربات سلاح الطيران البريطاني، وعمليات الإزعاج التي قامت بها الفرقة 7 المدرعة في مؤخرة قواته، وعلى ذلك أمر مونتجمري، بأن يبدأ الهجوم المضاد لقفل الثغرة التي دخلت منها قوات المحور.

وخلال 2/ 3 سبتمبر استمرت الهجمات الجوية البريطانية العنيفة مرة أخرى، وعندئذٍ قرر "روميل" إيقاف الهجوم والانسحاب تدريجياً إلى الخلف مرة أخرى. وعلى الفور قرر "مونتجمري" القيام بالهجوم المضاد العام لقفل الثغرات التي دخلت منها القوات المهاجمة، وفي الوقت نفسه، أصدر أوامره للفرقة 7 المدرعة بتشديد ضغطها على المنطقة بين جاب الله وقارة الحميمات.

(2) المرحلة الثانية (الهجوم المضاد)

في فجر يوم 3 سبتمبر قطع "روميل" اتصاله بالقوات البريطانية، واتجه نحو الجنوب الغربي وفي الساعة 2230 ليلة 3 / 4 سبتمبر بدأ الهجوم البريطاني المضاد بالفرقة 2 المشاة النيوزيلندية، بهدف سد الثغرات في حقول الألغام. ولكنه اصطدم بمقاومة عنيفة من الفرقة 90 الخفيفة، غير أن الهجوم نجح في اليسار وفشل في الجانب الأيمن.

في فجر يوم 4 سبتمبر نفذت قوات المحور هجوم مضاد عنيف، ببعض العناصر من فرقتي تريستي وبريسيكا والفرقة 90 الخفيفة، كما نفذ هجوم مضاد آخر في مساء اليوم نفسه، وعلى أثر ذلك اضطرت القيادة البريطانية في ليلة 4/ 5 سبتمبر إلى



سحب الفرقة النيوزيلندية إلى منطقتها مرة أخرى، وقد استمرت الهجمات الجوية البريطانية على قوات المحور طوال يوم 4/ 5 سبتمبر.

في ليلة 5/ 6 سبتمبر انسحب "روميل" تدريجياً، تحت ستر ستارة قوية من نيران المدفعية المضادة للدبابات. وفي صباح يوم 6 سبتمبر لم تكن هناك قوات للمحور شرقي حقول الألغام البريطانية عدا ثلاث نقاط دفاعية تتحكم في الأرض الواقعة شرقها.

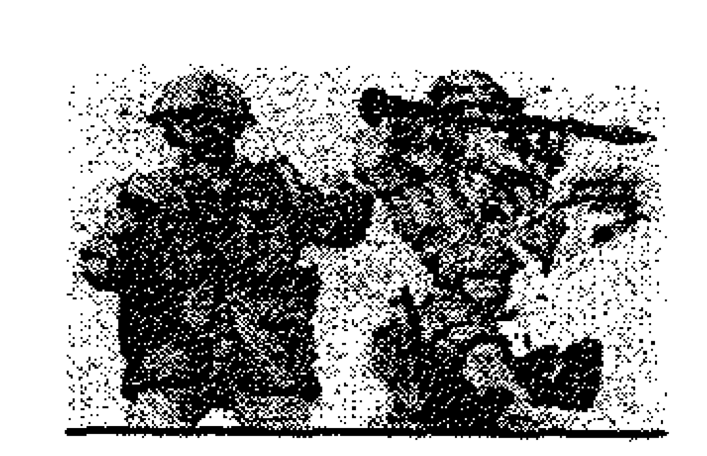
وفي يوم 7 سبتمبر، قرر "مونتجمري"، إيقاف العمليات العسكرية، وعدم مهاجمة النقط، التي احتفظت بها قوات المحور، والبدء في إنشاء دفاعات جديدة، شرق حقل الألغام. وبذلك انتهت معركة علم حلفا بالفشل التام، وضاع أمل "روميل" في الوصول إلى قناة السويس، وأخذ "مونتجمري" في تركيز جهوده للاستعداد للمعركة الكبرى القادمة، "معركة العلمين".

3. العمليات قبل معركة العلمين (يوم 30 سبتمبر 1942) (أُنظر خريطة الإغارة على طبرق وبني غازي)

خلال الفترة بين نهاية معركة علم حلفا وبدء معركة العلمين، دبرت القيادة البريطانية في الدلتا وقيادة البحرية البريطانية خطة للهجوم، على طبرق، وبني غازي، وأشرفت القيادتان على تنفيذها. وكان الهدف منها القيام بعملية برية بحرية مشتركة ضد الميناءين لتدمير مرافقهما، أو محاولة الاستيلاء عليهما بمساعدة الأسرى البريطانيين الموجودين فيهما بعد إطلاق سراحهم.

وتحدد للقيام بهذه العمليات ليلة 13/ 14 سبتمبر، بعد أن قامت القاذفات المتحالفة بغارة عنيفة عليها.

وقامت قوة طبرق البرية من اتجاه سيوة، مستخدمة العربات الألمانية المستولى عليها، واستخدام اللبس الألماني للأفراد، وكانت معظم الجماعات الأولى تتكلم الألمانية بطلاقة، وكانت كل هذه التدابير بقصد خداع دوريات وحراس النقط الدفاعية للمحور، للسماح بالمرور دون معارضة.



وقد أمكنهم التسلل إلى طبرق وهاجموا بعض المدافع الساحلية، كما حاولوا إطلاق سراح الأسرى البريطانيين. وكان المفروض أن تصل إليهم القوة البحرية وتتعاون معهم بإنزال الجماعات ولكنها لم تصل في موعدها، ولم تصل إلى أماكنها المحددة، علاوة على فقد ثلاث مدمرات وثلاث سفن إنزال صغيرة في هذا العمل، وأخيراً اضطرت القوة للانسحاب بخسائر جسيمة.

أما قوة "بنغازي" البرية (سميت قوة سترلنج، بأسم قائدها)، فبدأ تقدمها من واحة الكفرة، فقطعت رحلة هائلة طولها 700 كم، عبر الصحراء الجرداء، حتى وصلت إلى مطار بني غازي، فلما وجدت دفاعاته قوية عادت من حيث أتت.

وهكذا انتهت العمليتين بفشل تام، ولم يكن لهما أي نتائج سوى فقد الجزء الأكبر من الجنود المدربين علاوة على القطع البحرية.

عمليات يوم 30 سبتمبر 1942

يوم 30 سبتمبر 1942 بدأ "مونتجمري" هجوم تمهيدي استعداداً لمعركة العلمين، بقصد السيطرة على منخفض المناصيب، أو على الأقل للإشراف عليه لإمكان مراقبته.

وفي فجر يوم 30 سبتمبر، قام لواء من الفرقة 44 المشاة البريطانية بالهجوم في اتجاه الجنوب الغربي على مواقع المحور الدفاعية في منطقة دير المناصيب، وكان يعاونه في هذا الهجوم 9 آلايات مدفعية ميدان، وآلاي مدفعية متوسطة. وقد تمكنت الكتيبة اليمنى من الوصول إلى هدفها عند الحافة الشمالية للمنخفض حيث عززت مواقعها المكتسبة. أما الكتيبة اليسرى، فقد تعثرت في تقدمها، بسبب الألغام. وقد تمكنت من الوصول إلى هدفها عند الحافة الجنوبية للمنخفض، إلا إنها لم تتمكن من تعزيز مواقعها بسبب هجمات المحور المضادة المستمرة طوال اليوم.

وفي ليلة 30 سبتمبر/ 1 أكتوبر، أعاد اللواء تنظيمه، واستأنف القتال إلا أنه فشل في السيطرة على الحافة الجنوبية للمنخفض.

وهكذا انتهت هذه العملية بالسيطرة على حافة منخفض دير المناصيب الشمالية، فقط وساد الهدوء ميدان العلمين، مرة أخرى، في انتظار المعركة الكبرى.

[1] كان البريطانيون يُطلقون على هذه المنطقة اسم "باب القطارة"، بينما يسميها الألمان "قارة العبد"، وهما اسمين لمكانين متقاربين في منطقة دفاعية واحدة.

[2] سميت معركة حلفا بمعركة ستالينجراد الصحراء الغربية، لما في المعركتين من تشابه في النتائج وفي التوقيت. ولقد كانت لكل منهما نقطة تحول في مسرح العمليات الذي دارت فيه.

[3] عُين الجنرال أوكنلك، قائداً للقوات البريطانية في إيران والعراق، وكانت هذه المنطقة خالية من أي نشاط، ووجد في ذلك تنزيل في مركزه وإهانة له، ولذلك رفض هذا المنصب وفضل اعتزال الخدمة العسكرية.

[4] كان الجنرال ألكسندر قائداً للانسحاب البريطاني الشهير من `دنكرك` وصاحب أعظم عقلية إستراتيجية في بريطانيا.

لمبحث الثاني

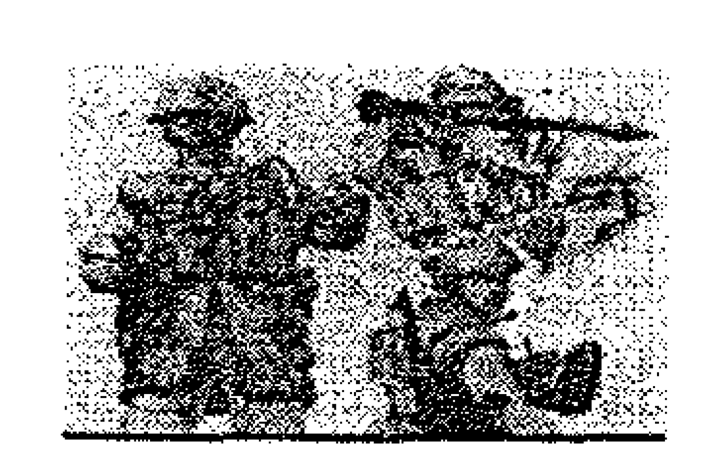
معركة العلمين والتمهيد لها

(23 أكتوبر حتى 4 نوفمبر 1942)

أولاً: قوات المحور

1. الموقف العام

واجهت "روميل" مشكلة أساسية قبل معركة العلمين، هي مشكلة تعزيز قواته، إذ كان الأمر يتطلب الإمداد بأسلحة ومعدات، ومواد إعاشة بكميات كبيرة عبر البحر الأبيض المتوسط، حتى موانئ شمال أفريقيا (طرابلس، بني غازي، طبرق)، ثم نقل هذه الإمدادات إلى المنطقة الأمامية لقواته في العلمين. للاحتفاظ بخط مواصلات بحري وبري على درجة عالية من الكفاءة. لكنه فشل في تحقيق هذين المطلبين، لتعرض قوافله البحرية لهجمات جوية وبحرية، حتى بلغ مجموع خسائر المحور، في السفن، خلال شهري أغسطس، وسبتمبر، والنصف الأول من أكتوبر 1942، قرابة 20 سفينة، محملة بالأسلحة والمعدات، والمؤن للجيش الأول بانزر الألماني، في شمال أفريقيا.



بناءً على ذلك، طلب "روميل" من القيادة العليا الإيطالية تخصيص عدد أكبر من السفن، حتى يضمن وصول الاحتياجات اللازمة لقواته. كما طلب من القيادة الألمانية المسئولة عن حوض البحر الأبيض المتوسط، وهي قيادة القطاع الجنوبي، التي يرأسها الفيلد مارشال "كيسلرنج"، إمداده ببعض القوات الإضافية، التي قدّرها بفرقة مشاة ألمانية، على الأقل، وعدد من المدافع المضادة للدبابات، وبعض العربات، إلاّ أن تطور المعارك لمصلحة الروس في الميدان الروسي جعل من المتعذر تحقيق هذه المطالب. ومع ذلك، أرسلت القيادة العليا الإيطالية، إلى منطقة طرابلس، بعض الإمدادات من القوات الإيطالية غير مستكملة التسليح أو التدريب، وكان من المتعذر الاستفادة منها في القتال نظراً لضعفها.

ونظراً لأن الإمدادات، كانت تنهال في ذلك الوقت على الجانب البريطاني، بشكل لم يسبق له مثيل، فقد شعر "روميل" بأنه على وشك التعرض لكارثة كبرى ما لم تتخذ إجراءات عاجلة، لتعزيز قواته، وإمدادها بالاحتياجات الضرورية. وقد انتهز فرصة سفره إلى ألمانيا يوم 19 سبتمبر 1942، للعلاج من حالة المرض، التي كان يشكو منها، لعرض موقفه على هتلر شخصياً، وأوضح له، أن أقل ما يلزم من الاحتياجات لمواجهة أي هجوم يقوم به البريطانيون في منطقة العلمين هو: (احتياجات ثمانية أيام من الذخيرة، ووقود يكفي لمسافة 2000 كم لكل عربة، وتعيينات تكفي لمدة 30 يوماً). وكان مجموع حمولة هذه الاحتياجات حوالي 75 ألف طن. كما أبرز أهمية إمداده بالطلبات التي طلبها من قبل، (فرقة مشاة وبعض الأسلحة والعربات)، وتعزيز قواته الجوية، حتى يتمكن من استعادة التفوق الجوي من البريطانيين، إذ أن بقاء هذا التفوق لدى الجانب الآخر، سيؤدي إلى استمرارهم في إنزال الخسائر الفادحة، بخطوط مواصلاته، وقواعده الإدارية. وقد وعده "هتلر"، بإمداده بكل ما يلزمه، مضافاً إليه لواء صواريخ (حوالي 500 قاذف صاروخي)، و40 مدفع ثقيل مضاد للدبابات ذاتي الحركة، وعدد مناسب من الدبابات من نوع "النمر" الثقيلة، التي ابتكرها الألمان، في ذلك الوقت.



أما فيما يتعلق بتحسين خط المواصلات البري وتأمينه، فقد طلب اتخاذ بعض التدابير، وأهمها ما يلي:

أ. تعزيز خطوط السكك الحديدية، خلف جبهة القتال، إذ لم يكن هناك سوى وصلتين قصيرتين لهذا الخط على خط مواصلاته، إحداهما قرب بني غازي، والأخرى قرب طرابلس، وكان من الضروري مد السكك الحديدية بحيث تصل ما بين هذين الميناءين والحدود المصرية.

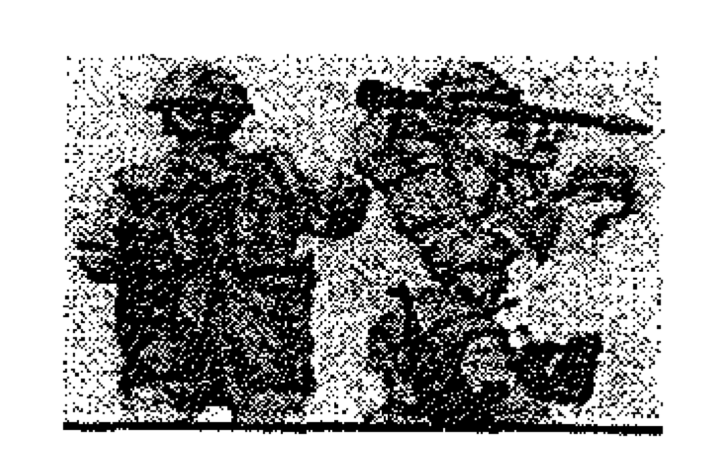
ب. تحسين الطرق البرية.

ج. تأمين خط المواصلات، ما بين بني غازي، ومنطقة العلمين، من الغارات العنيفة التي كانت تشنها "مجموعة الصحراء بعيدة المدى"، التي اتخذت من واحة الكفرة، الواقعة عند الركن الجنوبي الغربي من حدود مصر، قاعدة لعملياتها.

هذه هي المطالب التي طلبها "روميل"، من القيادتين الألمانية والإيطالية، ووعدته القيادتان بتنفيذها في أسرع وقت، ولكن هذه الوعود لم تنفذ على الإطلاق، بينما كان يتوقف على تنفيذها تقرير نتيجة قتاله في العلمين، ولذلك ازدادت مشاكل روميل، وتضاعف التفوق البريطاني.

ونتيجة للزيادة المضطردة، في خسائر سفن المحور، التي كانت تزداد يوماً بعد يوم، اضطرت قيادة قوات المحور في نهاية الأمر، لاستخدام الطائرات لنقل الوقود إلى شمال أفريقيا، ولم يكن في مقدرتها نقل أكثر من 40 إلى 80 طناً في اليوم، مع تعذر النقل تماماً في الأيام العاصفة. وقد عمد المحور إلى استبدال السفن الكبيرة بأخرى صغيرة حتى تقل الخسائر الناجمة عن فقد أي منها، واستخدم بدءاً من خريف عام 1942، نوعاً أُطلق عليه "حاملات الحرب"، لا تزيد حمولة السفينة عن 450 طناً، ورغم كل هذا، فقد استمرت نسبة الخسائر كما هي، ولم يتمكن سوى عدد محدود من تلك السفن، من دخول موانئ شمال أفريقيا.

وترتب على هذا، في نهاية الأمر، كسب البريطانيين لسباق التموين، بالقوات، والأسلحة، والمعدات، ومواد الإعاشة، وبالتالي تقرر مصير معركة العلمين



قبل بدئها، بسبب فشل القيادتين الألمانية والإيطالية، في إمداد قواتهما في شمال أفريقيا باحتياجاتها الضرورية.

2. تكوين قوات المحور، وتنظيمها، وتشكيلها (أُنظر خريطة أوضاع قوات الجانبين)

كانت قوات المحور، مكونة من الجيش الأول البانزر (الألماني - الإيطالي) الذي يضم أربعة فيالق، كالآتي:

أ. فيلق أفريقيا الألماني، ويتكون من:

الفرقة 15 البانزر، والفرقة 21 البانزر، والفرقة 90 المشاة الخفيفة الراكبة، والفرقة 164 المشاة.

ب. الفيلق 10 الإيطالي، ويتكون من:

الفرقة 27 المشاة (بريسيكا)، والفرقة 7 المشاة (بافيا)، وفرقة فولجوري من جنود المظلات.

ج. الفيلق 20 الإيطالي، ويتكون من:

الفرقة 132 المدرعة (آريتي)، وفرقة ليتوريو المدرعة، والفرقة 101 المشاة الراكبة تريستي). وقد تم تشكيل هذا الفيلق على غرار فيلق أفريقيا الألماني.

د. الفيلق 21 الإيطالي، ويتكون من:

الفرقة 102 المشاة (ترينتو)، والفرقة 25 المشاة (بولونا).

وبذلك يكون مجموع قوات المحور خمس فرق مشاة (أربع إيطالية، وواحدة ألمانية) و فرقتين مشاة راكبة (واحدة ألمانية، وواحدة إيطالية)، وفرقة إيطالية من جنود المظلات، و أربع فرق مدرعة (منها فرقتان إيطاليتان، و فرقتان ألمانيتان). ويلاحظ هنا أنه على الرغم من كثرة عدد فرق المحور، إلاّ أنها كانت أقل عدداً، في الأفراد، والمعدات، من فرق الحلفاء، نظراً لاختلاف التنظيم عند كلا الطرفين، وكان مجموع قوات المحور بصفة عامة عند بدء معركة العلمين حوالي 90 ألف جندي، و560 دبابة، و400 مدفع ميدان، و900 مدفع مضاد للدبابات، و600 طائرة.



ولعل أبرز أوجه المقارنة بين قوات الطرفين، هو ذلك الفارق الشاسع، في القوة المدرعة لدى كليهما، فقد كان لدى البريطانيين حوالي 400 دبابة، من حوالي 1000 دبابة، مسلحة بمدافع عيار 75 مم من نوعي "شيرمان" و"جرانت"، بينما لم يكن لدى المحور سوى 38 دبابة ألمانية من نوع "مارك ـ 4"، المسلحة بهذا المدفع، وكانت باقي دباباته عبارة عن 170 دبابة ألمانية من نوع "مارك ـ 3" المسلحة بمدافع عيار 50 مم،وعدد 300 دبابة إيطالية، أضعف منها في التسليح، وحوالي 50 دبابة خفيفة.وعلى الرغم من ذلك،كانت نسبة التفوق الكيفي الحقيقي، لصالح المدرعات البريطانية، بنسبة 5.5 : 1

3. خطة المعركة الدفاعية

أ. تقدير موقف "روميل" للدفاع عن منطقة العلمين

اتخذ روميل، قرار الدفاع في معركة العلمين، نتيجة تقديره للموقف، كأي قائد مقبل على معركة، فعلى الرغم من تفوق القوات الألمانية، في القيادة، وفي التدريب، على القوات البريطانية، إلاّ أن هناك بعض الاعتبارات المهمة التي أخذها "روميل" في الحسبان قبيل معركة العلمين وهي:

(1) التفوق الساحق، كماً وكيفاً، لدى البريطانيين، خاصة في المدرعات.

(2) تفوق الدبابات البريطانية على دباباته، من حيث قوة التدريع، على الرغم من تساويهما في خفة الحركة والقدرة على المناورة، كما أن دروع دباباته، لا يمكنها مواجهة الخطر الجديد، الناشئ من استخدام البريطانيين للطائرات المقاتلة، المسلحة بمدافع عيار 40 مم المضادة للدروع.

(3) أغلب قوات المشاة الإيطالية التي لديه، لا توجد لديها حملات آلية.

(4) موقفه الإداري الصعب، وخاصة الإمداد بالوقود، لا يسمح له بخوض أية معركة متحركة كبرى بالدبابات.

لهذه الأسباب، وجد "روميل"، أنه لا بد من قبول معركة دفاعية ثابتة، في منطقة العلمين، بدلاً من العمليات المتحركة التي تعتمد أساساً على المناورة وخفة الحركة، التي اعتاد أن يتبعها بنجاح ضد البريطانيين.



وقد قدّر "روميل" أن البريطانيين، سيضطرون إلى إتباع خطة خاصة، في هجومهم المقبل، نظراً لما تمليه طبيعة الأرض، إذ سيضطرون إلى القيام بهجوم بالمواجهة بقوات المشاة، لفتح ثغرات في مواقعه الدفاعية، حتى تتمكن مدرعاتهم، من الانطلاق في عمق دفاعاته، نحو المناطق الخلفية لتطويقه، و قطع خط انسحاب قواته.

ولما كانت مدرعات "روميل"، لا تكفي لمواجهة مدرعات البريطانيين - إذا نجحت الأخيرة في الانطلاق - فقد قرر "روميل" مراعاة الاعتبارات التالية، في خطته الدفاعية:

(1) منع البريطانيين من اختراق مواقعه الدفاعية، بأية ثمن مع تكبيدهم أكبر قدر من الخسائر، حتى يضطروا إلى التخلي عن الهجوم.

(2) صد القوات البريطانية المهاجمة، ومنعها من اختراق الدفاعات، لآخر طلقة، ولآخر رجل، لتكبيد البريطانيين أكبر قدر من الخسائر.

(3) القيام بهجمات مضادة سريعة، وقوية، ضد أي قوات بريطانية، قد تنجح في اختراق أي جزء من دفاعاته، لمنعها من تطوير الاختراق في مواقعه وتعميقه.

ب. تنظيم دفاعات قوات المحور

لقد كانت الاعتبارات السابقة، عاملاً أساسياً ، بنى عليه "روميل"، طريقة تنظيم دفاعاته في منطقة العلمين، لمواجهة الهجوم البريطاني المنتظر، ولذا قرر تنظيم دفاعاته كالآتي:

(1) إنشاء حقل ألغام كثيف، أمام الخط الدفاعي، يتراوح عمقه بين 1 إلى 2 كم، وخُصصت بعض النقط الدفاعية، خفيفة الحركة، لستره بنيران المدفعية المضادة للدبابات والرشاشات.

(2) إنشاء مواقع دفاعية متماسكة، خلف حقل الألغام، كل موقع يتكون من عدة خطوط دفاعية، وقد روعي في اختيار المواقع الدفاعية، تبادل المعاونة بالنيران والقوات، فيما بينها، وتحقيق دفاع دائري، عن كل مجموعة منها، حتى يمكنها تعطيل القوات البريطانية المهاجمة، لأطول مدة ممكنة، لإعطاء الوقت الكافي، لوصول القوات المدرعة والآلية للقيام بالهجوم المضاد.



(3) اختار "روميل" مواقعه الدفاعية، حسب ما أتاحته له طبيعة الأرض، كما يلي:

(أ) الخط الدفاعي الأول

يمتد من شاطئ البحر، عند نقطة شرق سيدي عبدالرحمن، بحوالي 6 كم، إلى منخفض القطارة، غرب قارة الحميمات بحوالي 5 كم.

(ب) الخط الدفاعي الثاني

يمتد خلف الخط الأول، من البحر شمالاً، إلى دير المناصيب (خارج) جنوباً.

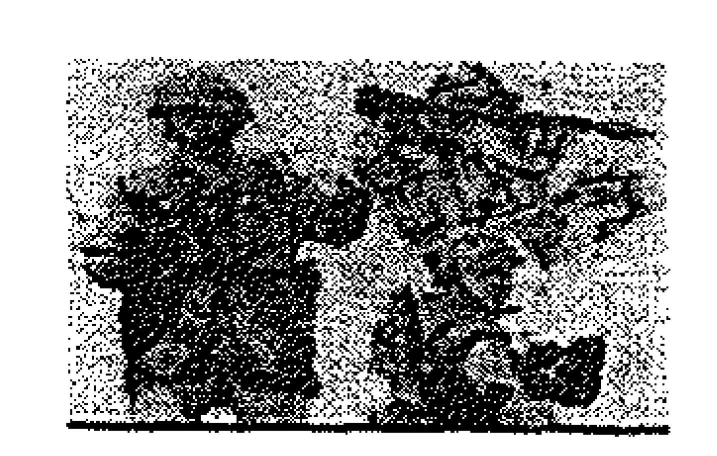
(ج) الخط الدفاعي الثالث

يمتد خلف الخط الثاني، من شاطئ البحر شمالاً إلى مسافة 7 كم، جنوب سيدي عبدالرحمن.

(4) على الرغم من أن عمق هذا الخط الدفاعي كان يتراوح بين 2 إلى 3 كم، فقد أنشأ خطين دفاعيين آخرين في القطاع الشمالي، لزيادة عمق الدفاع هناك، وكان كل خط مكوناً من حقل من الألغام، يليه مجموعة من المواقع الدفاعية في الخط الثاني، وبعض المواقع المجهزة للمدافع المضادة للدبابات، والدبابات في الخط الثالث، وقد أصبح عمق الخط الدفاعي، في القطاع الشمالي بذلك، يراوح بين 5 إلى 9 كم.

(5) استخدم في إنشاء حقول الألغام، حوالي نصف مليون لغم، ودعمها، بعشرات الآلاف من القنابل البريطانية، التي سبق له الاستيلاء عليها، في معاركه السابقة، وجهزها بأسلاك إعصار، متصلة بمفجرات، لتفجيرها عندما تقترب منها القوات المهاجمة، كشراك خداعية، لعدم توفر العدد الكافي من الألغام المضادة للأفراد، لجميع حقول الألغام، كما أنه لم يتيسر له، تغطية جميع هذه الحقول، بنيران الأسلحة المضادة للدبابات، والرشاشات، نظرا لعدم كفاية الموجود منها.

(6) وزع "روميل"، بعض كتائب المظلات الألمانية، فيما بين فرق المشاة الإيطالية، الموجودة في المواقع الدفاعية، نظراً لضعف مستوى تدريب القوات



الإيطالية، وعدم توفر الرغبة القوية لديها في القتال، وذلك رفعاً لروحها المعنوية، وتقوية لعزمها في القتال.

(7) اضطر "روميل" إلى توزيع قواته الاحتياطية، المكلفة بأعمال الهجوم المضاد، إلى قسمين، أحدهما لمعاونة القطاع الشمالي، والآخر لمعاونة القطاع الجنوبي. لأنه لم يكن متأكداً، من اتجاه الهجوم الرئيسي البريطاني قبل وقوعه، نظراً لوجود القوة الضاربة البريطانية (الفيلق 10) على مسافة 50 كم خلف الخط الدفاعي البريطاني. وقد شكّل "روميل"، قواته الاحتياطية، من الفرق المدرعة، الألمانية والإيطالية.

(8) نظراً لاحتمال قيام البريطانيين، بعملية إبرار بحري، خلف مواقع المحور الدفاعية، فقد خصص "روميل"، بعض القوات، لمراقبة الساحل، مع تكليف تلك القوات، في الوقت نفسه، بالانضمام إلى القوات الاحتياطية، خلف المواقع الدفاعية، إذا لم يقم البريطانيون بعمليات الإبرار البحري.

(9) كلف "روميل"، مدفعية الفرق المدرعة الموجودة في الاحتياط، بالاشتراك في خطة النيران الدفاعية، لتكثيف النيران ضد القوات المهاجمة، أمام الخط الدفاعي الأمامي، الذي يحتله المشاة على طول الجبهة.

ج. خطة "روميل" لتنظيم دفاعاته وإدارة المعركة الدفاعية

على الرغم من أنه كان من العسير على "روميل"، أن يتكهن باتجاه الهجوم البريطاني الرئيسي، إلاّ أنه كان يرجح أن يقوم البريطانيون، بهجومهم في القطاع الشمالي للآتي:

(1) وجود طريق التقدم الرئيسية المرصوفة، في ذلك القطاع.

(2) إمكانية معاونته بنيران الأسطول البحري، من الساحل القريب من الطريق، إذا ما دارت المعركة في ذلك القطاع.

(3) أن الهجوم من هذا القطاع، يؤدي بالقوات البريطانية، إلى قواعد المحور الإدارية، من أقصر طريق.

ولذلك كانت خطة "روميل"، في تنظيم دفاعاته لمواجهة هذا الاحتمال، هي:

(1) حَشْدُ كل قوات المشاة الألمانية، في القطاع الشمالي.

(2) الاحتفاظ بجزء كبير من قواته الاحتياطية في هذا القطاع، وخلف قوات المشاة.

(3) إنشاء دفاعاته في تلك المنطقة، بعمق كبير بين الخطوط الدفاعية، بعضها البعض، حتى تتمكن القوات الاحتياطية المدرعة، من العمل بحرية، وخفة حركة بين الخطوط الدفاعية، عند قيامها بالهجمات المضادة.

وكانت خطته لإدارة المعركة الدفاعية، إذا حدث الهجوم الرئيسي، من القطاع الشمالي، تتلخص في:

(1) صد عملية الاختراق لخطوطه الدفاعية، مستعيناً، بخطة النيران الجيدة، وبحقول الألغام الكثيفة التي رصها، وبالعمق الكبير بين خطوطه الدفاعية.

(2) تنفيذ هجمات مضادة قوية، بقواته الاحتياطية المدرعة، مستغلاً العمق بين خطوطه الدفاعية، لصد العدو المهاجم من أي منطقة ينجح في اختراقها وتدميره.

(3) وبعد نجاحه في هجماته المضادة المحلية، يقوم بتجميع كافة قواته الاحتياطية المدرعة، من كل القطاعات، للقيام بهجوم مضاد عام، بهدف تدمير الجزء الأكبر من القوة الضاربة المدرعة البريطانية.

أما في حالة قيام القوات البريطانية، بالهجوم في القطاع الأوسط، أي في اتجاه منطقة هضبة "الرويسات"، فكانت خطة "روميل" تقوم على:

(1) قيام القوات الإيطالية، الموجودة في تلك المنطقة، بالقتال ضد القوات المهاجمة، بغرض تعطيلها، ومنعها بكل قوة من الاختراق. ولضمان استبسال القوات الإيطالية، في الدفاع عن تلك المنطقة، قرر "روميل" إضافة بعض كتائب المظلات الألمانية إليها لتشد من أزرها.

(2) وفي هذه الحالة يقوم بالهجوم المضاد من اتجاهين، وذلك باستخدام قواته الاحتياطية، الموجودة في كل من القطاعين، الشمالي، والجنوبي، بحيث تعمل على



هيئة كماشة، ضد منطقة الهجوم، حتى تفصل القوة الضاربة البريطانية، عن قواعدها، وبذلك يسهل تدميرها.

وقد استبعد "روميل"، قيام البريطانيين بالهجوم الرئيسي، في القطاع الجنوبي، نظراً لأنه يبعدهم عن طريق التقدم الرئيسي، المتجه غرباً، علاوة على أنه سيتيح له الاحتفاظ بذلك الطريق، خلف قواته آمنا. وبذلك يتمكن من استخدامه لإمداد هذه القوات، طوال مدة بقائها، في المواقع الدفاعية، أو لانسحابها إذا تطلب الأمر ذلك، وعلى أية حال، فان قواته الاحتياطية، الموجودة بالقطاع الجنوبي، كانت كفيلة بصد أية هجوم يقوم به البريطانيون هناك وتعطيله ريثما يتيسر نقل القوات الاحتياطية، الموجودة في الشمال، إلى القطاع الجنوبي.

4. توزيع قوات المحور على المواقع الدفاعية (اُنظر خريطة أوضاع قوات الجانبين)

بناءً على الخطط السابقة، وزع "روميل" قواته على الخط الدفاعي كما يلي:

أ. القطاع الشمالي

(1) من ساحل البحر حتى هضبة الرويسات (داخل)، وتحتلها:

(أ) الفرقة 164 المشاة الألمانية.

(ب) الفيلق 21 الإيطالي (فرقة ترينتو المشاة الإيطالية ـ فرقة بولونا المشاة الإيطالية).

(ج) بعض عناصر من فرقة برسجليري الإيطالية.

(2) في الاحتياطي، وفي الخلف منها:

(أ) الفرقة 15 البانزر الألمانية.

(ب) فرقة ليتوريو المدرعة الإيطالية.

(3) ولحراسة الشاطئ ولتعزيز احتياطي القطاع الشمالي:

(أ) الفرقة 90 المشاة الخفيفة الراكبة الألمانية.

(ب) فرقة تريستي المشاة الراكبة الإيطالية.

ب. القطاع الجنوبي



(1) من الرويسات (خارج) حتى قارة الحميمات (داخل)، ويحتلها:

(أ) الفيلق 10 الإيطالي، (فرقة بريسيكا المشاة الإيطالية ـ فرقة فولجوري الإيطالية، من جنود المظلات ـ فرقة بافيا المشاة الإيطالية).

(ب) لواء الرامكي (جنود مظلات ألمان)، وزعت وحداته بين التشكيلات الإيطالية، في القطاع الجنوبي.

(2) في الاحتياطي، وفي الخلف منها:

(أ) الفرقة 21 البانزر الألمانية.

(ب) فرقة آريتي المدرعة الإيطالية.

(3) ولحماية الجانب الأيمن للقطاع الجنوبي:

(أ) وحدة الاستطلاع 33 الألمانية.

(ب) مجموعة كييل المدرعة الألمانية.

ج. في الاحتياطي العام

عند الحدود المصرية ولحماية خط المواصلات:

فرقة بستويا المشاة الإيطاليةّ.

د. مركز قيادة جيش البانزر

مركز قيادة جيش البانزر الأول، على الشاطئ، خلف المواقع الأمامية، بعدة كم قليلة.

ثانياً: القوات البريطانية

1. الموقف العام

رأى الجنرال "مونتجمري"، بعد معركة "علم حلفا"، أن القوات الألمانية، لن تتمكن من القيام بهجوم بقوة كبيرة، قبل مضي وقت طويل، حتى يمكنها تعزيز قواتها الموجودة في منطقة العلمين، بالأفراد، والأسلحة، والمعدات. ولذلك انتهز هذه الفرصة، واستأنف استعداده لهجومه المرتقب.



واجهت "مونتجمري" ثلاث مشاكل رئيسية، أثناء الفترة التحضيرية، وهي: (القيادة، والمعدات، والتدريب).

أ. بالنسبة للقيادة

عقب انتهاء معركة "علم حلفا"، تم تعيين قادة جدد بدلاً من بعض قادة الفيالق والفرق، نظراً لِما لمسه من تقصير في القيادة أثناء تلك المعركة، وكان القادة الجدد، جميعاً، ممن يثق فيهم "مونتجمري"، شخصياً، ويعتمد على كفاءتهم. (أُنظر جدول أسماء قيادة فيالق وفرق الجيش الثامن البريطاني)

ب. أما فيما يختص بالمعدات

فوصلت إليه الأسلحة والمعدات المذكورة في (جدول الأسلحة والمعدات البريطانية المستخدمة في الحرب)

ج. أما بالنسبة للتدريب

قام "مونتجمري"، عند توليه قيادة الجيش الثامن، بتدريب القوات البريطانية، تدريباً عنيفاً، قبل معركة العلمين، وقد عمد الجنود على تحمل مشاق القتال بالصحراء، كما درب القوات المدرعة، على استخدام الدبابات الحديثة، من نوع "شيرمان"، الاستخدام الفني والتكتيكي السليم، وبذل عناية خاصة، في تدريب القوات على إزالة الألغام، وفتح الثغرات في حقول الألغام، والتقدم من خلالها ليلاً.

وكان "مونتجمري"، ينظر إلى الروح المعنوية، على أنها العامل الأول، لكسب الحرب، ولذلك عمل على رفع الروح المعنوية، وبث الروح الهجومية فيهم، والقضاء على عوامل التردد والهزيمة، واهتم كثيراً، باللياقة البدنية، والتكتيك العنيف، حتى تتمكن قواته من تحمل مشاق المعارك المنتظرة.

وأجري "مونتجمري"، تجارب واسعة النطاق، للمعركة المقبلة، على أرضٍ خلفَ ميدان القتال، أُختيرت مشابهة إلى حدٍّ كبير لتلك التي سيجرى عليها الهجوم. وبعد هذه التجارب، درس نقاط الضعف، واتخذ التدابير اللازمة لعلاجها، كما نشر الدروس المستفادة منها، على جميع الرتب.

2. تكوين القوات البريطانية، وتنظيمها، وتشكيلها (أُنظر خريطة أوضاع قوات الجانبين)

كانت القوات البريطانية ـ بعد إعادة تنظيمها ـ تتكون من ثلاثة فيالق كما يلي: (أُنظر شكل تشكيل قتال الجيش الثامن)

أ. الفيلق 30 بقيادة الجنرال السير "أوليفر ليس"، ويتكون من: (أُنظر شكل تشكيل قتال الفيلق 30)

(1) الفرقة 9 المشاة الأسترالية (اللواء 20 المشاة، واللواء 24 المشاة، واللواء 26 المشاة).

(2) الفرقة 51 المشاة (اللواء 152 المشاة، واللواء 153 المشاة، واللواء 154 المشاة).

(3) الفرقة الأولى المشاة جنوب أفريقيا (اللواء الأول المشاة، واللواء 2 المشاة، واللواء 3 المشاة).

(4) الفرقة 4 المشاة الهندية (اللواء 5 المشاة، واللواء 7 المشاة، واللواء 161 المشاة).

وقد تقرر، أن تنضم إليه، أثناء المرحلة الأولى من معركة العلمين، الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية، لتشترك معه، في عملية تدمير مواقع المحور الدفاعية، على أن تنفصل عنه في الوقت المناسب، لتنضم إلي الفيلق 10 المدرع، الذي سيقوم بالمطاردة.

وقد وزع اللواء 23 المدرع، ليعاون الفرق المشاة، التابعة للفيلق 30، فوضع آلاي منه، تحت قيادة كل فرقة، من فرقه الأربعة.

ب. الفيلق 13 بقيادة الجنرال "بريان هوروكس"، ويتكون من: (أُنظر شكل تشكيل قتال الفيلق 13)

(1) الفرقة 50 المشاة البريطانية (اللواء 69 المشاة، واللواء 151 المشاة، ولواء مشاة يوناني).

(2) الفرقة 44 المشاة البريطانية (اللواء 131 المشاة، واللواء 132 المشاة، واللواء 133 المشاة).



(3) الفرقة 7 المدرعة (اللواء 22 المدرع، واللواء 4 المدرع الخفيف).

(4) مجموعتي، اللواء الأول والثاني، فرنسيين أحرار.

ج . الفيلق 10 بقيادة الجنرال " هربرت ليمسدن"، ويتكون من: (أُنظر شكل تشكيل قتال الفيلق العاشر)

(1) الفرقة الأولى المدرعة (اللواء 2 المدرع، واللواء 7 المشاة الراكب).

(2) الفرقة 10 المدرعة (اللواء 8 المدرع، واللواء 24 المدرع، واللواء 133 المشاة الراكب).

(3) الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية (اللواء 5 المشاة، واللواء 6 المشاة ، واللواء 9 المدرع)، وقد زودت جميع مشاة الفرقة بحملات آلية لنقل الجنود.

وهكذا يكون مجموع قوات الحلفاء، ست فرق من المشاة، و ثلاث فرق مدرعة، وفرقة مشاة راكبة، بالإضافة إلى لواءين مشاة من الفرنسيين الأحرار. وقد وزعت هذه القوات على المواقع الدفاعية البريطانية الممتدة من ساحل البحر حتى منخفض القطارة، عدا الفيلق 10 المدرع (ناقصاً الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية) الذي كان محتشدا على مسافة 50 كماً خلف جبهة القتال، وهو على استعداد للتحرك إلى منطقة بدء الهجوم الأمامية، عندما يحين وقت الهجوم.

3. الخطة الهجومية للقوات البريطانية (أُنظر خريطة خطة هجوم الفيلق 30)

أ. العوامل التي أثرت على الخطة الهجومية للقوات البريطانية

أهم العوامل التي أثرت على خطة الهجوم البريطاني في العلمين كانت كما يلي:

(1) عدم إمكان قيام القوات البريطانية، من تطويق مواقع المحور المحصورة، بين مانعين طبيعيين (البحر المتوسط شمالاً، ومنخفض القطارة جنوباً).

(2) كان لدى البريطانيين، من التفوق في الدبابات، ما يسمح لهم بتحمل بعض الخسائر، خاصة في المراحل الأولى من المعركة، من دون أن يتأثروا تأثيراً خطيراً.

(3) كان موقف الإمدادات في صالح البريطانيين، كما كانت خطوط المواصلات البريطانية البرية، أقصر كثيراً من خطوط مواصلات المحور.

لهذه الأسباب، رأى "مونتجمري" أن الفرصة مواتية له، لتدمير قوات المحور تدميراً كاملاً، في معركة واحدة، بمنطقة العلمين. واستقر رأيه على، أن يقوم بهجومه الرئيسي، في القطاع الشمالي، بينما يقوم بهجوم تثبيتي، في القطاع الجنوبي.

ب. خطة الهجوم في القطاع الشمالي

اختار "مونتجمري" القطاع الشمالي، ليوجه فيه ضربته الرئيسية، على الرغم من أن أقوى مواقع قوات المحور الدفاعية كانت في ذلك القطاع، والرمال الناعمة في تلك المنطقة، تعوق كثيراً من حركة العربات، كما أن الأرض في هذا القطاع منبسطة تقريباً، مما يجعل الاختفاء شبه متعذر فيه، وذلك للأسباب الآتية:

(1) كان "مونتجمري" يعتقد، أن آخر ما يتجه إليه ظن "روميل"، هو أن يقوم الجيش الثامن بالهجوم في ذلك القطاع، نظراً لقوة مواقع قوات المحور الدفاعية فيه ـ لوجود معظم المشاة الألمانية به ـ علاوة على أن "روميل" ركز القوات الاحتياطية المدرعة خلف هذه المواقع.

(2) الهجوم في القطاع الشمالي يتيح لـ "مونتجمري" ـ في حالة نجاحه ـ السيطرة على خط مواصلات قوات المحور الرئيسي، على الطريق الساحلي من أقصر طريق، كما يتيح له تهديد قواعدها الإدارية، في أسرع وقت.

(3) يمكن للبحرية البريطانية، تقديم معاونة نيرانية فعالة بالمدفعية لمعاونة، في ذلك القطاع، ضد دفاعات المحور من اتجاه البحر.

ووضعت تفاصيل الخطة، على أساس قيام الفيلق 30 البريطاني، بالهجوم في القطاع الشمالي، بقوة أربع فرق، في النسق الأول، بمهمة فتح ثغرتين، في حقول ألغام دفاعات قوات المحور، الثغرة الشمالية، في اتجاه تبة "كيدني"، والثغرة الجنوبية، في اتجاه تبة "الويشكا"، حتى يتمكن الفيلق 10 المدرع، من الاختراق في هاتين الثغرتين، ليتخذ مواقعه غرب خطوط المحور الدفاعية، لمعاونة أجناب قوات الفيلق



30، وحمايتها، أثناء استكمالها تدمير القوات المدافعة، عن هذه المواقع، وكان عمق الهجوم يراوح بين 6 إلى 8 كم.

وتم تخصيص المهام للفرق كما يلي:

(1) مهمة الفرقة 9 المشاة الأسترالية، و الفرقة 51 المشاة

تقوم الفرقتان بفتح الثغرة الشمالية، في اتجاه تبة "كيدني"، وبمجرد عبور الفرقة الأولى المدرعة، من الفيلق 10 المدرع، الثغرة، تندفع الفرقتان لاقتحام قوات المحور المدافعة في هذه المنطقة وتدميرها، ثم متابعة الهجوم في اتجاه الجنوب الغربي، على أن يقوم أحد لواءات الفرقة 9 المشاة الأسترالية، بهجوم مخادع، فيما بين تل "العيصي"، وساحل البحر، في أقصى الشمال.

(2) مهمة الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية، والفرقة الأولى المشاة جنوب أفريقيا

تقوم الفرقتان بفتح الثغرة الجنوبية، في اتجاه تبة"الويشكا"، وبمجرد عبور الفرقة 10 المدرعة، من الفيلق 10 المدرع، الثغرة، تندفع الفرقتان لاقتحام قوات المحور المدافعة في هذه المنطقة وتدميرها، ثم متابعة الهجوم في اتجاه الجنوب الغربي أيضاً، لتدمير قوات المحور المدافعة في تبة "المطرية".

(3) مهمة الفرقة 4 المشاة الهندية

تقوم الفرقة، بغارة على مواقع قوات المحور، في الطرف الغربي، لهضبة "الرويسات"، لتأمين الجانب الأيسر لقوات الهجوم الرئيسي.

(4) مهمة الفيلق 10 المدرع

تعبر الفرقة الأولى المدرعة، من الثغرة الشمالية، والفرقة 10 المدرعة، من الثغرة الجنوبية، على أن يتخذا موقعيهما، غرب مواقع المحور الدفاعية، بمجرد المرور من الثغرتين، للسيطرة على جميع طرق الاقتراب المحتملة، لتقدم القوات الاحتياطية المدرعة للمحور، لمنعها من القيام بالهجوم المضاد، وفي الوقت نفسه، ينطلق آلايان من العربات المدرعة، نحو الغرب، للإغارة على خطوط مواصلات قوات المحور،

وقواعده الإدارية، وخاصة في "الضبعة"، حيث توجد قاعدته الإدارية الأمامية الرئيسية.

ج. خطة الهجوم في القطاع الجنوبي

كانت مهمة الفيلق 13 البريطاني، كالآتي:

(1) القيام بهجوم تثبيتي، بقوة فرقتين في النسق الأول، لتضليل المحور، عن اتجاه الهجوم الرئيسي، ولمنع القوات الاحتياطية المدرعة للمحور، من القيام بهجوم مضاد.

(2) فتح ثغرة في حقول ألغام دفاعات قوات المحور، شمال قارة "الحميات" مباشرة، حتى تتمكن الفرقة 7 المدرعة، من الاختراق من هذه الثغرة، لتتخذ مواقعها خلف هذه المواقع، لحماية أجناب قوات الفيلق 13 أثناء استكمالها تدمير قوات المحور، ومتابعة هجماتها في اتجاه الشمال الغربي.

(3) في حالة نجاح قوات الفيلق 13 في الهجوم، تتقدم الفرقة 7 المدرعة، في حركة تطويق واسعة، نحو "الضبعة"، لتدمير القاعدة الإدارية هناك، وقطع خط انسحاب باقي قوات المحور.

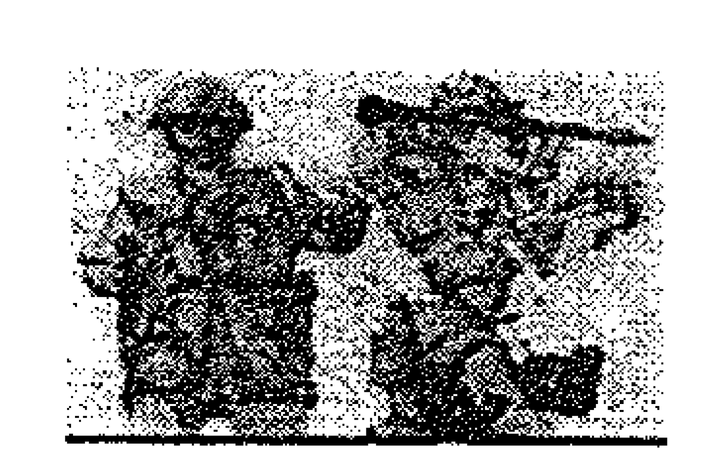
(4) عدم تورط قوات الفيلق في الهجوم، حتى لا تتعرض لخسائر، للحاجة إليها مستقبلاً، في معاونة قوات الفيلق 30.

(5) سحب بعض قوات الفيلق، في المراحل الأخيرة من المعركة، نحو الشمال، لمعاونة الفيلق 30، في أعمال قتاله.

د. خطة المعاونة الجوية

يشن سلاح الطيران البريطاني، غارات مكثفة على مطارات المحور خلال عشرة الأيام السابقة للهجوم، للحصول على التفوق الجوي، ثم يقوم ليلة المعركة، بضرب بطاريات مدفعية المحور لإسكاتها وتدميرها، لتعزيز مدفعية الجيش الثامن في قصفها المضاد الذي تقوم به، على أن يتحول بعد ذلك لضرب مناطق حشد قوات المحور المدرعة الاحتياطية.

هـ. خطة الخداع



كان "مونتجمري"، يعلم تماماً أنه لن يستطيع إحراز المفاجأة الإستراتيجية، لذلك عمد إلى استخدام كافة وسائل الخداع لإحراز المفاجأة التكتيكية، وقد استهدف من خطة الخداع التي وضعها، تضليل قوات المحور، عن حجم قواته، وموعد الهجوم الرئيسي واتجاهه. وبدأ "مونتجمري" تنفيذ خطته منذ منتصف شهر أغسطس 1942. والآتي بعد ما جاء بها:

(1) اتخذت كافة الإجراءات لإظهار المنطقة، التي ستحتشد فيها قوات الهجوم الرئيسي، بالمظهر نفسه، الذي ستكون عليه ليلة الهجوم، وذلك بنشر جميع العربات الإدارية الزائدة عن الحاجة، والعاطلة، وكثير من العربات، والأسلحة الهيكلية، في المنطقة الأمامية للهجوم، (منطقة الحشد الأمامية). وفي الليلة السابقة على الهجوم، سحب هذه المعدات ليلاً، إلى المناطق الخلفية، على مسافة 50 كماً، وإحلال جميع العربات والأسلحة والمعدات التي ستدخل المعركة بالفعل بدلاً منها. وقد أمكن بهذه الطريقة حشد الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية، والفيلق 10 المدرع، بالمنطقة الأمامية، في اليوم السابق على الهجوم، من دون أن تفطن قوات المحور إلى ذلك.

(2) أُستخدمت عربات هيكلية، لإخفاء مدافع الميدان تحتها، كما مُوهت الدبابات، على شكل عربات، حتى لا تكتشف قوات المحور، عدد المدافع والدبابات، التي تم حشدها في منطقة الهجوم.

(3) استمرت الفرقة 7 المدرعة، طوال الأسابيع السابقة على الهجوم، في إجراء طوابير تدريبية واسعة النطاق، بالقطاع الجنوبي، حتى يوحي نشاطها بأن الهجوم الرئيسي، سيوجه من ذلك القطاع.

(4) أُنشئت الخنادق، والملاجئ، والدشم اللازمة لاستيعاب قوات الهجوم الرئيسي، بالمنطقة الأمامية للهجوم، وذلك قبل موعد بدء الهجوم بشهر كامل. واتخذت كافة الإجراءات لإظهارها وكأنها محتلة بالقوات، بينما لم تحتلها القوات المخصصة للهجوم إلاّ قبيل بدء الهجوم بمدة وجيزة.

(5) تمت جميع تحركات القوات المخصصة للهجوم ليلاً.



(6) كانت جميع أعمال الحفر الإضافية، تتم ليلاً أيضاً، وتُخفي وتمـوه، قبـل ظهور أول ضوء.

(7) أُخفيت مستودعات الإمداد والتموين، التي كُدست فيها احتياجـات الهجوم الرئيسي، بواسطة أعمال الإخفاء والتمويه البارعـة، التـي أقيمـت عـلى نطـاق واسع، وقد كُدست المؤن، على شكل عربات، وتم تغطيتها بـشباك التمويـه، حتـى لا يفطن المحور إلى حقيقتها، ويتم تدميرها.

(8) أُنشئت عدة طرق، كما أُنشئت عدة مستودعات هيكلية ضخمة، وتـم مد خط أنابيب مياه هيكلي، في القطاع الجنوبي، حتى يعتقد المحور أن الهجوم الرئيسي سيحدث من هذا القطاع.

(9) أُذيعت ليلة الهجوم، معلومات من رئاسـة أحـد اللـواءات المدرعـة، بطريقة توحي إلى العدو ـ إذا التقطها ـ أن القوات المدرعـة البريطانيـة، تتحـرك نحـو الجنوب.

(10) أُتخذت التدابير، والإجـراءات، لإيهـام قـوات المحـور، بأنـه ستتم عملية إنزال بحري، على الساحل الشمالي، على نطاق واسع، خلف مواقعـه الدفاعيـة، على خط العلمين. وفي يوم الهجوم، خرجت عدة سـفن حربيـة بريطانيـة، في الـساعة 1600 من ميناء الإسكندرية، واتجهت غربـاً. وقـد تـم شـحن هـذه الـسفن بـالجنود والدبابات، على مرأى من عدد كبير من الناس، الذين يُعْتَقَدُ أن بينـهم بعـض عمـلاء المحور. وقد عادت معظم السفن إلى الإسكندرية، أثناء الليل، إلاّ عدد قليل من سفن الإنزال، كُلفت بهجوم تظاهري مخادع، على الساحل الشمالي، خلـف خطـوط المحـور الدفاعية، على خط العلمين، وذلك باستخدام الهاونـات والرشاشـات، والإشـارات الضوئية، مع قيام الأسطول البريطاني، بتعزيز هذا الإنزال البحـري، بـضرب مواقـع المحور بالمدفعية. وقد حُدد موعد بدء هذا الهجوم، من الساحل، بحيث يكون بعد بدء الهجوم البري الرئيسي بـثلاث سـاعات، عـلى أمـل أن يـضطر المحـور إلى الاحتفـاظ باحتياطيه، الموجود بالمنطقة الشمالية الساحلية، لمواجهته.



(11) ولخداع المحور، عن موعد بدء الهجوم، سار العمل في المنشآت الهيكلية، وخط أنابيب المياه الهيكلي، بحيث يبدو كأنه سيتم في الأسبوع الأول من نوفمبر، أي بعد الموعد الحقيقي لبدء الهجوم بأسبوعين.

ونجحت خطة الخداع هذه نجاحاً هائلاً، حتى أن "روميل" نفسه، كان متغيباً في ألمانيا، عندما بدأت معركة العلمين لاطمئنانه بأنه ما زال هناك بعض الوقت، قبل موعد بدء الهجوم البريطاني المنتظر، هذا علاوة على أن قيادة قوات المحور، لم تفطن إلى الاتجاه الذي ستوجه منه الضربة الرئيسية، ولذلك اضطرت إلى تقسيم قواتها المدرعة إلى قسمين، كاحتياطيات قوية، أحدهما بالقطاع الشمالي، والآخر بالقطاع الجنوبي، بدلاً من تركيز هذه القوات، أمام قطاع الهجوم الرئيسي الفعلي.

4 . أوضاع القوات البريطانية (أُنظر خريطة أوضاع الجانبين)

قسمت الجبهة إلى قطاعين، القطاع الشمالي، ويمتد من البحر حتى هضبة الرويسات (داخل). والقطاع الجنوبي، ويمتد من هضبة الرويسات (خارج)، حتى منخفض القطارة.

وقد تقرر أن تكون أوضاع القوات البريطانية ليلة المعركة كما يلي:

أ. القطاع الشمالي

قوات الفيلق 30، بالترتيب التالي، من الشمال إلى الجنوب:

(1) الفرقة 9 المشاة الأسترالية.

(2) الفرقة 51 المشاة.

(3) الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية (وتحت قيادتها اللواء 9 المدرع).

(4) الفرقة الأولى المشاة جنوب أفريقيا.

(5) الفرقة 4 المشاة الهندية.

ويحتشد خلف هذا الفيلق في ليلة المعركة الفيلق 10 المدرع المكون من الفرقتين (الأولى، 10) المدرعتين.

ب. القطاع الجنوبي

قوات الفيلق 13، بالترتيب التالي، من الشمال إلى الجنوب:



(1) لواء يوناني.

(2) الفرقة 50 المشاة البريطانية.

(3) الفرقة 44 المشاة البريطانية.

(4) اللواء الأول فرنسيون أحرار.

وتحتشد خلف هذا الفيلق، الفرقة 7 المدرعة.

ج. مركز قيادة الجيش الثامن

انتخب مكان مركز قيادة الجيش الثامن، في الشمال على الشاطئ، وعلى مسافة قريبة من رئاستي الفيلقين 10، 30.

5. التحضيرات الإدارية للهجوم

كان من أشق الأعمال، التي صادفت الجيش الثامن البريطاني، قبل معركة العلمين، إنشاء 6 طرق فرعية في الرمال الناعمة، لتصل إلى خط ابتداء هجوم الفيلق30، وتم تنفيذ ذلك، بعد مجهود شاق. وقد نقلت جميع القواعد الإدارية، وأُنشئت المستودعات، وكُدست جميع أصناف الاحتياجات، في الأمام، قبل موعد بدء الهجوم. وكانت كل هذه الأعمال تتم ليلاً، وقد بلغ معدل ما ينقل من المؤن إلى القواعد الأمامية، حوالي 4 آلاف طن يومياً.

إضافة إلى ذلك، أُنشئ عدد كبير، من أراضي الهبوط الأمامية للطائرات، ومدت خطوط جانبية للسكك الحديدية، كما أنشئت كثير من نقاط الإمداد بالمياه، وأُنشئ نظام مُحكم لصيانة العربات وإصلاحها، ونجدة الدبابات، واستعواضها.

وأنشئت لكل فيلق منطقة إعاشة أمامية، احتفظ فيها باحتياطي كبير، من جميع أنواع الاحتياجات، علاوة على احتياطي مناسب من الأفراد اللازمين لسد الخسائر، كما تم تشكيل قوة إدارية لمعاونة الهجوم، لها قيادة موحدة، وكان واجبها التقدم خلف قوات النسق الأول (الأمامية) التي ستقوم بالمطاردة، لتجهيز الموانئ وتنظيمها وإدارتها، وكذلك الأماكن ذات الأهمية الإدارية، بمجرد الاستيلاء عليها. وعلاوة على كل ما سبق، تم تجهيز عدد كبير من السفن بميناء الإسكندرية، قبل بدء المعركة، وشحنها بمختلف أصناف الاحتياجات، وجُهزت للإبحار، بمجرد صدور

الأوامر بذلك، لتقوم بالإمداد والتموين، للقوات البريطانية القائمة بعمليات المطاردة، من الموانئ التي يتم الاستيلاء عليها. وقد مُدَّ خط تليفوني، تحت الأرض، من القاهرة حتى المنطقة الأمامية، ليكون تحت تصرف القيادات الإدارية، لاستخدامه في طلب أي نوع من الاحتياجات، من القاعدة الإدارية الرئيسية الكبرى بالقاهرة، أو القناة، في أسرع وقت ممكن.

تشكيل قتال الجيش الثامن

تشكيل قتال الفيلق 30

تشكيل قتال الفيلق 13

تشكيل قتال الفيلق العاشر

أوضاع قوات الجانبين

مراحل مطاردة قوات المحور

مسرح عمليات العلمين

أعمال قتال قوات الجانبين

معركة علم حلفا

الموقف يوم 1/ 7/ 1942

الإغارة على طبرق وبني غازي

الساحل الشمالي للصحراء الغربية

الصحراء المصرية الليبية

تطور هجوم الفيلق 30 (1)

تطور هجوم الفيلق 30 (2)

خطة هجوم الفيلق 30



مراحل وسير معركة العلمين:

وضع مونتجمري خطته على أساس قيام قواته بتنفيذ المعركة على ثلاث مراحل أساسية:

1. المرحلة الأولى

فتح المشاة ثغرات في حقول الألغام، والمواقع الدفاعية، لتتقدم من خلالها المدرعات، حتى تتمكن من الانتشار خلف مواقع المحور الدفاعية لمنع قواته الاحتياطية المدرعة، من القيام بهجمات مضادة أثناء تنفيذ المرحلة الثانية، واستغرق تنفيذ هذه المرحلة من ليلة 23/ 24 أكتوبر إلى ليلة 24/ 25 أكتوبر. وتم فيها اختراق دفاعات المحور لمسافة من 2 إلى 4 كم، في قطاع الهجوم الشمالي وتقدمت الفرق المدرعة خلال الثغرات أثناء الليل. أما في قطاع الفيلق 13 في الجنوب فقد فشل الهجوم في تحقيق أهدافه.

2. المرحلة الثانية

القتال المتلاحم بقوات المشاة، بغرض تدمير مواقع المحور الدفاعية، مع إرسال بعض القوات المدرعة لمهاجمة قواعد قوات المحور الإدارية، وكان من المنتظر، أن تنفذ قوات المحور هجمات مضادة عنيفة أثناء تلك المرحلة بقواتها المدرعة، وحينئذ تحين الفرصة لقوات مونتجمري المدرعة، المنتشرة خلف مواقع المحور الدفاعية، لتدمير الجزء الأكبر من دبابات "روميل"، واستغرق تنفيذ هذه المرحلة من 25 أكتوبر إلى أول نوفمبر. واتسمت هذه المرحلة بعمليات هجومية في اتجاهات مختلفة، لتحطيم دفاعات قوات المحور، ويمكن القول بأن هذه المرحلة، تمت في ثلاث خطوات متتالية تضمنت، تغيير محور الهجوم إلى الشمال، وعملية إعادة تجميع، والاستعداد للمرحلة النهائية وهي المرحلة الثالثة.

3. المرحلة الثالثة

ويتم فيها تدمير باقي دفاعات قوات المحور، والتقدم إلى مناطقه الخلفية، مما يسمح بدفع القوات المدرعة إلى الأرض المفتوحة خلفها، وقطع خطوط انسحابها. واستغرق تنفيذ هذه المرحلة من 2 إلى 4 نوفمبر. وتم فيها، اختراق مواقع المحور،

اختراقاً تاماً، بالفرقة 2 المشاة النيوزيلندية، وبذلك أصبح الطريق ممهداً لعمليات الفيلق 10 المدرع، والفرقة 7 المدرعة، خلف الخط الدفاعي لقوات المحور.

أولاً: المرحلة الأولى من القتال (ليلتي 23/ 24، 24/ 25 أكتوبر 1942)

1. أعمال قتال ليلة 23/ 24 أكتوبر (أُنظر خريطة خطة هجوم الفيلق 30)

في الساعة 2140، قبل ساعة بدء الهجوم بعشرين دقيقة، قامت مدفعية الجيش الثامن، بفتح نيرانها ضد بطاريات مدفعية قوات المحور، بهدف تدميرها وإسكاتها، وقد استمر هذا القصف مدة 20 دقيقة، وكانت نتيجته محكمة للغاية، نظراً لأنه سبق تحديد مواقع (مرابض) مدفعية المحور، تحديداً دقيقاً، في الأيام السابقة للهجوم. وكان رد بطاريات مدفعية قوات المحور، على هذا القصف ضعيفاً، ولم ينتج عنه خسائر تستحق الذكر، نظراً لتحرك مدفعية القوات البريطانية واحتلالها لمرابضها قبل بدء الهجوم بوقت قصير.

في الساعة 2200، رفعت مدفعية الجيش الثامن نيرانها، على أقصى خط للمواقع الدفاعية لقوات المحور، واستمرت عليه لمدة سبع دقائق، ثم بدأت في إطلاق غلالة نيران زاحفة، وضِعَتْ خطتها على أساس رفع خطوطها كل ثلاث دقائق، وبفاصل 100 م بين كل خط والذي يليه، مع التوقف على بعض الخطوط، التي ينتظر مقابلة مقاومة شديدة قبلها، لحين وصول القوات المتقدمة بالقرب من الغلالة، التي تستأنف الزحف حينئذ مرة أخرى. وقد عمل ترتيب مسبق، لإطلاق بعض طلقات الدخان، للدلالة على رفعات الغلالة. ولم تقتصر المعاناة أثناء الاقتحام على ذلك فحسب، بل وُضع برنامج زمني، لإطلاق تجمعات نيران شديدة ضد مواقع المحور التي سبق تحديدها.

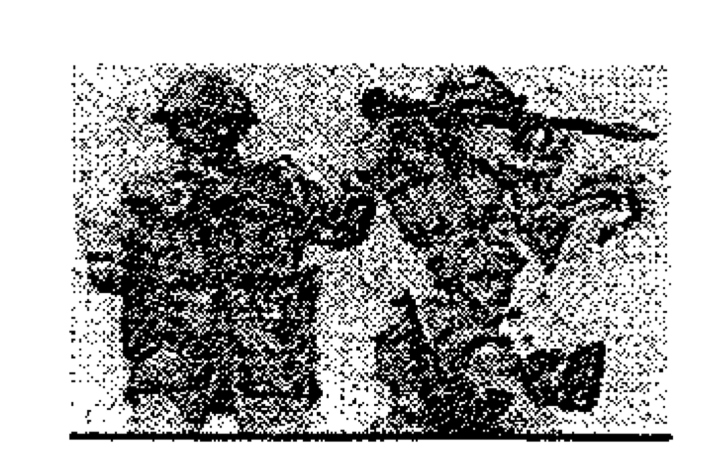
وتقدمت قوات المشاة خلف الغلالة النيرانية، بينما قام عدد من الطائرات المقاتلة، بالهجوم على ارتفاع منخفض، فوق مواقع قوات المحور، وقد جُهزت هذه الطائرات بأجهزة خاصة تحدث أصواتاً مزعجة، لخفض الروح المعنوية لقوات المحور.



واُستخدمت أثناء الهجوم عدة مساعدات ملاحية، لحفظ اتجاه القوات البريطانية، أثناء تقدمها في الظلام، فكُلفت بعض المدافع من عيار 40 مم، بإطلاق ذخيرة كاشفة، على أجناب اللواءات في اتجاه التقدم، عند كل رفعة من رفعات الغلالة النيرانية، وكانت وحدات النسق الأول (الأمامية) بدورها، ترشد عن أماكنها، بإطلاق دفعات من ذخيرة الهاون المضيئة رأسياً إلى أعلى من حين لآخر، وعلاوة على ذلك فقد خُصصت بعض بواعث الأنوار الكاشفة، التي وُضعت في نقط سبق تحديد إحداثياتها، بمنتهى الدقة على مسافة ١٠ كم، خلف المنطقة الأمامية، وكُلفت بفتح أشعتها إلى أعلى، حتى يمكن للوحدات الاسترشاد بها لتحديد أماكنها، برصد الزوايا العكسية لها. وعلى الرغم من كل هذه الوسائل، فقد كان نجاح القوات البريطانية، في الحفاظ على اتجاهاتها، نجاحاً جزئياً، نظراً لصعوبة الرؤية بسبب الغبار والدخان الشديدين، الناتجين عن انفجار طلقات المدفعية.

ودلت نتيجة القتال، في الساعات الأولى من الهجوم، على أن قوات المحور فوجئت به مفاجأة تكتيكية تامة، ولذلك سارت عملية فتح الثغرات، خلال الساعات الأولى، سيراً مضطرداً. وقد قام المشاة يعاونهم بعض المهندسين العسكريين، بإزالة الألغام المضادة للأفراد أولاً، ثم الألغام المضادة للدبابات. وقد بدأ العمل في فتح الثغرات بعرض ثمانية أمتار، على أن توسع فيما بعد، إلى 24 متراً. وقامت الوحدات المكلفة بفتح الثغرات، بتحديد أجنابها، وتحديد طرق الاقتراب المؤدية لكل منها، واستخدمت في ذلك المصابيح الملونة.

وسار العمل، في فتح ثغرتي القطاع الشمالي بنجاح، على الرغم من البطء الذي اعترض ذلك، بسبب عنف المقاومة الألمانية التي بدأت تتزايد تدريجياً، وبمجرد الانتهاء من إزالة الألغام المضادة للأفراد، عبرت فرق المشاة من الثغرات، واشتبكت في قتال عنيف، مع مواقع قوات المحور الدفاعية، وقد نجحت معظم الوحدات المهاجمة في الاستيلاء على أهداف المرحلة الأولى من الهجوم، قبل الساعة 0330، فيما عدا بعض المواقع، التي ظلت تقاوم بشدة. وفي الساعة 0530 أمكن الاستيلاء على



بعض تلك المواقع وبقي عدد قليل منها في مواجهة الفرقة 51 المشاة، استمرت صامدة رغم الهجمات العنيفة المتكررة عليها.

وكانت نتيجة أعمال القتال في ليلة 23/ 24 في القطاع الشمالي، إنشاء رأس كوبري، بلغ عمقه حوالي أربعة كم، وقد عَبَرَ اللواء 9 المدرع (الموضوع تحت قيادة الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية) الثغرة الجنوبية في منطقة تبة المطرية، وعند أول ضوء، اصطدم هذا اللواء، بحقول ألغام أخرى أمامه، كما قوبل بنيران شديدة من دبابات المحور ومدفعيته المضادة للدبابات، حيث فتحتا نيرانهما، من مواقع مجهزة، في المنطقة الواقعة عند الطرف الغربي للتبة. وقد بلغت خسائر اللواء في الساعات الأولى من الصباح حوالي 50 دبابة.

أما قوات الفيلق 10 المدرع، فقد عبرت عناصرها المتقدمة، خط الابتداء للهجوم في الساعة 0200، وتقدمت خلف قوات الفيلق 30 المهاجمة، وقد حاولت الفرقتان المدرعتان، الأولى، والعاشرة (من الفيلق 10 المدرع) عبور الثغرات التي تم فتحها، إلاّ أنهما تأخرتا كثيراً، عن الوقت المحدد لتقدمهما، بسبب البطء الشديد في فتح الثغرات، لشدة نيران قوات المحور. وعند أول ضوء يوم 24 أكتوبر، لم يكن قد تمكن من عبور الثغرات، والوصول إلى خلف قوات المشاة، في رأس الكوبري، سوى لواء المقدمة المدرع من كل فرقة، وعلى ذلك لم تتمكن الفرقتان من تنفيذ الواجب الذي كلفتا به في الخطة، وهو عبور الثغرات في حقول الألغام، والانتشار غرب رأس الكوبري، الذي احتلته قوات المشاة قبل أول ضوء.

ونفذ أحد لواءات الفرقة 9 المشاة الأسترالية، خلال العمليات السابقة، هجوماً مخادعاً بين "تل العيصي" والبحر المتوسط، في أقصى الشمال، بمعاونة نيران الهاونات 4.2 بوصة. وطبقاً للخطة الموضوعة لذلك، تمت عملية إنزال بحري على شاطئ البحر، خلف الخطوط الدفاعية لقوات المحور. وكان من نتيجة هاتين العمليتين الثانويتين عدم تغيير أوضاع قوات الاحتياط للمحور حتى ذلك الحين، لعدم قدرة القيادة معرفة اتجاه الهجوم الرئيس للقوات البريطانية.

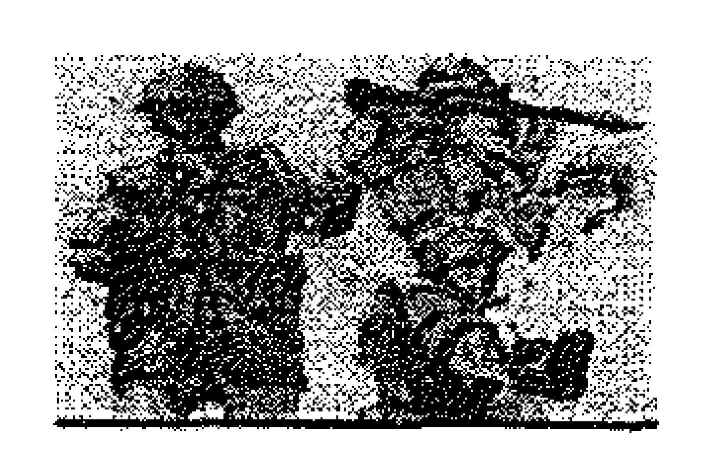


أما في القطاع الجنوبي، فقد قامت إحدى كتائب الاستطلاع، ومعها كتيبة من الفرقة 44 المشاة، يعاونهما خمسة آلايات مدفعية ميدان، بعملية فتح الثغرة، خلال حقل الألغام، المسمى بحقل ألغام "يناير" ، وقد نجحت الكتيبتان في ذلك، إلاّ أن بعض عربات كتيبة الاستطلاع، ارتطمت ببعض الألغام المبعثرة على مسافة كم شرق حقل ألغام "فبراير"، فظنت أن هذه الألغام المبعثرة، هي حقل ألغام "فبراير"، ولذلك استمرت حتى الفجر في رفعها، ثم اتضح لها، بعد ذلك، أنها لم تصل إلى حقل ألغام "فبراير" الحقيقي، وقد تسبب ذلك في انحصار عدد كبير من العربات، وأفراد المشاة من الفرقة 44 المشاة، وكذا كثير من دبابات الآلاي المدرع، مقدمة الفرقة 7 المدرعة، التي تحاول العبور خلف قوات رأس الكوبري، بين حقلي ألغام "يناير" و" فبراير"، وصار موقف تلك القوات حرجاً، لتعرضهما لنيران قوات المحور الشديدة، مما جعل من المحتم، القيام بمحاولات لفتح ثغرة في حقل ألغام "فبراير"، في وضح النهار.

أما اللواء الأول فرنسيون أحرار، فقد نفذ هجوماً ثانوياً، على هضبة "هنتر"، الواقعة في الجنوب، شمال منخفض القطارة، في ليلة 23/ 24 أكتوبر، بهدف الاستيلاء على الهيئة الحاكمة المرتفعة هناك، والتي تتميز بإشرافها على معظم أجزاء القطاع الجنوبي، وقد تقدم اللواء مسافة ثلاثة كم ونجح في الاستيلاء على الهضبة في الساعة 0230، إلاّ أنه لم تتمكن مدفعيته المضادة للدبابات، من صعود الهضبة لنعومة رمالها، فتمكن الألمان من استردادها، والاستيلاء عليها ثانية، بعد هجوم مضاد قامت به بعض دبابات مجموعة "كييل" المدرعة.

بذلك انتهت عمليات ليلة 23/ 24 أكتوبر. ويمكن تلخيص النتائج التي أحرزها الجيش الثامن، في الآتي:

أ. نجح الجيش الثامن، في فتح إحدى الثغرتين في القطاع الشمالي، ونجح نجاحاً جزئياً، في فتح الثغرة الثانية، إلاّ أن القوات المدرعة لم تنجح في تنفيذ مهامها (الانتشار خلف منطقة رأس الكوبري من ناحية الغرب)، نظراً لتعطل مرورها خلال الثغرات من جهة، وللنيران الشديدة التي قوبلت بها من جهة أخرى.



ب. نجح الفيلق 30، في احتلال معظم منطقة رأس الكوبري التي خصصت له، وكان من المفروض، أن يؤدي به هذا إلى الوصول إلى نهاية مرحلة القتال المتلاحم، وبالتالي إلى اختراق مواقع قوات المحور، والوصول للأرض المكشوفة خلفها، إلاّ أنه ظهر في نهاية القتال المتلاحم في أول ضوء يوم 24 أكتوبر، أن مواقع المحور كانت أعمق كثيراً مما تخيله البريطانيون، وأنه لا زالت هناك بعض حقول الألغام والمواقع الدفاعية، أمام القوات المهاجمة، ويرجع هذا، إلى أن قوات المحور، لم تترك في مواقعها الدفاعية الأمامية، سوى بعض قوات من المشاة، واحتلت باقي المواقع التالية، بقوات قليلة نسبياً، بينما تركزت معظم قواتها في مواقع دفاعية جديدة خلف ذلك .

ج. لم ينجح الفيلق 13، في فتح الثغرة التي كُلف بها في القطاع الجنوبي، وأصبح موقف قواته المتقدمة حرجاً بسبب حصرها، بين حقلين من الألغام (يناير، وفبراير).

د. أما فيما يتعلق بموقف قوات المحور، خلال العمليات السابقة، فإن الجنرال "شتومه" (الذي خلف "روميل" في قيادة قوات المحور أثناء رحلة علاجه إلى ألمانيا) ارتكب خطأً جسيماً، إذ أنه لم يسمح لمدفعيته بتركيز كل نيرانها على مواقع حشد القوات البريطانية، خوفاً من استهلاك جزء كبير من الذخيرة، التي كان فيها نقص واضح، على الرغم من وصول معلومات إليه، عن فتح المدفعية البريطانية لنيرانها الشديدة ضد مواقعه الدفاعية، ولذلك تمكن البريطانيون من الاقتحام، من دون أن تشتبك معهم مدفعية قوات المحور، اشتباكاً مؤثراً، هذا بالإضافة إلى أن هذه المدفعية أُصيبت، في الوقت نفسه، بخسائر جسيمة نتيجة نيران القصف المضاد الذي قامت به مدفعية الجيش الثامن.

2. أعمال قتال يوم 24 أكتوبر (أُنظر خريطة أعمال قتال قوات الجانبين)

تنبه الجنرال "شتومه"، لخطأه في الصباح، بعد أن أيقن أن الحد من استخدام نيران مدفعيته، سيؤدي إلى انهيار مواقعه الدفاعية، ولذلك ركز نيران المدفعية بشدة، طوال نهار 24 أكتوبر، ضد الثغرات التي فتحها البريطانيون، وضد



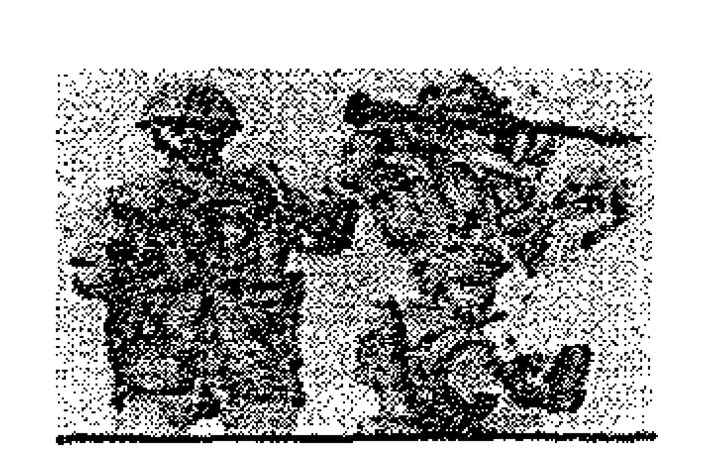
القوات المتمركزة في رؤوس الكباري، فاضطرت القوات المدرعة البريطانية، إلى الانسحاب خلف "تبة المطرية"، ومن هناك، استمرت في الاشتباك بنيرانها، على مرامي بعيدة المدى، مع دبابات المحور، ومواقع مدفعيته المضادة للدبابات، طوال نهار 24 أكتوبر.

وفي الوقت نفسه، حاول الفيلق 30، الاستيلاء على باقي المواقع، التي تمكنه من التقدم إلى الأرض المكشوفة، خلف قوات المحور، ودار قتال عنيف في سبيل ذلك، وخاصة في قطاع الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية، التي حاولت التقدم في اتجاه الجنوب الغربي، من "تبة المطرية"، ولكن لم تحقق هذه الهجمات جميعها إلاّ نجاحاً محدوداً.

وفي الساعة 1500، جددت الفرقة 51 هجماتها، لتوسيع منطقة رأس الكوبري، خلف الثغرة الشمالية، حتى تتمكن الفرقة الأولى المدرعة من عبور الثغرة. وبعد سلسلة من الهجمات العنيفة، تمكنت الفرقة من تأمين منطقة محدودة في رأس الكوبري، فتقدمت الفرقة الأولى المدرعة بحذر، وقد تمكن اللواء 2 المدرع، من الفرقة من عبور الثغرة، واتخاذ مواقع مناسبة له غرب حقل الألغام في الساعة 1800.

ونفذت الفرقة 15 البانزر الألمانية، عدة هجمات مضادة عاجلة، طوال النهار، ضد البريطانيين في منطقة رأس الكوبري، في القطاع الشمالي، بهدف طردهم منها. إلاّ أن جميع هذه الهجمات صُدت، وباءت بالفشل، بعد أن تكبدت الفرقة خسائر كبيرة، لشدة نيران المدفعية المضادة للدبابات، والهجمات الجوية العنيفة للبريطانيين. وفي المساء لم يبق لدى الفرقة 15 البانزر الألمانية، من دباباتها البالغ مجموعها 119 دبابة سوى 31 فقط.

أما في القطاع الجنوبي، فقد تكبدت القوات البريطانية التي كُلفت بفتح ثغرة في حقل ألغام "فبراير" خسائر فادحة، بعد أن استمرت محاولاتها طوال النهار في فتح الثغرة من دون جدوى حتى حل الظلام، وذلك بسبب شدة نيران قوات المحور.



ونفذ اللواء اليوناني غارة جنوب هضبة "الرويسات"، على مواقع الإيطاليين الموجودة هناك، ونجح في تكبيد تلك القوات بعض الخسائر، ثم عاد ثانية إلى المنطقة التي بدأ منها الهجوم.

3. أعمال قتال ليلة 24/ 25 أكتوبر (أُنظر خريطة أعمال قتال قوات الجانبين)

قام الفيلق 30 البريطاني، بمحاولة جديدة، في القطاع الشمالي ليمكّن القوات المدرعة، من عبور حقول الألغام، فشن هجوماً عنيفاً في الساعة 2200، بمعاونة مدفعية الفيلق (حوالي 300 مدفع)، وعلى الرغم من أن قوات المحور، كانت مستعدة لمواجهة هذا الهجوم، بعد أن أفاقت من تأثير المفاجأة، وفتحت نيران مدفعيتها بشدة على الثغرات، وألقت الطائرات الألمانية حمولات كبيرة من القنابل، إلاّ أن اللواء 24 المدرع من الفرقة 10 المدرعة البريطانية تمكن من عبور الثغرة الجنوبية، وحقق اتصالاً باللواء 2 المدرع، الذي عبر الثغرة الشمالية قبل الغروب.

كما نجح اللواء 9 المدرع أيضاً، في عبور الثغرة الجنوبية، خلف اللواء 24 المدرع، واتخذ المواقع المخصصة له، جنوب غرب الثغرة، وقد شرعت، عقب ذلك، باقي قوات الفرقة 10 المدرعة، في عبور هذه الثغرة، كما شرعت الفرقة الأولى المدرعة أيضاً، في عبور الثغرة الشمالية.

ونجحت الفرقة الأولى المدرعة، في عبور الثغرة الشمالية، واتخذت مواقعها غرب رأس الكوبري. أما الفرقة 10 المدرعة، فقد توقفت، نظراً لأن قوات المحور، نجحت في إغلاق الثغرة الجنوبية بنيران المدفعية، وقد تكدست دبابات الفرقة 10 وعرباتها بشكل خطير، داخل هذه الثغرة.

ونجح مشاة الفيلق 30، في اجتياح مواقع بعض الكتائب، من الفرقة 164 المشاة الألمانية، وكذا بعض الكتائب الإيطالية، إلاّ أنهم لم يتمكنوا من فتح ثغرة كاملة، في دفاعات قوات المحور. وبذلك انتهت عمليات قتال المرحلة الأولى، وأصبح الموقف في القطاع الشمالي، كما يلي:



أ. تمكن المشاة من توسيع قطاع الاختراق، في دفاعات قوات المحور، إلاّ أنهم لم ينجحوا في الوصول إلى عمق تلك المواقع.

ب. نجحت الفرقة الأولى المشاة، واللواء 24 المدرع، (من الفرقة 10 المدرعة)، واللواء 9 المدرع (الموضوع تحت قيادة الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية)، في عبور حقول الألغام، وانتشرت تلك القوات غرب المنطقة التي استولى عليها المشاة (على مسافة 4 كم شمال غرب تبة المطرية) بمواجهة 6 كم، استعداداً لمواجهة أية هجمات مضادة، تقوم بها قوات المحور الاحتياطية المدرعة.

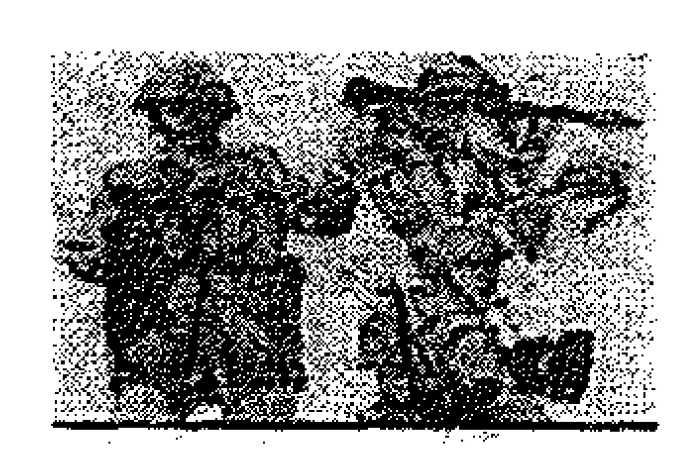
ج. تعطلت باقي قوات الفرقة 10 المدرعة، داخل الثغرة الجنوبية وشرقها، وأصبحت في موقف حرج، بسبب تعرض عدد كبير من دباباتها، وعرباتها، داخل الثغرة، لنيران دفاعات قوات المحور.

د. أما في القطاع الجنوبي، فقد تمكن أحد لواءات الفرقة 44 المشاة، من فتح ثغرة في حقل ألغام "فبراير"، في الساعة0200، وأنشأ رأس كوبري بعمق500 م خلف هذا الحقل، وقد بدأت الفرقة 7 المدرعة، في عبور هذه الثغرة، ونجح فعلاً، اللواء 4 المدرع الخفيف من الفرقة، إلاّ أنه تعرض لنيران شديدة من المدفعية المضادة للدبابات، عندما حاول الفتح في تشكيل قتاله خلف الثغرة، كما تعثر في حقل ألغام مبعثر جديد، فاضطر إلى التوقف، وبالتالي توقفت عملية عبور باقي الفرقة 7 المدرعة، لهذه الثغرة.

ثانياً: المرحلة الثانية من القتال (من 25 أكتوبر إلى أول نوفمبر 1942)

1. أعمال قتال يوم 25 أكتوبر (أُنظر خريطة أعمال قتال قوات الجانبين)

أصدر "مونتجمري" أوامره، للقوات المدرعة، التي عبرت حقول الألغام، بمتابعة التقدم غرباً، لاختراق باقي مواقع المحور الدفاعية، والوصول إلى عمق دفاعاته، وكان يهدف من ذلك، إلى إيجاد الفرصة المناسبة، لكي يدفع اللواء الثاني المدرع (التابع للفرقة الأولى المدرعة)، إلى منطقة سيدي عبدالرحمن، حيث المنطقة الإدارية الأمامية، لقوات المحور، وباستيلائه عليها فإنه يربك نظام إعاشة تلك



القوات إرباكاً شديداً ويشلها، بالإضافة إلى أن الوصول إلى تلك المنطقة، يقطع خط انسحاب قوات المحور الرئيسي، على الطريق الساحلي.

بدأت القوات المدرعة البريطانية التقدم، في ما بين الساعة 0900 والساعة 1000، إلاّ أنها اصطدمت بحقول ألغام جديدة، تغطيها نيران شديدة، من المدافع المضادة للدبابات، علاوة على ذلك، قامت الفرقة 15 البانزر الألمانية (التي تمكنت من إصلاح عدد كبير من دباباتها التي تعطلت في معارك اليوم السابق) بهجمات مضادة محلية، أعقبها هجوم مضاد كبير، بعد الظهر، تجاه منطقة تبة "كيدني"، وقد تمكنت القوات المدرعة البريطانية، من صد جميع هذه الهجمات، إلاّ أنها لم تتمكن من إحراز أي تقدم، في اتجاه الغرب.

أما في القطاع الجنوبي، فقد حاول اللواء 4 المدرع الخفيف، فتح ثغرة جديدة في حقول الألغام، لمتابعة التقدم غرباً، إلاّ أنه خسر في هذه المحاولة 51 دبابة، وأصبح من الواضح أن أي محاولة جديدة للتقدم في ذلك القطاع لن ينتج عنها سوى مضاعفة الخسائر، ولذلك أصدر "مونتجمري" أوامره، بسحب هذا اللواء للخلف مع قيام قوات المشاة بتعزيز مواقعها في منطقة رأس الكوبري.

وفي ذلك اليوم (25 أكتوبر)، عاد "روميل" من ألمانيا، واستلم قيادة جيش البانزر الأول . وأوصى خلال عودته، القيادة العليا الإيطالية، باستخدام كل سفينة متيسرة لهم سواء أكانت تجارية، أم حربية، لنقل الوقود والذخيرة، إلى مسرح عمليات شمال أفريقيا. وعقب وصوله، قدر موقفه، واستقر رأيه على أنه من الضروري القيام بهجوم مضاد عام، بجميع قواته الاحتياطية، ضد المنطقة التي استولى عليها البريطانيون، في القطاع الشمالي من مواقعه الدفاعية، حتى يطردهم منها ويعيد بذلك التوازن إلى خطه الدفاعي. وكان أول ما يتطلبه تنفيذ هذه الخطة، هو حشد جميع قوات المحور الاحتياطية، تجاه المنطقة التي ستقوم بالهجوم عليها، إلاّ أن "روميل" أُصيب بخيبة أمل كبيرة عندما تبين له تعذر تنفيذ ذلك، بسبب قلة الوقود المتوفر لديه، إذ لم يكن لديه وقتئذ سوى ثلاث حمولات خط ثاني، أي ما يكفي لأقل من مسافة 200 كم لكل عربة، ولذلك اكتفي بتعيين الفرقة 15 البانزر، وفرقة "ليتوريو"

المدرعة، وكتيبة واحدة من فرقة "برسجليري"، لتنفيذ هذا الهجوم، الذي قرر أن يبدأ في أول ضوء يوم 26 أكتوبر.

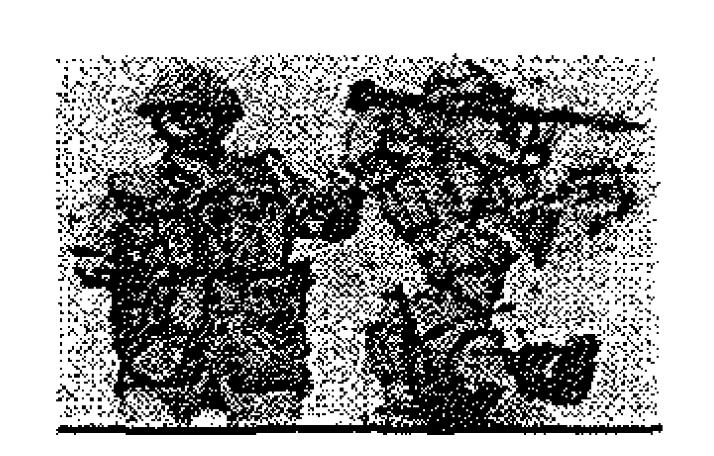
2. أعمال قتال ليلة 25/ 26 أكتوبر (أُنظر خريطة أعمال قتال قوات الجانبين)

نظراً لتعذر عبور باقي الفرقة 10 المدرعة البريطانية للثغرة الجنوبية، في القطاع الشمالي، على الرغم من محاولاتها المتكررة لفتح الثغرة، أصدر "مونتجمري" أوامره بسحبها من منطقة الثغرة إلى الخلف، حيث وضعها في الاحتياط، عدا اللواء 24 المدرع التابع لها، الذي تمكن من عبور هذه الثغرة ليلة 24/ 25 أكتوبر، وأمر بوضعه تحت قيادة الفرقة الأولى المدرعة الموجودة خلف حقول الألغام.

وتابعت فرق المشاة هجماتها، لتوسيع قطاع الاختراق غرباً، بهدف إتمام عملية اختراق مواقع المحور الدفاعية، فقامت الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية، بعدة هجمات ليلية، عند الطرف الغربي لتبة "المطرية"، إلاّ أن قوات المحور صدتها، بعد أن كبدتها خسائر فادحة، مما اضطر "مونتجمري"، إلى إصدار أوامره بسحب اللواء 9 المدرع (الذي كان منتشراً، مع باقي القوات المدرعة البريطانية، غرب المنطقة التي استولى عليها المشاة) وتخصيصه لمعاونة الفرقة الثانية النيوزيلندية في هجماتها خلال اليوم التالي.

وشنت الفرقة 51، خلال الليل، كذلك، عدة عمليات هجومية، نتج عنها بعض التحسين لمراكزها، أما في الشمال، فكانت هناك بعض الهيئات الأرضية المرتفعة، التي تحتلها قوات المحور، وتمتد من نقطة الارتفاع 29 نحو الشرق، وكانت هذه الهيئات تؤثر على الجانب الأيمن للفرقة 9 المشاة الأسترالية، ولذلك قرر قائد الفرقة الاستيلاء على تلك الهيئات المرتفعة، لتأمين الجانب الأيمن للفرقة من جهة، ولتوسيع قطاع الاختراق البريطاني نحو الشمال، من جهة أخرى، وقد تمكنت إحدى الدوريات الأسترالية، من الحصول على خريطة، لجميع المواقع الدفاعية الألمانية في تلك المنطقة.

وفي منتصف الليل، قام أحد اللواءات من الفرقة 9 المشاة الأسترالية، بالهجوم على تلك المواقع ونجح في الاستيلاء على النقطة 29، والأرض الممتدة شرقها،



لمسافة ثلاثة كم، وبذلك نجح الفيلق 30، في توسيع قطاع الاختراق، في اتجاه الشمال، خلال تلك الليلة، بينما تعذر توسيعه في اتجاه الغرب. وقد اضطر "روميل" خلال معارك تلك الليلة، إلى تخصيص عدة وحدات من المشاة الآلية، التابعة للفرقة 15 البانزر، لمعاونة هذه القوات في صد الهجمات البريطانية المتعددة، مما أدى إلى إضعاف قواته الاحتياطية المدرعة، المخصصة لعملية الهجوم المضاد العام، التي تقرر القيام بها في اليوم التالي.

أما في القطاع الجنوبي، فقد قام أحد لواءات الفرقة 50 المشاة، بهجوم خداعي، جنوب غرب منخفض "دير المناصيب"، يعاونه اللواء 4 المدرع بالنيران، وكان الهدف من هذا الهجوم، هو استمرار حالة التهديد البريطاني ضد قوات المحور، في القطاع الجنوبي مستمرة، حتى لا يسحب قواته الاحتياطية من ذلك القطاع، إلى القطاع الشمالي، وقد نجح اللواء الذي قام بالهجوم، في الاستيلاء على الطرف الشرقي للمنخفض، إلاّ أن الهجوم فشل بعد ذلك، بسبب اصطدام قوات المشاة المهاجمة، بكثير من الألغام المضادة للأفراد، والأسلاك الشائكة الكثيفة، في هذه المنطقة. وفي النهاية تمكنت قوات المحور، من طرد القوات المهاجمة، بعد أن كبدتها خسائر كبيرة بنيران مدفعية الهاون.

3. أعمال قتال يوم 26 أكتوبر (أُنظر خريطة أعمال قتال قوات الجانبين)

شن "روميل"، هجومه المضاد العام الكبير، في الصباح المبكر يوم 26 أكتوبر، بالفرقة 15 البانزر، وفرقة "ليتوريو" المدرعة، وكتيبة من فرقة "برسجليري". وقد اشترك في معاونة الهجوم، جميع وحدات المدفعية بالقطاع الشمالي، علاوة على عدد كبير من المدفعية المضادة للطائرات، التي استخدمت في مهام أرضية كمدفعية الميدان. ولكن الهجوم توقف، بعد بدئه بساعات قليلة، بسبب شدة المقاومة البريطانية، ولم تتمكن قوات المحور، من إحراز أي نجاح، وتكبدت خسائر كبيرة في الدبابات.

وعقب ذلك، شنت الفرقة الأولى المدرعة البريطانية، وتحت قيادتها اللواء 24 المدرع، هجوم عنيف في منطقة تبة "كيدني"، بهدف عبور مدق سيدي عبدالرحمن، ولكنها فشلت في إحراز أي تقدم، وحاول بعد ذلك، اللواء 7 الراكب، من الفرقة



الأولى المدرعة، تثبيت أقدامه فوق تبة "كيدني"، من دون جدوى، بسبب هجمات قوات المحور المضادة العنيفة.

أما في منطقة تبة "المطرية"، فقد تمكنت الفرقتان، 2 المشاة النيوزيلندية، والأولى جنوب أفريقيا، من التقدم لمسافة كم واحد، بعد قتال عنيف، تكبدتا خلاله خسائر كبيرة.

وفي ذلك اليوم، أمر "روميل" الفرقة 90 الخفيفة، بترك واجباتها في حراسة الشاطئ، والتحرك إلى منطقة جنوب سيدي عبدالرحمن، لاحتلال مواقع دفاعية هناك، بعد أن تبين له جلياً، أن البريطانيين يحاولون اختراق مواقعه، في اتجاه تلك المنطقة بأي ثمن. كما أمر فرقة "تريستي" الراكبة الإيطالية، بالتحرك إلى منطقة شرق "الضبعة"، حيث توجد قاعدته الإدارية الكبرى، وذلك لحمايتها من أي قوات، قد تنجح في التسلل إلى تلك المنطقة.

وقام سلاح الطيران البريطاني، خلال النهار، بنشاط جوي كبير، فوق مواقع قوات المحور، إذ استمرت هجمات قاذفات القنابل طوال اليوم، مما أثر تأثيراً كبيراً، على الروح المعنوية لقوات المحور، خاصة القوات الإيطالية.

وأصدر "مونتجمري" أوامره في ذلك اليوم، بأن يوقف الفيلق 13، عملياته الهجومية، بالقطاع الجنوبي، بعد أن ظهر له، أنه لا جدوى من استمرارها، سوى زيادة الخسائر، وأن يستعد لإرسال جزء من قواته، لتعزيز قوات القطاع الشمالي.

4. تعديل خطة المحور الدفاعية

قدر "روميل" موقفه، عقب فشل هجومه المضاد، الذي قام به صباح يوم 26 أكتوبر، بعد أن تأكد من أن قواته الاحتياطية بالقطاع الشمالي، لا تكفي للقيام بعمل حاسم ضد القوات البريطانية في ذلك القطاع. وقد وصل في تقدير موقفه إلى النتائج التالية:



أ. ما زال لدى البريطانيين التفوق في المدرعات، رغم الخسائر الكبيرة التي تكبدوها في الدبابات خلال الأيام السابقة، حيث إنهم لم يدفعوا إلى المعركة سوى نصف قواتهم المدرعة فقط.

ب. ما زال التفوق الجوي لدى البريطانيين قائماً وفعالاً، وقد أدت الهجمات الجوية البريطانية المتتالية فوق منطقة القتال، إلى خفض الروح المعنوية لقواته، وخاصة الإيطالية. كما أدت الهجمات الجوية، فوق خط مواصلات قوات المحور البحري، إلى خسارة معظم الإمدادات المرسلة إلى مسرح عمليات شمال أفريقيا، ورغم قيام السلاح الجوي الألماني، بجهود كبيرة، لنقل البترول إلى قوات روميل، إلاّ أن الموقف الإداري لم يكن على ما يرام.

ج. على الرغم من احتفاظ البريطانيين بالتفوق في القوات البرية والجوية، وتوفر المبادأة لدى "مونتجمري"، إلاّ أن القوة الدافعة للهجوم البريطاني قد قلت، بل كادت تتوقف تماماً، في اليومين الأخيرين.

د. تتسم جميع أعمال القيادة البريطانية، وخاصة فيما يتعلق باستخدام المدرعات، بالحذر الشديد، كما تدل نتائج الاشتباكات الأخيرة، على أن القوات المدرعة البريطانية، أقل كثيراً في مستوى القيادة، والتدريب، والخبرة، من قوات البانزر الألمانية.

وخرج "روميل" من تقدير موقفه بخطة، يستطيع بها القضاء على الجزء الأكبر من المدرعات البريطانية، إذا تَيَسَّرَ له سحبها إلى معركة متحركة، مستغلاً في ذلك حذر القيادة البريطانية في استخدام مدرعاتها، وذلك لقلب التوازن لصالح المحور، ولتنفيذ هذه الخطة، كان عليه أن ينفذ الآتي:

أ. تجميع أكبر حشد ممكن، من كافة القوات المدرعة التي لديه، بما في ذلك الموجودة بالقطاع الجنوبي، إضافة إلى تجميع قوات المشاة الآلية المتيسرة له، لدخول المعركة الفاصلة.



ب. عقب إتمام هذا الحشد، تُعطى الفرصة للقوات المدرعة البريطانية لإختراق مواقع المحور الدفاعية، وعندئذ تنسحب القوات المدرعة لقوات المحور عدة أميال للخلف، ثم تقابل المدرعات البريطانية، التي تطاردها في معركة متحركة.

ج. إن حشد أكبر عدد من وحدات المدفعية في مناطق مختارة، يمكن منها معاونة قواته المدرعة بالنيران، هو الذي سيرجح كفة قواته في هذه المعركة. بينما لن يتيسر للبريطانيين، استخدام جانب كبير من مدفعيتهم، نظراً لأن أرض المعركة، ستنتخب خارج مدى المدفعية البريطانية. وكان "روميل" واثقاً من أن القيادة البريطانية التي تعمل بمنتهى الحذر، لن تحرك في هذه الحالة، سوى عدد قليل من وحدات المدفعية للأمام، لمعاونة قواتها المدرعة، وستحتفظ بالجزء الأكبر من المدفعية، في مواقعها الأصلية، خوفاً على المواقع التي تحتلها قوات المشاة.

د. بعد القضاء على الجزء الأكبر من مدرعات البريطانيين، تستطيع قوات المحور بسهولة، القيام بهجوم مضاد عام لطرد البريطانيين، من المواقع التي استولوا عليها.

ونظراً لأن تنفيذ هذه الخطة، يتطلب كميات كبيرة من الوقود، فقد وجد "روميل"، أن الكميات المتيسرة لديه من الوقود، في شمال أفريقيا، لا تكفي إلاّ لتسيير عربات الإعاشة، لمدة ثلاثة أيام، وسد مطالب القوات المدرعة، ليوم أو أثنين على أكثر تقدير. وقد أبرق في الحال، إلى القيادة العليا الإيطالية، لإرسال شحنات عاجلة إليه بالسفن، وبالطائرات، إلاّ أن الغارات الجوية البريطانية الشديدة، على خط مواصلات المحور البحري، أدت إلى إغراق جميع السفن، التي شحنت بالوقود، وقد استطاعت سفينة واحدة الإفلات، إلاّ أنها غرقت عند مدخل ميناء طبرق، في مساء اليوم التالي، وبذلك ضاع على "روميل" آخر أمل، في تنفيذ خطته الجريئة، السابق ذكرها.

لم يجد "روميل" لديه حلاً بعد ذلك، سوى الوقوف في موقف الدفاع، والاقتصار على هجمات مضادة محدودة، بالقوات المتيسرة لديه، ولكنه من ناحية أخرى، وجد أنه من الضروري تعزيز قواته الاحتياطية، في القطاع الشمالي، وكان موقفه حرجاً للغاية، فيما يتعلق باتخاذ قرار في شأن تحريك قواته المدرعة، الموجودة



بالقطاع الجنوبي نحو الشمال، إذ إن كميات الوقود التي لديه، لا تكفي لإعادتها مرة ثانية إلى الجنوب، فيما لو تجدد هجوم البريطانيين هناك، إضافة إلى أن الجزء الأكبر، من قوات المحور الموجودة في الخط الدفاعي، من الإيطاليين الذين لا يستطيع أن يعتمد عليهم في الصمود بمواقعهم، من دون وجود احتياطي كبير. وعلى الرغم من كل هذه الاعتبارات قرر "روميل"، في النهاية تحريك الفرقة 21 البانزر، ولواء من فرقة "آريتي" الاحتياطية المدرعة، ونصف مدفعية الجيش الموجودة بالقطاع الجنوبي، نحو الشمال. وأرسل، في الوقت نفسه برقية، إلى مقر القيادة العليا الألمانية، لإخطارها بأنه سيخسر المعركة، إذا لم تصله إمدادات بصفة عاجلة، كما أرسل برقية أخرى إلى مقر القيادة العليا الإيطالية، لطلب إمدادات سريعة من الوقود والذخيرة.

5. أعمال قتال ليلة 26/ 27 أكتوبر (أُنظر خريطة تطور هجوم الفيلق 30(1))

استمرت القوات البريطانية في محاولاتها، لتوسيع قطاع الاختراق، الذي احتلته بالقطاع الشمالي، وقد نجح اللواء 7 الراكب، في الاستيلاء على تبة "كيدني"، عقب هجوم سريع وعنيف، تكبد فيه خسائر فادحة. هذا، وقد بدأت قوات المحور المدرعة، الموجودة بالقطاع الجنوبي، وكذا نصف وحدات مدفعيته هناك، في التحرك إلى القطاع الشمالي، طبقاً للخطة التي وضعها "روميل"، وقد تمت جميع هذه التحركات قبل الفجر.

6. أعمال قتال يوم 27 أكتوبر

استمرت القوات البريطانية في هجماتها العنيفة، في الصباح المبكر لهذا اليوم، لتوسيع قطاع الاختراق، غرب منطقة تبة "كيدني"، وقد عاونت تلك الهجمات قوات كبيرة من الطيران والمدفعية، إلاّ أن قوات المحور صدتها جميعاً، بعد أن تكبدت القوات المهاجمة خسائر كبيرة. وقد انتهت هذه الهجمات عند الظهر، بالتوقف التام، وفي الوقت نفسه، عجزت القوات المدرعة البريطانية عن إحراز أي تقدم.

وقرر "روميل" القيام بهجوم مضاد قوي، منتهزاً فرصة توقف الهجمات البريطانية، وقد وضع خطة هذا الهجوم على عجل، مستخدماً كل القوات المتيسرة



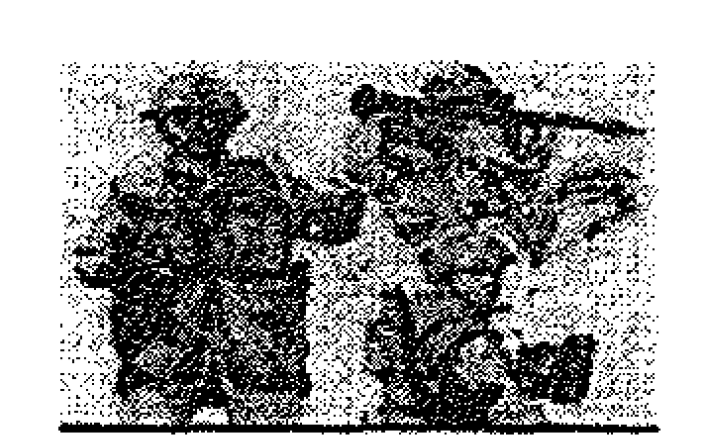
لديه، وهي الفرقة 15 البانزر، والفرقة 21 البانزر، والفرقة 90 المشاة الخفيفة، وفرقة "ليتوريو" الإيطالية المدرعة، ولواء من فرقة "آريتي" المدرعة. وصدرت الأوامر إلى جميع وحدات مدفعية الميدان الموجودة بالقطاع الشمالي، علاوة على تلك التي حضرت في الليلة السابقة من القطاع الجنوبي، بمعاونة الهجوم بالنيران، كما اتخذت الترتيبات لقيام جميع القاذفات المقاتلة المتيسرة لدى المحور بالتمهيد للهجوم.

بدأ الهجوم في الساعة 1500، واستمرت القاذفات المقاتلة الألمانية، تهاجم مواقع القوات البريطانية، في منطقة تبة "كيدني" بقوة وعنف، ثم تقدمت دبابات فرق البانزر، ومن خلفها مشاة الفرقة 90 الخفيفة، ولكنها قوبلت بنيران شديدة، من الدبابات البريطانية، المنتشرة غرب منطقة قطاع الاختراق البريطاني، والمتخذة أوضاعها في مرابض نيران مخندقة، إضافة إلى نيران المدافع من عيار 6 رطل المضادة للدبابات، ولذلك نجحت في إصابة عدد كبير من دبابات المحور التي كررت محاولاتها، لاختراق ستارة النيران المضادة للدبابات دون جدوى، وقد انتهى هجوم قوات المحور بالفشل، بعد أن خسر "روميل" عدداً كبيراً من دباباته.

حاول "روميل" متابعة الهجوم، بقوات المشاة فقط، بعد أن تأكد من عدم مقدرة الدبابات، على التقدم أمام ستارة نيران المدفعية المضادة للدبابات، لذا أمر "روميل" الفرقة 90 الخفيفة، بمتابعة الهجوم بمفردها ضد النقطة 29، في قطاع الفرقة 9 المشاة الأسترالية، ولكنها فشلت بدورها، بسبب نيران المدفعية والطيران، وبذلك توقف هجوم "روميل"، من دون إحراز أي نجاح. وكان من أسباب الفشل الرئيسية لهجومه، عدم توفر الوقت المناسب لقادة الوحدات للاستطلاع، قبل البدء في الهجوم، علاوة على أن سلاح الطيران البريطاني، أصاب القوات المهاجمة، بخسائر فادحة بسبب هجماتها العنيفة المتتالية، على مناطق حشد تلك القوات، ومحلات تشكيلها.

وتأكد لدى "روميل" بعد هذا الفشل، إنه لا أمل له في الصمود بمنطقة العلمين، إلاّ إذا وصلت إليه إمدادات كبيرة، ولذلك أبرق مرة أخرى، إلى القيادة العليا الألمانية لنجدته.

7. تعديل خطة الهجوم البريطاني



شعر "مونتجمري" صباح يوم 27 أكتوبر، بأن قوته الدافعة للهجوم، تكاد تتوقف تماماً، فقد تكبدت كل من الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية، والفرقة الأولى جنوب أفريقيا، خسائر فادحة جداً، من دون أن تحرز تقدماً كبيراً، في منطقة تبة "المطرية"، على الرغم من القتال العنيف الذي دار هناك، منذ يوم 24 أكتوبر، إضافة إلى أن قواته المدرعة، عجزت تماماً عن اختراق المواقع الدفاعية لقوات المحور، في اتجاه مدق سيدي عبدالرحمن، وقد أصبح من الواضح، أنه لا زالت هناك بعض حقول الألغام، أمام قوات الجيش الثامن، كما أن هناك بعض المواقع الدفاعية القوية لقوات المحور أمام مواجهة الهجوم البريطاني، ولهذا فشلت جميع المحاولات البريطانية، لاختراق مواقع المحور الدفاعية.

ويرجع هذا الفشل أساساً، إلى أن "روميل" احتل مواقعه الدفاعية الأمامية بقوات قليلة، كما سبق القول، بينما سحب معظم القوات إلى المواقع الدفاعية في الخلف، وقد تم هذا العمل بمهارة، وتكتم شديدين، ولذلك وجدت قوات الجيش الثامن نفسها، بعد انتهاء عملية الاختراق الذي قامت به ليلتي 23/ 24، 24/ 25 أكتوبر، أنها لا زالت تواجه دفاعات المحور الرئيسية، بدلاً من أن تجد نفسها خلف تلك الدفاعات، وهذا يفسر قلة عدد الأسرى الذين سقطوا في يد البريطانيين خلال عملية الاختراق، إذ لم يزد عدد الأسرى على 1400 جندي. وقد نتج عن هذا الموقف، أن انحصرت القوات البريطانية المدرعة، التي أمكنها عبور الثغرات في مناطق ضيقة، لا تسمح لها بالمناورة، وبدلاً من أن تجد نفسها في الأرض المكشوفة، خلف دفاعات المحور، وجدت نفسها أمام العديد من ستائر نيران المدفعية المضادة للدبابات، ولذلك عجزت عن إحراز أي تقدم، في اتجاه الغرب، على الرغم من المحاولات المتكررة التي قامت بها.

وعلى الرغم من أن "مونتجمري"، كان يمتلك حتى ذلك الحين (يوم 27 أكتوبر) حوالي 800 دبابة، علاوة على أن موقف إمداد وتموين قواته بالذخيرة، كان على أكمل وجه، إلاّ أن فقد قوته الدافعة للهجوم، جعله يقرر أهمية القيام بعمل حاسم وسريع، لإنقاذ الموقف، ولهذا قرر ترك خطته الأولى للهجوم جانباً، وهي الخطة



الخاصة بالاختراق في منطقة تبة "المطرية"، ثم الاتجاه بالهجوم جنوباً، وصمم على تعديل اتجاه الهجوم، بحيث يصبح إلى الشمال (وقد شجعه على ذلك، نجاح الفرقة 9 المشاة الأسترالية، في هجومها على النقطة 29 ليلة 25/ 26 أكتوبر)، على أن يحشد في الوقت نفسه، قوة ضاربة، للقيام بعملية الاختراق النهائي لدفاعات المحور، مستغلاً نجاح الأستراليين في أقصى الشمال. وكانت العقبة الوحيدة التي تعترض هذه الخطة الجديدة، هي أن مواقع المحور، تزداد قوة نحو الشمال، علاوة على أنها محتلة بأكملها، بجنود ألمان فقط.

وعقد "مونتجمري" مؤتمراً، في الساعة 1400 يوم 27 أكتوبر، بمركز قيادة الجيش الثامن المتقدم، حيث شرح خطته الجديدة التي تتلخص في الآتي:

أ. سحب الفيلق 10 المدرع بأكمله، والفرقة 2 المشاة النيوزيلندية، (ومعها اللواء 9 المدرع) من منطقة قطاع الاختراق البريطاني، إلي الخلف للعمل في الاحتياط.

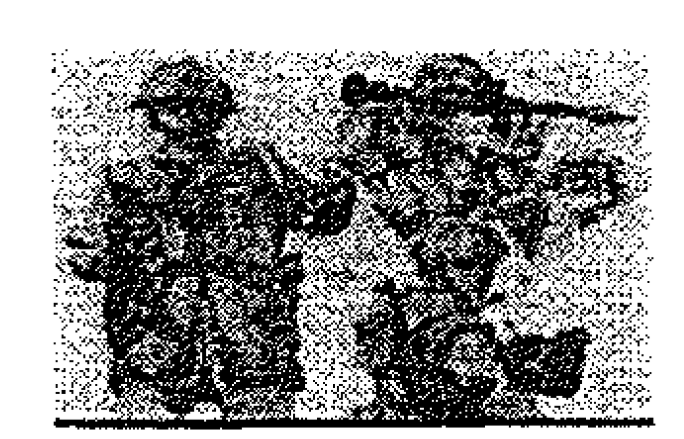
ب. تحريك كل من: الفرقة 7 المدرعة، ولواء مشاة من كل من الفرقتين (44، 50)، واللواء اليوناني، من القطاع الجنوبي، إلى القطاع الشمالي للانضمام إلى القوة الضاربة، وساعده على ذلك، زوال الخطر عن القطاع الجنوبي، بعد أن سحب "روميل" في الليلة السابقة، أغلب قواته الاحتياطية من هناك.

ج. إحلال الفرقة الأولى جنوب أفريقيا، محل الفرقة 2 المشاة النيوزيلندية، مع تعديل مواجهة الفرقة 4 الهندية، لتشمل المواقع التي ستخليها الفرقة الأولى جنوب أفريقيا.

د. وضع الفرقة 4 الهندية، تحت قيادة الفيلق 13، الذي تمتد مواجهته بذلك حتى تبة "المطرية".

هـ. إحلال اللواء الأيمن من الفرقة 51، محل اللواء الأيسر للفرقة 9 المشاة الأسترالية، حتى تتفرغ الفرقة 9، بكل قوتها، لمواصلة الهجوم شمالاً.

و. مد مواجهة كل من: الفرقتين (44، 50)، بالقطاع الجنوبي، بحيث تغطيان كافة القطاعات التي ستخليها القوات التي ستتحرك إلى الشمال.



8. أعمال قتال ليلة 27/ 28 أكتوبر (أُنظر خريطة أعمال قتال قوات الجانبين)

في هذه الليلة، بدأت عملية إعادة تنظيم القوات البريطانية، حيث تم سحب الفيلق 10 المدرع بأكمله، والفرقة 2 المشاة النيوزيلندية، واللواء 9 المدرع، إلى الخلف في الاحتياط، استعداداً لعملية الاختراق النهائي. كما تحركت الفرقة 7 المدرعة، ولواءات المشاة المعينة من القطاع الجنوبي، للانضمام إلى القوة الضاربة، وقد وصلت جميع هذه القوات إلى مناطق التجمع المحددة لها، خلف القطاع الشمالي، قبل أول ضوء يوم 28 أكتوبر. كما عدلت مواجهات الفرق الباقية في خط بدء الهجوم، طبقاً للخطة الموضوعة.

ونفذ سلاح الطيران البريطاني، في تلك الليلة، هجمات شديدة، ضد سفن المحور، ونجح في إغراق سفينتين محملتين بالدبابات، وسفينة بترول.

9. أعمال قتال يوم 28 أكتوبر (أُنظر خريطة أعمال قتال قوات الجانبين) و(خريطة تطور هجوم الفيلق 30(2))

استمرت عملية إعادة تجميع القوات البريطانية، المخصصة لتطوير الهجوم المنتظر، بينما قامت قوات النسق الأول (الأمامية)، بثلاث هجمات ثانوية، لإشغال قوات المحور. وقد صُدت جميع هذه الهجمات بسهولة.

وبعد أن اكتشف "روميل"، استعدادات البريطانيين في القطاع الشمالي، وأمكن لطائرات استطلاعه، أن تحدد طرق تحرك القوات المدرعة، والقوة الضاربة التي يجهزها "مونتجمري"، للقيام بالاختراق النهائي، واكتشافه لتحرك الفرقة 7 المدرعة نحو الشمال، أمر الجزء الأكبر من قواته الاحتياطية، الموجودة بالقطاع الجنوبي، وكذا معظم وحدات المشاة الألمانية المحتلة للخط الدفاعي في هذا القطاع، ومعظم الأسلحة الثقيلة، بالتحرك إلى القطاع الشمالي، لاحتلال مناطق دفاعية، تجاه مناطق حشد القوة الضاربة البريطانية، لزيادة عمق المواقع الدفاعية الرئيسية، حتى يتمكن بذلك من صد الاختراق. وقد أدى هذا، إلى استنزاف معظم قواته، وبذلك لم يحتفظ إلاّ باحتياطي ضئيل، واكتفي بإعادة لواء من فرقة "آريتي" المدرعة، (التي شاركت في

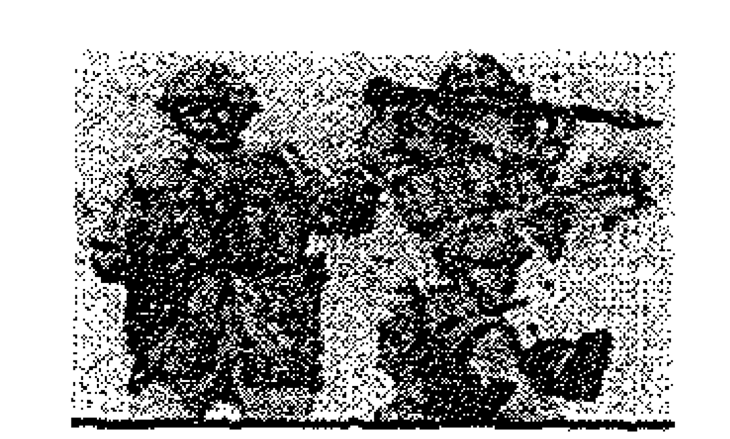
الهجوم المضاد في اليوم السابق، وتكبدت فيه خسائر جسيمة) إلى القطاع الجنوبي، لمعاونة المواقع الدفاعية هناك، بهجمات مضادة محلية محدودة، إذا ما تطلّب الأمر ذلك.

وشن سلاح الطيران البريطاني، خلال نهار 28 أكتوبر، هجمات عنيفة، ضد مناطق حشد قوات المحور الاحتياطية، فكبدها بعض الخسائر ، كما استمرت الهجمات الجوية، ضد القوافل البحرية، التي ازداد نشاطها لإمداد "روميل"، بما يحتاج إليه من احتياجات عاجلة، وقد أُصيبت هذه القوافل بخسائر جسيمة، إلاّ أن القيادة الإيطالية، استخدمت عدداً من المدمرات والطرادات، لنقل البترول والذخيرة، وقد تمكنت هذه السفن، من الوصول سالمة لموانئ شمال أفريقيا، بفضل تسليحها القوي بالمدافع المضادة للطائرات، وعلى الرغم من ذلك، فإن الموقف الإداري لم يتحسن لدى قوات "روميل"، إذ أن قوافل المحور البحرية، اقتصرت على تفريغ جزء بسيط من حمولتها، في ميناء طبرق، والجزء الأكبر من تلك الحمولات، في ميناء بني غازي، لتكون خارج مدى الطائرات البريطانية، التي تعمل من الإسكندرية. وكان من الضروري الانتظار عدة أيام أخرى، ريثما يتم نقل هذه الاحتياجات، بالطرق البرية، إلى المنطقة الأمامية.

10. أعمال قتال ليلة 28 / 29 أكتوبر (أُنظر خريطة تطور هجوم الفيلق 30(2))

كانت الخطة البريطانية للاختراق النهائي، تنص على قيام الفرقة 9 المشاة الأسترالية، بهجوم في اتجاه الشمال بغرض القضاء على النتوء الألماني الموجود هناك، ثم الاندفاع غرباً، حتى مدق سيدي عبدالرحمن، فاتحة بذلك الطريق أمام القوات المدرعة، التي تخترق مواقع المحور الدفاعية، وتنطلق إلى العمق لقطع خطوط مواصلاته.

وفي الساعة 2000، بدء هجوم الفرقة 9 المشاة الأسترالية، بمواجهة لواءين في اتجاه الشمال، بعد أن مهدت له جميع وحدات مدفعية الفيلق 30. ونجح اللواء الأيسر، في اختراق مواقع المحور الدفاعية، بعد قتال دام ست ساعات، ووصل إلى قرب الطريق الساحلي، بين "تل العيصي" وسيدي عبدالرحمن، مطوقاً بذلك آلاي



مشاة من الفرقة 164 المشاة الألمانية، وكتيبة مشاة إيطالية من فرقة "برسجليري". أما اللواء الأيمن، فقد توقف أمام مقاومة ألمانية عنيفة، عند نقطة أُطلق عليها "تومبسون"، وتقع فيما بين "تل العيصي" والطريق الساحلي.

وقد انتهت المعركة بهزيمة الألمان بقيادة ثعلب الصحراء أدوين روميل.

اغتيال روميل :

المارشال إيرفين رومل أحد أعظم القادة العسكريين الذين برزوا خلال القرن العشرين في الحرب العالمية الثانية. كان يلقب بـ{ثعلب الصحراء» لبراعته في فنون القتال الحديث بالدبابات، ودقة خططه العسكرية وسرعة حركته التي قل نظيرها، ومفاجأته الخصم كالصاعقة. كان قائداً عسكرياً لامعاً خلال معارك الحرب العالمية الثانية في شمال إفريقيا والعلمين.

طريقة اغتيال رومل غريبة وفريدة من نوعها، حتى أن قوائم الاغتيالات الشهيرة تخلو من اسمه، على أساس أنه انتحر، وتلك مغالطة تاريخية تشمل تزييفاً لوقائع التاريخ، وكسراً لعنق الحقيقة، إذ كانت مأساة نهايته بمثابة دراما غير مسبوقة في التاريخ.

ولد إيرفين رومل في 15 نوفمبر (تشرين الثاني) من عام 1891 في مدينة هايدنهايم، وسط أربعة أشقاء. كان والده يعمل مدرساً في إحدى المدارس الثانوية. شغف رومل بصناعة المناطيد والهندسة وأراد أن يحقق نفسه وطموحه في هذا المجال، لكن والده عارض ذلك، ما جعله يغير مساره ويتجه إلى المجال العسكري الذي دخله في عام 1910، وحصل على رتبة ملازم في الجيش الإمبراطوري الألماني وهو في الخامسة والعشرين، ودرّب المجندين في سلاح المشاة في إحدى البلدات الصغيرة جنوب ألمانيا.



شارك رومل في الحرب العالمية الأولى في عام 1914، وحصل على وسام الصليب الحديدي في عام 1915، وعقب انتهاء الحرب ووقوع الهزيمة تم توقيع معاهدة «فرساي» التي حددت عدد الجيش الألماني بمئة ألف رجل.

ظل في المجال العسكري، لكن في مجال التدريس، وفي عام 1920 أصبح محاضراً في مدرسة تدريب المشاة، ثم رقي ليصبح محاضراً في علم الحروب التكتيكي في المدرسة الحربية.

صعد هتلر إلى الحكم في يناير (كانون الثاني) عام 1933، وعرف رومل بإخلاصه الشديد له، وفي عام 1938 وهو برتبة عقيد كان أحد المسؤولين عن حرسه الخاص، وقد أثار إعجابه فأصدر أوامره بتعيينه على قيادة الجيش في كل من النمسا وتشيكوسلوفكيا عام 1939، وفي عام 1940 حقق رومل إنجازاً عسكرياً آخر عندما تمكن من اجتياح فرنسا، وأحرزت القوات الألمانية انتصارات كثيرة على الساحة الأوروبية، خلال معارك الحرب العالمية الثانية في أوروبا.

في العلمين

رأى هتلر في رومل القائد المناسب لإرساله إلى شمال إفريقيا لمساعدة حلفائه الإيطاليين في حماية مستعمرتهم الليبية ضد الهجمات البريطانية، فعينه في فبراير (شباط) عام 1941 قائداً أعلى للجيش الألماني في شمال إفريقيا، فانتقل من فرنسا ليبدأ مهمة جديدة في الصحراء الإفريقية، وكانت مهمته إيقاف التقدم البريطاني.

خاض رومل في شمال إفريقيا عدداً من المعارك الناجحة التي ظهرت فيها براعته كقائد ومناور عسكري، وهذا ما منحه لقبه الأشهر «ثعلب الصحراء»... تمكن من استرداد ليبيا من بين أنياب البريطانيين، واستسلمت القوات البريطانية في طبرق



في ليبيا ووقع حوالي 30 ألف جندي بريطاني في الأسر، وأتاح هذا النصر لرومل فرصة التقدم بقواته والزحف وراء البريطانيين إلى مصر التي كانت مركزاً للوجود البريطاني في المنطقة، وتقديراً لانتصاراته الباهرة منحه هتلر لقب مارشال في 22 يونيو (حزيران) عام 1942، ليصبح أصغر ضابط ألماني يحصل على هذه الرتبة.

استمر تقدم رومل في اتجاه مصر مكبداً الجانب البريطاني خسائر كبيرة، حتى وصل إلى مرسى مطروح ولم يبق على الوصول إلى الإسكندرية سوى 150 كيلومتراً بعد انسحاب البريطانيين، وكان من الواضح أنه لم يبق الكثير أمام رومل وجنوده للوصول إلى العاصمة المصرية القاهرة، فتوقف على أبواب العلمين، وانتظر الإمدادات لمتابعة طريقه نحو القاهرة وقناة السويس، لكن هتلر آنذاك كان فتح الجبهة الروسية وكرّس إمكاناته لها، فحرم رومل من التعزيزات المطلوبة.

جاءت معركة العلمين لتشهد تغيراً جوهرياً في خط سير الحرب، فعقب سقوط طبرق أعلنت أميركا عن مشاركتها في الحرب فأرسلت إمداداتها إلى القوات البريطانية في شمال إفريقيا، وغيرها من إمدادات قوات الحلفاء، فأصبح التفاوت كبيراً بين القوات الألمانية والبريطانية، إذ حصلت الأخيرة على إمدادات كثيرة، وسيطر الحلفاء على الحرب جواً وبراً، إضافة إلى تمكنهم من اختراق الشفرات الألمانية وكشف خططهم، وانقلبت الحال بالنسبة إلى الجانب الألماني ولم يتمكن رومل من صد الهجوم البريطاني وبدأ التراجع، وعلى رغم ذلك كان هتلر مصراً على التوسع وإتمام الحرب حتى آخر جندي، دافعاً برومل إلى الاستمرار، وتوالت المواجهات العنيفة بين الأخير ومونتغمري قائد الجيش الثامن البريطاني، الذي كان مجهزاً بأحدث الأسلحة، فضلاً عن تفوقه بعدد الجنود، فقد استطاعت القوات البريطانية الحصول على إمدادات هائلة قبل معركة العلمين فيما كانت القوات الألمانية تفتقد حتى إلى الكميات الكافية من الوقود اللازم لتسيير المركبات والمدرعات، ما قيّد حرية رومل في ممارسة هوايته

المفضلة وهي المناورات السريعة والمفاجئة، فكانت النتيجة هزيمة الألمان في معركة العلمين، لتتخذ معارك شمال إفريقيا اتجاهاً معاكساً.

توالت هزائم الألمان واضطروا إلى التراجع إلى ليبيا، لكن القوات البريطانية واصلت الضغط على قوات رومل، فتراجع إلى الصحراء التونسية حيث اشتبك في معركة مع قوات الحلفاء في منطقة ميدنين التونسية، انتهت بهزيمته أيضاً، فأمر هتلر بإعادته إلى ألمانيا، خصوصاً بعدما ترددت أنباء عن انتقادات رومل لقيادة هتلر.

محاولة اغتيال الفوهرر

في 20 يوليو (تموز) عام 1944 كان هتلر، القائد المطلق الصلاحية للرايخ الثالث الألماني، يرأس اجتماعاً عسكرياً في إحدى القاعات المحصنة جيداً في مقر القيادة العامة في رستنبرغ، وتغيب عن الاجتماع اثنان من كبار قادته، وبدأ الاجتماع قبل موعده بساعة كي يلحق هتلر بموعده مع موسوليني بعد ظهر ذلك اليوم.

أثناء الاجتماع توارى خلسة الكولونيل كلاز فون ستفنبرغ تاركاً حقيبة يده أسفل طاولة الاجتماع، وبعد مضي خمس دقائق على مغادرته المكان، وحينما كانت عقارب الساعة تشير إلى الدقيقة 42 بعد الساعة 12 ظهراً، انفجرت عبوة ناسفة كانت داخل الحقيبة أدت إلى تحطيم المقاعد وزجاج النوافذ، وطارت أشلاء بعض الجثث، وامتلأت القاعة بدخان كثيف، ومن بين القتلى والجرحى انتصب هتلر واقفاً وثيابه ممزقة ووجهه أسود، لكنه كان سليماً معافى! إلا من بعض الجروح البسيطة.

في السادسة مساءً، بثت الإذاعة الألمانية خبر محاولة اغتيال الفوهرر، وطمأنت الشعب على صحته معلنة فشل المحاولة.



كان رومل يستقل سيارة مرسيدس مكشوفة في طريقه إلى نورماندي للمرور على قادة الفرق المرابضة بها، وكان ميزان القوى بدأ يميل ناحية الحلفاء، فكانت طائراتهم تسيطر على الأجواء الألمانية وتمطر المدن بالقنابل المدمرة بما في ذلك الطرقات والجسور والحقول والمزارع.

كان الطيران الإنكليزي يحلق من دون انقطاع في سماء المنطقة، وكانت سيارة رومل ترفع على مقدمتها راية الجيش الألماني فكانت هدفاً ثميناً، إذ كانت طائرتان إنكليزيتان تحلقان فوق السيارة على ارتفاع حوالي 30 متراً فقط، وأطلقوا النار عليها، فأصيب رومل بإصابات بالغة.

كان رومل في غرفته في المستشفى في شبه غيبوبة تحيط برأسه وأطرافه الضمادات والأربطة، حتى عينيه كانتا معصوبتين، وعلم وهو في هذه الحالة بخبر محاولة اغتيال هتلر الفاشلة.

رومل في الفخ

كان رومل كتب بنفسه تقريراً بتاريخ 17 يوليو (تموز) قبل ذهابه إلى جبهة نورماندي، تضمن تحليلاً صريحاً وواضحاً لوضع القوات الألمانية المنخرطة في قتال مرير وميؤوس منه على الجبهة الغربية، ومما جاء فيه:

«الحلفاء سيحتلون لا محالة جبهة نورماندي خلال الأيام القليلة المقبلة، وليست للرايخ الثالث الإمكانات اللازمة لإيقاف زحف جيوش العدو ومنع



انتشارها على نهر الراين واحتلالها الأراضي الألمانية، فقواتنا تتراجع على جبهة المانش وعلى الجبهة الروسية»... وأنهى رومل تقريره بهذه الجملة: «لقد خسرنا الحرب».

في أسفل التقرير المطبوع على الآلة الكاتبة، أضاف رومل بخط يده عبارة كانت سبب إدانته الرئيس: {من الضروري فوراً اتخاذ القرار المناسب نتيجة هذا الوضع، إن واجبي كعسكري يدعونني إلى مصارحتك وإلى قول الحقيقة...».

بعد محاولة اغتيال هتلر، كان من بين المتهمين بالمشاركة في المؤامرة الجنرال اسبيدل، ولما قبض عليه اعترف لدى استجوابه بأن رومل بعد انتهائه من وضع تقريره، قال له: «هذه هي فرصته الأخيرة (يقصد هتلر) وإذا لم يعمل بنصيحتي فعلينا يا اسبيدل التصرّف لإنقاذ ألمانيا»... وصلت المعلومات إلى الفوهرر فأسرها في نفسه ولم يغفر لرومل، فقد رأى فيه قائداً ثائراً يشكل خطراً عليه، ويجب إزالته من الوجود.

بعد محاولة اغتيال هتلر وقبل أن تذيعها الإذاعة على الملأ، كان جهاز الغستابو قد ألقي القبض على الآلاف من الألمان ممن يظن أن لهم يداً في العملية، وشمل ذلك عدداً من القادة العسكريين، ورجال السياسة، وتم إيداعهم السجون، وأعدم الكثير منهم بلا محاكمة في غضون ساعات، فمنهم من لقي حتفه خنقاً، أو شنقاً، أو ذبحاً، أو بالغاز، أو بالرصاص، وبمختلف طرق الموت والتعذيب.

أعدمت أجهزة هتلر المئات ممن اشتبه في تورطهم في المؤامرة، لكن واحداً له أهمية كبرى كان ما زال حياً في أحد سجون برلين يقاسي أشد أنواع التعذيب، إنه العقيد كلاز فون ستيفنبرغ الذي وضع العبوة الناسفة في الاجتماع، وتحت ضغوط رجال الغستابو التي لا توصف اعترف ستيفنبرغ بما نسب إليه، وأدلى بأسماء عدد من الشخصيات ممن ساهموا في المؤامرة، وورد في عداد تلك الأسماء اسم شهير لم ينسه هتلر أبداً.. ورومل.

استمرت الحرب بضراوة، وفي أكتوبر (تشرين الأول) من عام 1944، وضمن إحدى الخزائن المصفحة داخل مقر قيادة الفوهرر، كان هتلر يحتفظ بين الوثائق السرية بملف قديم من أجل صفحة واحدة فيه كانت تدين رومل، إنه محضر استجواب العقيد كلاز فون ستيفنبرغ، الذي أشار فيه إلى اسم رومل كأحد المشاركين في مؤامرة اغتيال هتلر.

في 7 أكتوبر (تشرين الأول) عام 1944 كان رومل في منزله الريفي حينما وصلته برقية من مكتب الفوهرر تطلب منه التوجه إلى برلين، فقرر عدم الذهاب، وقال لزوجته لوسي ماريا: «لست معتوهاً كي أقع في الفخ الذي نصبه لي هتلر، فإن كان يريد رأسي فليأتي ويأخذه هنا»، وسمع مساعده النقيب ألدنجر ما قاله لزوجته فتدخل معهما في الحديث قائلاً: «اسمح لي يا سيدي المارشال أن أغالطك في الرأي، فأنت تتمتع بشعبية كبرى، فلا يجرؤ أحد على التعرض لك، وأي مساس بك قد يثير ضجة كبرى في الأوساط العسكرية والسياسية والاجتماعية»... لكن رومل قال لمساعده: «أنت على خطأ يا ألدنجر، فهذا المجنون والمهووس لا يتراجع أمام أي شيء، وما يهمه هو الانتقام من الذين لفتوا انتباهه إلى الواقع المرير الذي نحن فيه، وممن عملوا على إنقاذ ألمانيا من الفوضى والاندحار».

ويبدو أن ما دعاه إلى هذا القول ما آل إليه رئيس أركانه الجنرال هانس سبيدل الذي ألقي القبض عليه ثم أُعدم في أوائل سبتمبر (أيلول) عام 1944، وهتلر لن ينسى التقرير الذي كتبه رومل وأعلن فيه أن النازيين يقودون ألمانيا إلى الخراب.

وبعد وقت قصير قال رومل لمساعده: «اتصل لي ببرلين، فأنا أريد أن أشاطرك الرأي، وأن أكون ولو لفترة وجيزة حسن النية».



اتصل المساعد بالقيادة العامة في برلين، وبعد لحظات جاءه صوت الجنرال ويلهلم بورجدورف رئيس جهاز الأفراد في الجيش الألماني، وهو معروف بطبعه الفظ، قال لرومل إن الفيلد ماريشال كايتل (رئيس الأركان ومستشار هتلر) تلقى أمراً من الفوهرر ليتناقش معك بشأن تعيينك في الجبهة التي ترغب في قيادتها وحدد لك موعداً في العاشر من الشهر الجاري، فردّ رومل مذكراً محدثه بأنه لا يزال معفياً من كل عمل عسكري ولمدة أشهر، وأن أطباءه منعوه من السفر والحركة لخطورة ذلك على صحته.

وأمام إصرار محدثه على الحضور إلى برلين أجاب رومل: «نقاهتي لن تنتهي قريباً، وسأخضع لفحوص طبية جديدة في الأسبوع المقبل».

قطع ويلهلم بورجدروف الاتصال الهاتفي مع رومل بعد هذه الجملة، لكن الأخير بقي بعدها، حسبما صرح ألدنجر لاحقاً، قلقاً ومضطرب الأعصاب، ومنزعج الخاطر، وراح يقطع الغرفة ذهاباً وإياباً متسائلاً عن القيادة التي سيسندها إليه هتلر... إنها من دون شك الجبهة الشرقية، ودار حديث قصير بينه ومساعده بشأن أهمية الجبهة الشرقية التي يقف عليها الجيش الروسي ومدى خطورتها.

فيما كانت أفكار رومل تتجه نحو الجبهة الشرقية وتنشر خطورتها على أوروبا كلها، كان في مقر القيادة العامة ثلاثة أشخاص يرأسهم بوجدروف يخططون لتنفيذ ما انتواه هتلر بشأن القضاء على رومل من دون إثارة ضجة.

محاصرة منزل المارشال

بعد مكالمة رومل مع بورجدروف مرت أربعة أيام هادئة لا تحمل جديداً بالنسبة إليه، حتى جاء صباح الخميس 12 أكتوبر 1944، إذ طرق باب بيته زائر



صديق هو الأدميرال فريدريش الذي كان معاونه البحري في جبهة فرنسا، وخلال حديثهما قال رومل: «هتلر ذلك الرجل المعجون بالكذب قد أصبح مجنوناً... يريد التخلص مني وسيعمل جهده لتحقيق ذلك، لكنني لن أمكنه»، فكان رد صديقه بطريقة أقرب إلى السخرية: «هذا إذا كان بإمكانك الإفلات منه... وإذا كانت ثمة فرصة لمشاهدته وهو ما زال حياً».

في مساء اليوم نفسه تلقى رومل برقية من ثلاث كلمات تقول: «بورجدروف آت لعندكم».

في صباح اليوم التالي (13 أكتوبر) بينما رومل يصطحب ابنه الوحيد منفريد ويتمشيان في حديقة المنزل، كان رجال الأمن من جهاز الغستابو يترجلون من شاحنات عسكرية ويحاصرون منزل رومل، حيث وزعت قوات على مداخل البلدة كافة، وتمركزت على مفارق الطرقات المهمة، وسدّت المنافذ لإجهاض أي محاولة للهروب أو المقاومة.

في حوالي الساعة الحادية عشرة صعد رومل إلى غرفته في الطابق الأول، وعاد بعد قليل إلى مكتبه مرتدياً بزة الميدان العسكرية التي كان يرتديها في حرب إفريقيا، ولم يندهش منفريد من لباسه غير المألوف، لكنه أيقن أن والده في انتظار ضيف مهم، وفي هذه الأثناء كان ألدنجر يحمل ملفاً ويلحق برئيسه في غرفة المكتب واختليا ببعضهما بعض الوقت.

عندما دقت الساعة الثانية عشرة، كانت سيارة مكشوفة خضراء اللون يقودها أحد رجال الغستابو، تتوقف أمام مدخل منزل رومل الرئيس، وفوراً ترجّل منها جنرالان ثم دخلا المنزل مسرعين، ومن خلف زجاج إحدى النوافذ كان ألدنجر

يراقب القادمين، فعرفهما، لقد كانا الجنرال بورجدروف ومعاونه الجنرال إرنست مازيل.

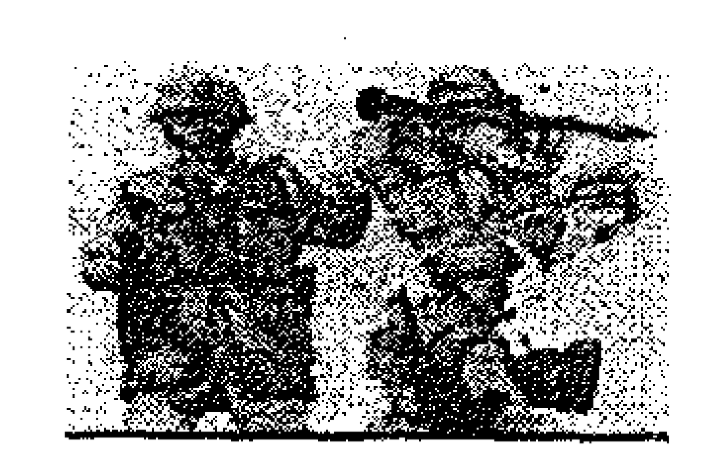
دخل الجنرالان قاعة الاستقبال وكان فيها رومل وزوجته وابنه، وفوراً طلبا الاختلاء برومل.

مرت ساعة كاملة على تلك الخلوة، ثم انفتح باب قاعة الاستقبال، حيث خرج رومل وصعد السلم وتوقف أمام زوجته التي كانت مذعورة من ملامح وجهه الشاحبة، ووقف أمامها كالصنم وهو يقول: «بعد ربع ساعة سأكون في عالم الأموات»... صرخت زوجته وانفجرت في البكاء، وفي تلك اللحظة حضر منفريد وسمع والده يقول لأمه: «لقد خيروني بين السم أو العار... يريدونني أن انتحر»، ثم التفت نحو ابنه وقال له: «يا منفريد يا ابني الحبيب، لمصلحتك ولمصلحة والدتك أريد ذلك... وبصفتي جندياً يتمسك بمبادئ الشرف ليس أمامي أي مخرج آخر غير الموت».

سمع منفريد ما تفوه به والده، فدارت الدنيا به، ورأى الحياة كالسراب أو كحلم يتبخر مع طلوع الفجر، ولاشعورياً أخذت مخيلته تسجل كل واقعة وكل حركة وكل كلمة.

الموت أو الموت!

في الطابق السفلي، كان الجنرالان، «رسولا الموت»، يجوبان القاعة بخطاهما ذهاباً وإياباً، وهما في حالة قلق ينظران تارة إلى ساعتهما، وتارة إلى الطابق العلوي منتظرين بفارغ الصبر عودة رومل الذي كان طلب 10 دقائق فقط لتوديع زوجته وابنه.



كان الجنرالان خلال ساعة اختلائهما بروميل واجهاه بقرار الفوهرر بالتخلص منه، على أساس أنه متآمر عليه، وخيراه بين الانتحار وحفظ تاريخه العسكري، أو أن المحاكمة ستحكم عليه بالإعدام ويضيع تاريخه كله، فقبل روميل بالحل الأول، وعندها تقدم بوجدروف نحو روميل وقال له: «كلفني الجنرال كايتل بأن أضع تحت تصرفك هذا الأنبوب من السم»، ثم أضاف الجنرال إرنست مازيل: «لهذا السم مفعول صاعق، إنه يقضي على الإنسان في أقل من ثلاث ثوانٍ!».

ودع روميل زوجته وابنه ومساعده ألدنجر، وخرج برفقة جلاديه نحو السيارة بخطى ثابتة، مرفوع الرأس عالي الجبين، يقبض تحت إبطه بعصا المارشالية المصنوعة من الذهب الخالص والقطيفة الحمراء المزينة برسوم النسور والصلبان المعقوفة، وألقى نظرة أخيرة على منزله ثم استقل السيارة المعدة لنقله من دون أن يلتفت إلى الوراء، بينما كانت زوجته تلاحقه بنظراتها من خلف النافذة.

جلس روميل على مقعد السيارة الخلفي بجوار جلاديه، وقاد السيارة سائق من الغستابو اسمه دوز، واجتازت السيارة إحدى الغابات، وبعد حوالي ثلاثة كيلومترات توقفت، وكان روميل تناول السم.

ترجل الجنرالان والسائق وابتعدوا سيراً على الأقدام، وعادوا بعد حوالي خمس دقائق، ووجدوا روميل جالساً ونصفه الأعلى منحنياً إلى الأمام، وعصاه المارشالية ملقاة بين رجليه. كان يلهث وتتخلّل لهاثه شهقات رهيبة تهز جسده هزاً، وبقي على هذه الحال أكثر من 10 دقائق، لقد كان مفعول السم بطيئاً على غير ما قالوا له.

انطلقت السيارة بجثمان رومل إلى المستشفى العسكري في مدينة أولم، وعاين أحد الأطباء الجثة، وبناء على طلب الجنرال بورجدروف كتب الطبيب تقريره الذي أكد فيه أن الوفاة حدثت نتيجة نزيف في الدماغ بفعل كسور أصابت جمجمة المتوفي في حادث نوماندیا!

تطبيقاً للخطة المرسومة، نعت الدولة رومل رسمياً في الإذاعة والصحف، وأقامت له مأتماً كبيراً يليق بالأبطال، ومشي في جنازته كبار رجال الدولة وقادة الجيش، وممثلو الدول، وتقدمت النعش فرق الموسيقى العسكرية، وارتفعت أمامه رايات الجيوش والفرق والألوية التي كان له شرف قيادتها، وواكبته وحدات عسكرية منكسة السلاح، حتى ووري في التراب، وأقيمت له مقبرة تليق باسمه وبتاريخه.

***

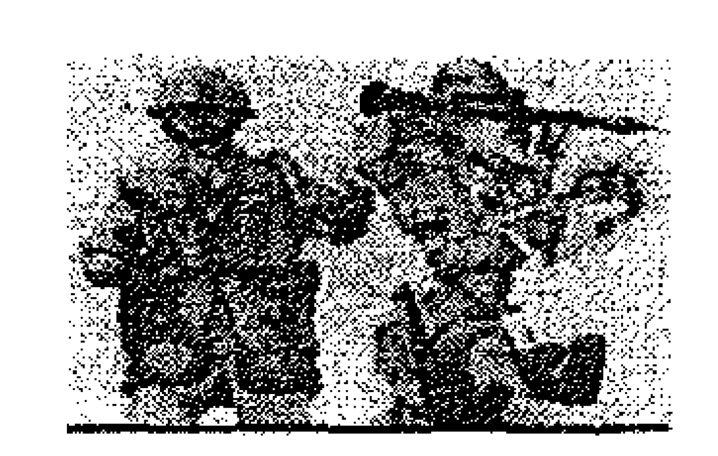


معركة الزلاقة

معركة الزلاقه من أشهر معارك التاريخ الإسلامي وأعظمها فائدة للمسلمين

سقطت طليطلة التي كان يحكمها بنو ذو النون – الذين حكموها في فترة ملوك الطوائف بالأندلس مدة 78سنة – في يد ألفونسو ملك قشتالة النصراني عام 478هـ بمعاونة المعتمد ابن عباد صاحب إشبيلية ، بعد أن حكمها المسلمون ثلاثمائة واثنين وسبعين عاماً ، وأحدث سقوطها دوياً عنيفاً ، واشتدت وطأة النصارى على المسلمين وتوحدت جهود ألفونسو السادس ملك قشتالة الذي كان يحكم جليقية وجزءاً من البرتغال ، مع سانشو الأول ملك أراجون ونافارا ، والكونت برنجار ريموند حاكم برشلونة وأورجل ، وساروا بجيش مشترك وحاصروا مدناً وقلاعاً واحتلوا قرى وأحرقوا أراضي كثيرة ، وانتبه ابن عباد لخطئه بمعاونة النصارى فاجتمع مع أمراء الأندلس الآخرين في إشبيلية ثم في قرطبة واتفقوا على أن يرسلوا سفيراً إلى يوسف بن تاشفين سلطان دولة المرابطين في المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا يلتمسون عونه وغوثه وهنا كانت الاستغاثة الصحيحة بالمسلمين وهنا لم يتوانى المسلمون في نصرة إخوانهم فجاءت وفود شعبية كثيرة لمدينة مراكش لنفس الغرض ، فاستشار ابن تاشفين مجلسه الاستشاري فوافقوا شرط أن يعطيه الأندلسيون الجزيرة الخضراء يجعل فيها أثقاله وأجناده ، وتكون حصناً له ، وليكون بها على اتصال بإفريقية

ومع شدة ضغط ألفونسو على المسلمين في الأندلس دفع الأمراء الجزية له ، أو سلموا حصوناً له ، وسلم ابن عباد الجزيرة الخضراء للمرابطين ، وقال لابنه : (أي بني ، والله لا يسمع عني أبداً أنني أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى ، فتقوم علي اللعنة في منابر الإسلام مثل ما قامت على غيري) ، وقال : (إن دهينا من مداخلة الأضداد لنا فأهون الأمرين أمر الملثمين – لقب المرابطين – ، ولأن يرعى



أولادنا جمالهم أحب إليهم من أن يرعوا خنازير الفرنج) ،" وكان الدافع في أن يقول المعتمد بن عباد ذلك خوفا منه من أن يوسف بن تاشفين قد يستولى هو على الحكم إن نصرة الله ولكن ليست هي أخلاق المجاهدين الموحدين فكان المعتمد قد أخطأ الاعتقاد في هذه الكلمات " وقال لبعض حاشيته لما خوفوه من ابن تاشفين : (تالله إنني لأوثر أن أرعى الجمال لسلطان مراكش على أن أغدو تابعاً لملك النصارى وأن أؤدي له الجزية ، إن رعي الجمال خير من رعي الخنازير) .

وعندما شرع بن تاشفين في عبور البحر المتوسط بجنوده وبينما هم في عرض البحر وما كادت السفن تنشر قلاعها حتى هاج البحر فصعد إلى مقدمة السفينة ، ورفع يديه نحو السماء ، ودعا الله مخلصاً : (اللهم إن كنت تعلم أن في جوازي هذا خيراً وصلاحاً للمسلمين فسهل علي جواز هذا البحر ، وإن كان غير ذلك فصعبه حتى لا أجوزه) ، فهدأ البحر ، وجازت السفن سراعاً ، ولما وصلت إلى شاطئ الأندلس سجد لله شكراً .

وتسلم ابن تاشفين الجزيرة الخضراء ، وأمر بتحصينها أتم تحصين ، ورتب بها حامية مختارة لتسهر عليها ، وشحنها بالأقوات والذخائر لتكون ملاذاً أميناً يلتجئ إليه إذا هزم .

ولبث ابن تاشفين في إشبيلية ثمانية أيام حتى يرتب القوات وتتكامل الأعداد ، وكان صائم النهار قائم الليل ، مكثراً من أعمال البر والصدقات ، ثم غادر إشبيلية إلى بطليوس، في مقدمة الجيش الفرسان يقودهم أبو سليمان داود بن عائشة ، وعددهم عشرة آلاف ، ثم قوات الأندلس عليهم المعتمد بن عباد ، ثم سار بعدهم - بيوم واحد - جيش المرابطين ، ولما وصلوا إلى بطليوس أقام هناك ثلاثة أيام .

ولما سمع ألفونسو بمقدم المرابطين وكان محاصراً سرقسطة تحالف مع ملك أراجون ، والكونت ريموند ، فانضما إليه ، وانضم إليه كذلك فرسان من فرنسا ، وجاءته الإمدادات من كل صوب من ملوك أوروبا ، وعمل الباباوات دوراً كبيراً في توجيه النصارى وحثهم على القتال .



وكان جيش المسلمين ثمانية وأربعين ألفاً نصفهم من الأندلسيين ونصفهم من المرابطين ، أما جيش ألفونسو فقد كان مائة ألف من المشاة وثمانين ألفاً من الفرسان ، منهم أربعون ألفاً من ذوي العدد الثقيلة ، والباقون من ذوي العدد الخفيفة

وعسكر الجيشان قرب بطليوس في سهل تتخلله الأحراش ، سماه العرب الزلاقة ، وفرق بين الجيشين نهر صغير ، وضرب ابن تاشفين معسكره وراء ربوة عالية ، منفصلاً عن مكان الأندلسيين ، وعسكر الأندلسيون أمام النصارى ، ولبث الجيشان أمام بعضهما ثلاثة أيام راسل فيها ابن تاشفين النصارى يدعوهم للإسلام أو الجزية أو القتال فاختاروا الثالثة .

وتكاتب القائدان ، ومما كتبه ألفونسو: (إن غداً يوم الجمعة وهو يوم المسلمين ، ولست أراه يصلح للقتال ، ويوم الأحد يوم النصارى ، وعلى ذلك فإني أقترح اللقاء يوم الاثنين ، ففيه يستطيع كل منا أن يجاهد بكل قواه لإحراز النصر دون الإخلال بيوم) ، فقبل ابن تاشفين الاقتراح ، ومع هذا تحوط المسلمون وارتابوا من نيات ملك قشتالة ، فبعث ابن عباد عيونه لترقب تحركات معسكر النصارى ، فوجدوهم يتأهبون للقتال ، فارتدوا مسرعين لابن عباد بالخبر ، فأرسل الخبر إلى ابن تاشفين يعرفه غدر ألفونسو ، فاستعد ، وأرسل كتيبة لتشاغل ألفونسو وجيشه .تهيأ الطرفان للمعركة ، وسير ألفونسو القسم الأول من جيشه بقيادة جارسيان وورودريك لينقض بمنتهى العنف على معسكر الأندلسيين الذي يقوده المعتمد ، آملاً في بث الرعب في صفوف المسلمين ، ولكنهم وجدوا أمامهم جيشاً من المرابطين قوامه عشرة آلاف فارس بقيادة داود بن عائشة أشجع قادة ابن تاشفين ، ولم يستطع ابن عائشة الصمود لكثرة النصارى وعنف الهجوم ، لكنه استطاع تحطيم عنف الهجمة ، وخسر كثيراً من رجاله في صد هذا الهجوم .



ولما رأى الأندلسيون كثرة النصارى هرب بعض أمرائهم ، بيد أن فرسان إشبيلية بقيادة أميرهم الشجاع المعتمد بن عباد استطاعوا الصمود وقاتلوا قتال الأسود الضواري ، يؤازرهم ابن عائشة وفرسانه .

وأيقن ألفونسو بالنصر عندما رأى مقاومة المعتمد تضعف ، وفي هذه اللحظة الحرجة وثب الجيش المرابطي المظفر إلى الميدان ، وقد كان مختبأ خلف ربوة عالية لا يرى ، وأرسل ابن تاشفين عدة فرق لغوث المعتمد ، وبادر بالزحف في حرسه الضخم ، واستطاع أن يباغت معسكر ألفونسو الذي كان يطارد ابن عباد حتى بعد قدوم النجدات التي أرسلها ابن تاشفين .

وفي تلك اللحظة يرى ألفونسو جموعاً فارة من النصارى ، وعلم أن ابن تاشفين قد احتوى المعسكر النصراني ، وفتك بمعظم حرسه ، وغنم كل ما فيه ، وأحرق الخيام ، فتعالت النار في محالهم ، وما كاد ألفونسو يقف على هذا النبأ حتى ترك مطاردة الأندلسيين ، وارتد من فوره لينقذ محلته من الهلاك ، وليسترد معسكره ، وقاتلوا الجيش المرابطي بجلد ، وكان ابن تاشفين يحرض المؤمنين على الجهاد ، وكان بنفسه يقاتل في مقدمة الصفوف يخوض المعركة في ذروة لظاها ، وقد قتلت تحته أفراس ثلاث ، وقاتل المسلمون قتال من يطلب الشهادة ويتمنى الموت .

ودام القتال بضع ساعات ، وسقطت ألوف مؤلفة وقد حصدتهم سيوف المرابطين ، وبدأت طلائع الموقعة الحاسمة قبل حلول الظلام ، فقد لاحظ ابن عباد وابن عائشة عند ارتدادهما في اتجاه بطليوس أن ألفونسو قد كف عن المطاردة فجأة ، وسرعان ما علما أن النصر قد مال إلى جانب ابن تاشفين ، فجمعا قواتهما وهرولا إلى الميدان مرة أخرى ، و أصبح ألفونسو وجيشه بين مطرقة ابن عباد وسندان ابن تاشفين

وكانت الضربة الأخيرة أن دفع يوسف ابن تاشفين بحرسه وقوامه أربعة آلاف إلى قلب المعركة ، واستطاع أحدهم أن يصل إلى ملك قشتالة ألفونسو وأن يطعنه بخنجر في فخذه طعنة نافذة ، وكانت الشمس قد أشرفت على المغيب ، وأدرك

ألفونسو وقادته أنهم يواجهون الموت ، ولما جن الليل بادر ألفونسو في قلة من صحبه إلى التراجع والاعتصام بتل قريب ، ولما حل الليل انحدر ومن معه تحت جنح الظلام إلى مدينة قورية .

ولم ينج من جيش القشتاليين مع ملكهم سوى أربعمائة أو خمسمائة فارس معظمهم جرحى ، ولم ينقذ البقية من جيش ألفونسو سوى حلول الظلام حيث أمر ابن تاشفين بوقف المطاردة ، ولم يصل إلى طليطلة فيما بعد من الفرسان سوى مائة فارس فقط .

كل ما سبق كان في 12 رجب من سنة 479هـ ، وقضى المسلمون ليلهم في ساحة القتال يرددون أناشيد النصر شكراً لله عز وجل ، فلما بزغ الفجر أدوا صلاة الصبح في سهل الزلاقة ، ثم حشدوا جموع الأسرى ، وجمعوا الأسلاب والغنائم ، وأمر ابن تاشفين برؤوس القتلى فصفت في سهل الزلاقة على شكل هرم ، ثم أمر فأذن للصلاة من فوق أحدها ، وكان عدد الرؤوس لا يقل عن عشرين ألف رأس .

وذاع خبر النصر وقرئت البشرى به في المساجد وعلى المنابر ، وغنم المسلمون حياة جديدة في الأندلس امتدت أربعة قرون أخرى . ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

***



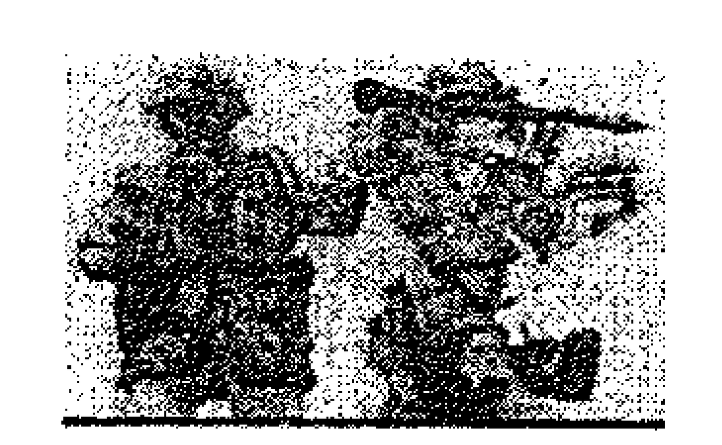
معركة قادش



وقعت هذه المعركه بين قوات الملك رمسيس الثاني ملك مصر والحيثيين بقيادة الملك مواتللي الثاني بمدينة قادش التي تقع علي الضفه الغربيه لنهر العاصي في سورية جنوب بحيرة حمص بعدة كيلومترات، وهذه المعركه مؤرخه بالعام الخامس من حكم الملك رمسيس الثاني (العام الخامس فصل الشمو، اليوم التاسع)اي حوالي العام 1274 ق.م علي وجه التقريب، وتعتبر هذه المعركه هي أشهرالمعارك التي خاضها الملك رمسيس الثاني في صراعه مع الحيثيين والتي انتهت بعقد معاهدة صلح بين الطرفين.

خلفية تاريخيه

بدأ انحسار النفوذ المصري في آسيا في عصر اواخر ملوك الاسره الثامنة عشر كنتيجة مباشره للاضطرابات التي خلفتها الحرب الاهلية في مصر أثناء ثورة إخناتون الدينية في الداخل. مما جعل الحيثيون يستغلون هذه الاضطرابات لكي يقوموا بقيادة تحالف ضد مصر، ونجاحهم في ذلك، وبالتالي فقدان مصر للكثير من مناطق نفوذها في آسيا الغربيه، وذلك دون أن يتحرك الملك اخناتون لتلبية طلبات النجده التي كان يرسلها اليه امراء المدن الاسيويه الموالين لمصر فيما عرف بخطابات تل العمارنه.



وبعد وفاة الملك اخناتون وفشل ثورته الدينية والعودة الي عبادة الالهه التقليديه والاله امون مره اخري ،وتولي الملك حور محب عرش مصر في نهاية الامر، والذي يعتبر آخر فراعنة الاسره الثامنة عشر الذي قام بتنظيم الشؤون الداخليه لمصر، والذي توفي دون وريث بعد أن نجح في اعادة الامن الي البلاد، تولي عرش مصر أحد قادة الجيش وهو رمسيس الأول مؤسسا بذلك الاسرة التاسعة عشر.

وقد أخذ ملوك هذه الاسره علي عاتقهم استعادة النفوذ المصري في آسيا مرة اخري، فبعد وفاة الفرعون رمسيس الأول بعد سنتين من الحكم، بدأ ابنه وخليفته سيتي الأول حملاته العسكريه ضد الحيثيين ،حيث كان يرمي الي صد التقدم الحيثي وما كان عليه في عهد الفرعون تحتمس الثالث في عصر الاسره الثامنة عشر، وبالفعل نجح سيتي الأول بعد عدة حملات عسكريه وتقابل مع جيوش الحيثيين بالقرب من قادش في سوريا الحالية، وأخيرا عقد الصلح معهم (كما ذكر في نقوشه علي جدران معبد الكرنك) بمعاهدة شهيرة، وربما قام بتوقيع معاهدة مع الحيثيين ،ومات بعد 14 عاما من الحكم ،وتولي من بعده ابنه رمسيس الثاني.

وقد شن الفرعون رمسيس الثاني حملته الأولى في العام الرابع من حكمه وعبر فيه فلسطين ووصل بجيوشه الي نهر الكلب (بالقرب من بيروت) حيث اقام لوحة تذكارية هناك ،واستعاد مقاطعة امور من الحيثيين. وبغرض السيطرة علي سوريا تحرك الملك رمسيس الثاني بجيوشه في العام الخامس من حكمه ،وتابع تقدمه شمالا في سوريا وتواجه مع جيوش الحيثيين عند مدينة قادش على نهر العاصي .

حملة قادش

خرج رمسيس الثاني بجيوشه من قلعة ثارو الحدوديه وذلك في ربيع العام الخامس من حكمه. وبعد مرور شهر وصل بجيوشه الي مشارف مدينة قادش عند ملتقي نهر العاصي أحد فروعه. وكان الجيش المصري يتكون من اربع فيالق وهي

فيالق آمون ورع وبتاح وست وهي أسماء آلهة مصر الكبرى، بينما كان الملك مواتللي ملك الحيثيين قد حشد جيشا قويا انخرط فيه الكثير من الجنود بالإضافة الي جيوش حلفائه (ومن بينهم ريميشارينا امير حلب)، واتخذ من قادش القديمه مركزا لجيوشه.

المعركة

وفيما كان رمسيس معسكرا بجيشه بالقرب من قادش (التي كانت علي مسيرة يوم واحد)،إذ دخل معسكره اثنان من الشاسو (البدو) ادعيا انهما فارين من جيش الملك الحيثي ،واظهرا الولاء للفرعون الذي اسلمهما بدوره الي رجاله ليستجوبوهما عن مكان جيوش الحيثيين، فاخبرا الفرعون بان ملك الحيثيين قد بعد عن الموقع وهو جالياً في حلب شمال سوريا.

وفي الواقع لم يكن هذين الشاسو غير جواسيس، وعلي أساس هذه الأخبار وبدون التأكد من صحتها اسرع الملك رمسيس علي رأس فيلق امون وعبر مخاضة لنهر العاصي، ثم سار الي مرتفع شمال غربي قادش وأقام معسكره هناك في انتظار وصول باقي الجيش ليتابع السير في اثر جيش خيتا الذي كان يظن انه في الشمال حسب ما أخبره الجاسوسان، وفي هذه الأثناء قبض جيشه علي اثنين من جنود العدو الكشافه اللذان استخلصوا منهما الحقيقه وهي ان الحيثيين كانوا كامنين في قادش وان العدو كان في طريقه لعبور نهر العاصي ومفاجئة الجيش المصري هناك.

وبالفعل عبر نصف الجيش الحيثي مخاضة نهر العاصي وفاجئوا فيلق رع ودمروه تدميراً كاملاً وبذلك قطعوا الاتصال بين رمسيس وبقية فيالقه ،واتجه العدو بعد ذلك بعرباته الحربيه وتابع تقدمه وهاجم فيلق آمون الذي فقد نتيجة ذلك العديد من جنوده، وهنا وفي مواجهة خطر التطويق والهزيمة المحتمه قاد الفرعون بنفسه هجوما ضد العدو ودفع به حتي النهر وقد ساعده في ذلك وصول فرق الجنود القادمين من بلاد امور والمسماه (نعارينا).



وبعد معارك ضارية بين الطرفين والهزيمة التي لحقت بجيش رمسيس وباقي جيش الحيثين الذي كان في الشرق ولم يشترك بعد في المعركه، وكان التعب قد حل بجيش رمسيس أيضا فتقابل مع الملك الحيثي واتفق الطرفين على الصلح، وهكذا انتهت المعركة دون نصر حاسم لاي من الطرفين، بينما بقيت قادش في أيدي الحيثيين.

النتيجة

في أعقاب عودة رمسيس الثاني إلى مصر احكم مواتالي قبضته على قادش وجعل أمورو موالية له، وجعل من دمشق منطقة محايده.

وقد ذكر الملك مواتللي من ناحيته في وثائق بوغازكوي بان المعركة كانت انتصارا له وان أمور قد وقعت في أيدي الحيثيين ،بينما ذكر الملك رمسيس الثاني انتصاره في المعركة كذلك، والتي قام بنقش تفاصيلها بالكامل علي جدران معبد الرمسيوم وكذلك معبد الأقصر، بالإضافة إلى معبده بأبو سمبل (على جداره الشمالي فيما عرف بانشودة معركة قادش) لكن الحيثيين اكدوا ان الانتصار كان من نصيبهم.

وفي خلال السنوات العشر التي مرت بعد ذلك قام رمسيس بعدة حملات الي آسيا واستولي علي دابور بعد حصارها واضطر الحيثيون في النهايه الي التراجع تاركين أكبر جزء من سوريا دون حماية كافية. وفي أعقاب وفاة مواتللي تولي ابنه الذي كان صغيرا جدا وبعد عدة سنوات من الحكم حل محله عمه الملك خاتوشيلي الثالث وانتهز رمسيس هذه الفرصة وتقدم نحو تونيب او توشب واستولي عليها.

وهنا بدأت قوة الاشوريين في الظهور وتهديد مناطق النفوذ المصرية والحيثيه، مما حدا بالطرفين الي توقيع معاهدة سلام بينهما وذلك في العام الحادي والعشرون من حكم الملك رمسيس الثاني (حوالي 1258 ق.م)والتي سجلت بالخطين المسماري (علي لوح من الفضه باسم الملك خاتوشيلي) والهيروغليفي على جدران

معبدي الكرنك والرامسيوم في طيبه(الأقصر حاليا) في جنـوب مـصر. وعليـه فمهـما كانت النتيجة من نصر الملك رمسيس الثاني أو هزيمته فقد حاول بشتي الطرق اثبات النصر من خلال المناظر التي تصور انتصارة علي الاعداء في معركة قادش في شتي بقاع مصر. ولعله من الملاحظ أن طريقة تصوير المعركة كانت بنفس النمط الـذي سـاد في الدولة الحديثة خاصة عصر الملك سيتي الأول لكن تراجعه يدل على عكس ما صوره ولم يستطع وعاد بنصف الجيش فقط بعد ملاقات الحيثين والمعارك الضارية في قـادش التي بقيت تحت سيطرت الحيثيين.

***



الحرب العالمية الأولى

الحرب العالمية الأولى وتسمى كذلك الحرب العظمى هي حرب قامت في أوروبا ثم امتدت لباقي دول العالم خلال أعوام ما بين 1914 و1918. بدأت الحرب حينما قامت إمبراطورية النمسا والمجر بغزو مملكة صربيا إثر حادثة اغتيال ولي عهد النمسا وزوجته من قبل طالب صربي أثناء زيارتهما لسراييفو.

قامت روسيا بتعبئة قواتها بعد يوم واحد من إعلان النمسا الحرب على صربيا فعبئت ألمانيا قواتها في 30 يوليو ثم عبئت في 1 أغسطس فرنسا قواتها. أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا في اليوم نفسه بعد أن وجدت عدم تجاوب الروس بشأن طلب ألمانيا إلغاء التعبئة العامة للجيش ثم أعلنت الحرب على فرنسا واجتاحت بلجيكا مما دفع بريطانيا لدخول الحرب بسبب خرق الألمان حياد بلجيكا، وقد كانت الدول الأوروبية قبل الحرب مشكّلة من معسكرين أولهما الوفاق الثلاثي بين روسيا وفرنسا والمملكة المتحدة، بينما تشكل الحلف الثلاثي من إمبراطورية النمسا والمجر وألمانيا وإيطاليا على الرغم من دخول إيطاليا الحرب في جانب الحلفاء.

استعملت لأول مرة الأسلحة الكيميائية في الحرب العالمية الأولى كما تم قصف المدنيين من السماء لأول مرّة في التاريخ.

شهدت الحرب ضحايا بشرية لم يشهدها التاريخ من قبل وسقطت السلالات الحاكمة والمهيمنة على أوروبا والتي يعود منشأها إلى الحملات الصليبية، وتم تغيير الخارطة السياسية لأوروبا.

تعد الحرب العالمية الأولى البذرة للحركات الإيديولوجية كالشيوعية وصراعات مستقبلية كالحرب العالمية الثانية، بل وحتى الحرب الباردة.



شكلت الحرب البداية للعالم الجديد ونهاية الأرستقراطيات والملكيات الأوروبية، وكانت المؤجج للثورة البلشفية في روسيا التي بدورها أحدثت تغيرًا في السياسة الصينية والكوبية كما مهدّت الطريق للحرب الباردة بين العملاقين، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة. ويُعزى سطوع بريق النازية لهزيمة ألمانيا في الحرب وترك الكثير من الأمور معلقة حتى بعد الحرب. وأخذت الحروب شكلاً جديدًا في أساليبها بتدخل التكنولوجيا بشكل كبير في الأمور الحربية ودخول أطراف لا طاقة لها بالحروب ولا حمل وهي شريحة المدنيين. فبعدما كانت الحروب تخاض بتقابل جيشين متنازعين في ساحة المعركة بعيدًا عن المدنية، فقد كانت المدن المأهولة بالسكان ساحات للمعركة مما نتج عن سقوط ملايين الضحايا.

وكانت روسيا قد تعهدت بالدفاع عن السيادة الصربية، فقامت روسيا بتحريك قواتها نتيجة ضغوط الجنرالات الروس للدفاع عن الصرب. وطالبت ألمانيا من روسيا عدم تحريك القوات وأن تتراجع القوات الروسية عن حالة الاستعداد، ولمّا لم تمتثل روسيا للمطالب الألمانية، أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا في 1 أغسطس 1914 ولحقتها بإعلان آخر ضد فرنسا في 3 أغسطس.

الأسباب

التنافس الاستعماري

لقد أدى تقدم الثورة الصناعية إلى تطور النزعة الاستعمارية تطورا حادا جعل من تصريف البضائع والحصول على المواد الأولية وتوظيف رؤوس الأموال قضية من القضايا الأوروبية الملحة التي لم يجد رجال السياسة حلا لها إلا عن طريق امتلاك المستعمرات فكان لابد من التصادم والنزاع بين القوى المستعمرة ذاتها.

كذلك برز النزاع حول السيطرة على البحار خاصة بين بريطانيا التي تعتبر نفسها سيدة البحار وألمانيا الموحدةالتي طورت أسطولها بسرعة فائقة، كما اشتدت



الخلافات بين ألمانيا وفرنسا حول مقاطعتي الألزاس واللورين التين ضمتهما ألمانيا إليها بعد حرب 1870 ولم تتفق الدولتان أيضا حول أسبقية كل منهما في احتلال المغرب الأقصى.

وقد عرف النزاع بينهما حول هذا البلد (المغرب) أزمتين حدثت الأولى في 1905 و1906 وعبرت خلالها ألمانيا عن تمسكها بمصالحها التجارية في هذا البلد. أما الأزمة الثانية فقد وقعت في سنة 1911 وذلك إثر دخول القوات الألمانية إلى أغادير وتهديد فرنسا باللجوء إلى استعمال القوة أيضا الأمر الذي اضطر فرنسا إلى التنازل عن جزء من مستعمرة الكونغو لألمانيا مقابل إطلاق يدها في المغرب الأقصى.

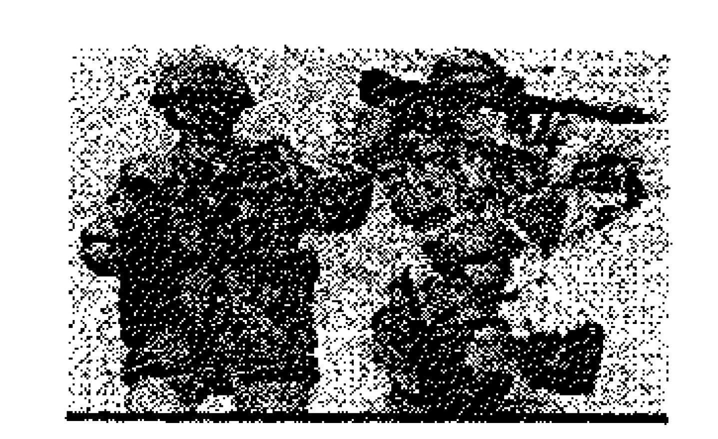
التحالفات

أدى التنافس الشديد بين القوى الأوروبية من أجل توسيع مجالها الاستعماري إلى عقد اتفاقيات سرية وإقامة تحالفات عسكرية، فكانت كل من إنجلترا وفرنسا تبعًا للوفاق الودي عام 1904 قد تحالفتا، وقام الحلف الثلاثي بين ألمانيا وإمبراطورية النمسا المجر وإيطاليا وهي حليف غير ثابت سرعان ما خرجت منه إيطاليا وأخذت مكانها الدولة العثمانية بعد أن كانت قد وقعت حلفا مع ألمانيا.

وقد أفضت هذه التحالفات إلى حصول تسابق نحو التسلح برز بالخصوص من خلال التمديد في فترة الخدمة العسكرية وزيادة عدد القوات المسلحة في كل من ألمانيا وفرنسا وروسيا.

سباق التسلح

بارجة حربية بريطانيةازداد سباق التسلح الذي اندلع بين القوى الأوروبية وسعت ألمانيا إلى تدشين إمبراطورية لها في ما وراء البحار فزادت في حجم أسطولها البحري وقامت بريطانيا بإطلاق البارجة "HMS Dreadnought" عام 1906



السفينة التي ألغت كل ما كان قبلها من سفن، وسعت بريطانيا وألمانيا على وجه الخصوص على تعزيز أساطيلهم.

حادثة سراييفو

اغتيل وريث العرش النمساوي "فرانز فرديناند"وزوجته أثناء زيارتهما لسراييفو في منطقة البوسنة والهرسك على يد الطالب الصربي "جافريلو برينسيب" مما أجج النقم النمساوي على الصرب وأشعل فتيل الحرب العالمية الأولى.

الحرب
الحرب عام 1914

إعلان الحرب الألماني على روسيابعد حادثة سراييفو ومقتل وريث العرش النمساوي "فرانز فرديناند" أرسلت الحكومة النمساوية رسالة ذات 10 نقاط للحكومة الصربية بمثابة تهديد وقبل الصرب الشروط باستثناء شرط واحد.

بعد شهر من الأزمة أعلنتَ النمسا الحرب على صربيا في 28 يوليو 1914، وبهذا الإعلان بدأت آلية التحالفات الأوروبية في العمل حيث سارعت روسيا إلى نصرة صربيا وإعلان الحرب على النمسا فقامت ألمانيا بإعلان الحرب على روسيا.

وبذلك تعتبر حادثة سراييفو الفتيل الذي أشعل نار الحرب العالمية الأولى، وعندما بدأت روسيا بالتعبئة ضد النمسا ـ هنغاريا، أعلنت ألمانيا الحرب ضد روسيا في 1 أغسطس. غير أنها أعلنت الحرب كذلك على فرنسا في 3 أغسطس، وبدأت بغزوها عبر بلجيكا، وسرعان ما أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا في 4 أغسطس، كما أعلنت النمسا ـ هنغاريا الحرب على روسيا. وبقيت إيطاليا لفترة على الحياد، في رغبةٍ

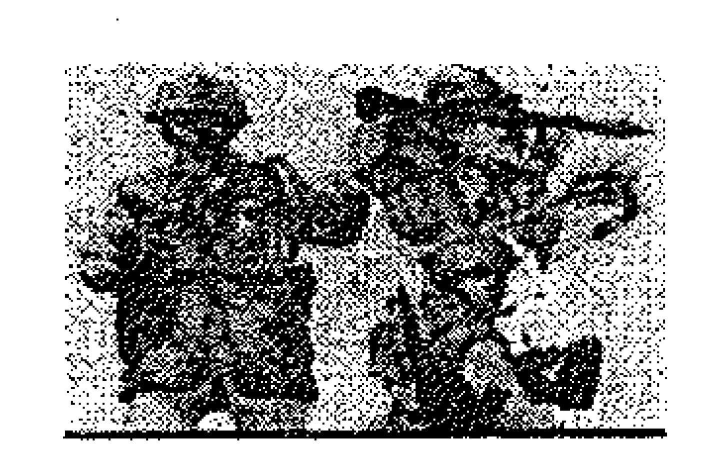


منها لعدم الإنجرار للوقوف مع أحد الأطراف قبل أن تتّضح حقيقة الموقف، كما كانت الولايات المتحدة في عزلة وراء البحار، أما الدولة العثمانية المعادية تاريخيًا لروسيا، والتي تنامت ارتباطاتها بألمانيا، فلم تدخل الحرب حتى 29 أكتوبر حين قام أسطولها بقصف الموانئ الروسية على البحر الأسود.

بعد أن دخلت فرنسا إلى الحرب بدأت ألمانيا في تنفيذ خطتها لغزو فرنسا التي وضعت قبل تسع سنوات وتقضي خطة شليفن الألمانية إلى مهاجمة فرنسا عبر الأراضي البلجيكية بهدف السيطرة على فرنسا بشكل سريع، في 16 أغسطس اجتاحت القوات الألمانية أراضي مملكة بلجيكا المحايدة لتدخل عبرها إلى الأراضي الفرنسية حتى نهر المارن في شرق باريس حيث تحشدت قطاعات الجيش الفرنسي استعدادا للمعركة، لتبدأ معركة المارن الأولى في 6 سبتمبر على بعد 55 ميلا من باريس، بعد فشل الألمان في التقدم إلى باريس أقامت الوحدات الألمانية المتاريس والخنادق لتتحول الحرب منذ ذلك الحين إلى حرب خنادق، أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا لانتهاكها حياد بلجيكا.

في الجبهة الغربية، انتهزت روسيا فرصة انشغال القوات الألمانية في فرنسا، وأرسلت جيشين أواخر أغسطس ليخترقا عمق في الأراضي الألمانية في شرقي بروسيا لتطويق القوات الألمانية في روسيا الشرقية، الأمر الذي اضطر ألمانيا إلى سحب ثلثي قواتها من فرنسا، وتمكنوا من محاصرة القوات الروسية في معركة تاننبرغ في 31 أغسطس.

بعد اندلاع الحرب في أوروبا امتدت المعارك لتطال المستعمرات الألمانية فيما وراء البحار، حيث أعلنت اليابان الحرب على ألمانيا في آخر أغسطس 1914 وطردت الألمان من عدة جزر في المحيط الهادئ، فيما سيطرت القوات الاسترالية والنيوزلندية على المستعمرات الألمانية في المحيط الهادئ.



في البلقان عبر الجيش النمساوي المجري نهر درينا وهاجم الأراضي الصربية إلا الجيش النمساوي المجري قد لاقى الهزيمة على يد القوات الصربية، في نهاية أكتوبر 1914 دخلت الإمبراطورية العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ضد روسيا وقصفت السفن التركية الموانئ الروسية على البحر الأسود، ثم غزت القوات التركية روسيا، وفي نوفمبر أعلن الحلفاء الحرب على الدولة العثمانية وقاموا بحملة عسكرية كبيرة على شبه جزيرة جاليبولي بهدف إنشاء ممر بين البحر الأبيض والبحر الأسود، والاستيلاء على القسطنطينية.

إيطاليا بقيت خارج الحرب العالمية الأولى طوال عام 1914 رغم أنها كانت عضوا في التحالف الثلاثي مع النمسا ـ المجر وألمانيا، وادعت بأنها ليست ملتزمة بالانضمام للحرب لأن النمسا ـ المجر لم تدخل في حرب دفاعية.

الحرب عام 1915

مشاة الجيش الروسياستطاع الألمان عام 1915 تحقيق مزيد من الانتصارات على الحلفاء، فألحقوا الهزيمة بالروس في معركة جورليس تارناو في مايو 1915، واحتلوا بولندا ومعظم مدن لتوانيا، وحاولوا قطع خطوط الاتصال بين الجيوش الروسية وقواعدها للقضاء عليها، إلا أن الروس حققوا بعض الانتصارات الجزئية على الألمان، كلفتهم 325,000 أسير روسي، الأمر الذي لم يتمكن بعده الجيش الروسي من استرداد قواه.

وأدى النجاح الألماني على الروس إلى إخضاع البلقان، وعبرت القوات النمساوية والألمانية نهر الدانوب لقتال الصرب وألحقوا بهم هزيمة قاسية.



واستطاع الألمان في ذلك العام أن يحققوا انتصارات رائعة على بعض الجبهات، في حين وقفت الجبهة الألمانية ثابتة القدم أمام هجمات الجيشين الفرنسي والبريطاني، رغم ظهور انزعاج في الرأي العام الإنجليزي من نقص ذخائر الجيش البريطاني ومطالبته بتكوين وزارة ائتلافية، وحدثت تغييرات في القيادة العسكرية الروسية.

وفي 23 مايو 1915 أعلنت إيطاليا الحرب على إمبراطورية النمسا-المجر.

[عدل] الحرب عام 1916

تميز ذلك العام بمعركتين كبيرتين نشبتا على أرض فرنسا دامت إحداهما سبعة أشهر، والأخرى أربعة أشهر، وهما معركتي فردان والسوم، تكبد الألمان خسائر في المعركة الأولى قدرت بـ 240 ألف قتيل وجريح، أما الفرنسيون فخسروا 275 ألفا.

أما معركة السوم فقد استطاع خلالها الحلفاء إجبار الألمان على التقهقر مائة ميل مربع، وقضت هذه المعركة على الجيش الألماني القديم، وأصبح الاعتماد على المجندين من صغار السن، وخسر الجيش البريطاني في هذه المعركة ستين ألف قتيل وجريح في اليوم الأول.

وظهرت في هذه المعارك الدبابة لأول مرة في ميادين القتال، وقد استطاع الروس خلال ذلك العام القيام بحملة على النمسا بقيادة الجنرال بروسيلوف، وأسروا 450 ألف أسير من القوات النمساوية والمجرية؛ فشجع هذا الانتصار رومانيا على إعلان الحرب على النمسا والمجر، فردت ألمانيا بإعلان الحرب عليها، واكتسح الألمان الرومانيين في ستة أسابيع ودخلوا بوخارست.

الثورة العربية الكبرى (1916)



العرب قد التفوا حول الشريف الحسين بن علي شريف مكة وحامي الديار المقدسة الإسلامية وقد كان بينه وبين الخلافة العثمانية جفاء وكانت تراوده هو وأبنائه آمال في إنشاء دولة عربية كبرى ولما كانت بريطانيا حريصة على اجتذاب العرب إلى جانبها فقد دخلت في مفاوضات سرية مع الشريف حسين وتم تبادل رسائل بين الشريف حسين ممثلا للعرب والسير هنري مكماهون مندوب بريطانيا في مصر والسودان في مراسلات حسين - مكماهون وأوضح فيها الشريف ما يشترطه العرب لدخول الحرب إلى جانب بريطانيا وهذه الشروط تتلخص في استقلال البلدان العربية القائمة على الساحل الشرقي للالبحر الأبيض المتوسط وإقامة دولة عربية كبرى تشمل مختلف أرجاء الوطن العربي باستثناء مصر والشمال الإفريقي وعلى الرغم من الاختلاف مع مكماهون حول حدود الدولة العربية الموعودة دخل العرب الحرب إلى جانب بريطانيا.

بدأت الثورة العربية الكبرى في 10 يونيو 1916 بإعلان الشريف حسين الجهاد المقدس والثورة على العثمانيين بمساعدة ضابط الاستخبارات البريطانية لورنس الشهير بلورنس العرب، واستطاع أبنائه السيطرة على الحجاز بمساعدة الإنجليز ثم تقدم ابنه فيصل بن حسين نحو الشام ووصل بمساعدة الإنجليز إلى دمشق حيث خرج العثمانيون منها وأعلن فيها قيام الحكومة العربية الموالية لوالده الذي كان قد أعلن نفسه ملكا على العرب غير أن الحلفاء لم يعترفوا به إلا ملكا على الحجاز وشرق الأردن.

وعلى الرغم من تعهدات بريطانيا للعرب بقيام دولة عربية كبرى فقد أجرت هذه الدولة مفاوضات واتفاقيات سرية مع فرنسا وروسيا تناولت اقتسام الأملاك العثمانية بما فيها البلاد العربية ثم انفردت بريطانيا وفرنسا في اتفاقية سرية عرفت باتفاقية سايكس بيكو 1916 نسبة إلى كل من المندوب البريطاني مارك سايكس والمندوب الفرنسي فرانسوا جورج بيكو وقد قاما بهذه المفاوضات التي فضح أمرها

بعد الثورة البلشفية في روسيا سنة 1917 وفي السنة نفسها غدرت بريطانيا بالعرب مرة أخرى إذ وعد العرب بتحرر ووعد لزعماء الصهاينة بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين من خلال ما عرف بوعد بلفور الصادر في 2 نوفمبر 1917.

التحول في مسار الحرب (1917)

فرنسا 1917أقامت دول الوفاق الثلاثي حصارا بحريًا ضد دول التحالف الثلاثي بهدف خنقها اقتصاديا فرد الألمان بحرب غواصات استهدفت كل السفن حتى المحايدة منها بهدف منعها من الوصول إلى بريطانيا وكان من بين السفن التي تم إغراقها عدد من السفن الأمريكية الأمر الذي دفع بالولايات المتحدة الأمريكية إلى الدخول في الحرب إلى جانب دول الوفاق فأصبحت الحرب عالمية.

حرب الغواصات والولايات المتحدة

خلال عام 1916 وقعت حرب بحرية في بحر الشمال بين الأسطول الألماني والإنجليزي عرفت باسم جاتلاند، خرج خلالها الأسطول الألماني من موانيه لمقاتلة الأسطول الإنجليزي على أمل رفع الحصار البحري المفروض على ألمانيا، ولم تكن المعركة حاسمة إذ انسحب الألمان على الرغم من أنهم قد ألحقوا بالأسطول الإنجليزي خسائر كبيرة، ولجأ الألمان في تلك الفترة إلى "حرب الغواصات" بهدف إغراق أية سفينة تجارية دون سابق إنذار، لتجويع بريطانيا وإجبارها على الاستسلام، غير أن هذه الحرب استفزت الولايات المتحدة، ودفعتها لدخول الحرب في أبريل 1917، خصوصًا بعد أن علمت أن الألمان قاموا بمحاولة لإغراء المكسيك لكي تهاجم الولايات المتحدة في مقابل ضم ثلاث ولايات أمريكية إليها.

وكانت الولايات المتحدة قبل دخولها الحرب تعتنق مذهب رئيس أمريكي الذي يقوم على عزلة أمريكا في سياستها الخارجية عن أوروبا، وعدم السماح لأية دولة



أوروبية بالتدخل في الشؤون الأمريكية، غير أن القادة الأمريكيين رؤوا أن من مصلحة بلادهم الاستفادة من الحرب عن طريق دخولها.

وقد استفاد الحلفاء من الإمكانات والإمدادات الأمريكية الهائلة في تقوية مجهودهم الحربي، واستطاعوا تضييق الحصار على ألمانيا على نحو أدى إلى إضعافها.

انتصار دول الوفاق الثلاثي

شكل وصول القوات الأمريكية إلى فرنسا في يوليو 1917 تحولا هاما في مسار الحرب لأنها ساعدت جيوش الوفاق على شن هجوم مضاد على الألمان فتراجع هؤلاء مئات الكيلومترات وفي الوقت الذي كانت جيوش الوفاق قد قضت على قوات العثمانيين في العراق وسوريا ومصر وتقدمت نحو آسيا الصغرى نفسها. وفي البلقان أجبرت قوات الوفاق بلغاريا على الاستسلام في سبتمبر 1918 فطلبت الدولة العثمانية الصلح في أكتوبر من نفس السنة وكذلك فعلت النمسا في بداية نوفمبر. فلم تجد ألمانيا بدا من الاستسلام ووقعت الهدنة في 11 نوفمبر 1918 بعد أن فشلت في مواجهة تكتل الوفاق الثلاثي بمفردها.

الحرب عام 1917

جنود بريطانيين على الجبهة الألمانية الفرنسية برشاش فيكرزومن الأحداث الهامة التي شهدها عام 1336 هـ / 1917 قيام ونجاح الثورة البلشفية في روسيا، وتوقيع البلاشفة صلح برست ليتوفسك مع الألمان في جمادى الآخرة 1336هـ 1918، وخروج روسيا من الحرب. وشهد ذلك العام أيضًا قيام الفرنسيين بهجوم كبير على القوات الألمانية بمساعدة القوات الإنجليزية، غير أن هذا الهجوم فشل وتكبد الفرنسيون خسائر مروعة سببت تمردًا في صفوفهم، فأجريت تغييرات في صفوف القيادة الفرنسية.



ورأى البريطانيون تحويل اهتمام الألمان إلى الجبهة البريطانية، فجرت معركة باشنديل التي خسر فيها البريطانيون 300 ألف جندي بين قتيل وجريح، ونزلت نكبات متعددة في صفوف الحلفاء في الجبهات الروسية والفرنسية والإيطالية، رغم ما حققه الحلفاء من انتصارات على الأتراك ودخولهم العراق وفلسطين.

كما تميزت هذه السنة بتحقيق القوات الألمانية والنمساوية انتصارًا كبيرًا على الإيطاليين في معركة كابوريتو بعد سلسلة من المعارك غير الحاسمة مثل معركة إيسونزو.

العودة إلى حرب الحركة (1917-1918)

كان لخروج روسيا من الحرب بعد نجاح الثورة البلشفية أكتوبر 1917 وتوقيع زعيمها لينين معاهدة سلام منفصلة مع ألمانيا معاهدة بريست ليتوفسك 1918 دور حاسم في دفع ألمانيا إلى شن هجوم مكثف على فرنسا بغية احتلالها قبل وصول الدعم الأمريكي غير أن توحد القوات البريطانية والفرنسية بقيادة الجنرال الفرنسي فوش مكن حيث انتصرت ألمانيا على فرنسا وسميت بمعركة المارن 6-9 أكتوبر 1914 مما أدى بالقوات الفرنسية بالانسحاب نحو الجنوب فلحقت بهم ألمانيا ووقعت معركة حصن فردان في فبراير 1916 المعركة التي أوقفت الزحف الألماني على فرنسا.

ودخلت الولايات المتحدة الحرب بجانب الحلفاء لهدف مكافحة الإرادة الألمانية في السيطرة والنفوذ وعدم احترام الألمان لحياد بلجيكا وغزوها كما أدت حرب الغواصات التي شنها الألمان والتي أساءت كثيرا للمصالح الاقتصادية الأمريكية إلى دفع الولايات المتحدة الدخول في الحرب.

وبالإضافة إلى ذلك خشية أصحاب المصارف وحكومة الولايات المتحدة من انكسار الحلفاء، وقد كانت المصارف الأمريكية قد أقرضت بريطانيا وفرنسا أموال طائلة لتمكنها من شراء المواد الأولية والأغذية من الولايات المتحدة، لذلك بدأ



أصحاب المصارف ورجال الأعمال الأمريكان بدعوة الحكومة الأمريكية للتدخل بجانب الحلفاء.

نهاية الحرب عام 1918

شجع خروج روسيا من الحرب القيادة الألمانية على الاستفادة من 400 ألف جندي ألماني كانوا على الجبهة الروسية وتوجيههم لقتال الإنجليز والفرنسيين، واستطاع الألمان تحطيم الجيش البريطاني الخامس في مارس 1918، وتوالت معارك الجانبين العنيفة التي تسببت في خسائر فادحة في الأرواح، والأموال، وقدرت كلفة الحرب في ذلك العام بحوالي عشرة ملايين دولار كل ساعة.

وبدأ الحلفاء يستعيدون قوتهم وشن هجمات عظيمة على الألمان أنهت الحرب، وقد عرفت باسم معركة المارن الثانية في يوليو 1918 وكان يوم 8 أغسطس 1918 يومًا أسود في تاريخ الألمان؛ إذ تعرضوا لهزائم شنيعة أمام البريطانيين والحلفاء، وبدأت ألمانيا في الانهيار وأسر حوالي ربع مليون ألماني في ثلاثة شهور، ودخلت القوات البريطانية كل خطوط الألمان، ووصلت إلى شمال فرنسا، ووصلت بقية قوات الحلفاء إلى فرنسا.

واجتاحت ألمانيا أزمة سياسية عنيفة تصاعدت مع توالي الهزائم العسكرية في ساحات القتال، فطلبت ألمانيا إبرام هدنة دون قيد أو شرط، فرفض الحلفاء التفاوض مع الحكومة الإمبراطورية القائمة، وتسبب ذلك في قيام الجمهورية في ألمانيا بعد استقالة الإمبراطور الألماني، ووقعت الهدنة التي أنهت الحرب في 11 نوفمبر 1918 بعد أربع سنوات ونصف من القتال الذي راح ضحيته عشرة ملايين من العسكريين، وجرح 21 مليون آخرين.

النتائج

أسفرت الحرب العالمية الأولى عن سقوط الإمبراطورية العثمانية عام 1341هـ-1924م وعن خسائر مادية وبشرية جسيمة وعن تراجع الدور الرائد لأوروبا في توجيه سياسة العالم. أما أهم نتيجة لهذه الحرب فقد تمثلت في قيام سلام منقوص يحتوي على جميع العناصر التي من شأنها إشعال الحرب العالمية الثانية. والتي قامت في عام 1939.

وفي أثناء الحرب اضطرت الدول الأوروبية المتحاربة إلى شراء الكثير من المعدات والمواد المعيشية من دول فتية لم تتعرض أراضيها لأذى الحرب مثل الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا والأرجنتين الأمر الذي جعل أوروبا مدينة لهذه الدول بعد الحرب. وقد رأت أوروبا نفسها بعد الحرب مجبرة على دفع ديونها من احتياطي الذهب الذي كانت تملكه وأدى ذلك إلى تراجع قيمة النقد الأوروبي وإلى ظهور التضخم المالي.

كانت الولايات المتحدة الأمريكية المستفيدة الأولى من هذا الوضع على أساس أنها الدائنة الأولى لأوروبا قبل الحرب وخلالها. فقد جمعت الولايات المتحدة بعد الحرب نتيجة تسديد أوروبا لديونها 45٪ من احتياطي الذهب في العالم فأصبحت بذلك أول دائن في العالم.

الخسائر البشرية والمادية

جندي هندي تابع للقوات البريطانية بعد حصار الكوت في العراققدرت خسائر الحرب العالمية الأولى بالأرواح بـ 8,538,315 وأكثر من ضعف هذا العدد من الجرحى، وقد أتت خسائر روسيا في رأس قائمة الخسائر البشرية تلتها خسائر كل من ألمانيا والنمسا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية.

أما أهم الخسائر المادية فقد وقعت في الأراضي التي دارت فيها المعارك حيث أتلفت المحاصيل الزراعية وقضي على المواشي ودمرت مئات آلاف المنازل وآلاف

المصانع إضافة إلى الأضرار التي لحقت بالسكك الحديدية وبمناجم الفحم التي غمرها هذا الطرف أو ذاك بالماء لمنع استغلالها من قبل العدو.

ولذلك كان على الدول المتحاربة في مرحلة السلام إعادة بناء ما دمرته الحرب وتحويل الصناعات الحربية إلى صناعات مدنية. لكن قلة الأموال واليد العاملة التي قضت عليها الحرب عرقلت إلى حد كبير عملية إعادة الاعمار المرجوة.

خسائر الدول في الحرب العالمية الأولى بلغت أكثر من 37 مليون جندي بينهم اكثر من ثمانية ملايين قتيل

بلغت أكثر من 37 مليون جندي بينهم اكثر من ثمانية ملايين قتيل.

السلام المنقوص

مؤتمر السلام (1919)

وافقت ألمانيا على توقيع الهدنة في 11 نوفمبر 1918 على أساس مبادئ ويلسون، وقد اعتقدت في حينه أن مؤتمر السلام الموعود سوف يصدر مقرراته واتفاقياته مستلهما الأفكار السامية التي تضمنتها هذه المبادئ ولكن شيئا من هذا لم يحصل فمؤتمر السلام الذي عقد أولى جلساته في باريس 18 يناير 1919 حضره ممثلون عن 32 دولة حليفة واستبعدت منه الدول المهزومة وروسيا والدول المحايدة ولذلك كان هذا المؤتمر عبارة عن اجتماع عقدته الدول المنتصرة لتتقاسم المغانم فيما بينها وتفرض إرادتها على فريق مهزوم مسلوب الإرادة، وبالإضافة إلى ذلك فرض ممثلو ثلاث دول هي فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية رأيهم على جميع رؤساء الوفود المشاركة في المؤتمر.

مطالب المؤتمرين



أظهر المؤتمر رغبة فرنسا وبريطانيا في توسيع حدودهما واكتساب مستعمرات جديدة. فالفرنسيون لم يكتفوا بالمطالبة باستعادة منطقتي الألزاس واللورين من الألمان بل بالحصول أيضا على الضفة اليسرى لنهر الراين كمنطقة دفاعية وعلى منطقة السار الألمانية كمصدر للتزود بفحم حجري. وبالنسبة للمستعمرات اعتبر جورج كليمنصو رئيس الوزراء الفرنسي الذي كان رئيسا لوفد بلاده أن محافظة فرنسا على مستعمراتها في شمال أفريقيا ووسطها وفي جنوب شرق آسيا بالإضافة إلى الإنتداب الفرنسي على سوريا ولبنان أمور غير قابلة للنقاش.

أما رئيس وزراء بريطانيا رئيس وفد بلاده إلى المؤتمر لويد جورج الذي اعترض على مطالب فرنسا الحدودية فقد طالب لبلاده بوراثة المستعمرات الألمانية في أفريقيا وشرق آسيا وبالانتداب على مصر والسودان وفلسطين والعراق متناسيا الوعد البريطاني باستقلال المشرق العربي تحت راية الشريف حسين بن علي.

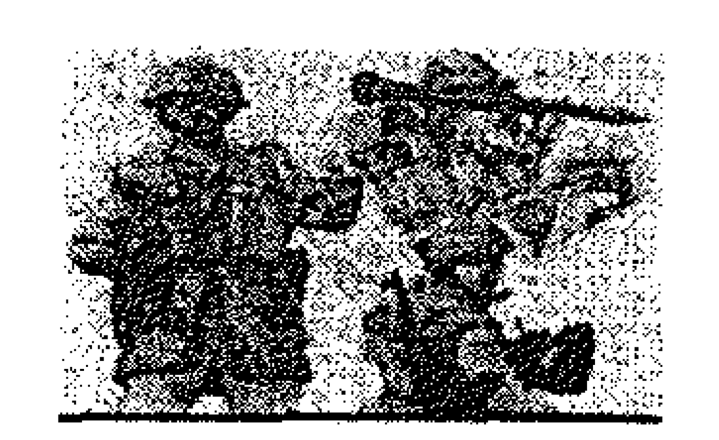
أما رئيس الوزراء الإيطالي أورلاندو فقد طالب باستعادة منطقتي ترانتان وتريستا إلى إيطاليا.

وانفرد الرئيس الأمريكي ويلسون من بين رؤساء وفود الدول الكبرى بالمطالبة بإقامة عصبة الأمم وبأن تستلهم مقررات المؤتمر من مبادئه الأربعة عشر.

مقررات المؤتمر ونتائجها

[عدل] تغيير الخريطة السياسية لأوروبا

قرر مؤتمر باريس تفكيك الإمبراطوريات الألمانية والنمساوية بإجراء تعديلات على الحدود السياسية لدول أوروبا فظهرت على الخريطة الأوروبية دول جديدة مثل المجر وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وأجريت تغييرات جذرية في أنظمة حكم العديد من الدول فاعتمدت كل من تركيا وألمانيا النظام الجمهوري وتحولت النمسا إلى جمهورية صغيرة أما روسيا فكانت قد تحولت من النظام القيصري إلى النظام الشيوعي وذلك بعد ثورة 1917 البلشفية التي قادها فلاديمير لينين.



معاهدة فرساي

وقع الألمان على معاهدة فرساي مع الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الأولى بعد مفاوضات دامت ستة أشهر، وتم تعديل المعاهدة فيما بعد في 10 يناير 1920 لتتضمّن الاعتراف الألماني بمسؤولية الحرب ويترتب على ألمانيا تعويض الأطراف المتضرّرة ماليًا.

وتضمنت المعاهدة شروطًا قاسية أهمها اقتطاع ما يقارب 25 ألف ميل مربع من الأراضي الألمانية وضمها إلى كل من بولندا والدانمرك وتشيكوسلوفاكيا، ومصادرة جميع المستعمرات الألمانية، وتحميل ألمانيا وحدها مسؤولية الحرب وتسريح جيشها وبنود هذه المعاهدة كانت السبب الذي جعل ألمانيا تتحين الفرص لإلغائها والانتقام من الذين فرضوها عليه.

وتمخّضت الاتفاقية عن تأسيس عصبة الأمم التي يرجع الهدف إلى تأسيسها للحيلولة دون وقوع صراع مسلّح بين الدول كالذي حدث في الحرب العالمية الأولى ونزع الفتيل من الصراعات الدولية.

وفيما يتعلق بالقيود العسكرية على ألمانيا، فقد وضعت الاتفاقية ضوابط وقيود شديدة على الآلة العسكرية الألمانية لكي لا يتمكن الألمان من إشعال حرب ثانية كالحرب العالمية الأولى، فقد نصّت على احتواء الجيش الألماني على 100,000 جندي فقط وإلغاء نظام التجنيد الإلزامي الذي كان يعمل به في ألمانيا. ولا تستطيع ألمانيا إنشاء قوة جوية والتقيد بـ 15،000 جندي للبحرية بالإضافة إلى حفنة من السفن الحربية بدون غواصات حربية. ولا يحق للجنود البقاء في الجيش أكثر من 12 عامًا وفيما يتعلّق بالضبّاط، فأقصى مدّة يستطيع الضباط البقاء بها في الجيش هي فترة 25 عامًا لكي يصبح الجيش الألماني خاليًا من الكفاءات العسكرية المدرّبة.

ونصّت الفقرة 232 من المعاهدة على تحمّل ألمانيا مسؤولية الحرب وتقديم التعويضات للأطراف المتضرّرة وقدّرت تلك التعويضات بـ 269 بليون مارك ألماني وخفّض هذا المبلغ ليصبح 132 بليون مارك، ويفيد الاقتصاديون أنه بالرغم من تخفيض الرقم الكلي لتعويضات الأطراف المتضرّرة، إلا أن المبلغ يبقى مبالغاً فيه. وأثقلت الديون الملقاة على أعتاق ألمانيا كاهل الاقتصاد الألماني مما سبب درجة عالية من الامتعاض الذي آل إلى إشعال الحرب العالمية الثانية على يد أدولف هتلر.

الانتداب

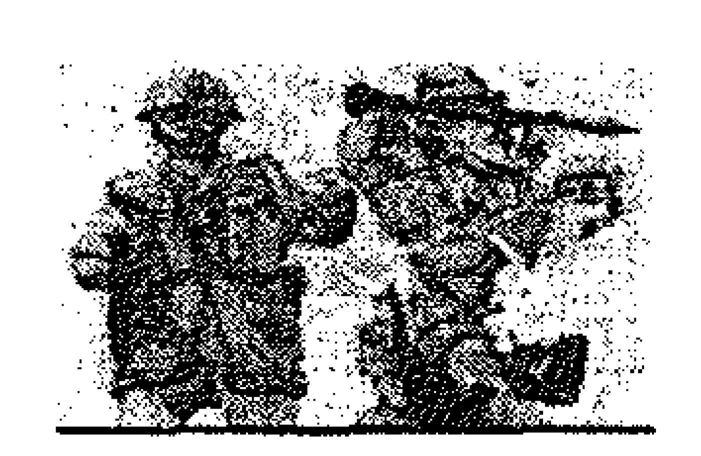
وافق المؤتمر على المطالب الاستعمارية لكل من بريطانيا وفرنسا وأقر بشرعية انتدابها على دول المشرق العربي بالرغم من اعتراض الأمير فيصل بن الحسين الذي حضر المؤتمر بصفة مراقب.

قيام عصبة الأمم

وافق رؤساء الوفود المشاركة في مؤتمر الصلح بالإجماع على قيام منظمة عصبة الأمم التي أصر عليها الرئيس الأمريكي ويلسون وادخلها كبند أساسي في جميع المعاهدات التي وقعها المنتصرون مع المهزومين وقد كان الهدف الأول للعصبة التي اتخذت مدينة جنيف في سويسرا مقرا لها حل الخلافات بين الدول بالوسائل السلمية وذلك للمساعدة على خلق جو من التفاهم والثقة بين الشعوب.

لكن الأمور لم تجر في هذا الاتجاه إذ لم يكن للعصبة عند إنشائها قوة عسكرية قادرة على تنفيذ مقرراتها كما أنها تحولت إلى أداة لمصلحة المنتصرين في الحرب الأمر الذي دفع الولايات المتحدة الأمريكية نفسها إلى عدم المشاركة في عضويتها على الرغم من كونها صاحبة الفكرة في قيامها.

الوطن العربي تحت الانتداب



بدأ التطبيق الفعلي لمضمون اتفاقية سايكس بيكو سنة 1918 والمعارك لم تنته بعد وذلك حين قسم الجنرال اللنبي قائد الجيوش الحليفة في الشرق المناطق العربية إلى ثلاث: واحدة إدارة فرنسية (الساحل) وواحدة بإدارة عربية (الداخل) والأخيرة بإدارة بريطانية لكن التغطية الدولية لهذه الاتفاقية جاءت عبر مؤتمر الصلح في باريس سنة 1919 فقد طرح المؤتمر مفهوما جديدا للاستعمار هو الانتداب الذي اقترحه الرئيس الأمريكي ويلسون ورئيس وزراء جنوب أفريقيا الجنرال سمطس وهو ينص على تولي دولة كبرى شئون الدولة التي لا عهد لها بالحكم والتي خضعت لفترة طويلة لإحدى الإمبراطوريات المتداعية كالدولة العثمانية فتساعدها الدولة المنتدبة حتى تصبح قادرة على إدارة شئونها بنفسها.

لكن المؤتمر السوري العام رفض اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور وأعلن قيام المملكة السورية ونصب الأمير فيصل ملكا عليها فانعقد المجلس الأعلى للحلفاء في مدينة سان ريمو الإيطالية في أبريل 1920 وقرر ردا على المؤتمر السوري تطبيق اتفاقية سايكس بيكو التي تقضي بوضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي والعراق وفلسطين وشرق الأردن تحت الانتداب الإنجليزي وتعهد مؤتمر سان ريمو كذلك بالعمل على تطبيق وعد بلفور كما كانت بريطانيا مرتبطة مع الإمارات العربية الواقعة على سواحل الخليج العربي وعمان بمعاهدات حماية كذلك فرضت بريطانيا حمايتها على مصر والسودان وسيطرت إيطاليا على ليبيا واحتلت فرنسا ما تبقى من المغربي العربي وكرست سيطرتها على كل من تونس والمغرب والجزائر وموريتانيا والصومال.

***

الحرب العالمية الثانية

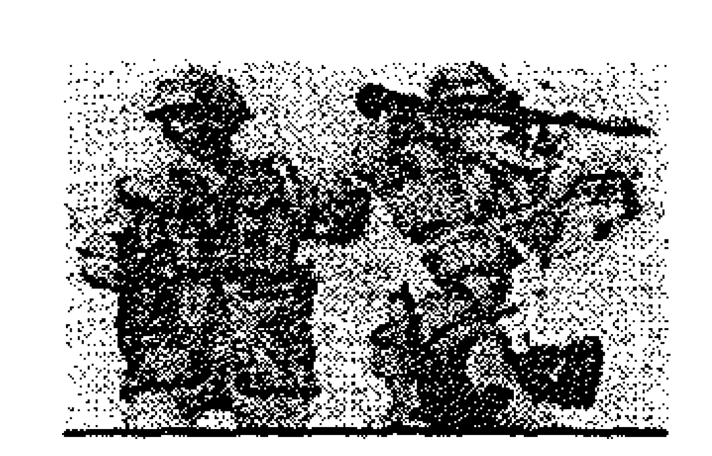
الحرب العالميّة الثانية هي نزاع دولي مدمّر بدأ في 7 يوليو 1937 في آسيا و1 سبتمبر 1939 في أوروبا وانتهى في عام 1945 باستسلام اليابان. قوات مسلحة من حوالي سبعين دولة شاركت في معارك جوية وبحرية وأرضية.

تعدّ الحرب العالميّة الثانية من الحروب الشموليّة، وأكثرها كُلفة في تاريخ البشريةً لاتساع بقعة الحرب وتعدّد مسارح المعارك والجبهات، شارك فيها أكثر من 100 مليون جندي، فكانت أطراف النزاع دولاً عديدة والخسائر في الأرواح بالغة، وقد أزهقت الحرب العالمية الثانية زهاء 70 مليون نفسٍ بشريةٍ بين عسكري ومدني.

تكبّد المدنيون خسائر في الأرواح إبّان الحرب العالميّة الثانية أكثر من أي حرب عبر التاريخ، ويُعزى السبب للقصف الجوي الكثيف على المدن والقرى الذي ابتدعه الجيش البريطاني بمجرد وصول ونستون تشرتشل إلى السلطة ورد عليه الجيش النازي بالمثل، فسقط من المدنيين من سقط من كلا الطرفين، أضف إلى ذلك المذابح التي ارتكبها الجيش الياباني بحق الشّعبين الصيني والكوري إلى قائمة الضحايا المدنيين ليرتفع عدد الضحايا الأبرياء والجنود إلى 51 مليون قتيل، أي ما يعادل 2٪ من تعداد سكان العالم في تلك الفترة.

الأسباب

يعتبر السلام الناتج عن مقررات مؤتمر باريس للسلام لسنة 1919 إهانة كبرى بالنسبة لألمانيا لأن معاهدة فرساي مزقت وحدتها الإقليمية والبشرية والاقتصادية وسلبت منها جميع مستعمراتها، كذلك أدى هذا المؤتمر إلى خيبة أمل كبرى بالنسبة لإيطاليا لأنه تجاهل طموحاتها وتوسعها الاستعماري.



وقد ترتب على هذا السلام المنقوص بروز عدّة مناطق توتّر بسبب تـأجّج الـشعور القومي وخاصة بمنطقتي السوديت وممر الدانزيج البولندي؛ ولذلك يعتبر السلام المنقوص لسنة 1919 وما خلّفه من ضغائن وأحقاد من الأسباب العميقة للحرب العالمية الثانية.

اعتمـدت الأقطـار المتـضرّرة مـن أزمـة الثلاثينـات الاقتـصادية عـلى "القوميّـة الاقتصاديّة"، وهي: تنظيم اقتصادي يرتكز على الحدّ من الاستيراد وتـشجيع التـصدير عـبر التخفيض من قيمة النقد؛ وقد أدّى ذلك إلى قيام حرب تجاريّة ساهمت بقسط كبير في تـوتر العلاقات الدوليّة.

كما تعتبر أبرز ملامح "أزمة الثلاثينات" التفاوت الاقتصادي الكبير بـين الأنظمـة الديمقراطيّة (فرنسا، بريطانيا، الولايات المتحدة الأمريكية) التي كانت تحتكر بمفردهـا 80٪ من الرصيد العالمي للذهب وتملك إمبراطوريّات استعماريّة ومنـاطق نفـوذ شاسـعة، وبـين الأنظمة الدكتاتوريّة (إيطاليا، ألمانيا، اليابان) التي اعتبرت نفسها دولاً فقيرة وطالبـت بإعـادة تقسيم المستعمرات لضمان ما أسمته بالمجال الحيـوي؛ وهـو الأمـر الـذي أدى إلى تـضارب المصالح وتزايد حدّة التوتّر في العلاقات الدوليّة وشكل تهديدًا مباشرًا للسلام العالمي.

سَعتْ عصبة الأمم إلى تحقيق السلام العالمي والأمن المشترك بين جميع بلدان العـالم عن طريق الحوار والتّحكيم، فعملت على الحد من التسلّح إلّا أنّ تلك المنظّمة لم تحقّق النّجاح المؤمّل في حل مختلف الأزمات الدوليّة وقد تجلى ذلك بالخصوص لدى:

احتلال مقاطعة منشوريا الواقعة بالشمال الشرقي للصين من قبل اليابان سنة 1931 دون أن يصدر عن المنظّمة الدوليّة أي ردّ فعل حاسم.

فشل مؤتمر جنيف لنزع السلاح والحدّ من خطورة التسابق نحو التسلّح وانسحاب ألمانيا من عصبة الأمم سنة 1933 تعبيرًا عن تمـسّكها بـشرعية مطلبهـا في إعـادة بنـاء قوتهـا العسكريّة وإلغاء ما تضمّنته معاهدة فرساي من بنود مجحفة في حقها.

احتلال إثيوبيا من قبل إيطاليا سنتي 1935 و1936 وفشل العقوبات الاقتصاديّة المفروضة عليها بعد أن انسحبت كل من ألمانيا واليابان من عصبة الأمم وامتنعت فرنسا عن تطبيق تلك العقوبات.

وهكذا تزايدت قوة الأنظمة الدكتاتوريّة في الوقت الذي تراجعت فيه هيبة الأنظمة الديمقراطية.

اتّسمت مواقف الولايات المتّحدة الأمريكيّة وبريطانيا وفرنسا إزاء التطرف الذي طغى على سياسات النظام العسكري في اليابان والفاشي في إيطاليا والنازي في ألمانيا بكثير من اللامبالاة والسلبيّة. فقد عادت الولايات المتحدة إلى تطبيق سياسة الانعزال تجاه مشاكل القارة الأوروبية وبقيّة العالم. كما اعتبر المحافظون بعد وصولهم إلى السلطة في بريطانيا أن مطالب المستشار الألماني أدولف هتلر محدودة ويمكن مناقشتها والتوصل إلى اتفاق معه في شأنها. أمّا في فرنسا حيث سعت الأحزاب اليسارية إلى التقرّب من الاتحاد السوفييتي، أمّا الأحزاب اليمينيّة إلى التحالف من بينيتو موسوليني فإنّ الرأي العام الفرنسي قد اعتقد بأن فرنسا غير قادرة على مواجهة ألمانيا منفردة.

وهكذا فقد مثّل تراجع هيبة الأنظمة الديمقراطيّة أمام تحدّيات الأنظمة الدكتاتوريّة دليلاً واضحًا على فشل سياسة الأمن المشترك المتبعة من قبل عصبة الأمم.

برز هذا التحالف بوضوح بمناسبة اندلاع الحرب الأهلية الإسبانية (1936-1939) عندما قاد الجنرال فرانسيسكو فرانكو بدعم من المحافظين انقلابًا على الجبهة الشعبيّة التي فازت في انتخابات سنة 1936 ووعدت بإرساء نظام ديمقراطي.

وقد انتصر فرانكو بعد أن حصل على دعم الأنظمة الدكتاتوريّة (إيطاليا وألمانيا) سواء بالجنود أو بالسلاح في حين لم يتلق الجمهوريون من بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي سوى دعم ضئيل اعتبارًا من رغبة هذه الدول في دخول مواجهة مسلحة مع ألمانيا وإيطاليا.



وهكذا فقد دعم وصول فرانكو إلى السلطة بإسبانيا جبهة الأنظمة الدكتاتوريّة بأوروبا.

كما أدى امتناع ألمانيا عن تطبيق العقوبات الاقتصاديّة المتخذة في حقّ إيطاليا بعد غزوها لإثيوبيا إلى التقارب بين هتلر وموسوليني وإعلان الدولتين عن تكوين محور روما- برلين سنة 1936. في حين تشكّل حلف مضاد للشيوعيّة بين ألمانيا واليابان تلك التي كانت تخشى وقوف الاتحاد السوفييتي ضدّ سياستها التوسعيّة في الصين. وهو حلف دُعِّم بانضمام إيطاليا الفاشيّة إليه.

بدأ المستشار الألماني هتلر في تطبيق سياسته التوسعية من خلال:

ضم النمسا إلى ألمانيا في مارس 1938 وذلك بعد وصول الزعيم النمساوي النازي إنكارت إلى الحكم ودعوته للجيوش الألمانية إلى ضمّ النمسا إلى الوطن الأم.

ضم السوديت التي كان يعيش بها قرابة 3 ملايين من الألمان وذلك على إثر معاهدة ميونخ في سبتمبر 1938 والذي حضرته كل من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا وأدى إلى تلبية أطماع هتلر الإقليميّة.

كان لهذا المؤتمر أثر سلبيّ مباشر على وحدة أراضي تشيكوسلوفاكيا. فما أن حصل هتلر على منطقة السوديت دون أي ردّة فعل من الدول الديمقراطيّة حتى انقض البولنديّون والمجريّون على الأراضي التشيكيّة المحاذية لأراضيهم وسكانها من بولندا والمجر واحتلوها. وهكذا لم يبق من تشيكوسلوفاكيا سوى منطقة سلوفاكيا.

أمّا في أوروبا الغربيّة فقد رحب الكثيرون بنتائج المؤتمر ظنًا منهم بأن مطالب هتلر ستتوقف عند هذا الحد فيعمّ السلام أوروبا بعد أن حصل على مجاله الحيوي في الشرق. لكنّ الأمور سارت على عكس ما اعتقدوا لأنّ هتلر وجد في الموقف الضعيف للدول الديمقراطيّة في مؤتمر ميونخ تشجيعًا له في سياسته التوسعيّة الأمر الذي سيدفع بالعالم إلى الاتيان بحرب عالميّة جديدة.

في مارس 1939 ضم هتلر منطقة ميمل التشيكية إلى أراضيه. وفي أبريل من نفس السنة اجتاح موسوليني ألبانيا ثم وقع مع هتلر معاهدة عسكرية أطلق عليها اسم "الحلف



الفولاذي". عندئذ وبعد حذر وتردد طويلين شعر الإنجليز والفرنسيون بالخطر فأعلنوا ضمان حدود بولندا ورغبتهم في توقيع معاهدة صداقة مع جوزيف ستالين ولكنّ الحذر وعدم الثّقة بين الديمقراطيّات الغربيّة وستالين دفعا هتلر للالتفاف على هذه التحرّكات وتوقيع معاهدة عدم اعتداء مع الاتّحاد السوفييتي في 23 أغسطس 1939. ومن أخطر ما احتوته هذه المعاهدة بند سري يقضي بتقاسم بولندا ودول البلطيق بين الاتّحاد السوفييتي وألمانيا النازيّة.

نشأت بولندا كدولة مستقلّة إثر الحرب العالميّة الأولى. وكانت اتفاقية فرساي مع ألمانيا المنهزمة اقتطعت من أراضيها منطقة دانزيغ وجعلتها تحت إشراف عصبة الأمم منطقة حرّة ترتبط ببولندا عبر اتحاد جمركي؛ فشكّلت هذه المنطقة مع الممرّ البولندي الذي اقتطع أيضا من ألمانيا بموجب معاهدة فرساي وأعطي لبولندا كمَنفذ لها على بحر البلطيق فاصلاً منطقة بروسيا الشرقية عن الوطن الأم ألمانيا، وبما أنّ هتلر سعى لجمع الشعب الألماني في دولة واحدة فقد راح يطالب بولندا بإعادة دانزيغ والممرّ البولندي إلى ألمانيا، وهذا ما رفضته بولندا بشدّة في البداية مستندة إلى دعم كل من فرنسا وبريطانيا، وبينما كانت الدول تسعى لإيجاد مخرج لهذه الأزمة فاجأ هتلر العالم في صبيحة 1 سبتمبر 1939 باجتياح أراضي بولندا فوجهت بريطانيا إنذارًا إلى ألمانيا بوجوب سحب قوّاتها من بولندا فورًا وإلّا اعتبرت الحرب قائمة بين البلدين وحذت فرنسا حذو بريطانيا فانقسم العالم إلى معسكرين "الحلفاء" و "المحور" وهكذا كانت بداية الحرب العالمية الثانية التي دامت حوالي ست سنوات.

نظرة عامة

تعدّ الحرب العالميّة الثانية من أكبر المعارك الحربيّة بين الجيوش في شتّى بقاع الأرض في التّاريخ الحديث، ويمكننا أن نقسّم الحرب إلى جزأين:

الجزء الأول كان في قارة آسيا عام 1937 (الحرب اليابانية الصينية).

الجزء الثاني كان في قارة أوروبا عام 1939 والذي بدء بالغزو الألمانيّ على بولندا، أدى هذا التشابك العسكري إلى انقسام العالم إلى طرفين أو قوّتين، "الحلفاء" Allies و"المحور" Axis.



تشكّلت في الحرب العالميّة أكبر جيوش الأرض عددًا وذلك بما يقارب نحـو 100 مليون جندي عسكري، أدّى ذلك إلى أن تكون هذه الحرب الأكبر مساحة وانتشارًا في تاريخ الحروب العسكريّة الحديثة، كما أدّى إلى قيام الحرب العالميّة الثانية إلى تقليص مفهوم المدنيّـة، فقد قامت البلاد المشاركة باستخدام المدنيّين في خوض المعارك كجنـود وفيـالق في سـاحات الحرب، كما تشير التقارير أن ثلثيّ الذين قتلوا كانوا من المدنين.

أدت الحرب العالميّة الثانية إلى وجود نشاط أو تقدم ملحوظ في الكثير من المجالات الاقتصادية والصناعية وحتّى على صعيد القدرات العلميّة والتي سخرت جميعهـا في خدمـة الحرب، وتقدر الكلفة الماليّة للحرب بـ تريليون دولار أمريكـي (قـدرت عـام 1944)، ممّـا جعلها أغلى حرب من حيث التكاليف والأرواح.

تسلسل الأحداث تاريخيّاً

- قام جيش كوانتونغ الياباني بغزو مدينة منشوريا الـصينية عـام 1931 وسـيطرت عليها. بعدها بعامين 1933 نشأ الحزب النازي في ألمانيا تحت قيـادة الـزعيم النـازي أدولـف هتلر، الذي جعل ألمانيا تعود من جديد إلى التسلّح وغيّر من سياستها الخارجية، في عام 1938 بدأ هتلر بالتحرّك لتوسيع الأراضي الألمانية شرقاً.

معركة الثغرة معروفة عالمياً بمسماها الـشعبي (بالإنكليزيـة: The Battle of the Bulge)، وهي هجوم ألماني رئيسي على الجبهـة الغربيـة في الأرديـن اسـتمر مـن 16 كـانون الأول/ ديسمبر 1944 وحتى 25 كانون الثاني/ يناير 1945. حدثت هذه المعركة في نهايـات الحرب العالمية الثانية، وقد أطلق عليها الألمان اسم (عملية مراقبة نهـر الـراين)، بيـنما سـماها الأمريكيون معركة الأردين، ولكن الناس عرفوها ببساطة بمعركة الثغرة.

- في عام 1937، قامت اليابان بغزو شامل للأراضي الصينيّة، بدءًا بالقصف المركّز على مدينتي شنغهاي وجانزوهو فحدثت مجزرة نانكنج.

- في ذلك الوقت في أوروبا قامت ألمانيا وقد انضمّت إليها إيطاليا بتصعيد اللهجة والخطاب السياسي الخارجي.

- الحكومة البريطانية التي كانت تحت قيادة نيفيل تشامبرلين، وصفت الاتحاد السوفياتي بأكبر قوة معادية ومهدِّدة في أوروبا، كما قامت بريطانيا وفرنسا باستخدام سياسة الاسترضاء، أملاً بأن تكون ألمانيا درعا في مواجهة الاتحاد السوفياتي وإيقاف انتشار نفوذه.

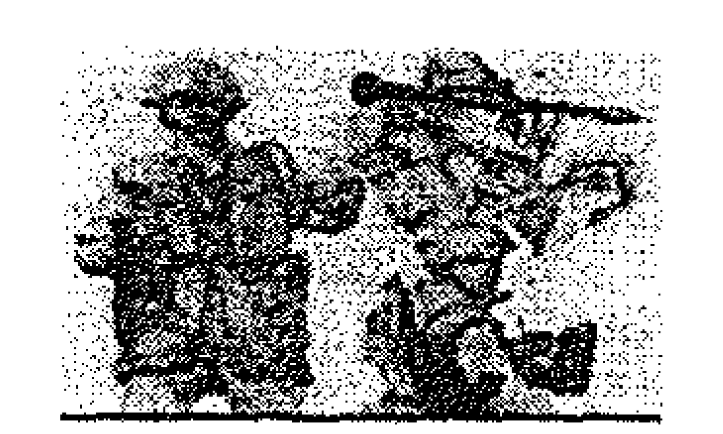
- أخيرًا، في سبتمبر عام 1939، قامت ألمانيا بغزو بولندا بالاشتراك مع الاتحاد السوفياتي الذي أراد استرجاع أراضيه التي خسرها في اتفاقية ريغا عام 1921، ممّا أدى ذلك إلى نشوب الحرب مرة أخرى في أوروبا.

- بداية لم تقم فرنسا أو بريطانيا بإعلان الحرب على ألمانيا، بل حاولتا الاتصال مع هتلر عن طريق القنوات الدبلوماسيّة، ولكنّ هذا الأخير لم يستجب إطلاقًا لهذه النداءات. بعدها قامت بريطانيا وفرنسا بإعلان الحرب ضد ألمانيا. خلال عامي 1939 - 1940، حصلت بعض المناوشات بين الطرفين ولكن لم يكن ينوي أي من الجانبين الالتحام مباشرة بالطرف الآخر، وسميت هذه الفترة بالحرب الزائفة.

- في ربيع عام 1940، قامت ألمانيا بغزو الدنمارك والنرويج، وبعدها فرنسا وبعض الدول الأخرى مبكرًا في الصيف. كذلك إيطاليا قامت بإعلان الحرب ضد بريطانيا وفرنسا عام 1940.

- وجّهت ألمانيا سهامها لبريطانيا، وقامت بمحاولة قطع سبل المعونات البحريّة وكذلك المعونات الجويّة حتّى تقوم بعمل حصار بحريّ على الجزيرة البريطانيّة.

- لم تستطع ألمانيا فرض حصار بحريّ على بريطانيا، عوضًا عن ذلك كثّفت ألمانيا الهجمات على الأراضي البريطانيّة خلال الحرب. من جهتها حاولت بريطانيا بتركيز المواجهة مع القوات الألمانية والإيطالية في حوض البحر المتوسط❋.



- استطاع الجيش البريطاني تحقيق نجاح محدود في حوض البحر المتوسط، رغم ذلك، فشلوا في منع المحور من احتلال منطقة البلقان*.

- استطاع البريطانيون النجاح بصعوبة في مسرح البحر المتوسط، وذلك بإحداث أضرار بالغه في الأسطول البحري الإيطالي، وبأوّل هزيمة أحدثوها للجيش الألماني في معركة بريطانيا*.

- زادت حدة الحرب في يونيو 1941 وذلك عندما قامت ألمانيا بغزو الاتحاد السوفيتي، الذي أجبر الأخيرة على انضمامها كحليف لبريطانيا في الحرب، كانت الهجمات الألمانيّة ناجحةً جدًا وذات نتائج جيّدة على صعيد الأراضي السوفياتيّة حتى حلول الشتاء، عندما بدأت هذه الهجمات تتعثّر بفعل الثلوج وصعوبة الحركة ونقص الإمدادات.

- بعد غزو الأراضي الصينيّة والصين الفرنسية عام 1940، كانت اليابان على موعد لزيادة العقوبات الاقتصاديّة عليها من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة وهولندا. لكن اليابان حاولت تقليل هذه العقوبات من خلال القنوات الدبلوماسيّة مع الأطراف وذلك بالمفاوضات، إلّا أنّ هذه المفاوضات لم تسفر عن شيء؛ الأمر الذي صعد من وتيرة الحرب عندما قامت اليابان بشن هجمات سريعة على الأراضي الأمريكية في هجوم بيرل هاربر في هاواي والمستعمرات البريطانية في جنوب شرق آسيا. بعد الهجمة على بيرل هاربر، قامت ألمانيا بإعلان الحرب على الولايات المتحدة أيضًا، وبحدوث ذلك دخلت الولايات المتحدة في توتر عسكري مع اليابان، الأمر الذي أدى إلى توحيد الحرب في آسيا وأوروبا ضمن حرب عالميّة واحدة.

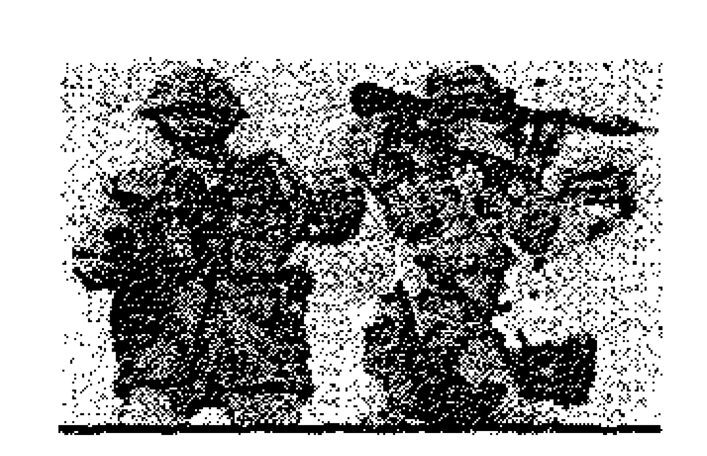
- بدلاً من أن يقوم المحور بجني نتائج إيجابيّة، بدأ التراجع في عام 1942 عندما قامت الولايات المتحدة بالفوز في معركة ميدواي Midway أمام اليابان غير أنّ أربعًا من حاملات الطائرات اليابانيّة دمّرت، كما أنّ الألمان أيضًا تراجعوا أمام الهجمات الأنجلو

أمريكية في أفريقيا، والألمان أيضا جدّدوا هجماتهم على الاتحاد السوفياتي في الصيف ولكن لم تكن كذي قبل.

- عام 1943 خسر الألمان معركة ستالينجراد ضد الجنود السوفييت، وبعدها معركة كورسك -وهي أكبر معركة تستخدم فيها المدرعات الثقيلة في التاريخ الحديث- ثمّ بدأت القوات الألمانية بالتقهقر من أفريقيا، وبدأت قوات الحلفاء في التقدّم لشمال إيطاليا من خلال صقلية. أجبر ذلك إيطاليا على توقيع معاهدة استسلام عام 1943. أمّا على صعيد المحيط الهادي: بدأت القوّات اليابانيّة بفقد السيطرة على الأراضي التي احتلتها وذلك لأن القوات الأمريكيّة بدأت تسيطر على جزيرة تلو الأخرى في المحيط الهادئ.

- في عام 1944، بدأت كواليس الحرب واضحة وذلك بأن دول المحور قد فقدت زمام الأمور، ألمانيا بدأت تتقهقر من هجمات الاتحاد السوفياتي من خلال ضغط الهجمات على الأراضي السوفياتيّة المحتلة وبولندا ورومانيا من الشرق، ومن الغرب قامت قوات الحلفاء بغزو عمق أوروبا أدّى ذلك إلى تحرير فرنسا والوصول إلى حدود ألمانيا الغربيّة، في نفس الوقت استطاعت اليابان شن هجمات ناجحة على الصين، كان الأسطول الياباني يعاني الأمرَّين في المحيط الهادئ، ممّا أدى إلى إحكام القوات الأمريكية السيطرة على المطارات وذلك من خلال قصف بعيد المدى لطوكيو.

- أخيرًا انتهت الحرب عام 1945 وذلك في معركة الثغرة -آخر هجمة مرتدّة من ألمانيا للجهة الغربية- حين سيطرت القوّات السوفياتيّة على برلين في شهر مايو، هذه الخسائر أدّت إلى استسلام ألمانيا، المسرح الآسيوي أيضًا شهد سيطرة القوات الأمريكيّة على الجزر اليابانيّة (أيوجيما، أوكيناوا)، وفي نفس الوقت كانت القوّات البريطانيّة قد أحكمت سيطرتها على جنوب شرق آسيا، ممّا أدّى ذلك إلى استسلام اليابان. أخيرًا كان الغزو السوفياتي لمانشوكو، ثمّ قامت الولايات المتحدة برمي قنابل ذرية على مدينتي (هيروشيما وناغاساكي اليابانيتين.



- انتصر الحلفاء في الحرب العالميّة الثانية وكنتيجة لذلك قامت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بتشكيل أكبر قوتين في العالم؛ والذي أدّى إلى قيام مايسمّى بالحرب الباردة بينهما والتي امتدّت إلى 45 عامًا انتهت بسقوط الاتحاد السوفيتي عام 1991.

المسرحين الأوروبي والأفريقي

بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وضعت معاهدة فرساي بعض العقوبات والشروط على هذه الدولة، بما فيها تعويضات ماليّة كبيرة (دفعت ألمانيا البعض منها) وفقدان بعض الأراضي (مؤقتًا)، إلى جانب الانهيار الاقتصادي والتضخّم الذي عانته ألمانيا بعد فترة الحرب العالميّة الأولى من شروط المعاهدة، كل ذلك أدى إلى تضخّم مشاعر الاستياء لدى الألمان ممّا جعل أدولف هتلر هو وحزبه الوصول لحكم ألمانيا.

في نفس الوقت، استطاع الزعيم الفاشي بينيتو موسوليني الوصول إلى حكم إيطاليا وذلك عام 1922، ممّا أدّى إلى تحويل إيطاليا إلى دولة فاشيّة، هذا وقد أدى تقارب الأفكار بين حزب هتلر وموسيليني إلى تكوين علاقة قويّة بين الزعيمين، بعد أن أخذ هتلر الحكم في ألمانيا، اتفق مع وموسيليني على إنشاء حلف يسمى بالمحور بين روما وبرلين، تحت مسمى "الحلف الصلب" أو "الميثاق الصلب"، بعدها شاركت اليابان في الحلف مع الأطراف السابقة، ثمّ وقّعت اليابان معاهدة مع ألمانيا عام 1939 تسمى بـ ضد الشيوعية والتي كانت موجهة ضد الاتحاد السوفيتي بالتحديد، بعد ذلك قامت بعض القوى الأخرى الصغيرة بالالتحاق بصفوف دول المحور.

كانت ألمانيا النازيّة، والإتّحاد السوفياتي يعتبران من أشدّ الأعداء تِجاه بعضهم البعض، رغم ذلك تم توقيع اتفاقية ميونيخ بين الطرفين والذي اقتضت تسليم تشيكوسلوفاكيا إلى ألمانيا. إنّ الواقع السياسي هذا جعل الاتحاد السوفياتي يوقع "الاتفاق الألماني السوفييتي" بينه وبين ألمانيا، وتشمل هذه الاتفاقيّة تقسيم بولندا، وجمهوريّات البلطيق وفنلندا بين الطرفين.



بدأت الحرب فعليًا في أوروبا في 1 سبتمبر عام 1939، عندما قام الجيش الألماني النازي باستخدام تكتيك يسمى "الحرب الخاطفة" Blitzkrieg، وهو تكتيك يستخدمه الجيش بالهجوم على خصمه بسرعة، وأخذه على حين غرّة حتّى لايستطيع الخصم أن يهيّئ نفسه لملاقاة عدوه، وقد استخدم تكتيك الحرب الضوئيّة عام 1939 في بولندا والتي كان كل من فرنسا وبريطانيا قد تعهدتا إليها بتقديم ضمانات.

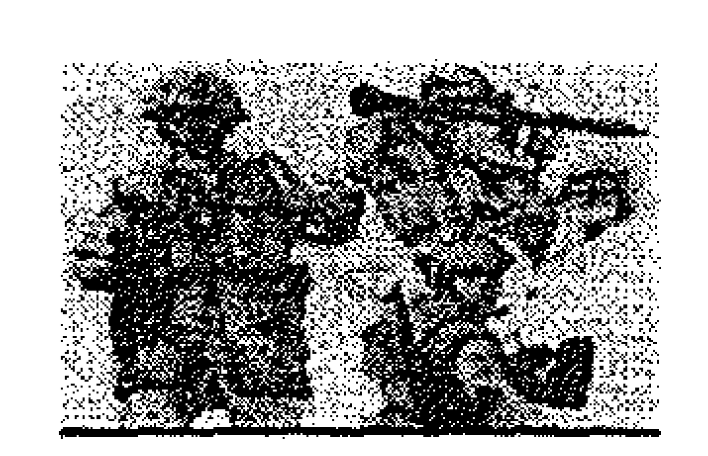
في 3 سبتمبر من نفس ذلك العام، أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا، كما بدأت بريطانيا بإرسال جيوشها إلى فرنسا، بالرغم من ذلك، لم يقم الجيش الفرنسي أوالبريطاني بتقديم أي مساعدة فعليّة للبولنديين خلال غزو ألمانيا لهم، وبقيت الحدود الفرنسية الألمانيّة هادئة.

في 17 سبتمبر، قام الاتحاد السوفياتي بالدخول إلى الاراضي البولندية من الشرق، وبعدها بساعات، بدأت الحكومة البولندية بإخلاء سكانها إلى رومانيا، سقطت بولندا خلال 5 شهور بعدما استخدمت كل جيوشها وعتادها أمام القوّات الغازية، كما استسلمت في 5 أكتوبر بعد معركة كوك.

بعد انتهاء حملة بولندا في 28 أيلول/ سبتمبر، ثم توقيع معاهدة استسلام بولندا في 6 أكتوبر، قام أدولف هتلر بعرض معاهدة سلام مع بريطانيا وفرنسا ضمن الواقع الجديد لألمانيا في الشرق وهو احتلال بولندا. في 12 أكتوبر، استطاع هتلر أن يتلقّى إشارة ايجابيّة من المملكة المتحدة "بريطانيا".

لم تصمت بولندا وبدأت حكومتها السابقة بتكوين أكبر خلايا وشبكات مقاومة عرفها العالم في محاولة لإسقاط الحكم النازي.

بالرغم من الحملة السريعة في الشرق، بقت الحدود الألمانيّة الفرنسيّة رغم إعلان الحرب بينهما هادئة حتى تاريخ 10 مايو 1940، وتسمّى هذه الفترة باسم الحرب الزائفة.



في ذلك الزمن، دخلت بعض الدول إلى التوتّر العسكري أيضًا، ففي 28 سبتمبر عام 1939، لم يكن هناك أي خيار لجمهوريّات البلطيق سوا أن يستضيفوا القواعد السوفيتيّة وجيوشها داخل بلدانهم، وقد تم احتلالهم من الاتحاد السوفياتي في مايو 1940، فتمّ ضمّهم إلى الاتحاد السوفياتي في أغسطس عام 1940.

قام الاتحاد السوفياتي في ذلك الوقت بعرض نفس ماحدث لجمهوريات البلطيق إلى فنلندا، ولكن فنلندا رفضت تسليم أراضيها للجيش السوفياتي، ممّا أدّى إلى غزوها في 30 نوفمبر ويعرف ذاك الوقت "بحرب الشتاء"، وبعد ثلاثة أشهر من المعارك الشديدة والخسائر الفادحة للأطراف، تخلّى الاتحاد السوفياتي عن فكرة غزو فنلندا، فقامت معاهدة سلام موسكو في 12 مارس 1940، والتي ينص أحد شروطها بأن تسلّم فنلندا 10٪ من أراضيها للاتحاد السوفياتي، والطريف بالموضوع بأنّ فنلندا خسرت نسبة أراضي بسبب الاتفاقيّة أكثر من خسارتها لأراضيها في المعارك! كل ذلك في ظل عدم وجود أي تعاطف أو مساندة من دول العالم الأخرى.

في 9 أبريل عام 1940 قامت ألمانيا بما يُسمّى عملية Weserübung لاحتلال الدنمارك والنرويج، فحاولت بريطانيا وفرنسا بعمل مناورة دفاعيّة للسيطرة على المناطق السويديّة التي يتواجد بها الخامات كالحديد في شمال الأطلسي، ولكن بعد أن فشلت بريطانيا في حملة النرويج. ثمّ تم قطع كل من السويد وفنلندا وذلك من الغرب فعليًّا، فحاولت ألمانيا أن تمارس ضغطًا على السويد التي كانت دولة محايدة في ذلك الوقت بأن تزوّد جنودها بالموارد والاحتياجات قبل الخروج، ثمّ اتجهت ألمانيا بعد ذلك إلى فنلندا والتي وجدت حدودها مليئة بالألغام، الأمر الذي يعتبر مؤشّرًا على تقدّم الجيش الفنلندي آنذاك.

انتهت الحرب المزيّفة بين الأطراف وذلك بقيام ألمانيا بغزو بلجيكا وهولندا ولوكسمبورج، وفي 13 مايو تم غزو ألمانيا لفرنسا، وذلك بدخول جيوشها من خلال غابات الأردين Ardennes، جاء ذلك التوغل نتيجة خطأ فادح من الفرنسيون عندما تركوا هذه



المنطقة بدون أيّ حماية، لاعتقادهم بأن طبيعة هذه المنطقة الجغرافية تجعل من المستحيل أن تتحرّك بها الدروع الحربية الألمانية لمهاجمتهم، كان معظم قوات التحالف تتمركز في منطقة فلاندرز وهي منطقة ما بين فرنسا وبلجيكا، كانت فكرة الألمان إعادة تنفيذ خطة عسكرية اسمها خطة شليفن وهي ابتكار من أحد الجنرالات الألمان قديما في الحرب العالمية الأولى، إلا أن وقوع طائرة ألمانية تحمل تفاصيل تلك الخطة أجبر الألمان على اتباع خطة جديدة أعدها القائد الألماني إريش فون مانشتاين، وهكذا استطاع الألمان التوغّل في منتصف فرنسا وقطع هذه المناطق، الأمر الذي رجّح كفّة الألمان فاستطاعوا أن ينهوا معركة فرنسا بوقت قصير لم يتوقّعه الحلفاء وهو 6 أسابيع يشمل ذلك قصف باريس في 3 مايو الأمر الذي أدّى إلى استسلام فرنسا في 22 يونيو.

من أجل إذلال الشعب الفرنسي أكثر: قام هتلر بإصدار وثيقة تمّ توقيعها في نفس المكان الذي وقّع به الألمان وثيقة استسلامهم في الحرب العالمية الأولى، والتي تنص على استسلام فرنسا وتقسيمها إلى طرفين، الطرف الشمالي يحكمه الحزب النازي والطرف الجنوبي يحكمه الفرنسيون والذين كانت عاصمته فيشي. كان الكثير من الجنود الفرنسيون قد هربوا إلى بريطانيا، حينها قام الجنرال الفرنسي ديغول بتنصيب نفسه كقائد للمقاومة الفرنسية الحرّة ودعاهم لاستكمال القتال، كما أعلنت إيطاليا الحرب أيضا في 10 يونيو لتبدأ دخولها في ساحات المعارك مع ألمانيا.

فايتسلاف مولوتوف رئيس الوزراء في الاتحاد السوفيتي والذي كان مقيّدًا باتفاقيّة عدم الاعتداء بينه وبين ألمانيا، قام بتهنئة الألمان وحاول أن يشاركهم النصر وذلك بتصريحه الآتي: "إن القيادة السوفيتيّة تبعث بأحر التهاني إلى ألمانيا وذلك لنجاحها في حملاتها، إنّ الدبابات الألمانيّة التي غزت شمال فرنسا كانت معبأة بالبنزين السوفياتي، وإنّ القاذفات الألمانيّة التي سحقت روتردام كانت مليئة "بيروكسلين [1] السوفياتي، إنّ الرصاص الذي قتل الجنود البريطانيين، كان بارودًا سوفياتيا..."

في وقت لاحق من شهر أبريل أقام الاتحاد السوفياتي علاقات دبلوماسيّة مع حكومة فيشي (وهي المنطقة التي لم تحتل من قبل الألمان في فرنسا).



بعد سقوط فرنسا، أصبحت بريطانيا وحيدة في ساحات المعركة أمام المارد الألماني، الأمر الذي جعل رئيس الوزراء البريطاني نيفيل تشامبرلين يقدّم استقالته خلال المعارك المندلعة مع الألمان ليأخذ مكانه ونستون تشرشل، لحسن حظ البريطانيون أنّ الكثير من الجنود قد استطاعوا الهرب من شمال فرنسا وذلك باستخدام الآلاف من القوارب المدنيّة الصغيرة لتهريب الجنود إلى الشاطئ البريطاني، هناك اعتقاد كبير حول لجنود الجنود من الهرب، بأنّ السبب والكامن وراء ذلك، هو أنّ هتلر هو الذي أمر بإيقاف وحدات المدرعات استنادًا إلى نصيحة وزير الجو، والذي نصح هتلر بإيقاف الهجوم لإعادة تهيئة الوحدات بعد استهلاكها، الأمر الذي فتح نافذة إلى بريطانيا لتهريب جنودها من ساحات المعركة في شمال فرنسا، كما يشار إلى أنّ بريطانيا قد استفادت كثيرًا وذلك باستخدام نفس الجنود في يوم إنزال نورمندي.

رفض البريطانيون مقترحات كانت قد تقدمت بها ألمانيا كتفاهمات سلام، بعدها قامت ألمانيا بتوجيه طائراتها إلى شمال فرنسا استعدادًا لضربة ستكون موجّهة نحو بريطانيا، سمّيت هذه العملية بـ Seelöwe (أيْ: أسد البحر) وذلك لأهميّة الضربة الجويّة في المعركة مع بريطانيا، كما سمّيت الهجمات الجويّة من سلاح الجو الألماني نحو سلاح الجو الملكي البريطاني بمعركة بريطانيا. كانت وجهة نظر الألمان العسكريّة هي تدمير سلاح الجو البريطاني على مطاراته، والتي تحوّلت إلى قصف المدن البريطانية في محاولة لاستدراج الطائرات وتدميرها، لكنّ أيًا من المحاولتين لم تنجح في تدمير الطيران الملكي.

خلال المعركة، تمّ قصف كلّ المدن الصناعيّة في بريطانيا وخاصة لندن التي عانت الأمرّين من القصف الألماني المركّز بالطائرات عليها (حيث كانت تقصف كلّ ليلة لمدّة أكثر من شهر)، كما تركّز القصف الجوي على مديتني برمنجهام وكوفنتري -والتي كانت مدنًا ذات أهمية إستراتجية لدى بريطانيا- مثلها مثل القاعدة البحريّة البريطانيّة بورتسموث وميناء كنجستون.

كل ذلك أدّى إلى عدم وجود مواجهة خلال المعركة بين جيوش المشاة، لقد جلبت الحرب الجويّة أنظار العالم، فامتدت المعارك حتى الأطلسي، بعدها استخدمت بريطانيا بعض



القوّات الخاصة "كوماندوز" في ضرب بعض المناطق في أوروبا المحتلّة، الأمر الذي جعل تشرشل يفخر بنفسه ويشيد بأفراد الجيش البريطاني قائلاً " لم يحدث أبداً في مجال الصراعات الإنسانيّة أن خضعت الأكثرية للأقلية ".

.الحرب الجويّة في المسرح الأوروبي الحربي بدأت عامة في عام 1939، لكن بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، بدأت في 4 يونيو 1942، عندما بدأت الولايات المتحدة بالدخول إلى المعركة الأوروبية وذلك بإنزال جيوشها في إنجلترا لمشاركتها في المعارك ضد ألمانيا. انتهت الهجمات الجوية رسميا في 5 يوليو 1944، وتم استبدالها بالحرب البرية والتي بدأت في 6 يوليو 1944، من هذا اليوم، الهجمات بسلاح الجو الأمريكي بدأت بالتنسيق مع جيش المشاة لدعم الهجمات البرية في المعارك.

في السابق، كان هناك اعتماد كبير جداً على الطائرات اعتقاداً من الخبراء العسكريين بأن الطائرات عندما تقصف المدن العدوة، ستؤدي إلى قهقرة العدو والتشتت، كنتيجة لذلك، قام الطيران الملكي البريطاني بابتكار قاذفات قنابل إستراتيجية، بينما كان الجيش الألماني يسخر غالب سلاح الطائرات لديه لدعم الجيش على الأرض، غير أن القاذفات الألمانية كانت أصغر حجما من البريطانية، كما أن الألمان لم يحاولوا أن يطوروا قاذفتهم لتصبح بأربع محركات عكس خصمهم البريطاني عندما طور قاذفات B-17 وB-24.

التركيز الأكبر لدى الألمان في قصف المدن البريطانية كان ما بين خريف 1940 وربيع 1941، بعد ذلك وجهت ألمانيا سلاح الطائرات لديها في المعارك ضد الاتحاد السوفياتي، لاحقا بقيت ألمانيا تستخدم القصف ضد بريطانيا بواسطة طائرات في-1 وصورايخ في-2 البالستية.

بالرغم من ذلك، خف مقياس القصف الألماني وذلك بفضل الطيران الملكي البريطاني ومطوريه.

في حلول عام 1942 استطاع الخبراء في بريطانيا بأن يجعلوا 1000 قاذفة قنابل تقصف فوق مدينة ألمانية واحدة، وعندما أعلنت الولايات المتحدة الحرب عام 1942، بدأت

بريطانيا وأمريكا بتبادل القصف بينهم ليكون قصفا بريطانيا في الليل يتبعه قصفا أمريكيا في النهار على المدن الألمانية، في 14 فبراير 1945، سجلت أكبر الحرائق في التاريخ على مدينة دريسدن وذلك بتكوين عاصفة نار إثر القصف أدت إلى مقتل ما بين 25,000 - 35,000 إنسان، غير أن القصف على مدينة هامبورغ 24 - 29 يوليو عام 1943 والقصف على مدينة هيروشيما اليابانية 6 أغسطس عام 1945 وناغازاكي في 9 أغسطس عام 1945 بالقنابل الذرية أدت إلى مقتل أكبر عدد من البشر بضربة واحدة.

قامت إيطاليا بغزو ألبانيا في نيسان/ أبريل عام 1939، وضمتها لها رسمياً، بعدها قام نظام موسيليني بإعلان الحرب على بريطانيا وفرنسا في 11 يونيو عام 1940، وقام بغزو اليونان في 28 أكتوبر من نفس العام، بالرغم من ذلك، لم تكن القوات الإيطالية بنفس مستوى الجيش الألماني على صعيد النجاح الذي قام به الألمان في شمال أوروبا.

قام الطيران الإيطالي بحصار مالطا في 12 يونيو والذي وصف بأنه حصار غير ناجح. حتى استسلام فرنسا لم يساعد قوات المحور كثيراً في معارك البحر المتوسط، التي كانت توصف كمأساة للأسطول الحربي الإيطالي والأسطول الفرنسي الفيشي (الموالين للمحور)، حيث تأثر هذان الأسطولان بأضرار بالغة من الأسطول البريطاني والأسترالي، خاصة في معارك:

معركة المرسى الكبير في 3 يوليو.
معركة تارانتو في 11 نوفمبر.

على صعيد آخر، كانت المملكة اليوغسلافية تعاني من مشكلة عدم وجود قيادة لها، وقد تم تنصيب الأمير بافل كارادوردفيتش وصياً على العرش، والذي قام بعمل اتفاقية مع ألمانيا في 25 مارس 1941، وقد تم ترجيح سبب الاتفاقية بأن هتلر قام بوعد اليوغسلافيين بأنه لو سمحوا له بأن يستخدم أراضي يوغوسلافيا للهجوم على اليونان، سيقوم بإعطائهم مناطق من شمال اليونان ويشمل ذلك "سالونيك"، بالرغم من ذلك، وبعد احتجاج الرأي



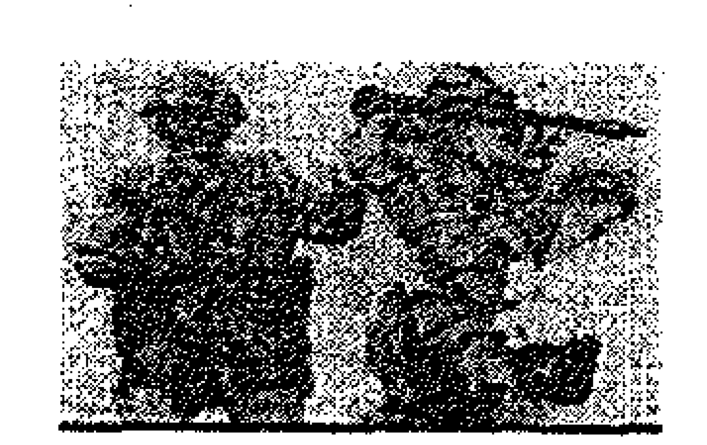
العام اليوغسلافي وقيام المظاهرات ضد الاتفاقية، فقام الجنرال دوسان سيموفيتش بانقلاب عسكري ليتولى الحكم بدلا من الوصي على العرش ليخلص يوغوسلافيا من الفاشيين.

انتصار اليونان الوشيك على القوات الإيطالية دفع الألمان للتدخل في 6 أبريل عام 1941، قامت القوات الألمانية بالتعاون مع القوات الإيطالية، والمجرية والبلغارية أيضا اشتركوا جميعهم في معركة مع الجيش اليوناني وبسرعة شديدة قاموا بعدها بغزو يوغوسلافيا، قامت قوات الحلفاء (بريطانيا، وأستراليا ونيوزيلندا) بدفع الكثير من الجنود من مصر إلى اليونان، ولكن الحلفاء لم يحالفهم الحظ وكانت هناك مشكلة بالتنسيق بين الجيوش المشتركة، والتي خسرت المعارك وانسحبت إلى كريت. على صعيد الطرف الآخر، قامت قوات المحور بقبض سيطرتها على العاصمة اليونانية أثينا وذلك في 27 أبريل عام 1941 وتم وضع أغلب أراضيها تحت الاحتلال.

بعدما تم احتلال اليونان، قامت ألمانيا بغزو كريت وسميت بمعركة كريت وذلك في 20 مايو - 1 يونيو 1941، بدلاً من أن يكون الحصار بريا كما كان متوقع، قامت ألمانيا باستخدام الغارات والمظليين، والذين لم ينجحوا إطلاقا في تطبيق أهداف المعركة، الأمر الذي جعل ألمانيا لاتستخدم المظليين مرة أخرى خلال الحرب، بالرغم من ذلك، قامت القوات الألمانية بغزو كريت، مجبرة قوات الحلفاء بما فيها الملك جورج الثاني اليوناني والحكومة اليونانية بالهرب جميعهم إلى مصر في 1 يونيو عام 1941.

بعدما تم السيطرة على البلقان من جانب المحور، قامت أكبر عملية عسكرية في التاريخ الحديث، عندما قامت ألمانيا بغزو أراضي الاتحاد السوفيتي. صادفت ألمانيا الكثير من المشاكل، حيث أن الحملة على البلقان أدت إلى تعثر العمليات ضد السوفييت، والمقاومة الشرسة في يوغوسلافيا واليونان جعلت ألمانيا ترسل أفضل كوادر الجيش إلى هناك، هذه الظروف، أدت إلى وجود أمل لدى السوفييت في صد العدوان عليهم.

في 22 يونيو عام 1941، قامت ألمانيا بغزو الاتحاد السوفياتي والتي سميت بعملية بارباروسا، هذا الغزو الذي سجل كأكبر غزو في التاريخ والذي كان بداية لأكبر دموية شهدها



العالم، كانت الجبهة الشرقية من أوروبا الأكثر دموية في الحرب العالمية الثانية، وقد تم التوافق بين المؤرخين بأنها الأكثر كلفة من الناحية البشرية، والتي راح ضحيتها 30 مليون إنسان تقريبا والتي تعد أيضا أكبر التحام بري في الحرب العالمية الثانية، وقد كان هناك تجاهلا واضحا لحق الإنسان في الحياة من الطرفين.

زعيم الاتحاد السوفيتي، جوزيف ستالين، قد كان يعلم سابقا بوجود حملة عسكرية ضد بلاده وذلك من خلال شبكة المخابرات السوفيتية، ولكنه تجاهل هذه المعلومات وذلك لوجود تضارب في معلومات المخابرات، علاوة على ذلك، قبل ليالي من الهجوم على السوفييت، تم الإعلان عن مستند عسكري موقع من المارشال تومشينكو وقائد الجيش السوفياتي جورجي جوكوف، والذي احتوى على أوامر تحث الجيش بعدم الانجرار لأي استفزاز من قبل الجنود الألمان، وعدم القيام بأي شيء دون أوامر عسكرية، نتيجة لذلك، سقطت أعداد ضخمة من فيالق الجنود السوفيت في يد الألمان، والذي تم بمشاركة من الجيش الإيطالي، الهنغاري والجيش الروماني الذين دخلوا إلى الحملة العسكرية مع ألمانيا، بالنسبة لفنلندا فقد كانت في البداية قد أعلنت الحياد، رغم ذلك، وبوجود الجيش الألمانية والسوفياتي على أراضيها، أخيرا جاء قرار فنلندا بإرسال الجيش ليشترك مع ألمانيا ضد الاتحاد السوفياتي، والذي تم مهاجمته في 25 يونيو.

يسمى التوتر العسكري في فترة ما بين عام 1941 - 1944 حرب الاستمرار، وذلك بربطها بحرب الشتاء.

إن عملية بارباروسا عانت من البداية من بعض الأخطاء هي عدم كفاية الدعم اللوجستي خلال الهجمات، إن توغل الألمان إلى مسافات شاسعة داخل الأراضي السوفياتية أثر على وصول الإمدادات لهم، لذلك تم تجميد الهجمات الألمانية في الاتحاد السوفيتي قبل الوصول إلى موسكو في 5 ديسمبر عام 1941، لم يستطع الجيش الألماني التقدم بكل ما تحوي الكلمة من معنى، وذلك لعدم وجود أي إمدادات للهجمات أو لصد الهجمات المرتدة من



السوفيات، إن الزمن المتوقع لعملية باربروسا كان يكفي لشل السوفييت في اعتقاد الخبراء العسكريين الألمان، وذلك قبل حلول الشتاء، عدم نجاح ذلك أدى إلى فشل فادح في خطط الألمان.

خلال التراجع السوفياتي، استخدم السوفييت استراتيجية الأرض المحروقة، فقد كانوا يحرقون المحاصيل والمرافق العامة والخدماتية خلال تراجعهم أمام ألمانيا، كل ذلك ساهم في المشكلة الألمانية اللوجستيه التي عانت منها ألمانيا خلال الغزو، الأهم من ذلك، استطاع السوفييت أن ينقلوا مناطقهم الصناعية بعيدا عن وطيس الحرب إلى الشرق.

أدى طول الفترة الزمنية للحملة الألمانية على الاتحاد السوفيتي بأضرار بالغة على الجيش الألماني، حيث أصيب مئات الآلاف من الجنود الألمان بحمى ونزلات البرد نتيجة البرد القارص للشتاء السوفيتي، وزاد ذلك الضرر من خلال الهجمات المرتدة للوحدات السوفيتية.

مع كل تلك الأضرار التي جابهت الألمان خلال الحملة، استطاع الألمان أن يسيطروا على مساحات شاسعة من شرق الاتحاد، أدى ذلك إلى خسائر فادحة للجيش السوفيتي.

بعد بداية الغزو بنحو ثلاث شهور، قامت الجيوش الألمانية بضرب حصار شديد على مدينة لينينجراد (والمعروف بحصار لينينجراد)، ساعدتها من الشمال القوات الفنلندية، ومن الجنوب القوات الألمانية، قامت القوات الفنلندية بوقف هجومها عند نهر سيفر وامتنعت عن مهاجمة المدينة، بينما أصدر هتلر أوامره بأن تمسح مدينة لينجراد عن وجه الأرض، فقام بقع إمدادات المؤن الغذائية والمعدات الطبية للمدينة حتى حصلت مجاعة في البلاد، وفي أثناء ذلك ركز القصف الجوي والمدفعي على المدينة، أدى حصار لينينجرادلموت نحو مليون مدني تحت وطئته؛ 800 ألف منهم ماتوا بسبب المجاعة والحصار الذي استمر نحو 506 أيام، جدير بالذكر أن المنفذ الوحيد الموجودة للمدينة كان بحيرة لودجا والتي تقع بين معسكرات الجنود الألمان والفنلنديين.



بعد الشتاء الممتد بين 1941 - 1942، أعد الجيش الألماني لعملية هجومية، كانت من أكبر المشاكل التي عانى منها الجيش الألماني هي قلة المحروقات (البنزين)، لذلك قررت القيادة الألمانية التوقف عن الوصول إلى موسكو.

وفي صيف 1942، تغير اتجاه الحرب لتصبح في الجنوب، وذلك للوصول إلى حقول البترول في القوقاز، كما قام هتلر بتقسيم جيشه إلى مجموعتين في الجنوب، مجموعة للهجوم على القوقاز والمجموعة الثانية للهجوم على ستالينغراد (والتي تسمى الآن بفولجوجراد).

رغم تردد هتلر، والمعارضة بين ضباطه، ومع زيادة الدعم لخطوط المعركة في شوارع ستالينغراد، استطاع الألمان أن يحتلوا 90٪ من مساحة المدينة، لكن استنفذت قوى الجيش الألماني وذلك لانجراره لحرب شوارع مع بقايا الجيش السوفيتي في صراع مباشر ومرير، ومع تركه القوات الرومانية والهنغارية لحراسة الأماكن المسيطر عليها، استطاع السوفيات التغلب بسهولة على ما تبقى من جيوش المحور خلال عملية سميت أورانس، الجنود الألمان الذي تبقوا في المدينة حوصروا وتم قطع جميع الإمدادات العسكرية عنهم، رغم ذلك ورغم حصول مجاعة بينهم؛ أمرهم هتلر بالقتال حتى آخر جندي يتبقى لديهم، قاتل هؤلاء الجنود وأظهروا صمودا وثباتا لا يوصف وشجاعة رغم كل الظروف الصعبة التي مروا بها.

بسبب النقص في الغذاء والعتاد العسكري والوقود، بدأت وتيرة الحرب لدى الألمان تقل، أدى ذلك إلى استسلام جزئي من القوات الألمانية المحاربة في 2 شباط/ فبراير عام 1943. وفي محاولة يائسة من هتلر لمنع الاستسلام، قام بترقية القائد فريدرش باولوس قائد الجيش السادس إلى مارشال، لأنه لم يستسلم أي ضابط يحمل هذه الرتبة من قبل أبداً.

أدت المعارك في ستالينغراد إلى خسائر فادحة بين الطرفين، والتي صورت بأكبر معركة دموية في التاريخ، قتل ما يقارب عن مليون ونصف إنسان، 100,000 منهم من المدنيين العزل.

بعد معركة ستالينغراد، المبادرة سقطت من أيدي الألمان ولكنها لم تصل السوفييت بعد، في محاولة يائسة، قامت الجيوش الألمانية بشن هجمة مرتدة في ربيع عام 1943، أوقفت تقدم السوفييت مؤقتا، والتي أدت إلى أكبر معركة مدرعات ثقيلة في التاريخ في كورسك.

كانت كورسك هي آخر هجمة من الجيش الألماني في الجبهة الشرقية، لكن السوفيتيين كان لديهم جواسيس عده وكانوا على علم ما يخطط له من الجانب الألماني، فقاموا بإنشاء درع دفاعي للمدينة، واستطاعوا إيقاف الهجمة الألمانية من بعد 17 ميل. بعد معركة كورسك، لم يتوقف الجيش الأحمر عن الهجوم والغزو حتى وصوله إلى برلين والسيطرة عليها وذلك في أيار/ مايو 1945.

إن الاتحاد السوفيتي قد تحمل العبء الأكبر في الحرب العالمية الثانية، والتي لم تكن الجبهة الغربية قد بدأت حتى يوم إنزال نورماندي، كما أن أعداد القتلى من المدنين السوفييت كانت أكثر من كل الدول التي مرت بها الحرب، تقريبا قتل نحو 27 مليون سوفيتي، منهم 20 مليون مدني قتلوا فقط في الغزو الألماني للاتحاد السوفيتي، تم إحراق الكثير من المدنين أو تم إعدامهم بدم بارد خلال احتلال الألمان للمدن، وذلك لاعتبارهم نصف آدميين في أيدلوجية الحزب النازي.

قتل نحو 7 مليون جندي من الجيش الأحمر في المواجهات مع الألمان وحلفائهم في الجبهة الشرقية، أما من جانب المحور فقد قتل لهم 6 مليون جندي وذلك خلال المعارك أو تأثر من الإصابة، مرض أو المجاعة. بعض مئات الآلاف وصفوا كأسرى حرب وتم إعدامهم في المعسكرات والسجون السوفيتية.

قامت أمريكا بإنشاء برنامج ليند-ليس المدعوم من جهة بريطانيا أيضا، والذي استفادت منه القوات السوفيتية، فقد تم توصيل الكثير من المعدات العسكرية إلى الموانئ السوفيتية بمخاطرة كبيرة.



بعد أن أعلنت إيطاليا الحرب على بريطانيا في 10 يونيو 1940، بدأت حرب الصحراء ما بين قوات الدولتين في ليبيا ومصر، وانتهت المرحلة الأولى من القتال بهزيمة كبيرة للإيطاليين في معركة بيضافم في فبراير 1941 لذلك أرسل الألمان قوة يقودها إروين رومل لمساعدتهم، الذي انتصر في معركة عين الغزالة ثم استولى على طبرق في يونيو 1942 ثم تقدم في يوليو إلى قرية العلمين التي تبعد 110 كيلو متر عن الإسكندرية في مصر ثم وقعت عدة معارك هي معركة العلمين الأولى ومعركة علم حلفا وأخيرًا معركة العلمين الثانية هي المعركة التي ألحقت الهزيمة النهائية بقوات المحور في شمال أفريقيا.

جرت معركة العلمين الثانية في أكتوبر 1942 بين ألمانيا بقيادة رومل "ثعلب الصحراء" وبريطانيا بقيادة برنارد مونتغمري إذ تمكن الجيش البريطاني الثامن بمساعدة الفرقة التاسعة من الجيش الأسترالي من وقف زحف رومل.

معركة العلمين هي من أهم معارك التحول في الحرب العالمية الثانية. وكانت من أهم معارك الدبابات على مدار التاريخ وبعد انتصار القوات الألمانية في معارك الصحراء، وكانت المشكلة عند الألمان هو النقص الكبير في الوقود بسبب إغراق البريطانيين لحاملة النفط الإيطالية مما شل حركة تقدم الدبابات وبالتالي استطاعت القوات البريطانية طردهم إلى ليبيا، ومن كل أفريقيا وصولا إلى مالطة. شهدت هذه المعركة بداية الخسائر التي ألحقت بالألمان.

وفي 2 نوفمبر 1942م بدأ البريطانيون زحفًا مضادًا أثمر عن هزيمة الجيش الألماني وسقوط أسطورة رومل.

إن نجاح الحلفاء في حملات شمال أفريقيا جعلهم يسيطرون على جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط ليستخدموه كلوح قفز لقوات الحلفاء إلى إيطاليا، مركز قوات الحلفاء في شمال أفريقيا قرر شن هجمات ما سماها تشرتشل "نقطة ضعف" أوروبا.

أول ما قم به الحلفاء في ذلك الوقت هو غزو صقلية، والتي سميت ب عملية هيوسكي في 10 يوليو عام 1943، والذي أثار استياء الشديد من قيادة موسوليني، فقد تم

خلعه في 25 يوليو عام 1943 من خلال المجلس الفاشي وتم وضعه تحت الإقامة الإجبارية في منتجع في إحدى الجبال المنعزلة.

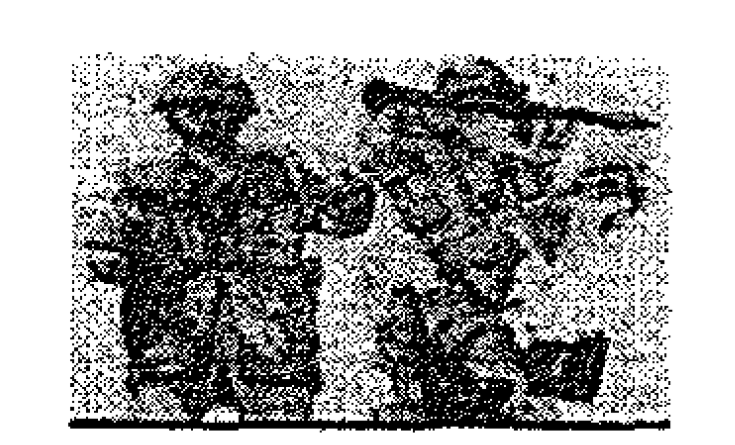
تم استبدال بينيتو موسوليني، بالجنرال بييترو بادوليو، والذي قام بمفاوضات استسلام مع الحلفاء في سبتمبر 8 عام 1943، لكن الألمان تحركوا بسرعة لإنقاذ الموقف، وتم نزع تشكيلة السلاح الإيطالي وتغير شكله لتبدأ مرحلة الدفاع عن إيطاليا.

قامت قوات الحلفاء بغزو الأراضي الإيطالية في سبتمبر 3 عام 1943، دخولا من صقيلة، كما قاموا بالإنزال في مناطق ساليرونو وتارنتو في سبتمر 9، أدى ذلك بإيطاليا ـ والتي كانت مستاءة مسبقا من موسوليني، بالاشتراك مع حلفاء الغرب.

قامت فرقة كوماندوز ألمانية بعملية أواك والتي تم بها إنقاذ موسوليني، وتم تنصيبه من قبل النازيين كوزير للعلاقات الخارجية في شمال إيطاليا والتي سميت بجمهورية إيطالية.

قام الألمان بإنشاء دفاعات داخل الجبال وقد سمي الخط الدفاعي الرئيسي ب خط الشتاء، والذي قابله الحلفاء في شتاء 1943 ولم يستطيعوا اختراقه، فتم الإنزال في منطقة انزيو فقامت القوات أخير باختراق خط الدفاع الحديدي، بالرغم من ذلك، استطاع الألمان أن يقفوا قوات الحلفاء، وذلك عن خط جوستاف (الدرع الرئيسي في خط الشتاء للدفاع) الذي بقي صامدا، أخيرا تم اختراق الخطوط الدفاعية الألمانية في مايو 1944، في خلال المحاولة الرابعة في مدة أربعة شهور، الأمر الذي فتح الطريق إلى روما، وعرفت هذه الاشتباكات الدامية باسم معركة مونتي كاسينو، قاد الحلفاء فيها هارولد ألكسندر وقاد الألمان فيها ألبرت كسلرنغ.

استطاع الحلفاء أخيرا الدخول إلى روما في 4 يونيو عام 1944، قبل يومين فقط من الإنزال في نورماندي، قام الألمان بتراجع عسكري في خط الجوسيك شمال فلورنزا ،من



سبتمبر 10 عام 1944 حتى آخر العام، قامت قوات الحلفاء بمهاجمة الخط في أكبر المعارك شراسة خلال الحرب، واستطاعوا اختراق خط الجوسك ولكن لم يستطيعوا التوغل داخل مزارع اللومباردي، استكمل الهجوم من قبل قوات الحلفاء وبعض القوات الإيطالية في حملة ربيع عام 1945 في إيطاليا حتى استلمت ألمانيا في إيطاليا في أبريل 29 عام 1945، قبل يومين من اعتقال موسوليني وقبل يوم من انتحار هتلر.

سقوط روما السريع، أدى إلى غزو فرنسا الذي طال انتظاره، عملية نورماندي المشهورة، التي تم بها إنزال جنود الحلفاء في يونيو 6 عام 1944، والتي استمرت أكثر من شهرين، اشترك في العملية: أمريكا، بريطانيا، أستراليا والقوات الكندية أيضا، تم الهجوم بوتيرة بطيئة حيث كانت الحصون الألمانية قوية جدا، ليتم أخيرا الغزو من خلال القوات الأمريكية والتي تسابقت ألويته في التوغل بأنحاء فرنسا مجبرة القوات الألمانية في نورماندي على الوقوع في فخ الحصار.

القصف الشديد للمرافق والمدن الألمانية أدى إلى التشتت والتقهقر من جانب الألمان، داخليا، نجا هتلر من الاغتيال أكثر من مرة، أخطرها كانت في يوليو 20 من خلال مؤامرة، والتي أعدت من كلوس شتافونبرج واشترك مع ايروين روميل والفرد ديلب، المؤامرة خططت على أساس وضع قنبلة موقوتة في مكان معين لقتل هتلر، ولكن الكثير من العوامل أدت إلى فشل المؤمراة، والتي أصيب بها هتلر بجروح طفيفة.

عملية اوفرلورد خططت على أساس غزو فرنسا من الجنوب في أغسطس 15 عام 1944، والتي سميت بكود التنين، بحلول سبتمبر 1944، كانت 3 فيالق من جيوش الحلفاء في مواجهة مباشرة مع خصمهم ألمانيا في الغرب، كان هناك اعتقادا بأن الحرب ستنتهي بحلول الكريسماس عام 1944.

قامت عملية ماركت جاردن، والتي استطاع بها الحلفاء السيطرة على الجسور من خلال قصف جوي، وذلك لفتح الطريق لتحرير شمال هولندا، لكن مع وجود عدد كثيف من القوات الألمانية هناك، تم تدمير وحدة السرب الأول من الطيران البريطاني بكامله.

تغير حالة الجو في عام 1944 أدى إلى مشاكل كبيرة لدى قوات الحلفاء خلال المعارك في الجبهة الغربية، استمر الأمريكان في بشن الهجمات على الدرع الدفاعي في معركة غابة هورتجين (من سبتمر 13 عام 1944، حتى فبراير 10 عام 1945) مع ذلك صمد الألمان في دفاعهم، أدى ذلك إلى صعوبة تقدم قوات الحلفاء.

ذلك الوضع قد تغير عندما قامت ألمانيا بشن هجمة مرتدة، في ديسمبر 16 عام 1944 تحت قيادة غيرد فون رونتشتيت، هجمة الأردين، والتي سميت أيضا بمعركة بولج، أو معركة الثغرة والتي استسلم بها بعض الوحدات الأمريكية في البداية، مع ذلك استطاع الحلفاء أن يغيروا مجرى المعركة والتي أوضحت بأنها آخر هجمة ألمانية في الحرب، انتهت المعركة رسميا في 27 يناير عام 1945، آخر تحدي للحلفاء كان عند نهر الراين، والذي تم تجاوزه في مارس عام 1945، وتم فتح الطريق إلى قلب ألمانيا، كانت آخر القوات الألمانية قد حوصرت في روهر.

في 27 أبريل عام 1945، اقترب الحلفاء كثيرا من ميلان، وتم القبض على موسوليني من قبل المحاربين الإيطاليين، والذي كان يحاول الهرب من إيطاليا إلى سويسرا ثم السفر إلى ألمانيا مع الوحدة المضادة للجو الألمانية، في 28أبريل تم اعتقال موسوليني وبعض الفاشيين الآخرين معه وتم أخذه إلى دنجو ليتم إعدامه هناك، ثم أخذت جثثهم وتم تعليقها أمام محطة للوقود.

هتلر، الذي عرف بموت موسوليني، اقتنع أخيرا انه هذه هي نهاية الحرب، مع ذلك بقي في برلين، بالرغم من حصار القوات السوفياتية للمدينة، بالنهاية قام أدولف هتلر مع



زوجته ايفا براون بالانتحار داخل ملجئه، موليا الأدميرال كارل دونتز من خلال وصيته، كمستشار لألمانيا، ولكن ألمانيا بقيت تحت حكم دونتز لسبعة أيام فقط حتى قام بإعلان استسلام غير مشروط في 8 مايو عام 1945.

المسرح الآسيوي

سحابة مشروم بارتفاع 18 كم ناتجة عن الانفجار النووي على مدينة ناغازاكي باليابان بتاريخ 9 أغسطس 1945 قامت القوات اليابانية بغزو الصين قبل أندلاع الحرب العالمية الثانية مما حدا بالولايات المتحدة وحلفائها إلى فرض مقاطعة اقتصادية على اليابان، وعلى إثره، قررت اليابان ضرب ميناء "بيرل هاربر" في 7 ديسمبر 1941، بلا سابق إنذار وبدون إعلان للحرب على الولايات المتحدة. تسبب الهجوم على ميناء بيرل هاربر بأضرار جسيمة للأسطول الأمريكي، إلا أن حاملات الطائرات الأمريكية لم تُصب بأذى لكون الحاملات في عرض المحيط الهادي لأداء مهمّات لها. كما قامت القوات اليابانية بغزو جنوب آسيا تزامنًا مع قصف بيرل هاربر وبالتحديد، ماليزيا، وإندونيسيا، والفلبين بمحاولة من اليابان للسيطرة على حقول النفط الإندونيسية. ووصف رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل حادثة سقوط سنغافورا في أيدي القوات اليابانية بأنه "من أكثر الهزائم مهانة على الإطلاق".

دأبت الولايات المتحدة وبعض من دول التحالف ومن ضمنها أستراليا، على استرجاع الأراضي التي استولت عليها اليابان في منتصف العام 1942. ثم قامت الولايات المتحدة بقيادة الجنرال "دوجلاس مكارثر" بالهجوم ومحاولة استرجاع "غينيا الجديدة"، وجزر سليمان، وبريطانيا الجديدة، وإيرلندا الجديدة والفلبين. وتنامت الضغوط على اليابان بهجوم الولايات المتحدة على السفن التجارية اليابانية وحرمان اليابان من المواد الأولية اللازمة للمجهود الحربي، واشتدّت حدة الضغوط باحتلال الولايات المتحدة للجزر المتاخمة لليابان.

استيلاء الحلفاء على جزيرتي "إيوجيما" و"أوكيناوا" اليابانية جعل اليابان في مرمى طائرات وسفن التحالف دون أدنى مشقّة. وإعلان الاتحاد السوفييتي الحرب على اليابان في

بداية 1945 ومن ثمّة مهاجمة "منشوريا"، وتعتبر معركة أوكيناوا التـي انتهـت في 21 يونيـو 1945 هي آخر المعارك الكبيرة في الحرب العالمية الثانية.

النتائج

قتلى الحرب ابتداءً من سبتمبر

1939 بلد عسكريين مدنيين مجموع

الاتحاد السوفيتي 8.700.000 18.300.000 27.000.000

الصين 1.324.000 10.000.000 11.324.000

ألمانيا 3.250.000 3.810.000 7.060.000

بولندا 850.000 6.000.000 6.850.000

اليابان 1.300.000 700.000 2.000.000

يوغوسلافيا 300.000 1.400.000 1.706.000

رومانيا 520.000 465.000 985.000

فرنسا 340.000 470.000 810.000

المجر - - 750.000

النمسا 380.000 145.000 525.000

اليونان - - 520.000

الولايات المتحدة 500.000 - 500.000

إيطاليا 330.000 80.000 410.000

تشيكوسلوفاكيا - - 400.000

المملكة المتحدة 326.000 62.000 388.000

هولندا 198.000 12.000 210.000

بلجيكا 76.000 12.000 88.000

فنلندا - - 84.000

كندا 39.000 - 39.000



الهند 36.000 - 36.000
أستراليا 29.000 - 29.000
ألبانيا - - 28.000
إسبانيا 12.000 10.000 22.000
بلغاريا 19.000 2.000 21.000
نيوزلندا 12.000 - 12.000
النرويج - - 10.262
شمال أفريقيا 9.000 - 9.000
لوكسمبورغ - - 5.000
الدنمارك 4.000 - 4.000
البرازيل 443 607 1.050
المكسيك 85 23 108
مجموع - - 61.820.315

النتائج البشرية والاقتصادية

تجاوز عدد ضحايا الحرب في العالم من العسكريين والمدنيين 62 مليون نسمة أي ما يعادل 2٪ من ساكنة العالم وكان نصفهم من المدنيين. يضاف إلى هذا العدد عشرات الملايين من الجرحى والمشوهين وقد شهدت هذه الفترة تعديات خطيرة على حقوق الإنسان فمات الملايين من الأبرياء نتيجة للغارات الجوية وفي معسكرات الإبادة والتعذيب زيادة على اعتقال الأطفال والنساء وارتكبت المجازر في حق العديد من الشعوب واستعملت ضدها الأسلحة الكيماوية والذرية. وقد كان كل من الاتحاد السوفييتي وبولندا وألمانيا من أكثر البلدان الأوروبية تضررا من ويلات تلك الحرب.

لقد أنتج انشغال الآباء بالحرب انحلالا كبيرا في الحياة العائلية فانخفضت نسبة الولادات مقابل ارتفاع ملحوظ في نسبة الوفيات كما برزت المشكلات الاجتماعية المترتبة على كثرة عدد المشوهين والأرامل واليتامى والمحرومين من العمل بسبب تفشي البطالة وتزايد

عدد الإناث بالقياس إلى الذكور كما كثر عدد المشردين وتضخمت المشاكل النفسية واحتد التساؤل حول مبررات اللجوء إلى العنف وتقتيل الأبرياء من الناحية الأخلاقية اعتبارا لطابع الإفناء الذي رافق المواجهات العسكرية وما خلفته من مآس شملت المدنيين أساسا الأمر الذي أدى إلى ازدياد الشك والنفور من كل تقدم علمي والخوف مما يخبئه المستقبل.

كانت نفقات الحرب باهظة جدا وهو ما اضطر العديد من الدول الأوروبية المشاركة فيها إلى الاقتراض وتكديس الديون كما كانت الخسائر المادية كبيرة فقد أصاب الدمار المساكن والمصانع ووسائل النقل والمزارع وانقلبت دول أوروبا من دول مصدرة إلى دول مستوردة لذلك فقدت الدول القوية مكانتها لصالح الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد أن تمكنت هذه الأخيرة من تجاوز الصعوبات الاقتصادية لأزمة الثلاثينات وتضاعف إنتاجها الصناعي وتجمع عندها ما يعادل 80٪ من الرصيد العالمي للذهب وأصبح الدولار عملة تبادل عالمية.

ترتبت على الحرب العالمية الثانية اختراعات علمية وتقنية هامة غير أن توظيف تلك الاختراعات الجديدة تم بطرق متباينة منها ما هو سلبي مثل القنبلة الذرية ومنها ما هو إيجابي كتطوير وسائل النقل والمواصلات (الطائرة وجهاز الراديو والرادار) واختراع ما يخدم الإنسان كالعقاقير الطبية واللقاحات والمضادات الحيوية ومن أهمها البنسيلين.

النتائج السياسية

أسفرت الحرب العالمية الثانية عن هزيمة الدكتاتوريات في إيطاليا وألمانيا واليابان وتراجعت مكانة القارة الأوروبية فلم تعد فرنسا وبريطانيا تهيمنان على العالم بل برز قطبان جديدان هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي كما تغيرت أنظمة الحكم بأوروبا الوسطى والشرقية حيث نشأت الديمقراطيات الشعبية وتطورت المستعمرات خارج أوروبا واتضحت المطالب المشروعة لحركات التحرر من الاستعمار وانقسم العالم إلى كتلتين متنافستين الكتلة الغربية برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية والكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفييتي ثم ظهرت على إثر حصول العديد من المستعمرات على استقلالها الدول النامية التي



شكلت ما سمي بالعالم الثالث وقد كان للدول العربية الإسلامية دور فعال ضمن هذه المجموعة.

كان من نتائج الحرب العالمية الثانية عودة جميع بلدان أوروبا إلى حدودها القديمة باستثناء بولندا التي توسعت على حساب ألمانيا وانقسمت أوروبا إلى منطقتي نفوذ سوفييتية في الشرق وأمريكية في الغرب كما قسمت ألمانيا إلى دولتين واحدة في الشرق وعاصمتها برلين والثانية في الغرب وعاصمتها بون.

تأسست الأمم المتحدة على إثر انعقاد مؤتمر سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية في يونيو 1945 وقد حضر هذا المؤتمر نواب عن خمسون دولة محبة للسلام.

تمثلت أهداف منظمة الأمم المتحدة في الحفاظ على السلام والأمن الدوليين، تطوير التعاون الدولي، ضمان حق الشعوب في تقرير مصيرها، وحماية حقوق الإنسان.

اتفق واضعو ميثاق منظمة الأمم المتحدة على اتخاذ مدينة نيويورك مقرا رئيسيا لها وتتألف أجهزة هذه المنظمة من الهيئات التالية:

مجلس الأمن: تكون هذا المجلس في الأصل من 11 عضو (15 حاليا) من بينهم خمس أعضاء دائمين (الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد السوفييتي، بريطانيا، فرنسا، والصين) وتتمتع هذه الدول بحق النقض أو الفيتو وينتخب باقي الأعضاء لمدة سنتين ويعد مجلس الأمن صاحب السلطة الفعلية في المنظمة إذ تخول له قوانينها صلاحية استعمال القوة المسلحة للحفاظ على السلم.

المجلس الاقتصادي والاجتماعي: ينسق جهود الدول الأعضاء في المجالات الاجتماعية والاقتصادية.

محكمة العدل الدولية: مقرها لاهاي بهولندا ومهمتها حل النزاعات التي تنشب بين الدول.

النتائج البشرية والمادية

دمرت مدنا بكاملها وأحدثت خسائر بشرية كبرى، فقد استعملت في الحرب مدافع ثقيلة وقنابل بكثافة حيث بلغ ضحايا الحرب (قتلى، جرحى، مشردين) أكثر من 80 مليون نسمة وأدت بالتالي إلى نقص كبير في اليد العاملة وتجني الولادات وتغيير هرم الأعمار للدول.

أما الآثار الاقتصادية فتتمثل في تراجع القوة الاقتصادية لأوربا المدمرة لصالح الولايات المتحدة فكثرت مديونيتها، وانخفضت قيمة عملاتها وارتفعت أسعار السلع فيها وذلك نتيجة تحطم البنية الإنتاجية بطرق مواصلات وأراضي زراعية.

عالم من الخراب

في نهاية الحرب، كان هناك ملايين اللاجئين المشردين، انهار الاقتصاد الأوروبي ودمر 70٪ من البنية التحتية الصناعية فيها.

طلب المنتصرون في الشرق أن تدفع لهم تعويضات من قبل الأمم التي هزمت، وفي معاهدة السلام في باريس عام 1947، دفعت الدول التي عادت الاتحاد السوفييتي وهي المجر، فنلندا ورومانيا 300 مليون دولار أمريكي (بسعر الدولار لعام 1938) للاتحاد السوفييتي. وطلب من إيطاليا أن تدفع 360 مليون دولار تقاسمتها وبشكل رئيس اليونان ويوغوسلافيا والاتحاد السوفييتي.

على عكس ما حدث في الحرب العالمية الأولى، فإن المنتصرين في المعسكر الغربي لم يطالبوا بتعويضات من الأمم المهزومة. ولكن على العكس، فإن خطة التي أنشأها وزير الخارجية الأمريكي جورج مارشال، سميت "برنامج التعافي الأوروبي" والمشهور بمشروع مارشال، وطلب من الكونجرس الأمريكي أن يوظف مليار دولار لإعادة إعمار أوروبا،



وذلك كجزء من الجهود لإعادة بناء الرأسمالية العالمية ولإطلاق عملية البناء لفترة ما بعد الحرب، وطبق نظام بريتون وودز الاقتصادي بعد الحرب.

تم إنشاء الأمم المتحدة كنتيجة مباشرة للحرب العالمية الثانيةالأمر الذي أدى إلى سيطرة جديدة على العالم من جهة الدول المنتصرة على الشعوب الأخرى المنهزمة منها والضعيفة

و كان الهدف من الإصلاحات الأمريكية بأوروبا هو كسب دعم الدول الأوربية للقطب الغربي ومساهمتها في منع انتشار الشيوعية بأوربا، خصوصا بعد ظهور مظاهر الحرب الباردة بزعامة الاتحاد السوفياتي -القطب الشرقي- والولايات المتحدة الأمريكية-القطب الغربي-ابتداء من سنة 1946 ،إضافة إلى أن الإصلاحات كانت تهدف إلى إصلاح العلاقة ما بين الولايات المتحدة الأمريكية والدول المنهزمة في الحرب العالمية الثانية عكس الاتحاد السوفياتي الذي كان يطمح في فكرة الانتقام من دول المحور التي كبدت الاتحاد السوفياتي خسائر بشرية واقتصادية فادحة كما أن هذه الإصلاحات تعتبر من العوامل الأساسية للقرن20 التي حافظت على النظام الرأسمالي بأوروبا الغربية واعتبرت من العراقيل التي حالت دون انتشار الشيوعية بأوروبا الغربية ومستعمراتها بافريقية أدت الحرب أيضًا إلى زيادة قوة الحركات الانفصالية بين القوى الأوروبية، والمستعمرات في أفريقيا، آسيا وأمريكا، وحصل معظمها على الاستقلال خلال العشرين عاما التي تلت.

بدء الحرب الباردة

يرى العديدون أن نهاية الحرب العالمية الثانية كانت نهاية بريطانيا كقوة عظمى في العالم، وبداية لتحول الولايات الأمريكية المتحدة والاتحاد السوفييتي لأكبر قوتين في العالم. كانت الاختلافات تتنامى بين هاتين القوتين قبل نهاية الحرب، وبانهيار ألمانيا النازية تدنت العلاقات بينهما إلى الحضيض.

في المناطق التي احتلتها قوات الحلفاء الغربية، تم إنشاء حكومات ديمقراطية؛ وفي المناطق المحتلة من قبل القوات السوفييتية، من ضمنها أراضي حلفاء سابقين كبولندا، أنشئت



حكومات شيوعية وصفت بأنها شكلية، واعتبر البعض وخاصة في تلك الدول الشرقية بأنه ذلك خيانة من قبل قوات الحلفاء لهم. وكان الكثيرون في الغرب قد انتقدوا ذلك معتبرين بأن معاملة روزفلت وتشرتشل لستالين وكأنه حليف ديمقراطي ولا موهم لتعاملهم مع ستالين في يالطا بذات الشكل من المهادنة الذي عومل به هتلر قبل الحرب، وبالتالي عدم تعلمهم من الخطأ السابق وتسليمهم شرق أوروبا للشيوعيين.(تشرتشل ذاته قال بعد بدء الحرب الباردة ما معناه "قتلنا الخنزير الخطأ.")

قُسّمت ألمانيا إلى أربع مناطق محتلة، جُمعت الأمريكية والبريطانية والفرنسية لتشكل ما عرف بألمانيا الغربية، وعرفت المنطقة السوفييتية بألمانيا الشرقية. تم فصل النمسا عن ألمانيا وقسمت هي الأخرى لأربعة مناطق محتلة، والتي عادت لتتحد لاحقا مكونة الدولة النمساوية الحالية. وكوريا أيضا تم تقسيمها على خط عرض 38 شمال.

كانت التقسيمات غير رسمية؛ ولكنها كانت توضح مناطق التأثير، وساءت العلاقات بين المنتصرين بشكل مستمر لتصبح خطوط التقسيم أمرا واقعا وتمثل الحدود الدولية. وبدأت الحرب الباردة، وبسرعة أصبح العالم منقسما إلى حلفين، حلف الناتو وحلف وارسو مع بقاء بعض دول المعروفة بدول عدم الانحياز أشهرها مصر والهند.

أثر الحرب العالمية الثانية على الوطن العربي

خلال الحرب وقفت البلدان العربية بجانب الحلفاء في مواجهة الدول الدكتاتورية، كانت تونس والمغرب وموريتانيا تحت الاستعمار الفرنسي فيما اعتبرت فرنسا الجزائر أرضا فرنسية وقد فرضت فرنسا على الدول العربية التي كانت تسيطر عليها السياسة الفرنسية وجندت شباب العرب في جيشها وظلت فرنسا إلى ما بعد سقوطها بيد الألمان تسيطر على مستعمراتها. أما مصر فقد كانت حرة مستقلة بموجب معاهدة 1936، ولكنها تعرضت لضغوط بريطانية امتدت لتشمل ليبيا بعد طرد الإيطاليين والألمان منها بعد هزيمتهم في معركة العلمين. كانت المملكة العربية السعودية واليمن مستقلتين وظلتا على الحياد فيما كانت بريطانيا



تسيطر على جنوب الجزيرة العربية وعلى معظم مناطق الخليج العربي لكن لم تصل الحرب إلى الخليج العربي لكنه أصبح طريق مرور للمساعدات الأمريكية والبريطانية إلى الاتحاد السوفييتي عبر إيران.

وقعت بريطانيا مع العراق معاهدة 1930 التي تمنحهم حق إقامة قواعد عسكرية فيه وخلال الحرب قام رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني بثورة أبريل 1941 ضد بريطانيا بالتعاون مع الألمان لكن البريطانيين قضوا على ثورته واحتفظوا بوجودهم في البلاد.

بعد سقوط فرنسا خضع لبنان وسوريا لسيطرة حكومة فيشي الموالية لألمانيا ولكن في مطلع صيف 1941 استولى الحلفاء على البلدين وانتقل الحكم فيهما إلى حركة فرنسا الحرة التي يتزعمها الجنرال ديغول. أعلنت حركة فرنسا الحرة استقلال سوريا في سبتمبر 1941 ثم استقلال لبنان في 26 نوفمبر 1941 لكن هذا الاستقلال ظل اسميا واستمر الحكم الفعلي بيد الفرنسيين وطالب الشعبان باستقلال صحيح فتحقق لهما الاستقلال سنة 1943 واستكمل اللبنانيون والسوريون استقلالهم باستلام المصالح التي يديرها الفرنسيون وتحقيق جلاء الجيوش الفرنسية عن أراضيهم سنة 1946.

وبرغم الظروف العسكرية الضاغطة انتهز العرب فرصة هزيمة الحلفاء في بداية الحرب ليجهروا بمطالبهم الاستقلالية فلجأ الحلفاء في أكثر من منطقة إلى إغداق الوعود إليهم من أجل امتصاص النقمة الداخلية التي لاقت دعما كبيرا من الألمان الذين دخلوا بدورهم بعض المناطق العربية وأحدثوا فيها تغييرات سياسية وعسكرية لمصلحتهم وخصوصا في العراق وشمال أفريقيا.

ومع ظهور انتصار الحلفاء في المرحلة الثانية من الحرب راحت وعودهم للعرب بالاستقلال تتلاشى وازدادت ممارستهم القمعية وتشددوا في حكمهم للمناطق العربية المستعمرة مما كان له أبعد الأثر في ردود فعل العرب المناهضة لهم.



حدثت في العالم بعد الحرب العالمية الثانية تغيرات سياسية كبرى تمثلت في أفول النجم الأوروبي وبروز الجبارين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي الذين سيطرا على المقدرات السياسية للعالم وقامت هيئة دولية جديدة على أسس واضحة ترعى السلام وحقوق الإنسان وتدعم تحرر البلدان الخاضعة للاستعمار.

تلك هي منظمة الأمم المتحدة التي أصبحت منبرا لكل النزاعات الدولية وقد ساعد ذلك الدول المستعمرة ومنها الدول العربية في كفاحها من أجل التحرر والاستقلال فلجأ العرب إلى كافة السبل الدبلوماسية والعسكرية لنيل استقلالها والتحرر من السيطرة الخارجية وانتهى ذلك باستقلال بعض الدول العربية كمصر التي راحت تدعم شقيقاتها التي كانت ما تزال تقاوم الاستعمار.

بدأت تظهر ملامح تضامن عربي فعال عبر التفكير بقيام هيئة عربية توحد الموقف العربي. فدعت حكومة الوفد المصرية إلى اتصالات بين الدول العربية المستقلة في ذلك الوقت وانعقد مؤتمر في الإسكندرية سنة 1944 ضم مصر وسوريا ولبنان والعراق والسعودية واليمن وشرق الأردن وتم على إثره وضع بروتوكول الإسكندرية الذي مهد لقيام جامعة الدول العربية سنة 1945 فجعل مقرها في القاهرة وراحت الدول العربية الأخرى تنضم إليها تباعا بعد استقلالها.

ومن مساوئ الحرب العالمية الثانية على الوطن العربي ظهور قضية جديدة شغلت وما تزال تشغل الحيز الأكبر من اهتمام العرب الذين جندوا لها الكثير من طاقاتهم هي القضية الفلسطينية فقد كانت بريطانيا قد شجعت على دخول اليهود إلى فلسطين خلال فترة الانتداب بهدف تطبيق وعد بلفور الذي نص على إعطائهم وطنيا قوميا في فلسطين فأدى ذلك إلى صراع بين العرب واليهود. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رفعت بريطانيا النزاع العربي اليهودي في فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة وبدأت مأساة الشعب الفلسطيني عندما أقرت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية في سنة 1947.

وفي سنة 1948 أعلن الصهاينة قيام دولة إسرائيل فهب العرب إلى منع ذلك ودخلت جيوشهم إلى المناطق التي احتلها اليهود لكن مجلس الأمن التابع لالأمم المتحدة أعلن الهدنة بين الطرفين المتقاتلين فسمح ذلك للصهاينة بفرض الأمر الواقع وتكريس الكيان



الصهيوني جسما غريبا في قلب الوطن العربي يعمل على تهجير الشعب الفلسطيني وتهديد أمن العرب.

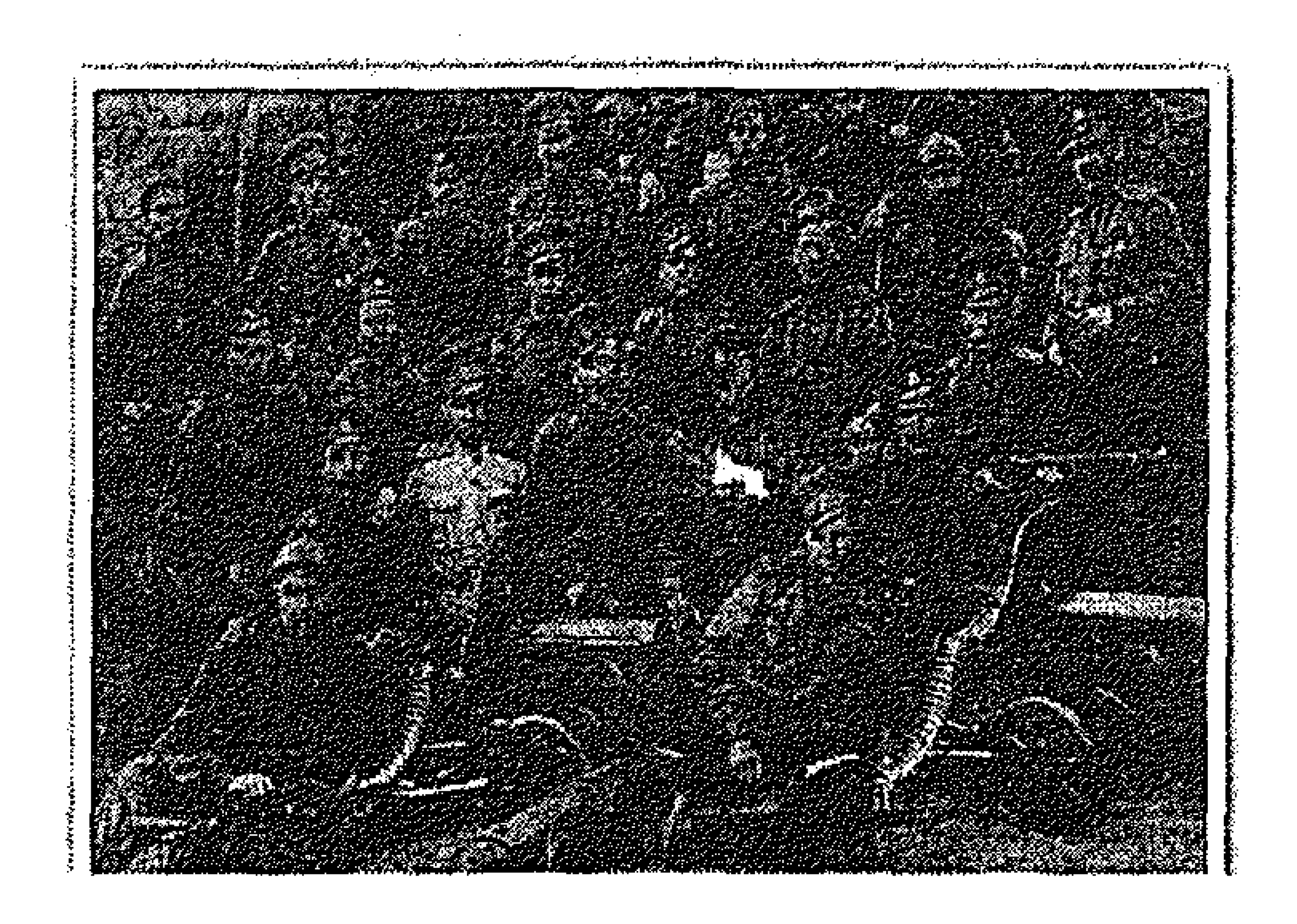
هامش

1) الحرب الخاطفة (بالألمانية Blitzkrieg): إستراتيجية حربية جديدة ابتدعها الألمان بحشد القوات الأرضية معزّزة بالدبابات والمعدات الثقيلة وبغطاء جوي من القاذفات يقوم على تمهيد الطريق أمام القوات البرية الغازية على خلاف حرب الخندق التقليدية المتّبعة في الحرب العالمية الأولى والتي يطول أمدها إلى فترات طويلة.

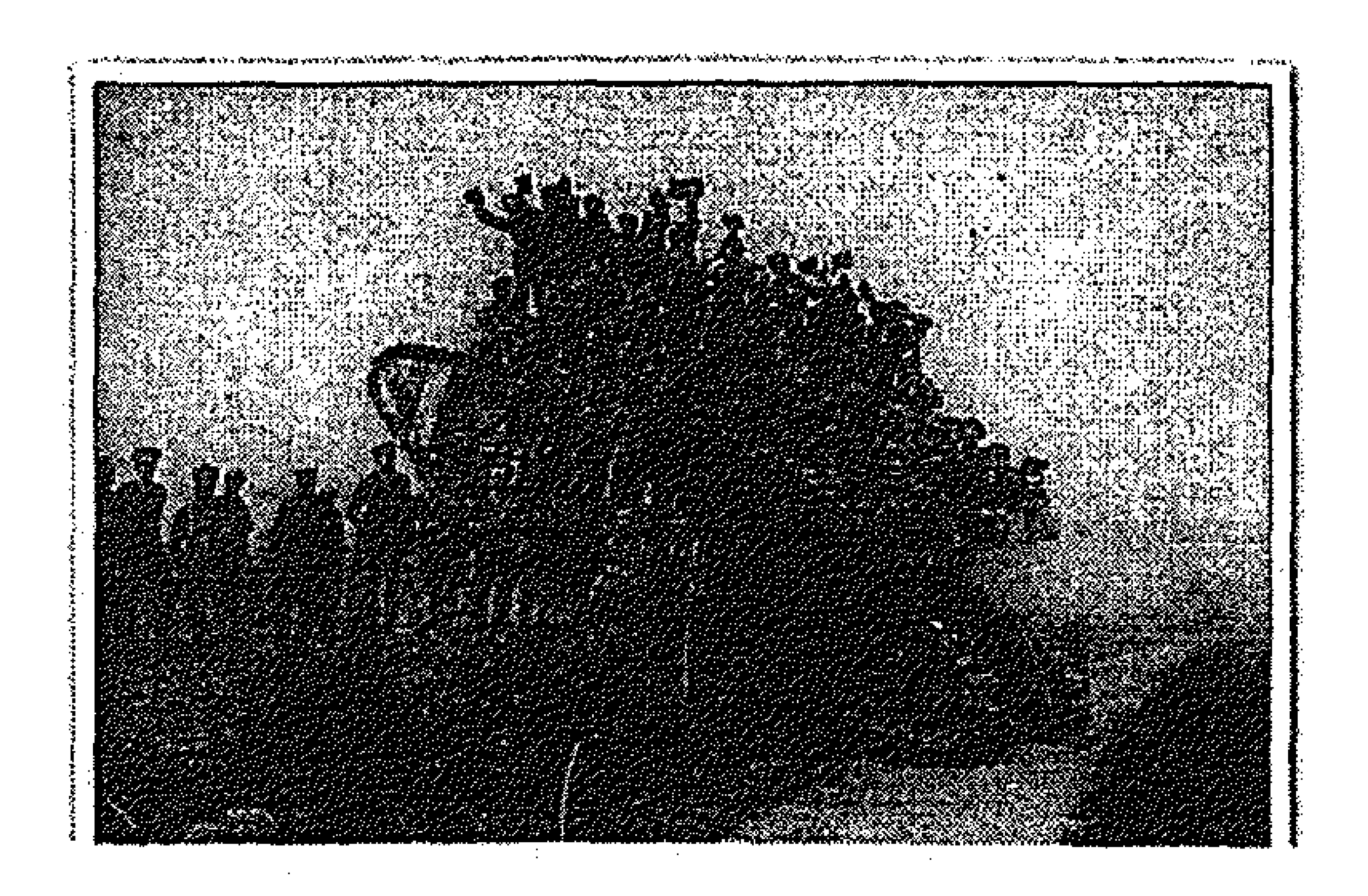
***



ألبوم صور للحربين العالميتين الأولى والثانية

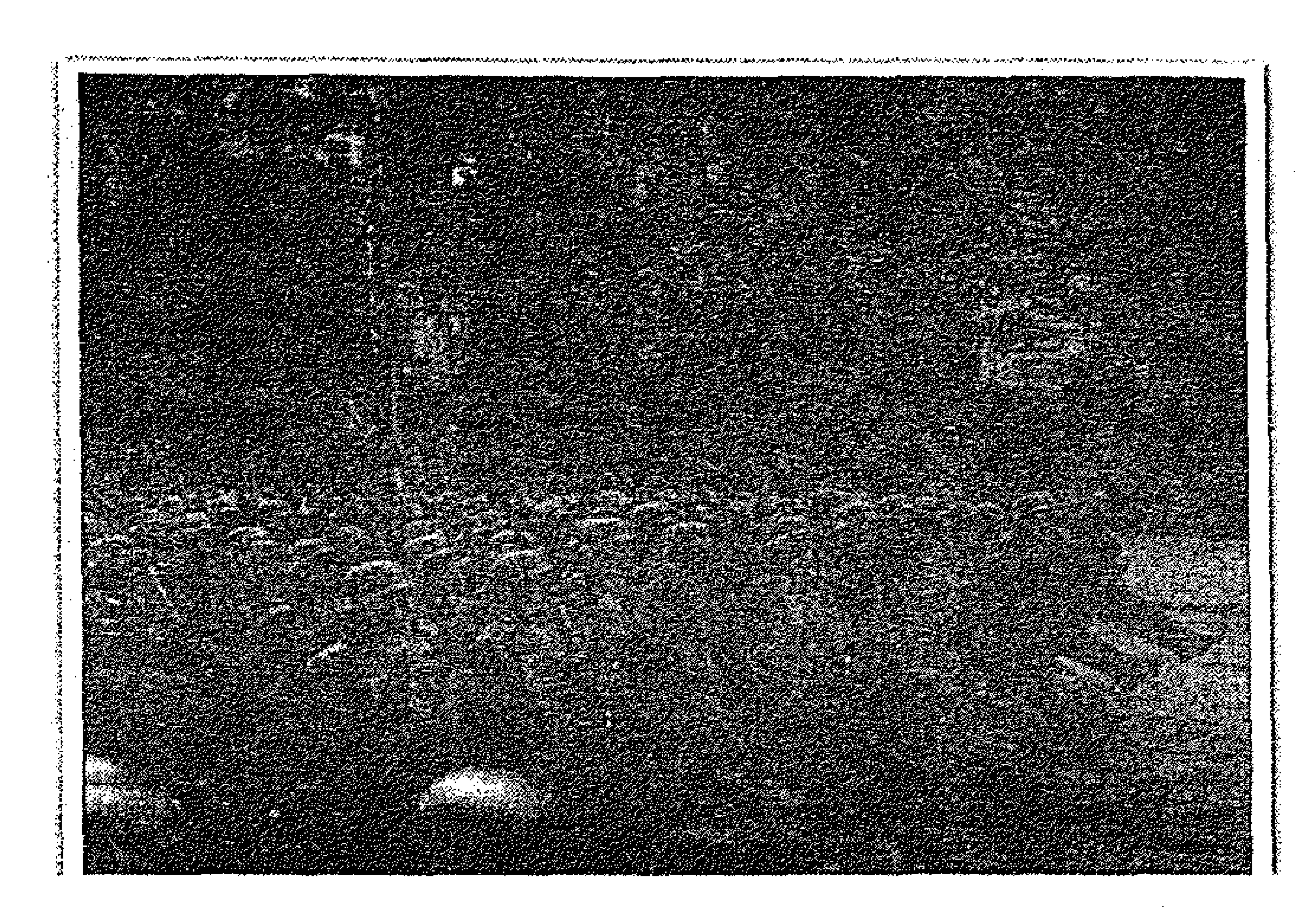


الحرب العالمية الأولى- نموذج أولي للمدفع الرشاش الثقيل

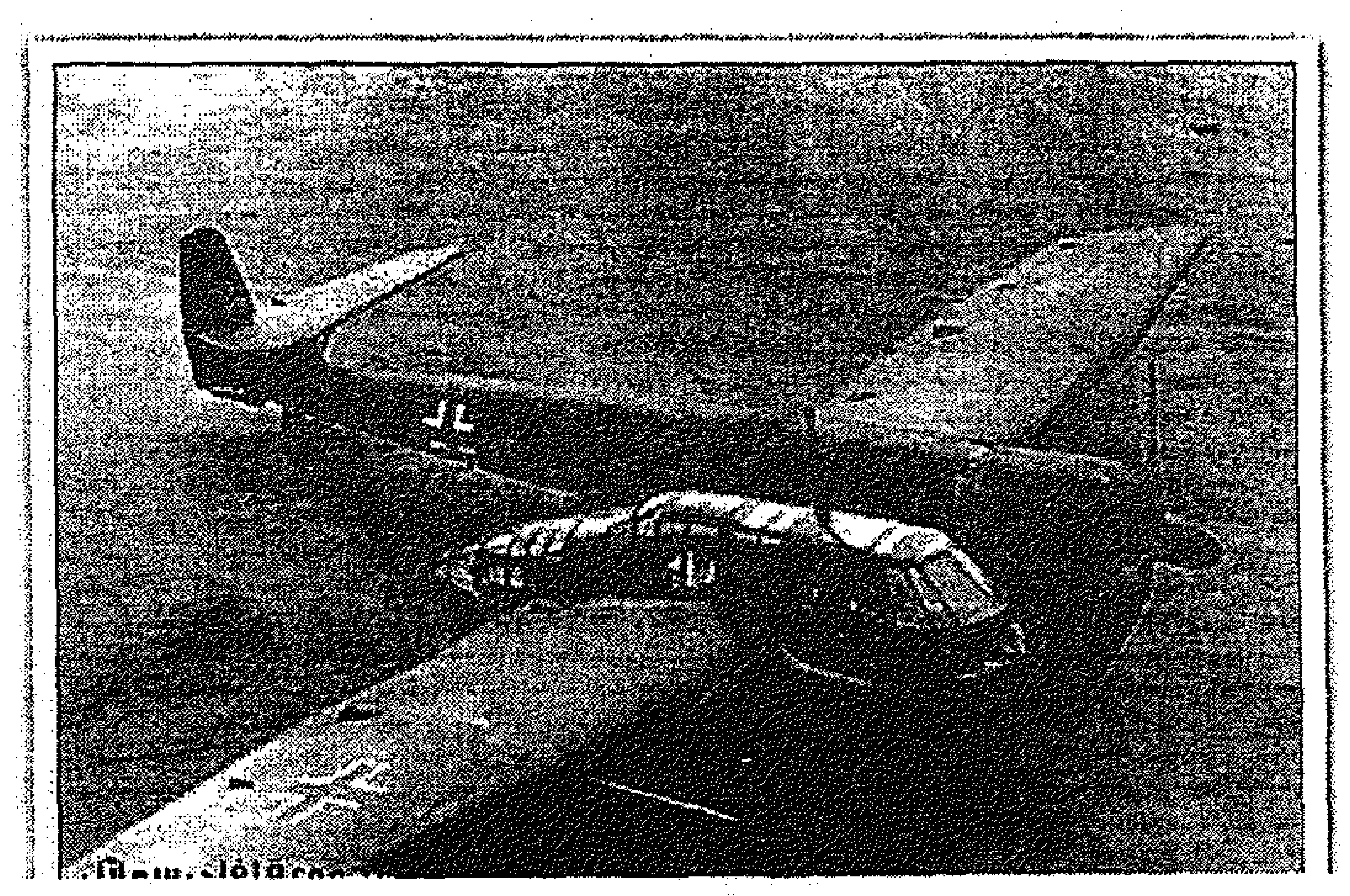


الحرب العالمية الأولى – نموذج أولي للدبابات





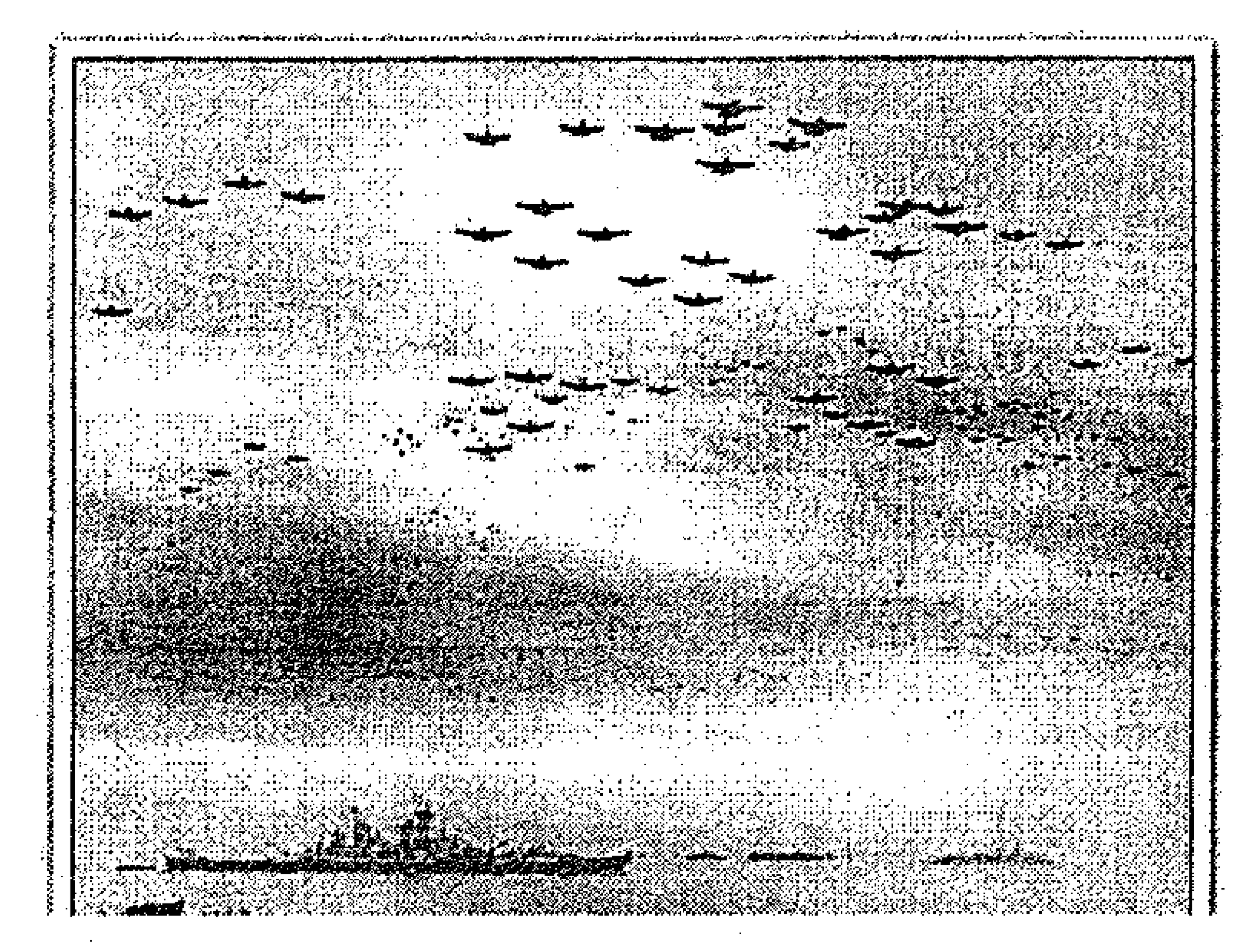
استعراض عسكري ألماني



صورة لإحدى القاذفات من الحرب العالمية الثانية



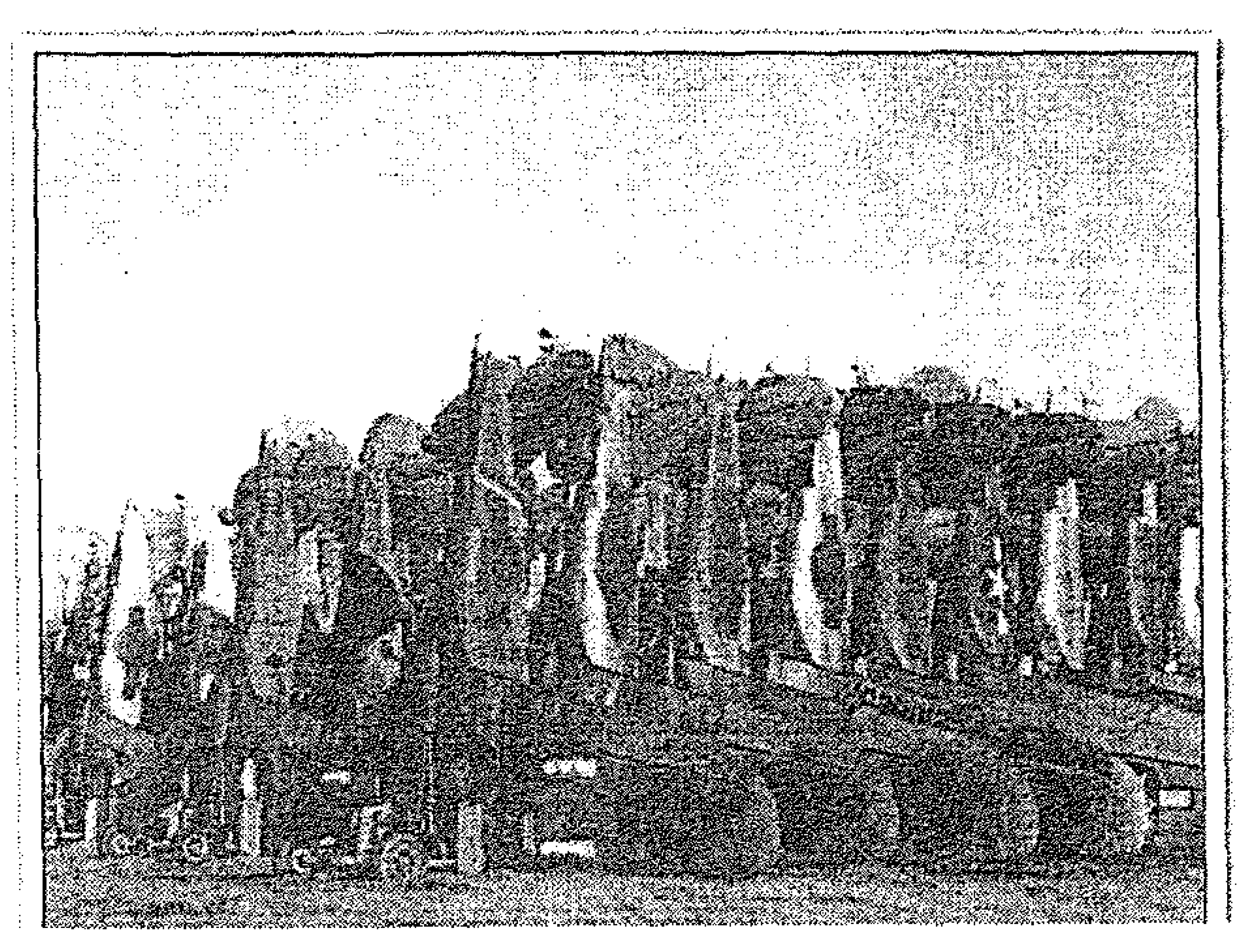
الحرب العالمية الأولى – حرب الخنادق



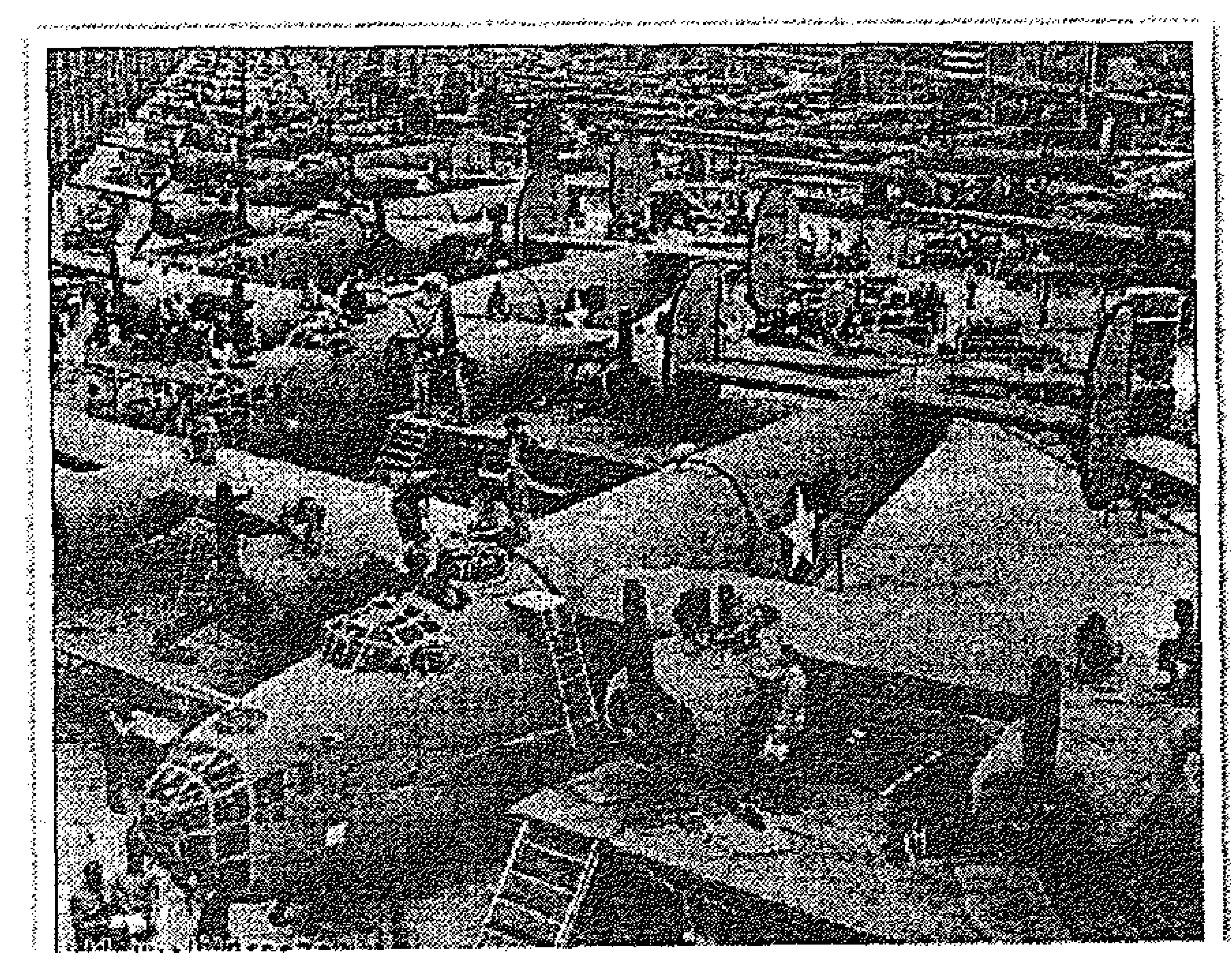
صورة من الحرب العالمية الثانية



الحرب العالمية الثانية- إخلاء دنكرك



طائرات اميركية مخزنة – الصورة ترجع للحرب العالمية الثانية



مصنع تجميع طائرات – الحرب العالمية الثانية



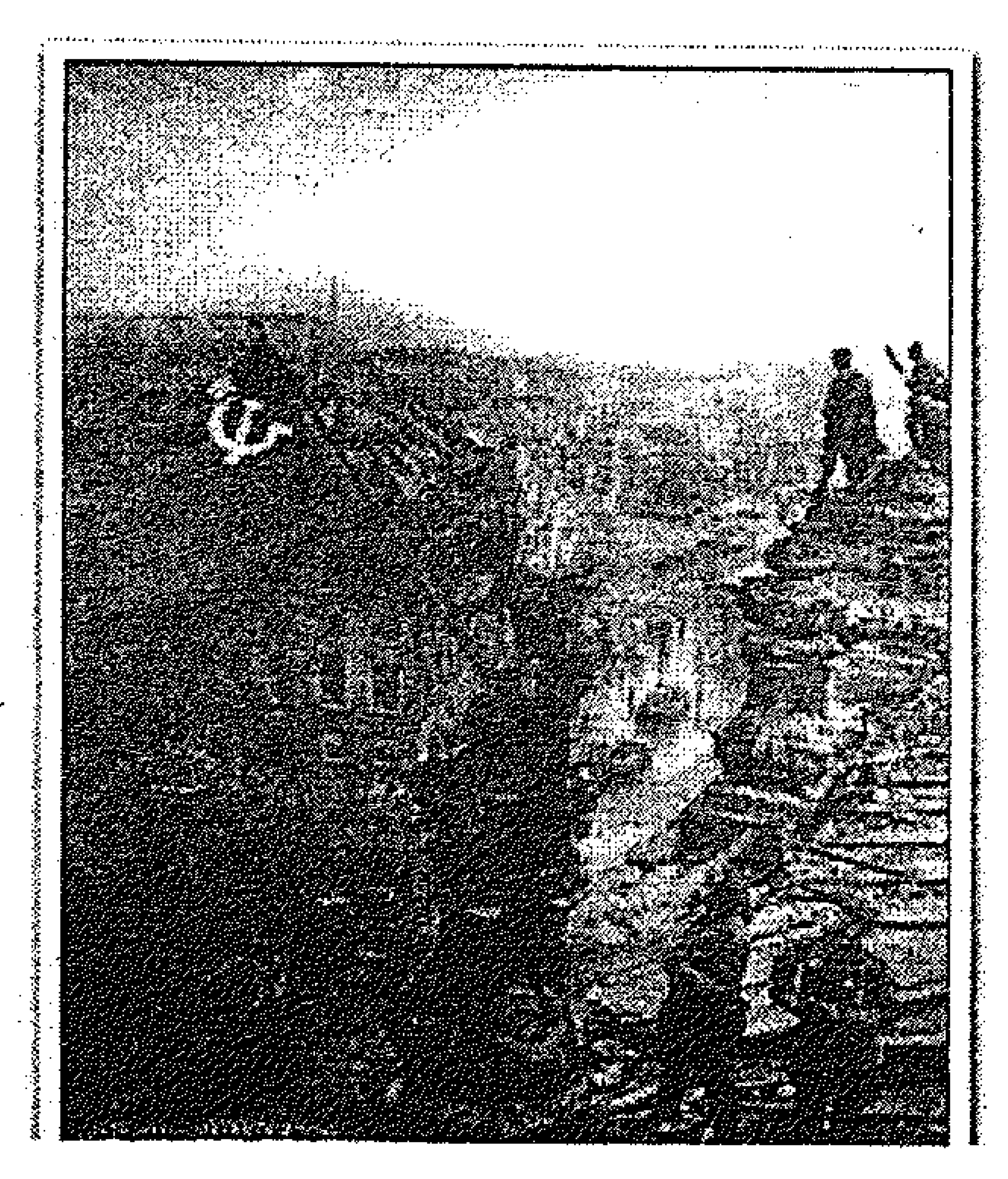


جندي أميركي في مواجهات المحيط الهادي- الحرب الثانية

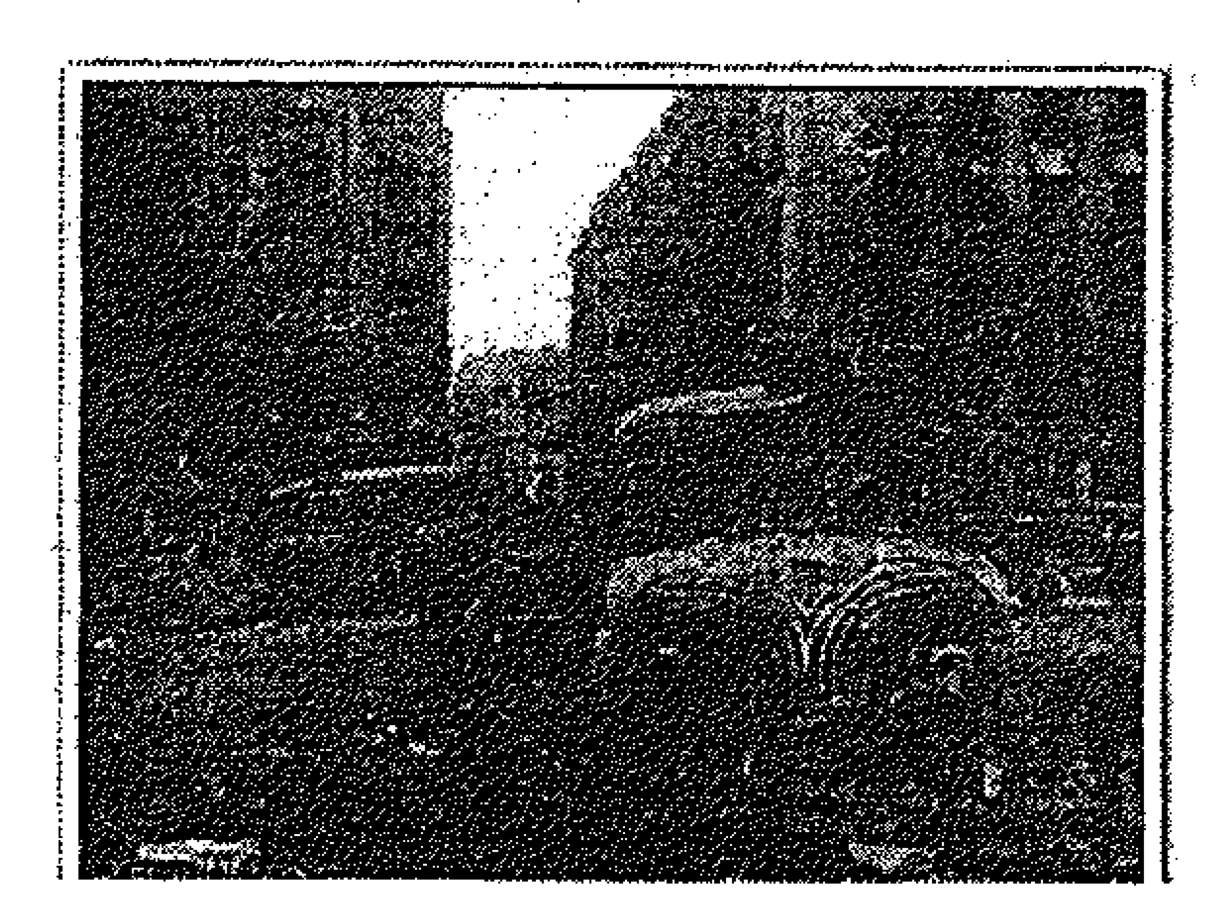


جندي ألماني- الحرب العالمية الثانية

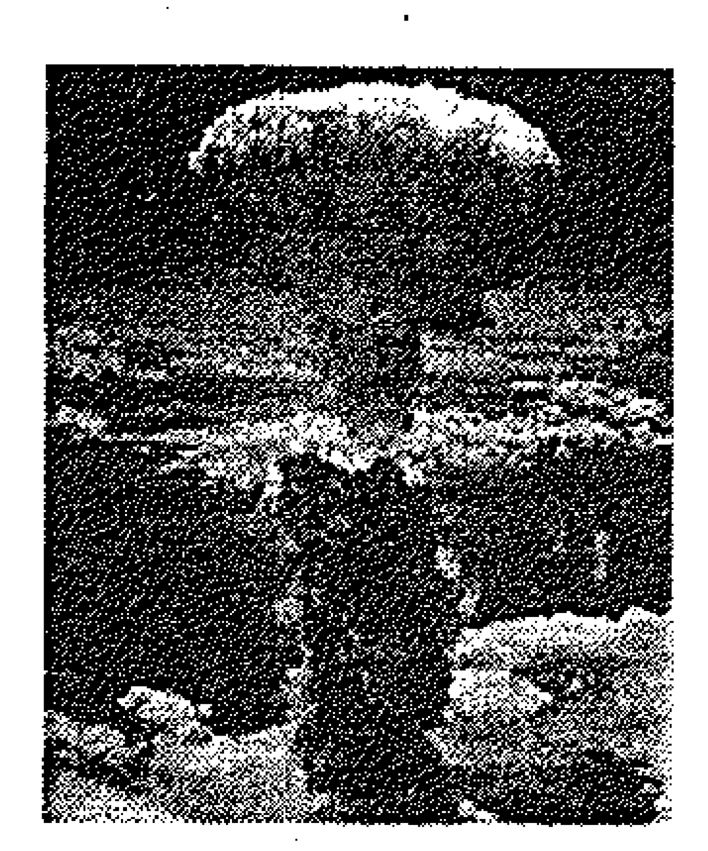




الروس في برلين



خراب المدن



سحابة مشروم بارتفاع 18 كم ناتجة عن الانفجار النووي على مدينة ناجازاكي باليابان بتاريخ 9 أغسطس 1945

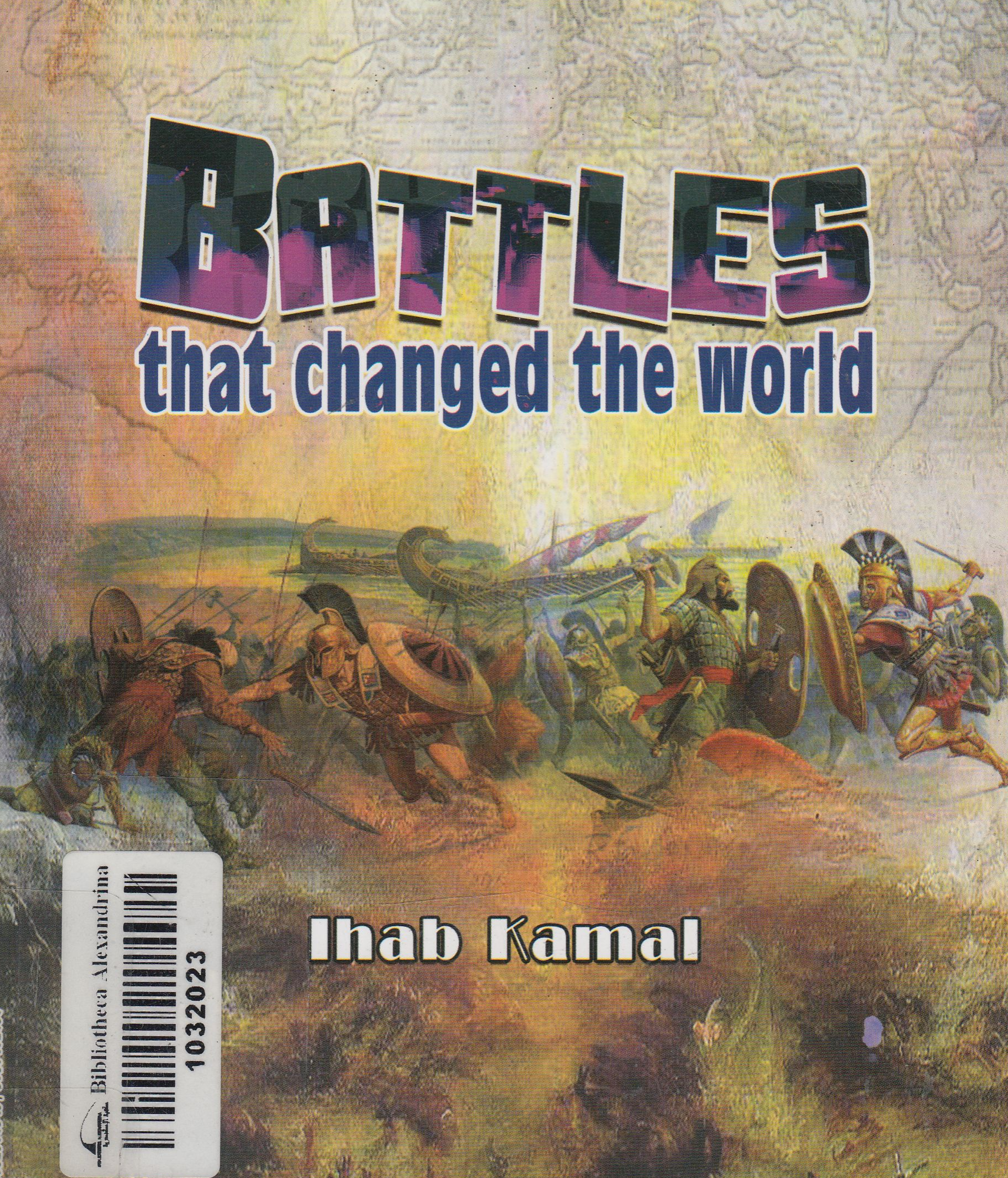


الفهرس

***

BATTLES that changed the world

Ihab Kamal



دار الحرم للتراث
٤٥ سوق الكتاب الجديد - العتبة - القاهرة
ت: ٢٥٩١٦٠٢١ /٠٢